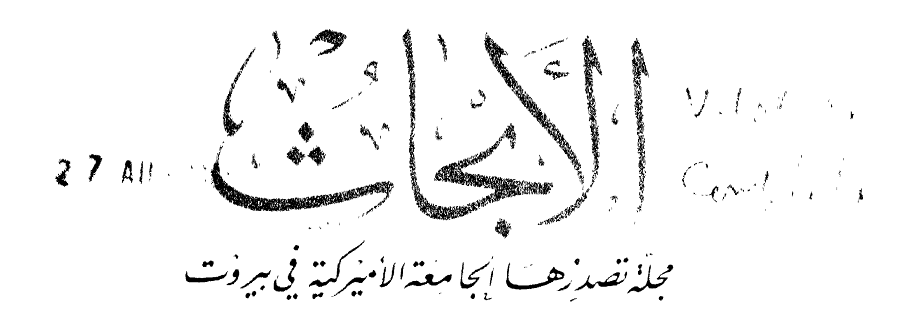
آذار ١٩٦٥
السنة ١٨ — الجزء ١



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

رئيس التحرير : فؤاد صروف

الناشرون



بيروت . لبنان



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

رئيس التحرير

فؤاد صرّوف

لجنة التحرير

نقولا زيادة　　انيس فريحة　　محمد يوسف نجم

هيئة المستشارين

البرت بدر　　جبرائيل جبور

وليد خالدي　　قسطنطين زريق

نبيه امين فارس　　ادوارد كندي

حبيب كوراني　　سبحي محمصاني

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، لبنان .



مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

السنة ١٨ - الجزء ١ رئيس التحرير : فؤاد صروف آذار سنة ١٩٦٥

الجامعات أمام مسؤولياتها

قسطنطين زريق

تحتل الجامعة مركزا رئيسيا في حياة اية امة من الامم ، وتقوم بدور بارز في حفظ الثقافة ونقلها وتنميتها . فهي ، بحكم وظيفتها الخطيرة هذه ، تتحمل مسؤولية ضخمة تجاه مجتمعها ، وتجاه الانسانية والحضارة بوجه عام ، ويقع عبء هذه المسؤولية على كل جامعة تحمل هذا الاسم على اختلاف الامكنة والازمنة وتباين النظم والاحوال . انها مسؤولية مزدوجة تتجه من ناحية الى المجتمع الخاص الذي تقوم فيه الجامعة ، ومن ناحية ثانية الى المجتمع الانساني بكامله والى الحضارة بمجموعها . وتحاول الجامعة ان تنهض بها عن طريق تثقيف الشباب وتنمية مواهبه العقلية والنفسية وتعليمه العلوم النظرية والمهن التطبيقية على ارفع مستوى ، وعن طريق تنمية المعرفة الانسانية بالبحث والاستكشاف.



ان هذه المسؤولية العامة الباقية على الزمن يجب ان تظل نصب العين وموضع النظر والاعتبار. ولقد انتج الاحساس بها والسعي لادراك كنهها دراسات عديدة متتابعة خلال العصور وفي مختلف اللغات قام بها جامعيون وغير جامعيين حاولوا فيها تحديد « جوهر » الجامعة او « مهمتها » او « رسالتها » . وهذه الدراسات تؤلف بمجموعها تراثاً نفيسا وذخيرة فكرية غنية يحسن بكل جامعي ان يعود اليها ويهتدي بهديها .

على اني لست اقصد في هـذا المجال المحدود ان اتصدى لهذه المهمة الاساسية التي تقع على اية جامعة من الجامعات في اي زمان او مكان . ذلك ان هذه المهمة تتخذ الوانا مختلفة وتثير مشكلات متنوعة تبعا لاختلاف الازمنة والاحوال ولتبدل الاوضاع وتنوع الثقافات والحضارات . ولذلك آثرت ان اقتصر على المسؤولية الجامعية في اطار الاوضاع الانسانية القائمة ، وعلى ضوء القوى الفعالة في المجتمع الحديث والاتجاهات التي تسلكها سبل الحياة والحضارة في هـذه الايام . على اني اذ اتقيد بهذا الاطار ، سأحاول ، ما امكن ، ان اظل ضمن الاطار العام وألا انسى او اتناسى جوهر الجـامعة ومهمتها الاساسية ، كي لا يخرج الحديث بنا عن المؤسسة التي هي موضوعنا والتي لها كيانها الخاص وجوهرها المميز وتقليدها المتصل المتراكم خلال التاريخ .

ولكي ندرك حقيقة المسؤولية الجامعية في هذه الايام ، لا بدّ لنا من ان نبدأ محاولتنا هذه بالنظر الى بعض العوامل التي تسيطر على حياة هـذا العصر وتدفعه في اتجاهاته المختلفة وتحدث فيه ما نشهد من تقلبات متتابعة وتطورات متسابقة . ولا يعنينا من هذه العوامل الا ما يتصل منها بمهمة الجامعات ويؤثر فى تحديد اعمالها وتوجيهها . وسأكتفي هنا بالتلميح الى اربعة منها . ولئن سردتها الواحد بعد الآخر ، فليس يعني هذا انها مستقلة منفصلة . انها ، على العكس ، متصلة متفاعلة فيما بينها ، ومشتبكة بعوامل اخرى لا مجال لذكرها هنا ، تفعل واياها جميعا في تكوين حياتنا الزاخرة المندفعة الهائجة في عصرنا المتفجر هذا .

اول هـــذه العوامل هو **انطلاق المعرفة** انطلاقا لم يعرف التاريخ له مثيلا . فان الاكتشافات العلمية تتتابع بسرعة فائقة ، وحقول الاختصاص تتزايد وتتشابك وتتباعد ، ويكاد رجل العلم يعجز عن اللحاق بموكب المعرفة المندفع ، حتى ضمن حقله الضيق واختصاصه الدقيق . والسائرون في هذا الموكب يقولون انه يجوز الان في سنوات معدودات مـا كان يحتاج سابقا الى قرون او عشرات القرون ، وان المعرفة تتضاعف اليوم في مدى عشر سنوات او اقـــل ، وان تسارعها وتضخمها آخذان في الازدياد بشكل يلهب الخيال ويحير الالباب ويأتي بنتائج يصعب تصورها او تقديرها . هـــذه الحقيقة تبدو واضحة لكل ناظر متدبر ، ولكن قلّ بين ابناء هـذا العصر وشعر به من وعاها حق الوعي وكيّف عقليته وسلوكه ونظام حياته بموجبها .

يصاحب هذا العامل الاول عامل ثان متصل به ومتفاعل واياه : هو **التقدم الرائع في حقول التقنية والتصنيع** . فثمة ثورة صناعية ملتهبة نشهدها اليوم تتلاقى وشقيقتها الثورة العلمية ، ولا تقل عنها روعـة والتهابا . وكلتا هاتين الثورتين اوسع مدى واسرع انطلاقا من سابقتيهما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ولئن كانت الثورة العلمية خافية عن بعض العيون والاذهان ، فان الثورة الصناعية تتبدّى لنا من كل جانب وتزدحم علينا انباؤها المتتالية وآثارها المدهشة فلا يستطيع اغفالها الا من عميت بصيرته او تبلد احساسه .

وثمة ثورة ثالثـــة ، هي التي تندلع في الصدور ، وتتفجر في القلوب: **ثورة المطامح والآمال** ، عند الافراد والجماعات والشعوب . انهـا تهيب بهؤلاء جميعـاً الى ان يطالبوا بحقوقهم في الفرص المتكافئة ، وفي الحيـــاة المتحررة من اوزار الاستعباد والفقر والجهل والمرض، الكفيلة بتحقيق الكرامة القومية والانسانية . ولقد جاءت هذه الثورة — وهي العامل الثالث الذي يستوقفنا — بنتائج خطيرة في اوضاع كل شعب من الشعوب وفي الاوضاع الانسانية عامة ، نكتفي هنـــا بالاشارة الى واحدة منها فحسب ، وهي ان الدولة ، وكل مؤسسة اخرى من

مؤسسات المجتمع ومن ضمنها الجامعة، اخذت تشعر بواجبها في تلبية هذه الاماني والرغبات واخذت تتحمل ما لم تكن تتحمله في الماضي من فروض وتبعات .

واخيراً لا بد لنـــا من ان نذكر بين العوامل التي تكيّف الحيـاة الانسانية الحاضرة ذلك **التقلص الهائل** الذي حدث في عالم اليوم . فالمسافات قد قربت ، والابعاد والحواجز قد زالت او كادت، ومصائر الشعوب اخذت تتلاقى في مصير انساني مشترك . فما من حدث او تطور يقوم في بلد ما الا له اصداؤه في البلدان الاخرى ، وما من تحرر او ازدهار او سلم يمكن اعتباره صحيحا او باقياً الا اذا شمل العالم بأسره وشاع في جوانبه جميعا . وهذا كله يحتم التعاون والتضافر بين ابناء الامة الواحدة ، وبين الامم جمعاء ، اذا اراد انسان هذا العصر ان يبلغ الآمال التي تحفل بها نفسه ، بل اذا اراد مجرّد البقاء والاستمرار .

* * *

ان هذه العوامل الاربعة، وسواهـــا من القوى المنطلقة التي تتقاذف حياتنا الحاضرة، قد اثارت في وجـه كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع مشكلات دقيقة وألقت على كاهلها مسؤوليـات وتبعات لم يكن لها عهد بها في المـــاضي . فلنلتفت الى الجامعة – وهي موضوع حديثنا – ولنتأمل المشكلات التي تعانيها، والمسؤوليات الناجمة عن هذه المعاناة . ولمـــا كان الحديث لا يتسع للاحاطة بالمشكلات الجـامعية كلها ولمناقشتها مناقشة وافية ، فلنكتفِ بابراز اشدها اهمية وخطورة، وبالاشارة الخاطفة اليها ، اذ ان استقصاء اي منها يصلح لأن يكون بذاته موضوع مقالة كاملة ، بل مقالات عديدة .

نبدأ اولا بمشكلة **العدد والكمية والحجم** . ان الرغبة الجائشة عند ابناء الشعوب جميعا في ارتياد مناهـــل التعليم ، والوسائل المتوافرة التي اتخذتها الحكومات والهيئات الخاصة لتلبية هذه الرغبة ، قـــد ادت الى انتشار التعليم الابتدائي فالثانوي انتشاراً واسعا يتزايد سنة بعد سنة بل يوما بعد يوم. وكان من نتيجة هذا الانتشار المتزايد ان اعـداداً متكاثرة من الشبان اخذت تطرق ابواب الجامعات وتسعى الى دخولها . واخذت حشود الطلاب الجامعيين تتضخم

وتتعاظم ، وتملأ رحاب الجامعة وقاعاتها ومختبراتها حتى ضاقت هذه عليها وكادت تعجز عن استيعابها ، بل عجزت فعلا في كثير من الحالات . وليس هذا محصورا ببعض الشعوب والاقطار دون سواها ، بل يعمها جميعا ، لا فرق في ذلك بين المتقدمة منها والمتخلفة . فأعداد الطلاب الجامعيين تقفز قفزا سريعا في بلدان العالم قاطبة [1] . والجامعات على العموم تقف بين اختيارين متضاربين : بين ان تلبي الحاجة المتراكمة والرغبة المتزايدة فتسهم في نشر التعليم العالي مهما تكن نتائج هذا النشر ، وان تقيد ، بالعكس ، مجال الانتساب اليها لتستطيع القيام بواجبات هذا التعليم ضمن طاقتها . على ان الضغط المتزايد من قبل الناشئة والمجتمع والدولة قد أدى بها الى توسيع ابوابها والى قبول اعداد متكاثرة وحشود متضخمة . نشهد هذا في الجامعات الاوروبية والاميركية حيث يرتفع عدد الطلاب في كثير منها الى عشرات الالوف [2] ، كما نشهده في الجامعات الاسيوية ، وفي بلادنا العربية حيث تغص الجامعات بالالوف بل عشرات الالوف من طلابها . ليس لهذه القضية ملابساتها التعليمية والثقافية فحسب ، بل ان لها ملابسات اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة . ولذلك نجدها تقلق بال الجامعيين ورجالات الدول وقادة الفكر ، وتضع على عاتق كل فئة من الفئات مسؤولية عظيمة تستدعي اعمق النظر وابلغ الجهد . وقد اهتمت منظمة اليونسكو

---

١) نستدل على هذا من التقدير التالي لعدد الطلاب في مختلف مؤسسات التعليم العالي في العالم بين اوائل العقد السادس من هذا القرن واواخره (١٩٥٠ و ١٩٥٩). فقد ازداد هذا العدد من ٦٠٧١٢٠٠٠٠ طالب الى ١١٠٤٦٩٠٠٠٠ (موزعين كما يلي : آسيا من ١٠٣٤٥٠٠٠٠ الى ٣٠٢٦٦٠٠٠٠ ، افريقيا من ٧٠٠٠٠٠ الى ١٧١٠٠٠٠ ، اميركا الجنوبية من ١٧٩٠٠٠٠ الى ٣٢٦٠٠٠٠ ، اميركا الشمالية من ٢٠٧٩١٠٠٠٠ الى ٣٠٦٨٣٠٠٠٠ ، اوروبا من ٢٠٢٨٠٠٠٠٠ الى ٣٠٩٤٩٠٠٠٠ ، واوقيانوسيا من ٤٧٠٠٠٠ الى ٧٤٠٠٠٠) . وهذا الازدياد آخذ بالارتفاع المتسارع نظراً للتوسع الشديد في التعليم الابتدائي والثانوي الذي حدث في العقد ذاته والذي تبدو الآن اثاره . وهكذا دواليك .

٢) يكاد يبلغ في جامعة كاليفورنيا بمختلف فروعها مئة الف .

ومنظمة الجامعات الدولية بهذه القضية في اطارها العالمي فاشتركت المنظمتان في اعداد دراسة لها، اشرف عليها اختصاصيون من مختلف مناطق العالم [١] ، كما ان منظمة الجامعات الدولية جعلتها في مقدمة القضايا التي ستعالجها في مؤتمرها العام في طوكيو في شهر ايلول القادم . ومهما يكن من امر ، فان هذه المشكلة ستظل قائمة ، بل ستعظم خطورتها على مر السنين اذا لم تعالج معالجة صحيحة ضمن تخطيط واعٍ دقيق في نطاق كل امة من الامم وفي النطاق العالمي الشامل .

هذه المشكلة الاولى المتعلقة بالعدد والكمية تقود حتما لمشكلة **الكيفية والنوع والمستوى**. فالملحوظ ان النمو الكيفي لا يصاحب بالضرورة الانتشار الكمي، بل كثيرا ما يحدث هذا على حساب ذاك ، ذلك ان التربية – والتربية الجامعية بوجه خاص – لا تقوم بتلقين المعلومات فحسب ، بل بنمو مدارك الطالب ومواهبه العقلية والنفسية والخلقية وشخصيته المتكاملة . ولا يحصل هذا النمو الا اذا اتيح للطالب ان يتصل بالاستاذ اتصالا مباشرا ، وان يتأثر بـه في تفكيره وسلوكه . وكلما كثرت الاعداد ، ضعفت هـذه الصلة الشخصية ، حتى ان الطلاب في بعض الجامعات لم يعدوا ان يكونوا لاساتذتهم اجسادا تملأ مقاعد قاعات المحاضرات وارقاما تسجل على اوراق الامتحانات ، لا عقولا يعرفونها ونفوسا يألفونها وشخصيات يتشوقون الى تفتيحها وانمائها . وتتأزم الحال بشكل خاص في تدريس العلوم ، اذ يعتمد هذا التدريس على الاختبار الفردي ويتطلب تجهيزات ومصانع ومخابر وافية ليقوم كل طالب بمقتضياته. والجامعة هنا ايضا بين امرين : اما ان تخضع للامر الواقع وتقبل هذه النتيجة المحتمة في انخفاض المستوى

---

١) صدر المجلد الاول من هـذه الدراسة بعنوان *Access to Higher Education* تأليف Frank Bowles مدير هذا المشروع ، وهو من منشورات اليونسكو ، ١٩٦٣ . اما المجلد الثاني فسيصدر قريباً ضاماً دراسات اختصاصية لهذه القضية كما تبدو في البلدان التالية: الاتحاد السوفيتي ، افريقيا الجنوبية ، البرازيل ، الجمهورية العربية المتحدة، السنغال ، شيلي، فرنسا ، المملكة المتحدة ، نيوزيلاندة ، الهند ، الولايات المتحدة الاميركية ، اليابان . وقد وضع هذه الدراسات اختصاصيون جامعيون في هذه البلدان .

معزية نفسها بان مجرد انتشار التعليم الجامعي ، حتى لو ادى الى هذا الانخفاض ، كسب للناشئة وللوطن ، واما ان تظل تحاول المحافظة على مستواها فيرتفع معدل الرسوب فيها ، وتطول مدة تحصيل شهاداتها ، وتضيع سنوات ثمينة من حياة طلابها بين الامل واليأس ، يحاولون ما لا قبل لهم به بدلا من ان ينصرفوا الى العمل الجادّ المنتج لهم ولوطنهم . على ان اكثر الجامعات – وبخاصة في البلدان النامية – قد اضطرت الى سلوك المسلك الاول ، فأخرجت افواجا من الشبان لم يتهيأوا التهيوء الكافي ، وحملوا شهادات لا تغني ولا تفيد ، وذلك في عصر يتطلب المعرفة المنتظمة ، والاختصاص الدقيق ، والقدرة على الاكتساب الشخصي ، وتكاد المنافسة بين شعوبه تقوم على الرسوخ العلمي والفاعلية العقلية. هنا ايضا نجد ان هذه المشكلة ليست يسيرة عابرة ، بل انها من اعقد المشكلات الجامعية ان لم نقل اعقدها ومن اشدها خطرا على حاضر الشعوب ومستقبلها .

امّا المشكلة الثالثة فهي مشكلة **التوازن** في عناية الجامعة ، تعليما وبحثا ، **بالعلوم والفنون التقنية والتطبيقية منجهة وبالعلومالنظرية من جهة اخرى.** ذلك ان العالم كله ، كما قلنا ، تجتاحه ثورة تقنية صناعية تتطلب المزيد من المهندسين والكيميائيين والاطباء والمعلمين وسواهم من المختصين الذين تقوم النهضة الصناعية على سواعدهم المدربة وعقولهم المجربة . والامم المختلفة – حتى اشدها تقدما في هذا الميدان ، كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي – تتفاخر وتتنافس في ما تعده من هؤلاء المختصين وما تخرّجه منهم جامعاتها ومعاهدها عاما بعد عام . وتعظم هذه الحاجة عند الامم النامية ، اذ هي تلج اليوم طور التصنيع من اوسع ابوابه وتقبل عليه بحماسة بالغة تيقنا منها انه هو سبيل تنمية مواردها وشرط مشاركتها في الحياة الحديثة .

على ان التقنية والتصنيع لا يكونان سليمين مكتملين الا اذا استندا الى ذخيرة من المعرفة النظرية ومن الرغبة في اكتشاف الحقيقة والقدرة على ذلك . والامم لا تشارك فيالتقدم الحديث مشاركة صحيحةالا اذا اكتسبت هذه القدرة

واجتنت تلـك الذخيرة . فحريٌ بالجامعات ، وهي المولّد الاول للمعرفة النظرية ، الا تجعـل عنايتها بالعلوم والفنون التطبيقية تتغلب على واجبها في رعاية العلوم النظرية ، وذلك لسببين : اولهما لتسهم في بناء نهضة مجتمعها التقنية والصناعية على اساس ثابت ، والثاني لتظل محتفظة بوظيفتها التاريخية كحصن من حصون النظر والاكتشاف وكمنبـع من منابع المعرفة الحرة التي تسعى الى الحقيقة من اجل الحقيقة ذاتها. فاذا تخلت عن هذه الوظيفة او اهملتها، تحولت الى مؤسسة تعليمية مهنية ، وخسرت عنصرا اساسيا من عناصر كيانها ومبررا من اهم مبررات وجودهـا . على ان الجامعة اخذت تلقى عسرا في الاحتفاظ بهذا الكيان ، ذلـك ان الاقبال الزاخر الذي نشهده، على التدريب التقني والمهني من قبل الدولة وفئات الشعب على السواء، قد جعل مهمتها في حفظ التوازن العدل بين النظر والتطبيق مهمة شاقة واحدث مشكلة من المشكلات الرئيسية التي تجابهها في هذه الايام .

ولا يقتصر التوازن الجامعي المنشود على التوفيق بـين متطلبات التطبيق والنظر في حقول المعرفة الطبيعية، بـل يتناول ايضا **تنسيق المعرفة الطبيعية بكاملها** من جهة، **والمعرفة التي تشمل الثقافة الانسانية** كالتاريخ والفلسفة والاداب والعلوم الاجتماعية والفنون الجميلة ، من جهة اخرى . ذلـك ان شعوب العصر الحاضر – والشعوب النامية بوجه خاص – تتلكأ في السعي الى هـذه العلوم والآداب والفنون ، ولا يحفزها اليها مثل التلهف الذي يحفزهـا الى العلوم الطبيعية ، لان همها الاول هو تنمية سيطرتها على الطبيعة للتغلب على عواديها وقيودها ولاستثمار مواردهـا في سبيل تعزيز القدرة الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة . وتكاد تنظر الى الثقافة الانسانية كأنها ترف وتجمّل لا يستحقان مثل العناية التي يجب ان تصرف الى التجهيز العلمي الطبيعي ، او تعتبر انـه يصح على الاقل تأجيلهما الى دور لاحق حين تكون الامة قد انجزت من هذا التجهيز قدرا كافيا . ومع ان هذا الموقف قد يبدو للوهلة الاولى صحيحا ومعقولا ، فان اهمال الثقافة الانسانية يجرّ حتما الى نتائج خطيرة في حياة الامـة يحسن التنبه اليها

ومحاولة تجنبها . من هــذه النتائج تكوين مجتمع تتغلب فيه الوسيلة على الغاية . فغاية اية تنمية قومية يجب ان تكون الانسان ذاتــه ، ولا ينمو الانسان بازدياد قدرته على الطبيعة وبتكاثر مقتنياته وبارتفاع مستوى عيشه فحسب ، وانمـا ينمو باتساع افقه الفكري والتاريخي وبرهف حسّه الجمالي وبتروضه على طلب الخير وايثار التعاون والتعاضد . ومن هذه النتائج ايضا حدوث فجوة بـين فريقين من ابناء المجتمع ومن رجال الفكر والعمل فيه : فريق يتكلم لغة العلوم الطبيعية ويتجه في تفكيره وسلوكه وفقا لمفاهيمها ، وفريق يعيش في جو الادب او الفلسفة او الفنون الجميلة ويتكلم لغة ثانية تختلف عن الاولى . وهــذه فجوة بدأ يلحظها ويحذر من خطورتها بعض مفكري الغرب ، وقــد اثار الاهتمام بها حـديثا العالم والكاتب الانكليزي Sir Charles Snow في كتابه : الثقافتـان *The Two Cultures* . فلا بدّ من العمل على تضييقها ، ولا بد من ان يكون للجامعة اثر في هــذا التضييق ، وفي انشاء مجتمع متناسق الاركان منسجم العناصر . ولن يحدث هذا الاثر الا اذا كانت الثقافة الجامعية منسجمة في صلب الجامعة ذاتها ، وألا اذا اولت الجامعة هذين الجانبين من جوانب المعرفــة عناية متكافئة ومتفاعلة .

ان المشكلتين السابقتين مرتبطتان بمشكلة مماثلة تنم ايضا عن حــاجة الى التوزان في العمل الجامعي . بل لعل هذه المشكلة هي مصدر علل التباين والتباعد كلها. اعني بها **الشقة المتسعة بين المعرفة الاختصاصية والثقافة العامة.** فالمعرفة، كما قلنا، في تقدم مستمر، وهذا التقدم يأتي بحقائق جزئية جديدة تتوافر يوما بعد يوم . ولما كانت قدرة الانسان محدودة ، لم يعد بامكان عالم اليوم ان يحيط بما كان يحيط به سلفه من علوم . بل هو لم يعد يستطيع ان يحيط بعلم واحد من العلوم بحسب التقسيم التقليدي لان كلاًمن هذه العلوم قد انقسم فروعا عدة واختصاصات متباعدة، واصبح الاختصاص سنّة السلوك العلمي في هذه الايام . واخذت الاختصاصات تضيق وتمعن في الضيق ، وتتباعد وتغلو في التباعد حتى ان ابناء العلم الواحـد غدوا يتكلمون لغات مختلفة ويجدون صعوبة في ان يتعارفوا ويتفاهموا . وقــد

قـال احدهم معلقا على هذا الاتجاه : « ان الامعان في الاختصاص يؤدي بالعالم الحديث الى ان يعرف اكثر فأكـثر عن الاقل فالاقل ، وقد تنتهي به الحال الى ان يعرف كل شيء عن لا شيء ، ولا شيء عن كل شيء » .

ومهما يكن من امر هذا القول، فان العبارة الاخيرة منه ترمز الى النقص الذي وقع فيه، او يخشى ان يقع فيه، الاتجاه العلمي الحاضر. وهو تضيّق افق العلماء ، وتفاقم عجزهم عن الاحاطة والشمول، وازدياد غفلتهم عن وحدة الطبيعة، ووحدة الانسان، ووحدة الحقيقة، ووحدة المعرفة. انه تغلّب الجزئي عندهم على الكلي ، ونفور الفرع من الاصل، وضياع الثقافة العامة الشاملة . وكلما قوي هذا الاتجاه وانتشر ، اشتد الانقســـام والاختلاف بين ارباب المعرفة ، وبالتالي بين فئات المجتمع ، وفشل الانسان الحديث في بلوغ ذلك الادراك المتزن الشـــامل الذي يضمن صحة تفكيره وسداد سلوكه .

اما الجامعة ، فانها بحكم تقليدها ووظيفتها ، مدعوة الى ان تكون «جامعة» بمعان عدة . وأحد هذه المعاني هو جمعها بين الاختصـــاصات كلها ، ووضعها الجزئي في نطـــاق الكلي . ولذا ، وجب الا ّ يجرها سعيها الى نشدان المزيد من الحقائق الجديدة بالبحث الموغل عمقا والاختصاص المتناهي دقـة — الا ّ يجرها هذا السعي الى الغفلة عن وحدة الحقيقة ووحـدة المعرفة والى العجز عن امداد طلابها ومجتمعها بتلك الثقافة الشـاملة التي لا غنى للانسان عنها اذا اراد سلامة حضارته واستمرار بقائه .

نلاحظ ان المشكلات الثلاث التي ذكرناهـا ناشئة عن افتراق السبـــل المرتسمة امام الجامعات في هذا العصر ، وان هذا الافتراق يجابه الجامعة بصعوبة الاختيار ، ويلقي عليها مسؤولية الملاءمة والتوفيق كي لا تنحرف في بعض هذه السبل انحرافا ينتقص كيانها ويفسد مهمتهـا . وثمة افتراق آخر تجب الاشارة اليه استكمالاً للصورة التي نحاول رسمها. انه **الافتراق المتبـــاعد بين الجانبين الرئيسيين من عمل الجامعة : جانب التعليم ، وجانب البحث**. فوظيفة الجامعة

وظيفة مزدوجة . انها ، من جهة ، موكلة بتهيئة الاجيال الصاعدة بما تنقل اليها من معرفة وبما تبذل من جهد في سبيل تنمية مداركها ومواهبها وتكوين شخصياتها ، وهي ، من جهة اخرى، مسؤولة ، مع سواها من مؤسسات البحث، عن تقدم المعرفة بالتحقيق والاختبار والاكتشاف . ولا تتم مهمتها الا اذا وفت كلا من هذين الجانبين حقه ووفتهما معا بتناسق وانسجام . فالجامعة التي تحصر جهدها في التعليم فحسب تتصدى لجزء من واجبها ، بل هي تقصر عن القيام بهذا الجزء حق القيام ، لان تخلفها عن البحث والاكتشاف يضعف قدرتها على التعليم ذاته اذ يحرم تعليمها من تلك الشعلة المضيئة المحيية التي يبعثها الاقدام على المجهول والسعي الى الحقيقة . فهي اذن لا ترتفع الى مرتبة الجامعة الحق ولا تفي بمدلول الاسم الذي تحمله . وكذلك — من ناحية اخرى — الجامعة التي تهمل شؤون التعليم في سبيل البحث ، فانها تغدو نوعا من انواع مؤسسات البحث (research institutes) واجدر بان تحمل هذا الاسم وهذه الصفة منها باتخاذ صفة الجامعة التي لا تكتمل الا بالتعليم والتربية . وهنا تفعل قوى العصر افعالا متضاربة : فمن جهة نرى الاقبال الشديد على الجامعات يلقي عليها اعباء جسيمة في ناحية التعليم ويضعف قدرتها على ايفاء مهمتها البحثية حقها ، ومن جهة اخرى نرى انطلاق المعرفة يهيب بالجامعات الى الانضمام الى موكبها المنطلق والى التنافس في احتلال مراكز القيادة فيه . فاذا بعض الجامعات تندفع ، ضرورة او اختيارا ، في السبيل الاول ، واذا سواها تجري ، كذلك بالضرورة او بالاختيار ، في السبيل الثاني . وقلّ بينها ما استطاع ان يوافق بين السبيلين موافقة سليمة مثمرة ، وان يجمع المهمتين جمعا متسقا مخصبا .

نلتفت الآن الى مشكلة سابعة . وهي مشكلة تجابه الجامعات في البلاد النامية بوجه خاص . وتنطوي مثل المشكلات السابقة على صعوبة الملاءمة بين المهمات المختلفة الملقاة على عاتق الجامعات في هذه الايام . انها **مشكلة اللغة** . أيكون التعليم الجامعي باللغة الوطنية ، ام باحدى لغات العلم البارزة في هذا العصر ، ام بالاثنتين معا ? ان واجب الجامعة في تهيئة اجيال الوطن للعيش في

ظلاله وللمحافظة على كيانه وتراثه ولتعزيز ثقافته وحضارته – ان هذا الواجب يفرض عليها ان تدرّس بلغته ، بل يفرض كذلك ان تكون الجامعة في مقدمة المؤسسات العاملة في صيانة اللغة الوطنية وتطويرها وانماء قابليتها كلغة علم وحضارة . ويترتب هذا الواجب بوجه خاص عندما تكون اللغة الوطنية ، كلغتنا العربية ، غنية طيّعة ذات تراث ثقافي عريق وعطاء حضاري زاخر . هذا من ناحية ، اما من ناحية ثانية ، فان ضرورة التنمية العلمية والاقتصادية ، والحاجة الى اللحاق بركب العلم ، والشوق الذي يجب ان يلهب الصدور الى بلوغ طليعة هذا الموكب والمساهمة الفعلية في الكشف والابداع – ان هذا كله يستدعي بذل اقصى الجهد في اختصار الابعاد واختراق الحواجز والاتصال المباشر بمنابع المعرفة ، ويقتضي لذلك التمكن من احدى اللغات العلمية والحضارية البارزة اليوم . وهو يدفع الى التساؤل عما اذا كان هذا التمكن وهذا الاكتساب العلمي السريع المنشود يحصلان اذا لم تدرّس العلوم باحدى هذه اللغات السائدة في ميادين القوة والانتاج والحضارة . فما هي السياسة الحكيمة تجاه هذين الواجبين الملحين – السياسة التي تقوم على حكم العقل وتفرضها في الوقت ذاته المصلحة القومية العليا؟ هنا ايضا مشكلة خطيرة ومسؤولية جسيمة تعانيها جامعات الشعوب النامية . وليست معالجتها بالامر اليسير ، لانها تتعلق باحوال الشعب الحضارية وظروفه الخاصة ، ولكن لا شك في ان هناك سبيلا وسطاً بين الطرفين يمكن الجامعة فيه – اذا جابهت المشكلة باخلاص واقدام وتبصر – ان تلائم بين الواجبين : واجب المحافظة على اللغة الوطنية وتنمية قدرتها على التعبير عن احدث مستنبطات الثقافة والحضارة ، وواجب المشاركة الحية في البحث والاكتشاف والاستنباط . ولاشك كذلك في ان هناك مجالا واسعا امام الجامعات لتبادل اختباراتها ومنجزاتها المختلفة في هذا المضمار ، فتأتي معالجتها ادق واوفى واقرب الى الغرض المزدوج المنشود .

* * *

ها نحن اولاء قد استعرضنا سبعا من المشكلات الرئيسية التي تعترض طريق

الجامعات في هذا العصر . ولئن كانت هذه المشكلات تتخذ في المجتمعات المختلفة الوانا متنوعة وتبدو على درجات متفاوتة من الحدة والتعقد فانها هي هي في كل بلد ومجتمع . وما كانت لتقوم على ما هي **لو ان الجامعات كانت تملك الموارد المادية والبشرية اللازمة** للنهوض بالمهات الجسيمة الملقاة على عاتقها. هنا في نظرنا احد المباعث الرئيسية للمصاعب التي تلقاها الجامعـات في هذه الايام . وهنا ايضا قد تختلف الحاجات وتتفاوت الطاقات ، ولكن قلّما نجد جامعة – حتى في البلاد الغنية – لا تشكو ضيقا في مواردها . ذلك ان خدمة العلم والمعرفة اخذت تقتضي تكاليف متزايدة ومطالب متضخمة : تقتضي مباني متعددة ، ومكتبات متسعة ، ومختبرات ومعامـل واجهزة متوفرة ، ووسائل مادية متكاثرة تعظم نفقاتها يومـا بعد يوم . يضاف الى هذا اننـا في عصر يفرض فيه ان يكون رجال الجامعـات على مستوى من العيش يسمح لهم بالانصراف الى مهمتهم انصرافا تاما وبشيء من الاطمئنان لحاضرهم ومستقبلهم. وهذا من الاهمية بمكان عظيم ، لان الجامعة تقوم ، قبل كل شيء ، على الاساتذة الموهوبين القادرين المتفرغين المنكبين على عملهم الجامعي باتم ما يكون التفرغ والانكباب .

فعلى كل مجتمع ان يقدر هذه الحقيقة الاساسيـة ، وان يوفر لشؤون التعليم العالي الموارد المتضخمة التي يتطلبها . على كل مجتمع ان يتبين ان اية تنمية في اي حقل من الحقول الطبيعية والاقتصادية والثقافيـة لا يمكن ان تحصل الا بقدر ما يتوفر لها من عناصر بشرية مدركة منتظمة ، وان سلامة الوطن وازدهـاره ومستواه الحضاري – كلها – تتوقف على ما يتمتع به من قدرة عقلية وخلقية ، وان هذه القدرة تصدر – اول ما تصدر – من الجامعات . فشق الطرق، واقامة المصانع ، وانشاء المؤسسات والادارات وسواهـا من مشروعات التنمية او الخدمة الاجتماعية – هذه جميعا محدودة بحدود الاشخاص المجهزين تجهيزا صحيحا للقيام باعبائها . ان من اهم الدلائل على صحة نهضة اي شعب من الشعوب ، وعلى دقة وعيه ، ومستوى تحضره ، انما هو مبلغ الموارد التي يقفها على شؤون التعليم العالي بالنسبة الى ما يوفر لغيرها من الحاجات القوميـة . ولا جدال في ان هذه

النسبة لا تزال متدنية حتى في اكثر المجتمعات تقدما ، وانها ، في بلادنا العربية، بالرغم من ارتفاعها المتصاعد ، لا تزال دون مطالب التنمية الصحيحة والفعل الحضاري اللذين نتطلع اليهما .

على ان الموارد المادية ، على بالغ شأنها ، ليست سوى جزء من الحاجة الملحة. فقد نخصص الاعتمادات المالية الضخمة ، ونشيد الابنية ، ونبتاع الاجهزة والوسائل ، ونظل قاصرين عن تلبية الحاجة اذا لم ننصرف الانصراف الكافي لاعداد الاشخاص الاكفاء لتولي مهام التعليم والبحث في الجامعة . وليس هذا الاعداد بالامر السهل او السريع ، فهو يقتضي سنوات من الانكباب على طلب العلم والتمرس بوسائله للتهيؤ لهذه المهام الخطيرة . لقد دلّت احدى الدراسات التي وضعت لمؤتمر الجامعات الافريقية الذي عقد في تناناريف في ايلول ١٩٦٢ ان جامعات افريقيا الوسطى ستحتاج عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ الى ما يقارب ٤٥٠٠ مدرس واستاذ جامعي، وفي عام ١٩٧١ — ١٩٧٢ الى ما يزيد عن ٦٠٠٠ وفي عام ١٩٨٠ — ١٩٨١ الى ما يقارب ٨٥٠٠ . فكيف يُعدّ هذا العدد الضخم من الاختصاصيين الجامعيين في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ؟ ولا يعتقدن احد ان هذه المشكلة قاصرة على مثل تلك المنطقة المتخلفة ، فان اغنى الجامعات واعرقها تشعر بمثل هذه الحاجة ، فتراها تغري الاساتذة الاكفاء من كل جانب للاستعانة بهم على التطور المفروض عليها لمجاراة تقدم المعرفة العجيب واندفاعها المذهل . وهذا يدل على جانب آخر من هذه المشكلة ، وهو انه لا يكفي ان نعد الاساتذة الجامعيين على المدى الواسع المطلوب ، بل يجب كذلك بذل الجهد للاحتفاظ بهم ، وحماية الجامعات من الاغراءات المادية التي تقدم لهم سواء في البلد ذاته ، او في البلدان الاخرى التي لا تحتاج اليهم مثل حاجة بلدهم ولكنها تستهويهم ، بما توفر لهم من موارد وتسهيلات مغرية .

بقيت مشكلة اخيرة لا بد من الاشارة اليها في هذا العرض السريع . وهي التي تتصل **بعلاقة الجامعة بمجتمعها وبالدولة** على وجه خاص . فان تطور الحياة الحديثة قد وسّع سلطات الدولة ومواردها وواجباتها وجعلها مسؤولة عن

قطاع متسع من حاجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . فهي اليوم — ما عدا في بعض البلاد الانكلوسكسونية كالولايات المتحدة الاميركية — المصدر الاهم ، ان لم نقل المصدر الوحيد ، لتغذية الجامعات وسواها من مؤسسات التعليم العالي . وحتى في جامعات الولايات المتحدة الاميركية نرى نسبة الموارد الحكومية الى الموارد الخاصة تزداد عاما بعد عام . ذلك ان نفقات التعليم العالي ترتفع الى مستوى تقصر عنه الموارد الخاصة مهما كانت غزيرة او متأصلة في التقليد الاجتماعي . ومن هنا تثور ، بشكل جديد وعلى مدى متسع ، قضية حرية الجامعة واستقلالها . وهي قضية مزدوجة : قضية استقلال الجامعة كمؤسسة ، وقضية حرية اساتذتها واعضاء أسرتها كافراد .

لقد جاهدت الجامعات خلال القرون لحماية هذه الحرية وذلك الاستقلال لسببين رئيسيين : الاول هو ان رجال الجامعة ادرى بشؤونها من سواهم ، وان القيود الادارية والمالية التي تفرض على مؤسستهم تعوقهم عن اداء مهمتهم . ويصح هذا بوجه خاص في هذه الايام ، اذ تمد الدولة شباك صلاحياتها فتتكاثر القيود وتتعدد ، في حين ان المعرفة الانسانية تنطلق انطلاقا لا يتحمل مثل هذه القيود ، بل لا يكاد يتحمل ايّ قيد خارجي . ولذا ، كان من الضروري ان يصان استقلال الجامعة الاداري والمالي ويعزز لتستطيع الجامعة مجاراة هذا الانطلاق .

اما السبب الثاني فهو ان الفكر والمعرفة لا يزدهران — بل لا ينبتان اصلا — الا في جو مشبع بالحرية . فاي قيد سياسي او عقلي يفرضه المجتمع او تفرضه الدولة يضعف قدرة الجامعة على الخلق والابداع ، ويرتد اثره السيء على المجتمع بكامله . فحرية التعليم ، وحرية البحث ، وحرية النقاش — هذه الحريات يجب ان تكون مصونة في داخل الجامعة ، غير مقيدة الا بقيد العقل ذاته ، اي بواجب الحرص على الحق والنفور من الباطل والتمييز بين الصحيح والفاسد وبين الخير والشر . وهذه الصيانة تترتب على الدولة والمجتمع من جانب ، وعلى الجامعيين

انفسهم من جانب ثان . فعلى الدولة والمجتمع ان يحميا الحرم الجامعي — حرم العقل والفكر والعلم من اية سلطة خارجية او قيد خارجي ، وعلى الجامعيين ان يحموه من الداخل بان يجعلوه فعلا حرم عقل وفكر وعلم ، حرما جديرا بالحماية والتعزيز والرعاية .

* * *

ان هذا الواجب المزدوج — واجب المجتمع والدولة من جهة ، وواجب الجامعيين من جهة اخرى — ليس سبيل صون حرية الجامعة واستقلالها فحسب ، وانما هو سبيل معالجة جميع المشكلات التي تعانيها الجامعات ، ما عددنا منها في هذا العرض السريع وما لم نعدد . ذلك ان هذه المشكلات كافة تتلخص في مشكلة واحدة رئيسية ، هي ان ضرورات التنمية الطبيعية والبشرية ، وتفجر العلم والمعرفة ، والتوترات الاجتماعية والعقلية والخلقية ، وسواها من قوى هذا العصر ، قد ألقت على كواهل الجامعات مسؤوليات خطيرة وتبعات جديدة تعلو علوا فائقا عن الموارد المادية والبشرية والمعنوية التي تملكها هذه الجامعات . فلا بد اذن من ان تشعر الدولة والمجتمع من جانب ، والجامعيون انفسهم من جانب آخر ، بجسامة هذه التبعات وثقلها ، وان يقوم كل فريق منهم ، وان يقوموا معا ، بوحدة فكر واتساق عمل ، لتمكين الجامعات من تحمل تبعاتها واداء مهماتها على خير وجه .

امّا واجب المجتمع والدولة فيلخص في ما يلي :

١) تبيّن مقام الجامعة في حياة الوطن ، ووعي اهمية الدور الفريد الذي تؤديه الجامعات في تكوّن المجتمع وتحرره وتطوره وتحضره .

٢) كفالة الموارد المالية التي تفي بهذا الغرض الخطير وتمكن الجامعات من ان تتجهز بالوسائل المادية والعناصر البشرية الضرورية لبلوغه .

٣) ايلاء الاساتذة والمدرسين ضمانات مادية ومعنوية تتيح لهم مستوى كريما من العيش ، وتؤهلهم للتفرغ لمهمتهم براحة فكر واطمئنان لحاضرهم ومستقبلهم .

ولا بدّ هنا من ان نعود فنؤكد اهمية هذا التفرغ. فان المطالب العسيرة المفروضة على الجامعات والجامعيين في هـذه الايام لا يوفـّى حقها اذا جرى العمل الجامعي على هامش عمل رئيسي آخر ، او كان مقصورا على قسط محدود من وقت الاستاذ واهتمامه .

٤) حماية الجامعة من البيروقراطية الادارية والمالية ومن التدخلات السياسية والحزبية ، واعتبارها حصنا للفكر الحرّ وللبحث المجرد ، واحـترام الغاية التي من اجلهـا وجدت وتجنـّب اتخاذهـا وسيلة لاية غاية اخرى مخلة بجوهرهـا وكيانها .

هذه هي الاركان الاساسية التي يقوم عليها واجب الدولة والمجتمع . على ان هذا الواجب على ما له من خطر الشأن، يظل قاصرا عاجزا ، وقد لا يبدو اصيلا ولا يكون له اي اثر ، اذا لم يتصل بالواجب الآخر ، بل الواجب الاول ، وهو الذي يتحمل اعباءه الجامعيون انفسهم . فتقدير العمل الجامعي ، ووعي المجتمع والدولة لخطورته ، وكفالتها الموارد المـالية الضرورية له ، وصنوف المؤازرة الخارجية الاخرى التي تتطلبها الجامعة والجامعيون — ان هـذه كلها مرهونة بنوع تصرف الجـامعيين ، ومبلغ امانتهم لمهمتهم ، وصفاء حرصهم على الرسالة الجامعية . والحرية التي ينشدونها — ككل حرية اخرى — لا تكون صحيحة ولا تحصل لهم فعلا وواقعا الا اذا جاءت تعبيرا عن تحمل للتبعة وقيام بالمسؤولية. فـاذا اردنا الجامعة ان تكون — كما يجب ان تكون — مصدرا للفكر الحرّ المسؤول ، ومبعثا للمعرفة المنصبة على الحقيقة ، ومنبتا للفضائل العقلية والخلقية، فلا بد اولاً من ان تبرز هـذه القيم في حياة الجامعيين ، وان تتمثل في تفكيرهم وسلوكهم ، وان يكون كل ما يصدر عنهم عنوانا لها وتأييدا لمضمونها ودفاعـا عن حرمتها .

نستطيع ان نتكلم كثيرا عن المهمة الجامعية ، ولكن حقيقة هـذه المهمة — ككل حقيقة اصيلة — لا تتجسد آخر الامر بالقول ، بل ولا بالفكر ، وانمـا

تتجسد بالكيان الشخصي والحيـاة الفاعلة . فمـا احرى الجامعيين بان يكونوا باشخاصهم وبحياتهم، افرادا وجماعة، التجسيد الحيّ البارز الاصيل للقيم الجامعية: قيم العقل المنضبط المنتظم، والنفس المتنزهة الخيرة. هو ذا الشرط الاول لحسن مجابهة الجامعات لمسؤولياتها، والضمانة الاكيدة لتحقيق المهمة الجامعية المبدعة في ميادين الوطن والانسانية والحضارة .

العلم وعقد الانماء
في البلاد العربيّة والافريقيّة

فؤاد صروف

١

من الاقوال التي لا تحتاج الى دليل ان في العالم اليوم وبخاصة في شعوب البلاد المتخلفة[١] والماضية في طريق النموّ (النامية) [٢] مدّا متعاليا من النقمة على ما تتردّى فيه من تخلّف اقتصادي واجتماعي، ومن الطموح الجارف الى الارتفاع من الهوّة والانطلاق الى حياة افضل. وقد وصف أحد المؤرخين المعاصرين — واظنه طوينبي -- هذه الحالة بقوله « ثورة المطامح والآمال المتعاظمة » .

فسكان البلاد المتقدمة [٣] تمكنوا من الانتقال من مرحلة التخلف والعوز والجهل، مستعينين بالأساليب العلمية والتكنولوجية الحديثة، وبدأوا يكتنزون من الثروة وسلع الحياة الدنيا، ويستكثرون من مقومات العمران الحديث ووسائل المتعة الثقافية والفنية، ما يجعل الحياة أدنى الى الرضى والوفر والراحة .

وأما سكان البلاد المتخلفة والنامية، الذين يبلغون نحو ثلثي سكان الأرض، فيعيشون — على الأكثر — في جهل وفاقة سوداء، ولا يكادون يصيبون من الطعام الا ما يسدّ الرمق، ويصبحون ويمسون وهم عرضة للأمراض والأوبئة وعوادي الطبيعة، وليس بين أيديهم ما يواجهونها او يدرأونها به، وهم يعرفون بالحديث المتواتر والصور المنقولة شيئا عن الحياة الوافرة التي يحياها سكان البلاد

المتقدمة ، ويحثهم زعماء لهم تلقوا علومهم في البلاد المتقدمة ، فتراهم ، والمدّ يتعالى في نفوسهم بين نقمة وطموح ، معتزمين ان يمضوا وان يغذّوا في المضي، لتحقيق هذه الآمال التي تتراءى لهم عند افقهم الانساني البعيد .

ويقابل هذه الحالة القائمة في البلاد المتخلفة والنامية ، وعيٌ جديد في البلاد المتقدمة، انتهى بها الى انه اذا لم تتخذ الوسائل الكفيلة بالاستجابة للآمال الفائرة في صدور مئات من الملايين، فيغلب ان تنفجر بما يمور فيها، وان ينتهي الانفجار الى الفوضى او الاستبداد ، وفي الحالين الى عداء مستحكم للدول المتقدمة ، فالى ثورات واضطرابات خليقة ان تقطّع اوصال الاقتصاد العالمي فيميل الى الانهيار ، او تغدو الحرب المبيدة امرا لا مفرّ منه .[٤]

وهذا الوعي الذي يعود الفضل فيه الى عدد لا يحصى من الادباء وعلماء الاقتصاد والاجتماع وذوي المكانة في الحكومات والجامعات والمنظّمات العالمية، بدأ يتبدّى في مشروعات متباينة من المعونة الاقتصادية الثنائية او الجماعية تسديها الدول المتقدمة الى المتخلفة والنامية ، او تقدمها لها الهيئات الدولية — مثل منظّمات الامم المتحدة المتخصصة، والمنظمة الدولية للانماء ، والبنك الدولي ، والصندوق الخاص، والبرنامج الموسّع للمساعدة الفنية وغيرها — والمؤسسات الانسانية والثقافية الكبيرة ، لكفاح الامية والمرض وتدريب المعلمين وتحسين الزراعة ورفع مستوى التغذية وغيرها ، ثم تجلّى في اطار عالميّ متكامل في مشروع « عقد الانماء » .

٢

في الدورة السادسة عشرة التي عقدتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة (١٩٦١) وافقت الجمعية يوم ١٩ كانون الاول ١٩٦١ على توصية (١٦/١٧١٠) عنوانها : «عقد الانماء للامم المتحدة:[٥] منهاج للتعاون الاقتصادي الدولي» وحدّد غرض هذا المنهاج بما يلي : « زيادة كبيرة في معدّل النموّ ... على ان يضع كلّ بلد لنفسه الهدف الذي يتوخّاه دون ان يهبط نموّ الدخل القومي في مجموعه ،

عن حــــدّ ادنى هو ٥ في المئة في العام ، في نهاية « عقد الانماء » . وتحقيق هذا الهدف يقتضي تسارعا في معدّل التقدم الاقتصادي في هــذه البلدان بالقياس الى ما كانت عليه الحـــال في العقد السادس (١٩٥٠ — ١٩٦٠) اذ تفاوت معدّل النمو فيه بين ٣ و ٢/١ ٣ في المئة في العام .

وقد انطرت هذه التوصية على طلب موجه الى الامين العام للأمم المتحدة ، لبابه ان يعمد الى استشارات واسعة النطاق مع الحكومات والمنظمات ، في اسرة الامم المتحدة ، ثم ان يقدم الى المجلس الاقتصادي الاجتماعي ، في دورته الرابعة والثلاثين (صيف ١٩٦٢) ما يستصفيه من مقترحـــات للقيام بالعمل الموافق . وقد دعي المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى نقل توصيات الامـــين العام ، مع آراء المجلس وتقريره عن العمل الذي ينبغي ان يتمّ ، الى الدول الأعضاء في الأمم المتحدة او في وكالاتهـــا المتخصصة والى الجمعية العمومية في دورتها السابعة عشرة (ايلول ١٩٦٢) .

وقـــد عقد المجلس دورته لسنة ١٩٦٢ في التاسع من تموز فقدم اليه الامين العام تقريره الذي حرص فيه كلّ الحرص على تبيان الحقيقة الأساسية التي تقتضي اتخاذ علاج جريء عـــالمي النطاق للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، وهي حقيقة قـــدرة الانسانية التي ايّدها الدليل القـــائم ، على خلق الموارد بدلا من الاعتماد عليها وحسب ، وان هذه القدرة تسوّغ بـــل تقتضي القيام بسعي جريء عالمي النطاق لتحقيق الانماء الاقتصادي والاجتماعي . قـــال : « ان القرارات التي يتخذهـــا الناس هي التي تخلق الموارد » ، ثم التفت الى « انماء الموارد البشرية » فقال :

« ان شأن العامل الانساني في هــــذا الانماء يبلغ من القيمة العظيمة مبلغـــا يجعل نجاح المساعي المبذولة خلال « عقد الانماء » او اخفاقها ، مرهونا بنجاح مــــا تعتزم الامم المتحدة ان تنظمه من اعمال التدريب او خيبتها ، في جميع القطاعات الاجتماعية والاقتصادية في حياة البلاد التي تعدّ اقـــل نموا من غيرها .

وقد تحسنت اساليب التدريب في بضع السنوات الاخيرة تحسنا كبيرا، فالفوارق التي ابرزتها هذه الاساليب، بين التدريب المدرسي والجامعي والمهني، بين تدريب الراشدين والصغار، بين تدريب المعلمين والطلاب، قد اصبحت امرا ثانويا بالقياس الى المهمة الملحة التي هدفها ان تمكن كل انسان مهما يكن تدريبه، من ان يثبت نفسه من حيث هو فرد ومواطن منتج، الى ابعد حد تمكنه مواهبه.

... وقد صار من البين الآن ان لا بديل من التربية، في نطاق التقدم الاقتصادي والاجتماعي، اذ يستحيل على البلاد المتخلفة ان تشق طريقها الى النمو إن لم تضف القوة العاملة الحاذقة اضافة سريعة الى مواردها. وتدريب الناس في مواطن غير مواطنهم لا يزال ذا شأن لان له قيمة خاصة في تعزيز التفاهم الدولي. ولكن التوكيد اليوم واقع على تدريبهم في المناطق والبلدان المتخلفة التي ينتمون اليها. فقد آن الاوان لبذل اقصى ما يمكن بذله من مجهود. فالتدريب في البلد نفسه، والتدريب خلال القيام بالعمل، وتدريب المعلمين الذين تلقى على عواتقهم مهمة تدريب المعلمين فيما بعد — كل ذلك يقتضي ان يبذل كل سعي مستطاع لبلوغ افضل النتائج، وتحقيق اعظم ما يمكن تحقيقه من الاثر المطرد المتضاعف لنشر المعرفة وحذق اساليب العمل. وبغير ازدياد المدارس والمعاهد من النوع الذي انفق عليه الصندوق الخاص للأمم المتحدة، مالاً يفعل فعل البذور في الارض، لن تستطيع البلاد المتخلفة ان تحيل نمو السكان فيها من لعنة الى بركة.» (٦)

وكان تقرير الامين العام في سبعة فصول موضوعاتها كما يلي على التوالي: الوضع العالمي ومشكلات عقد الانماء، مدخل الى تخطيط الانماء، تعبئة الموارد البشرية، انماء القطاعات المختلفة، التجارة الدولية، تمويل الانماء، التعاون الفني ووسائل اخرى لمساعدة التخطيط والانماء.

وبعد ان ناقش المجلس الاقتصادي الاجتماعي تقرير الامين العام، مناقشة مستفيضة اتخذ قرارا (٣٤/٩١٦) يملأ ثلاث صفحات كبيرة، وافق فيه على

« عقد الانماء للأمم المتحدة » ووجّه النداء الى الدول الاعضاء وشعوبها بأن تضاعف جهودها لحشد طاقاتها وتأييد الاجراءات التي تتخذهـا الدول المتقدمة والنامية لزيادة سرعة السير نحو نموّ اقتصادي متكامل ذاتي في الدول المتخلفة ، جاعلة الحدّ الادنى في نهاية عقد الانماء نموّ الدخل القومي خمسة في المئة في العام ، وضمّن المجلس قراره مقترحات وتوصيات خاصة بانماء الصناعة وتوسيع نطاق الاسواق العالمية ، وتعزيز الزراعـة الحديثة ، والاشتراك في حمـلة مقاومة الجوع ، وزيادة توفير الاموال وتثميرهـا ، والترحيب بمؤتمر الامم المتحدة المعتزم عقده لدراسة موضوع تطبيق العلم وعـلم الصناعة (٧) (التكنولوجيا) على المناطق المتخلفة وتوصية الامين العام بتقديم المقترحـات المناسبة للقيام بالعمل الواجب المبني على دراسات المؤتمر وقرراته .

وقد حرص المجلس الاقتصادي الاجتماعي حرصا شديدا على المعنى المتضمن في الفقرة المتقدمة التي خص بها الامين العام موضوع الموارد البشرية وتنمية الموارد الطبيعية فذكر في الفقرة الثالثة من قراره ما معناه :

يـدعو (المجلس الاقتصـادي الاجتماعي) حكومات الدول الاعضاء والهيئات والوكالات الخاصة في منظمة الامم المتحدة الى ان تعنى عناية خاصة ، في السنوات الاولى لتنفيذ مشروع « عقد الانماء » ، بانماء الموارد البشرية بوساطة برامج للتربية والتدريب المهني والتغذية والصحة ، وباستكشاف الموارد الطبيعية واستثمارها من اجل اقامة اساس متين لموارد الخامات ومصادر الطاقة ، ينهض عليه الانماء الاقتصادي السليم . ولم يهمل المجلس العناية بالمجهودات المجدية الاخرى التي لا غنى عنها ، فخص الصناعة والزراعة والتجارة والتسويق ببنود اخرى في هذه الفقرة من قراره .

وكان من الطبيعي ان تقف اليونسكو – وهي المنظمة العـالمية المختصة بالتربية والعلم والثقافة – مجهودا خاصا ، على النواحي التربوية والعلمية والثقافية ،

التي تعدّ ، في قول الامين العام ، وقرار المجلس الاقتصادي الاجتماعي ، وفي عرف جميع المعنيين بقضايا الانماء القومي او الدولي ، اساسا لا غنى عنه لتحقيق الاهداف التي يستهدفها مشروع « عقد الانماء » ، في الدول المتخلفة ، وتحسين حال الانماء في الدول النامية والمتقدمة منها على السواء ، دون ان يغضّ ذلك من قيمة المجهود الذي تبذله المنظمات الاخرى كمنظمة الاغذية والزراعة ، ومنظمة الصحة العالمية ، وغيرهما كلّ في نطاقها الخاص .

وقد جاء في البيان الذي اعدته اليونسكو في هذا الصدد للدورة الثانية عشرة لمؤتمرها العام (تشرين الثاني - كانون الاول ، ١٩٦٢) ما مؤداه :

تدل هذه الدراسات على ان الجانب الاكبر من نمو الانتاج في البلاد المتقدمة خلال نصف القرن الماضي لا يمكن ان يعلل تعليلا كاملا بالمبالغ المادية الداخلة فيه ولا يردّ الى عدد ساعات العمل او مقادير الموارد الطبيعية وحسب ، بل ينبغي ان يسند الجانب الاكبر الى التقدم التقني والعوامل البشرية ، التي نجد التربية بينها ، فهي تؤثر في قيمة القوة العاملة وقدرتها ، وبذلك تلعب دورا بارزا . فعليه ينبغي ان نحرص حرصا اكبر اليوم - بالاضافة الى الموارد الطبيعية وتجميع رؤوس الاموال - على التربية وعلم الصناعة (التكنولوجيا مفرغة في قالب العلوم المطبقة التي تدرس وتحذق على المستوى الجامعي) من حيث هي عوامل مساعدة للنمو الاقتصادي ، فهي اقوى الوسائل وافعلها في تحسين قدرة القوة العاملة على زيادة معدّل الانتاج .

وقد خصصت اليونسكو ، في بيانها فقرتين كاملتين ، تملأ كلّ منهما بضع صفحات ، اولاهما عنوانها « المرتكزات التربوية للانماء » والثانية «تعزيز الاسس العلمية للانماء » . **فالتربية** في جميع مراحلها من الابتدائية الى الثانوية الى الجامعية بالاضافة الى التعليم المهني والتدريب التقني ، تكمل **العلم** من حيث هو دراسة نظرية وبحث نظريّ وتطبيقي وعلم صناعي ، ولا غنى عن احدهما في عمل الانماء الاقتصادي والاجتماعي .

٣

في الرابع من شهر شباط من السنة التالية (١٩٦٣) افتتح في جنيف «مؤتمر الامم المتحدة لدراسة تطبيق العلم والتكنولوجيا لمنفعة المناطق الضئيلة النمو »[٨] أي المناطق المتخلفة والنامية . وكان من البيّن أن المشكلات العاتية التي دعي المؤتمر الى دراستها ومعالجتها كانت ذات شأن خطير للبشر أجمع، وكان ثمة من ذهب به التشاؤم الى القول بأن ضخامة المؤتمر ، وسعة المنهاج العلمي المعروض عليه لبحث دقائقه، تحولان دون نهوضه بمهمته على أفضل وجه واجداه، وأن العوامل السياسية قد تتسرب الى الدراسات العلمية والعلمية الصناعية (التكنولوجية) فتفسدها ، وأن الحاجة ليست الى مؤتمر واحد وحسب ، بل الى سلسلة من المؤتمرات يستكشف فيها المؤتمرون المشكلات المتعددة التي تثيرها الرغبة في الانتفاع بتطبيق العلوم وعلوم الصناعة (التكنولوجيا) في البلاد المتخلفة والنامية ، ثم اقتراح الحلول لها . ولكنّ رئيس المؤتمر ، العالم الهندي م . س . ثاكر ، أعلن بعد اختتام المؤتمر ، أنه على يقين من أنه كان مؤتمرا ناجحا برغم بعض الانتقادات السليمة التي وجّهت اليه قبل انعقاده .

فقد شهد المؤتمر ١٥٠٠ من العلماء والمهندسين وعلماء الصناعة (التكنولوجيين) ، يمثلّون ستّا وتسعين دولة ، واحدى عشرة منظمة من المنظمات المتخصصة في اسرة الأمم المتحدة ، وقدمت اليه رسائل ودراسات علمية وعلمية صناعية (تكنولوجية) أوفى عددها على الألفين (١٨٣٧ على التدقيق) فكانت فيما احتوته من المعرفة « موسوعة حقيقية للعالم الحديث تتيح لكل من يشاء ، جماع الخبرة البشرية العظيمة المتراكمة عند امم الأرض » .

وقد كان من البيّن في خطاب رئيس المؤتمر عند افتتاحه أن الحاجة التي دعت الى عقده كانت حاجة حقيقية . فقد ذكر الرئيس ثاكر ، أن ثمة فجوة فاجعة قائمة في العالم الحديث بين فئة من دول العالم هي الدول المتقدمة التي يبلغ عدد سكانها عشر سكان الارض، وايرادها السنوي ٦٠ في المئة من الايراد العالمي العام ، وبين

فئة اخرى هي البلاد المتخلفة والضئيلة النمو التي يبلغ عدد سكانها ٥٧ في المئة من عدد سكان الأرض ولا يزيد ايرادها على عشرة في المئة من الايراد العالمي العام. ثم بين أن اطراد النمو السريع في العلم وعلم الصناعة (التكنولوجيا) في القرن العشرين قد زاد هذه الفجوة اتساعا وعمقا . ثم قال بعد اختتام المؤتمر ، ان البحوث والمناقشات التي دارت فيه قد أيدت الرأي السديد القائل ، بأنه اذا احسن الانتفاع بمنجزات العلم وعلم الصناعة (التكنولوجيا) ففي الوسع ردم الفجوة ، والمضي المتسارع في انماء الشعوب التي لا تزال على مستوى الرمق ، وأن العلماء وعلماء الصناعة (التكنولوجيين) خليقون ان يكونوا أجدى اداة لهذا الانماء .

وعلى أن هذا الانماء يقتضي دراسات مفصلة في استطلاع الموارد الطبيعية وتنميتها والانتفاع بها ، وتطبيق العلوم والخبرة العلمية الصناعية (التكنولوجية) على الزراعة والصناعة والمواصلات والصحة والتغذية ، واكتناز رؤوس الأموال التي تثمّر تثميرا مجديا في هذه الأعمال ، فان الركن الذي لاغنى عنه هو انماء الموارد البشرية بالتعليم والتدريب . قال ثاكر : « ولا ينبغي أن نضنّ بأي مال أو جهد لارساء هذا الركن ، فالعلماء المرسّون الحكماء ، والباحثون العلميون ذوو المواهب المدرّبة ، والمهندسون الاكفاء والتقنيون الحاذقون هم في الحقيقة سادة الانماء القومي» . (٩)

وقد شهد هذا المؤتمر المدير العام لمنظمة اليونسكو ، وفئة من اعوانه ، وعدد من كبار العلماء الذين يتعاونون مع المنظمة ، في اطارها الخاص ، أو ينتمون الى جمعيات علمية غير حكومية . فلما عاد المدير العام الى باريس عرض على المجلس التنفيذي سلسلة من المقترحات غرضها التوسع في نطاق نشاط المنظمة في ميدان العلوم وعلوم الصناعة (التكنولوجيا) وطلب من المجلس الموافقة على اتخاذ اجراءات في هذا الصدد في البرنامج الذي سبق اقراره لسنتي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ، وعلى المبادرة الى توسيع منهاج العلوم وعلوم الصناعة (التكنولوجيا) لسنتي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ وموازنته . فلما عقد المجلس التنفيذي دورته الخامسة والستين

(١٩٦٣) وافق على اقتراح المدير العام بأن « يتابع دراسة تحسين الوسائل التي تعتمدها اليونسكو في نطاق العلوم الدقيقة والطبيعية وفي علوم الصناعة (التكنولوجيا) ، مستهدفة تعزيز المساعدة التي تبذلها للدول النامية لتطبيق العلم والتكنولوجيا على انمائها الاقتصادي ». وكان المؤتمر العام للمنظمة في دورته الحادية عشرة (سنة ١٩٦٠) قد اقر مبدأ تقديم التربية في نشاطها ، فأوصى المجلس التنفيذي في دورته الخامسة والستين ان « يخصّ المسائل العلمية في برنامج اليونسكو بعناية لا تقل عن العناية التي تحظى بها المسائل التعليمية والتربوية » [١٠]

بيد ان الانماء الاقتصاديّ ، في الاقطار المتخلفة والنامية ، وفقا لمشروع « عقد الانماء » لا يمكن ان يتمّ بمعزل عن علاقات التبادل التجاري بين هذه الاقطار وسائر دول الارض وبخاصة الدول الصناعية المتقدمة ، مهما تتوافر له عناصر النجاح الاخرى ، من تربية وعلم ونهوض بالصناعة والزراعة . ومن اجل ذلك لم يكن بدّ من عقد مؤتمر دولي ، يستجيب لرغبة مؤتمر القاهرة الذي عقدته الدول النامية في تموز ١٩٦٢، ويستكمل من الناحية التجارية الدولية، ما دار في مؤتمر العلم والتكنولوجيا بجنيف من بحوث وما اسفر عنه من توصيات .

وقد عقد مؤتمر « التجارة الدولية والانماء » في جنيف بين ٢٣ آذار و ٢٦ حزيران سنة ١٩٦٤ بعد ان مهدّت له واعدّت جدول بحوثه لجنة تحضيرية مؤلفة من ممثلي ثلاثين دولة، وضّحت في تقريرها، ما للتجارة الخارجية من شأن عظيم في انماء الدول المتخلفة والنامية، وحدّدت العقبات التي لا بدّ من تذليلها ليطّرد التبادل التجاري اطرادا مجديا .

فقد بيّنت هذه اللجنة ان زيادة الانتاج القومي في الدول النامية بمعدّل ٥ في المئة في نهاية عقد الانماء – وهو الهدف – تقتضي زيادة في مستورداتها زيادة لا تقل عن ٦ الى ٧ في المئة كلّ عام – اذا ظلّت اسعار ما تستورده ثابتة – وذلك لانها وهي في غمار الانماء القومي تحتاج الى معدّات واجهزة لا بدّ لها من

ان تستوردها من الدول الصناعية المتقدمة ، واذن فلا بدّ لها من ان تزيد مـا تصدره اليها ، وهذه الزيادة تعترضها عقبات كثيرة ، منها هبوط اسعار ماتنتجه من المواد الاولية ، وزيادة اسعار السلع المصنوعة المستوردة وغير ذلك من العوامل ، فيضطرب ميزان المدفوعات .

ومن هنا قسمت اللجنة التحضيرية الموضوعات الكبرى التي ينبغي ان تطرح على بساط البحث في المؤتمر ثلاثة اقسام : (١) زيادة صادرات الدول النامية من المواد الاولية والزراعية وزيادة اسعارها . (٢) زيادة صادراتها من المنتجات الصناعية الكاملة الصنع والتي لم يكمل صنعها . (٣) زيادة صادراتها غير المنظورة وما تناله من مساعدات مالية ، بمقتضى اتفاقات ثنائية او جماعية .

كل قسم من هذه الاقسام ، يشمل موضوعات متشعبة ومعقدة ، يتباين فيها الرأي ، وتختلف المصلحة . فكيف التوفيق – مثلا – بين مصلحة الدول النامية التي تعتمد اعتمادا كبيرا على انتاج الالياف الطبيعية ، كالقطن والكتان والحرير ، ومصلحة البلاد الصناعية التي قامت فيها صناعات حديثة لانتاج الالياف المصنوعة بالتركيب الكيميائي ؟ او كيف التوفيق بين اسعار المواد الاولية ، التي لم تزل تميل الى الهبوط خلال السنوات العشر الاخيرة ، وهي المواد التي تستوردها البلاد الصناعية المتقدمة ، وبين اسعار السلع الصناعية ، التي تزداد اسعارها ازديادا مطّردا ، وهي المواد التي تستوردها البلاد النامية ؟ وفي هذه الحالة كيف الحفاظ على موازنة المدفوعات للدول النامية ؟ او كيف تكون الملاءمة بين السلع الصناعية التي تصدرها الدول الصناعية الناشئة – وهي من فئة الدول النامية – الى الدول الصناعية المتقدمة ، وبين حاجة هذه الاخيرة الى الحدّ من الاستيراد في احوال معينة ، اما بفرض رسوم جمركية فيها تفريق بين المستورَد من بلد ما ، والمستورَد من بلد آخر ، واما بتحديد المقادير المستوردة من سلعة ما او طائفة من السلع لحماية المنتج المحلي من المزاحمة الخارجية .

هذه المشكلات وعشرات على غرارها ، تدخل في صميم العون الذي يبذل

للدول المتخلفة والنامية ، وجدوى هذا العون عليها ، حتى يرتفع فيهـــا معدل الانماء الاقتصادي خلال عقد الانماء الى المستوى المقترح . وقد دار عليها البحث والجدل في مؤتمر « التجارية الخارجية والانماء » طيلة ثلاثة اشهر ،تخللتها خلافات عميقة في الرأي ، كادت ان تودي بالمؤتمر ، ولكن الرغبة الصادقة في نجـاحه ، والادراك السليم لقضية الانماء في الدول النامية ، انتهيا الى توصيات ، لم تحقق كلّ ما تصبو اليه هذه الدول ولكنها استجابت الى القسم الاكبر والاهم من مطالبها .

وعلى ان دراسة النواحي المالية والاقتصادية والتجارية التي دارت عليهااعمال المؤتمر وضمّنت في توصياته ، لا تدخل مباشرة في نطـاق موضوع « العلم وعقد الانماء » فلا بد من اشارة ، وان كانت عابرة ، الى ان كل ما دار فيه ممـا يتصل بالتصنيع والتزريع يدخل في نطاق هذا الموضوع لانها لا يقومان قياما سليما الاّ على اساس من التقدم العلمي والتقني ، ومن هنا كان ما ورد في احدى التوصيات : « ان تضع البلدان الصناعية في متناول جميع البلدان النامية ما حققته من تقدم في ميادين العلم والتقنية ، وان تشجع علىتطبيقه بحسب احتياجات التجارة والانماءفي هذه البلدان » وفي توصية اخرى : « ان تعمـل المؤسسات الدوليـة والبلدان الصناعية على زيادة المساعدة المالية **والفنية** والاقتصادية غير المشروطة للبـلدان النامية . » وفي ثالثة : « ان تصنيع البلدان النامية وادخال الاساليب الحديثة في انتاجها الزراعي (وهو ما سبق لي ان اطلقتُ عليه «التزريع» مقابلا للتصنيع) ضروريان لنمو هذه البلدان الاقتصادي والاجتماعي وتوسيع تجارتها وتنويعهـا » وكذلك انشاء « الصناعات الملائمة لمواردها الطبيعية والقابلة للخوض بمنتجاتها ميدان المنافسة العالمية» واختيار هذه الصناعـات يقتضي بحوثا ودراسات علمية وصناعية واقتصادية وافية .

ولعلّ ادلّ نتائج هذا المؤتمر علىالروح التيانطلق منها مشروع «عقد الانماء» كان ما تجلـّى في ممثلي الدول المتقدمة من فهم صحيح لحقيقة مشكلات الانماء في الدول المتخلفة والنامية ، وضرورة التضامن الدولي على حلـّها ، وايمان المؤتمرين

جميعا ، بان التضامن الدولي والمساعدة الخارجية لا يرفعان عن كاهـــل اية دولة تبعتها الخاصة ، فخلاص كلّ امة وان كان مرتبطا بخلاص العالم ، انما يعود اليها في المقام الاول . [11]

قبل القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية للامم المتحدة في سنة ١٩٦١ ، وخلال الفترة التي انتهت الى انعقاد مؤتمر اليونسكو العام في دورته الثالثة عشرة (٢٠ تشرين الاول – ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤) عقد مؤتمرا جنيف العالميان اللذان تقدم ذكرهما ، وعدد من المؤتمرات الاقليمية في الشرق الاوسط وافريقية ، لتدارس مقام العلم في تطوير المجتمع المتخلف والآخذ في النماء ، وبخاصة المعاني والاهداف الواردة في توصية الجمعية العمومية وتقرير المجلس الاقتصادي الاجتماعي ، وتوصية المؤتمر العام لليونسكو المنعقد في سنة ١٩٦٢ ، وحسبي هنا ان اشير الى ستة منها ، ثلاثة في الدول العربية وثلاثة في الدول الافريقية .

٤

عقدت الدول العربية اما وحدها ، واما بالاشتراك مع طائفة من دول الشرق الاوسط ثلاثة مؤتمرات عنيت فيهـا بدراسة موضوع « العلم والانماء » او بنواح خاصة منه . وقد عقد اولها في القاهرة (١٩ – ٢٢ كانون الاول ١٩٦٠) وثانيها في بيروت (٢٧ أيار – ١ حزيران ١٩٦٣) ، واما الثالث فقد عقدته اللجان الوطنية العربية لليونسكو في مدينة الجزائر (٢ – ٧ آذار ١٩٦٤) . وقـــد اسدت الامانة العامة لمنظمة اليونسكو ومكتبهـا الاقليمي للتعـاون العلمي في الشرق الاوسط (القاهرة) مساعدة كريمة لهذه المؤتمرات الثلاثة وشهد مديرها العام اثنين منها ، واشترك فيها جميعا عدد من كبار امانتهـا العـامة ، واسهم في مؤتمري القاهرة وبيروت علاوة على ذلك فئة من الخبراء العالميين ، وممثلون عن الجمعيات العلمية العالمية غير الحكومية وبعض المنظمات الخاصة للامم المتحدة ، كمنظمة الاغذية والزراعة ومنظمة الصحة وغيرها .

وقد اتخذ مؤتمرا القاهرة (١٩٦٠) وبيروت (١٩٦٣) سلسلة من التوصيات

بعضها موّجه الى الدول الممثلة فيها، بدا الحرص فيها على توكيد ما للبحث العلمي وتنظيمه من شأن اساسي في ضمان التقدم الفكري في الامة ونموّها الاقتصادي، ونصحت بتعزيز البحوث العلمية البحتة والتطبيقية، وبانشاء الهيئات التي تشرف على هذا التعزيز وتنظمه وتنسق بين اجزائه وتربط بين بعضها وبين الاهداف التي تتخذها الدولة في تخطيط نموّها الاقتصادي، واوصت بطريقة تمويله* ومداه وبغير ذلك من الخصائص التي ينبغي ان تتصف بها هذه الهيئات ، وحثّت على التعاون العلمي ، على النطاقين الاقليمي والعالمي ، وبخاصة الاقليمي منهما ، ووكدت ضرورة الاهتمام بتوسيع نطاق تعليم العلوم ، في جميع مراحله ، وارساء هـذا التعليم على اصوله المجرّبة ، لانجاب العلماء والباحثين ، وباستقصاء الموارد العلمية، البشرية والطبيعية، فهي في انمائها وحسن الانتفاع ركيزة التقدم العمراني المتكامل.

واما التوصيات الموجّهة الى منظمة اليونسكو ، فكان جلّها منصبّاً ، على الاستعانة بخبرائها ، والخبراء العالميين الذين تعتمد عليهم ، في تأييد هذا المجهود وحسن توجيهه ، وعلى مساعداتها في عقد المؤتمرات وحلقات الدراسة العلمية ودورات التدريب العلمي والتكنولوجي والتقني ، وانشاء مراكز التوثيق العلمي . (١٣)

فلما عقد المؤتمر الاقليمي الرابع للجان الوطنية العربية (الجزائر ٣ - ٧ آذار ١٩٦٤) كانت التوصية التي اتخذها المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته الخامسة والستين، قد عرفت ومؤداها - على ما تقدم وطبقاً لما جاء في وثيقة الامانة العامة - ان يوسّع المدير العام فصل العلوم الطبيعية في منهاج المنظمة وموازنتها لسنتي (١٩٦٥ - ١٩٦٦) .... «وان يخصّ المسائل العلمية في برنامج اليونسكو بعناية لا تقل عن العناية التي تحظى بها المسائل التعليمية والتربوية وبأن يوجه نشاط اليونسكو في

---

* جاء في التوصية الثالثة : يوصي المؤتمر ... بأن تخصص الدولة موازنة كافية تمكنه | مجلس البحوث | من انجاز مهمته وان يتزايد مجمل ما ينفق على البحث العلمي في الدولة حتى يبلغ واحداً في المئة من الدخل القومي (١٢) .

ميدان العلم وجهة جديدة ، وان يوسع نطـاقه بقدر مـا تسمـح به الموارد المتيسرة للمنظمة » .

وقد وافق المؤتمر الرابع للجان الوطنية العربية لليونسكو (الجزائر) على توصية عـامة موجهة الى الدول العربية بتأييد الخطة التي وضعها مدير عام المنظمة تلبية لتوصية مجلسها التنفيذي واضاف اليها :

١ - يوصي المؤتمر الدول العربية بأن تبادر - ان لم تكن قد فعلت - الى تنظيم الاعمال العلمية في داخلها ، مستعينة بخبرة اليونسكو ومساعدتها ، مستهدفة وضع «سياسة علمية» تنتفع بالعلم والتكنولوجيا في مشروعات التنمية العمرانية - الاقتصادية والاجتماعية .

ج - يوصي المؤتمر الدول العربية بـأن تذكي اهـتمامهـا بانشاء المجـالس والمراكز الوطنية للبحوث العلمية ، مجاراة لتوصيات المؤتمرين اللذين عقدا في القاهرة (ديسمبر - كانون الاول ١٩٦٠) وفي بيروت (مايو - أيار ١٩٦٣) لتنظيم خطط علمية بعيدة المدى وتحديد الاولويات الموافقة لها ، وان تطلب من اليونسكو معاونتها في هذا السبيل .

د - يوصي المؤتمر الجمعيات العلمية غير الحكومية في البلاد العربية بتشجيع التعاون فيما بينهـا ، وبالانضـمام الى الاتحـادات العلمية الدوليـة غير الحكومية ليتحقق عن طريق هذا الانضمام الاسهام العلمي في اجتماعاتها وفي نطاق اختصاصاتها ومعاونة اليونسكو في تحقيق اغراضها .

وقد اتخذ هذا المؤتمر سلسلة اخرى من القرارات الخـاصة بالعلوم ، تنطوي على توصيات موجهة الى المـدير العام لليونسكو للعمل على: (١) معاونة الدول العربية على انتاج المواد الجـديدة في التدريس العلمي وافضل طرق الانتفاع بها ، و (٢) تنظيم حلقـات دراسية اقليمية تحقيقا للعمل المشترك في رفع مستوى العلوم ... وان يسهم في هـــذه الحلقات مستشارون متخصصون من المنظمات

العلمية والدولية ، و (٣) دراسة الوسائل التي تؤدي الى مزيد من الاقبـال على دراسة العلوم الاساسية وعلى الاخص الرياضيات والفيزياء، في البلاد النامية وذلك توطئة لخلق اجيال من العاملين في الحقل العلمي والتكنولوجي يكفل الحصول على اعلى مستوى من « القدرة العلمية والتكنولوجية » التي تفتقر اليها حـاليا الدول النامية، و (٤) تحسين الوضع الحالي لتبادل المعلومات العلمية والتوثيق العلمي في الدول العربية، و (٥) دعوة منظمة اليونسكو للعون على خلق أجيال من الباحثين العاميين المحليين ، يكونون قادرين على تبيّن المشكلات التي تجـابه عمليات التنمية الاقتصادية في بلادهم وعلى حل هـذه المشكلات عن طريق البحث العلمي ، وان تمدّ البلاد النامية بكبار العلماء الباحثين من الدول الاخرى للقيام بدور الرواد في تدريب هؤلاء الباحثين وذلـك في مراكز البحوث القائمة في البلاد النامية او فيما تنشئه منها بوسائلها او بمساعـدة اليونسكو ، و (٦) دعم معهد الجزائر لبحوث الطاقة الشمسية ، وتعزيز الدراســات الاوقيانوجرافية ، والتعليم والتدريب التكنولوجي العلمي العالي في الدول العربية وبخـاصة في ميدان النفط، و (٧) تدعيم مكتب التعاون العلمي الاقليمي لليونسكو في القاهرة . (١٤)

٥

وامــا المؤتمرات الثلاثة التي عقدت في افريقيا فكان اولها مؤتمر اديس ابابا (أيار، ١٩٦١) الذي نظمّ بمعاونه اليونسكو واللجنة الاقتصادية الافريقية، وخصصت بحوثه لدراسة التخطيط البعيد المدى لانماء الموارد (القوى) البشرية، وبخاصة الوسائل التربوية التي لا غنى عنها لهذا الانماء ، بحيث يتحقق غرضان ، اولهما الظفر في اوائل العقد التاسع من هذا القرن (١٩٨٠) باساس واف لقوى بشرية عاملة تستطيع ان تمضي مضيّا مطردا في الازدياد، وان توفر القاعـدة اللازمة للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، وثانيهما الاتجاه الى محو الامية خلال هذه الفترة وتوفير الفرص الكافية لينعم كلّ انسان بحق التربية المكرّس في اعــلان حقوق الانسان .

وقد اوصى المؤتمر بأن يكون الهدف في افريقية في سنة ١٩٨٠ محو الامية ،

حيث يقدّر عدد الاميين بمئة مليون، والانتفاع في كفاحها ببرنامج واسع النطاق لتثقيف الجماهير ، وزيادة عـدد المسجلين من التلاميذ ، في المرحلتين الاوليين من التعليم ، واصلاح برامج التعليم ، وجعلها مطابقة لواقع الحـال في الحياة الريفية والزراعية في افريقية ، والتوسع السريـع في معاهــد التعليم المهني والزراعي ، واعداد المعلمين ، واستهداف تأسيس ست وثلاثين جامعة جــديدة . فالخطة التربوية العامة في افريقية ، تقوم بنتيجة هـذا المؤتمر ، على تخطيط تربوي قصير الامد وطويله، على اعتبار انه جزء اصيل من الخطة العامة للانماء الاقتصادي.[١٥]

وقد عقد المؤتمر الافريقي الثاني في تناناريف عــاصمة جمهورية مالاغساي (مدغشقر) بـين ٣ و ١٢ ايلول ١٩٦٢ وكان موضوعه « انماء التعليم العالي في افريقية » وغرضه وضع خطة لهــذا الانماء تمتد الى سنة ١٩٨٠ . واشترك في الاعــداد له ممثلون من ٣١ دولة افريقية ومن اليونسكو ، واللجنة الاقتصادية الافريقية للامم المتحدة، ومراقبون يمثلون ١٣ دولة من الدول الاعضاء، ومجلس المساعدة الفنية ، ومنظمة الاغذية والزراعة ، ومنظمة الصحة العالمية وغيرها . وقد بّين اديسيشا الامين العام المساعد لليونسكو في خطاب القاه في حفلة الافتتاح ان هذا المؤتمر يتصل من ناحية بمؤتمر الجـامعات الذي عقد سنة ١٩٤٨ في مدينة اوترخت واسفر عن تأسيس المنظمة العالمية للجـامعات[١٨] ومن ناحية بالخطة التربوية العامة التي وضعها مؤتمر اديس ابابا (ايار ١٩٦١) لانماء التربية في افريقية، وهي الخطــة التي وافقت عليها اليونسكو والمجلس الاقتصادي الاجتماعي والجمعية العمومية للامم المتحدة .

عني المؤتمرون بوصف الخدمــات التي يستطيـع التعليم العالي ان يسديها الى الانماء الافريقي ، وحدّدوا اهداف التخطيط الجامعي في السنين العشر المقبلة ، والنسب الفضلى بين عدد الطلاب والمدرّسين (جعلت النسبة في حــدود ١٥ الى ١) التي يحسن بالجامعات ان تهتدي بها ، وحجم الجـامعات (من حيث عدد الطلاب) خــلال الفترة ١٩٦١ — ١٩٨٠ فأوصوا بأن يكون العدد حوالي خمسة

آلاف ، ووجهت عناية خاصة الى دراسة وسائل الظفر بالمدرسين الجامعيين — من افريقيين وغير افريقيين — وتمويل التوسع الجامعي ، وتطوير برامج التعليم الجامعي ومحتوياتها .

وعلى ما في التوصيات السبع والتسعين التي اقرها المؤتمر من شمول وحسن تبصر في ابواب الاهداف الجامعية وتخطيط التعليم العالي وتمويله واعداد المدرسين والدراسات الافريقية وغيرها ، فانما يهمنا في هذا الفصل ، في المقام الاول ، ما جاء فيها خاصا بالعلم والانماء ، لأن التربية بوجه عام ، والتربية الجامعية ، وبخاصة في ابواب العلوم النظرية والتطبيقية ، ركن لا بديل منه ولا غنى عنه في كل انماء اقتصادي واجتماعي سليم ، يرجى له ان يزكو وان يستمرّ .

جاء في التوصية الرابعة عشرة : « ينبغي ان لا تقل نسبة الطلاّب الافريقيين المسجلين في الدراسات العلمية والتكنولوجية ، بما فيها الطب والزراعة عن ٦٠ في المئة من مجموع الطلاّب في سنة ١٩٨٠ » . وفي التوصيات ٧٢ — ٨١ نجد : (١) ينبغي ان يبدأ تعليم العلوم الاساسية في اول فرصة ممكنة في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، على ان تدخل دراسات التخصص العلمي برامج التعليم العالي في مرحلة لاحقة . (٢) يجب الاهتمام باساليب تعليم العلوم الاساسية والعناية بتعديل هذه الاساليب بدلا من تعديل المناهج ، وزيادة الفرص المتاحة للتعليم العلمي واستعمال المواد العلمية المحلية فيه وتشجيع الطلاب على الاشتراك في البحث . (٣) توثيق الصلة بين معاهد التعليم ومعاهد البحوث العلمية ، وجعل برامج البحوث التطبيقية موافقة لحاجة الانماء الاقتصادي والاجتماعي ، وخاضعة للتخطيط العام . (٤) في برامج البحوث العلمية الاصيلة ينبغي ان يقدّم منها ما له صلة بدراسة البيئة وباستطلاع الموارد الطبيعية . (٥) اعداد كتب لتدريس العلوم موافقة لاحوال البيئة المحلية ، وعلى السلطات الحكومية ان تشجع اعداد كتب تدريس العلوم ، وان تؤسس مراكز اقليمية لطبعها . (٦) يجب تنسيق برامج البحوث العلمية في نطاق البلد الواحد ثم في نطاق بلدان الاقليم ، والاهتمام بانشاء مراكز بحوث على اساس اقليمي ، حيث يكون ذلك ممكناً . (٧) يجب

ان تضمّن كتب الدراسة مبادىء عامة عن حفظ الثروة الطبيعية وصيانة مواردها من التبذير .

وقد وضعت الخطط اللازمة (بحسب التوصيتين ٨٩ و ٩٩) لانشاء كليات الطب خلال السنوات الخمس المقبلة او في فترة لاحقة قريبة ، في الكيمرون وفي نيجيريا وجزائر موريس وليبيريا ومعاهد للتكنولوجيـــا الحيوانية (١٧) في بورندي وتشاد ، ثم مدارس للطب البيطري واحـــدة في اثيوبيـا وثلاث في نيجيريا (١٨) وغيرها .

وعقد المؤتمر الثالث في مدينة لاغوس في نيجيريا من ٢٨ تموز الى ٦ آب ١٩٦٤ وكان اسمه دليلا عليه : « المؤتمر الدولي لتنظيم البحث العلمي والتدريب في افريقية في علاقتهما بدراسة الموارد الطبيعية وحفظها والانتفاع بها » . وقد نظمته اليونسكو بالاشتراك مع اللجنة الاقتصادية الافريقية للأمم المتحدة ، وشهده ممثلون من ثماني وعشرين دولة افريقية ، ومراقبون من قبل بعض الدول الاعضاء في اليونسكو ، وفئة من المنظمات الدولية .

وقد انصب اهتمام العلماء في المقام الاول على دراسة موضوع الموارد الطبيعية ، كما اهتم مؤتمر اديس ابابا بالموارد البشرية ووضع خطة تربوية لانمائها ، وكما عني مؤتمر تناناريف بالتعليم العالي في افريقية وانمائه .

وشملت دراسة الموارد الطبيعية — بين تربة وماء وحيوان ونبات وخامات على سطح الارض وفي جوفها — دراسة الوضع الراهن في افريقية للبحث العلمي ، واعداد الباحثين العلميين والمساعدين التقنيين ، والاجراءات التي ينبغي ان تتخذ لزيادة عددهم وانماء مواهبهم ، من اجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي في البـلاد الافريقية .

وظهر من الدراسات التي قدمت الى المؤتمر ان ٨٠ في المئة من البلاد المعنية بأمره ، ليس فيها هيئة وطنية تشرف على تنسيق البحوث العلمية وتشجيعهـــا وتوجيهها ، ولا موازنة وطنية للبحوث العلمية ، وبها حاجة كبيرة الى رجـال

العلم والبحث والمساعدين التقنيين ، والى الاسس التي تقوم عليها نهضة العلوم باسرها — اي تعليم العلوم .

ومن هنا اتجه المؤتمرون الى دراسة السياسة العلمية ، فوضعت خطة للبحث العلمي تنسحب على خمس عشرة سنة، تشمل تأسيس مجالس البحوث ومعاهدها، وتخصيص الموازنات الوافية لها، على اساس نصف واحد في المئة من الناتج القومي، وزيادة عدد العلماء والباحثين العلميين ، حتى يبلغ عددهم ٢٠٠ من العلماء والباحثين لكل مليون من السكان، ووضع نظام يضمن لهم العمل الجدي وحسن العيش. ولم تهمل توصيات المؤتمر الحث على اقامة توازن سليم بين البحث العلمي الاساسي والبحث العلمي التطبيقي ، وعلى التعاون الدولي والاقليمي .

والواقع ان تقرير المؤتمر يصح ان يتخذ نموذجا للتقارير عن المؤتمرات التي من هذا القبيل ، في حسن تبويبه ووضوح سياقه ، فقد افرغت توصياته في خمسة اقسام — (١) السياسة العلمية القومية . (٢) تنظيم خطط البحث في الموارد الطبيعية وتنفيذها . (٣) العلميون والتقنيون . (٤) البحث العلمي من ناحيته المالية والاقتصادية . (٥) التعاون الدولي .[١٩]

هذه المؤتمرات الستة التي عقدت في الدول العربية والافريقية مستوحية مبادىء « عقد الانماء » وتوصيات مؤتمر جنيف للعلم والتكنولوجيا ، والمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو ، انتهت في نطاق العلم الى نتائج متشابهة ، يمكن اختصار مبادئها فيما يلي :

(١) ضرورة التخطيط العلمي ووضع سياسة علمية قومية .

(٢) ضرورة تنظيم البحث العلمي وتشجيعه .

(٣) ضرورة انشاء مؤسسات البحوث وتعهدها وانمائها .

(٤) ضرورة القيام بالدراسات والبحوث التي يقتضيها حسن الانتفاع بالموارد الطبيعية .

(٥) ضرورة اعداد المتمرسين بالعلوم وعلوم الصناعة والمدربين على الاعمال والاساليب التقنية ، على ضوء الدراسات التي تبين الموارد والحاجات .

(٦) ضرورة تحسين تعليم العلوم في جميع مراحله ، وتبسيط العلوم من اجل التثقيف العام .

(٧) ضرورة التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية ، على النطاق القومي والنطاقين الاقليمي والعالمي .[٢٠]

وقد تخلل المناقشات التي دارت في جميع هذه المؤتمرات ، العالمي منها والاقليمي ، ان المعونة الدولية على عظم قيمتها ، وبخاصة في مرحلة التأسيس والانطلاق ، لا تجدي شيئا ، ان لم تتأصل مبادىء العلوم ، النظرية والتطبيقية ، في البيئة الوطنية ، بتأسيس المعاهد العلمية وانجاب العلماء والباحثين ، وان لم تبذل الحكومات الوطنية اقصى ما تستطيع بذله من المال والجهد لتحقيق ذلك ، غير مكتفية بالاعتماد على المعونة الواردة من الخارج ، كائناً مصدرها ما كان ، لان النمو من الداخل هو النمو السليم الذي يقدّر له ان يستمر ، وهو ادعى الى الكرامة واجدى في مواجهة الدهر القلب .

٦

فلما عقدت الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر اليونسكو العام (٢٠ تشرين الاول – ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤) ، كان المدير العام ، قد اعد برنامجا موسعا للعلوم الطبيعية ، وفقا لتوصية المجلس التنفيذي ، فتناقش فيه المؤتمر في لجنة خاصة تضم ممثلي الدول الاعضاء والمنظمات غير الحكومية ، خلال أربع عشرة جلسة ، حتى اقر بكامله بعد تعديله في مواقع مختلفة .

وقد جاء في مقدمة هذا الفصل في كتاب منهاج اليونسكو ، لسنتي ١٩٦٥ – ١٩٦٦ انه « يعكس النتائج الرئيسية التي توصل اليها مؤتمر الامم المتحدة لتطبيق

العلم والتكنولوجيا لمصلحة الدول الضئيلة النمو (جنيف، شباط ١٩٦٣) وينفذ « توصية المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الخامسة والستين » استجابة للتحدّي الصادر عن مؤتمر جنيف، ويحافظ برغم التوسع العلمي المقترح، على دور اليونسكو الذي لم تزل تمارسه منذ سنين ، وهو التعاون الدولي في نطاق العلوم .

ومن اجل ذلك قسّم فصل العلوم الطبيعية في منهاج اليونسكو للسنتين ١٩٦٥ —١٩٦٦ ، ثلاثة اقسام رئيسية :

(١) التنظيم العلمي الاساسي في الدول الاعضاء وهو يشمل تنظيم العلوم ومؤسساتها والسياسة العلمية في الدول الاعضاء، وتعليم العلوم الاساسية والهندسة على مستويات التربية المختلفة ، وهذا القسم من البرنامج قائم على ان العلوم الاساسية هي الركن الذي ينهض عليه التقدم التكنولوجي وتنمية الموارد الطبيعية ، وان تنظيم العلم ، تعليما وبحثا وسياسة قومية ، لا غنى عنه لتعزيز القدرة التكنولوجية ، فالانماء الاقتصادي .

(٢) تعزيز التعاون الدولي في البحوث العلمية وبخاصة في العلوم الطبيعية وعلوم الارض وعلوم الاحياء ، وتحسين الوسائل المتبعة في التوثيق العلمي . والمنظمة تنهض بهذا الجانب من منهاجها بالتعاون الوثيق مع المنظمات العلمية الدولية غير الحكومية وهي كثيرة ، وفي طليعتها المجلس الدولي للاتحادات العلمية (ICSU)

(٣) تطبيق العلوم والتكنولوجيا على الانماء وغرضه استطلاع المشكلات العلمية والتكنولوجية التي تعرض للدول الاعضاء النامية وتقدير عناصرها وعواملها ووضع حلول لها . وقد أرسيت مباديء هذا البرنامج على اساس الرأي الذي انعقد عليه الاجماع في مؤتمر جنيف وهو ان تطبيق العلوم والتكنولوجيا تطبيقا فعالا ، يستعجل النمو الاقتصادي الى حد بعيد ، ولكن هذا التطبيق لا

يقتصر ، ولا يجوز ان يقتصر ، على نقل المعرفة والاساليب العلمية والتكنولوجية من البلاد المتقدمة الى المتخلفة والنامية نقلا آليا وحسب ، ولكنه يعني ايضا وربما في المقام الاول زرع العلم والتكنولوجيا في البلد المتخلف او النامي نفسه ، بحيث يصبحان اذا افرخا وازدهرا بالتعهد والرعاية ، قوة من القوى الاجتماعية المؤدية الى النمو القومي . امـا وجوه المساعدة التي تبذل للدول النامية ، فتشمل ارسال بعثات من المستشارين الاخصائيين ، وعقد مؤتمرات اقليمية ودورات للتدريب ، وتخصيص منح دراسية للمؤهلين ، وتأسيس معاهد تقنية وهندسية وزراعية وغيرها يرجى ان تكون نماذج تحتذى .

وقد جاء في تقرير المدير العـام : « تعتزم اليونسكو ان تلبي حاجات البلاد النامية بتدريب تقنييها ومهندسيها وعلمائها وبانماء البحث العلمي والتكنولوجي فيها » .

وقـد بلغت الاموال المخصصة لهذا الفصل في مجمله خلال السنتين (١٩٦٥ — ١٩٦٦) في الموازنة العادية لليونسكو ٩٥٥ ، ٤٦٤ ، ٧ دولارا ، بزيادة ٥٧ في المئة على الاموال التي خصّصت له في موازنة السنتين السابقتين ، ويضـاف الى اموال الموازنة العامة العادية مبلغان يؤخـذان من باب المساعدة الفنية والصندوق الخـاص في الامم المتحدة ، ومجموعهما ٨٨٠ ، ٧٦٢ ، ٢٤ دولارا . فمجمل موازنة فصل العلوم الطبيعية في برنامج اليونسكو لسنتي ١٩٦٥ — ١٩٦٦ يبلغ ٨٣٥ ، ٢٣١ ، ٣٢ دولارا بزيادة ٣٤ في المئة على مجمل المبلغ المخصّص لهذا الفصل في الفترة السابقة (١١٦ ، ٩٦٨ ، ٢٣ دولارا) .[٢١]

٧

وخلاصة القول في تطوّر الفكرة التي قـام عليها مشروع «عقد الانماء» واثر

العلم في نجاحه تبدو على اوضحها واقواها في عبارات ثاكر (رئيس مؤتمر جنيف) البسيطة حيث قال : «نعيش في عصر العلم ، فالعلم ، ووجوه تطبيقه هو الاداة العظمى لاحداث التغيير في عالمنا المعاصر . ونحن نعلم ان تطبيق العلوم لا ينتهي دائما الى الخير ... وقد تفضي القدرة العظيمة التي وضعها العلم في تصرف قوى الحرب الى محق البشر وكلّ ما ابدعوا خلال تاريخهم . ولكنني واثق بان الغلبة لقوى العقل ... فان لم نفعل شيئا فقد يلومنا ابناؤنا وحفدتنا بأننا فوّتنا الفرصة المتاحة لتحسين العالم الذي نعيش فيه ، بضمّ جهودنا جميعا لازالة الجوع والفقر والمرض – وهي اضخم مهمة في تاريخ الانسانية . ولكننا لن نتقاعس. فدفع النمو الاقتصادي والاجتماعي في البلاد التي هي ادنى الى الفقر من غيرها ، دفعا متسارعا يبدو عملا لا تمكن مقاومته ، لانه مطابق لارادة الشعوب في العالم قاطبة ... ولن نجد في العالم الحديث زعامة صحيحة دون تقدير صحيح لدور العلم والتكنولوجيا في نهوض المجتمع ، ودون معرفة بالمبادىء العامة للانماء ..... تبعتنا عظيمة ، ومهمتنا ضخمة ، ولكن موارد الانسان ، لن تعجز عن ابتكار الحلول الكفيلة بتحقيق الآمال » . (٢٢)

المراجع والتعليقات

١) underdeveloped

٢) developing

٣) developed

٤) H. J. P. Arnold. *Aid for Developing Countries*. The Bodley Head 1962

٥) The United Nations Development Decade

٦) Unesco Document 12C/34, 9 November 1962

٧) يرى ل . هوليدي مدير البحث والانماء في قسم اللدائن والمطاط في شركة شل ان « التكنولوجيا هي في الواقع علم الصناعة ، وهي تشمل تطبيق العلم والاسلوب العلمي على الصناعة » . اما الطريقة التي اتبعت في تصنيف انواع « علم الصناعة » فتعتمد على الجمع في نطاق واحد اعمالا صناعية تشترك في خصائص تقنية وتجارية متماثلة ومن ثم نجد في الكتابات

الاعجمية : « علم صناعة الفضاء » - تكنولوجيا الفضاء Space Technology و « علم صناعة النفط » - تكنولوجيا النفط Petroleum Technology « وعلم صناعة الطعام » - تكنولوجيا الطعام Food Technology وغيرها .
(*The Advancement of Science* Vol xx. Number 83. May 1963 p.5)

٨) Conférence des Nations Unies sur l'application de la Science et de la Technique (Technology) dans l' intéret des Regions peu développées (less developed)

٩) *Impact* Vol. XIII (1963) No. 3 pp. 175—179

١٠) وثيقة باللغة العربية اعدتها الامانة العامة لليونسكو وقدمتها الى المؤتمر الاقليمي الرابع للجان العربية الوطنية لليونسكو (الجزائر ٣ - ٧ آذار ١٩٦٤)

١١) مختصر من محاضرة السفير نديم دمشقية، احد اعضاء الوفد اللبناني في المؤتمر ، ورئيس تجمع الدول النامية الخمس والسبعين في اللجنة المعنية بشؤون التصنيع ونصريف المواد المصنوعة .

١٢) Resolution 3, Regional Conference on Research Facilities and Cooperation Cairo 19—22 December 1960

١٣) Report of Second Regional Unesco Conference for Organization and Planning of Scientific and Technological Research. Beirut. May 28 — June 1, 1963

١٤) تقرير المؤتمر الاقليمي الرابع للجان الوطنية العربية لليونسكو الجزائر ٣ - ٧ آذار ١٩٦٤ .

١٥) *Impact* Vol.XIV (1964) No. 3. p. p. 137 - 144

١٦) International Association of Universities (IAU)

١٧) Zootechnology

١٨) *The Development of Higher Education in Africa*. UNESCO, 1963

١٩) *Rapport final de la Conference de Lagos*, UNESCO, 1964
Outline of a Plan for Scientific Research and Training in Africa. UNESCO, 1964

٢٠) UNESCO Document, 13C/PRG/25, 14 September 1964

٢١) UNESCO, *Draft Programme and Budget*, 1965-1966, Introduction, paras. 89—105, Chapter 2 (part II) Natural Sciences, paras 1—314
وقد عدلت مقاطع من هذا الفصل في المؤتمر الثالث عشر ولكن التعديل لا يخل بالخلاصة المتقدمة

٢٢) *Impact*, Vol. XIII (1963) No. 3 p.p. 175—179

العلاقات السياسية بين ثوار الاندلس واسبانيا المسيحية في الفترة الأموية

عبد الرحمن الحجي

توطئة : في الفترة الاموية (١٣٨–٣٦٦ هـ) من التاريخ الاندلسي لم تستطع الدولة ومركزها قرطبة – ان تبسط سيطرتها على الاندلس الى ابعد الحدود التي وصلتها السيادة العربية ، الا تحت حكم عبد الرحمن الناصر ، وكان هذا نفسه شيئاً نسبياً ، ولذلك كانت طبيعة البلاد وتوزيع العناصر فيها وطبيعة الادارة كل ذلك يسمح للطامعين الذين يرغبون في تكوين دويلات مستقلة ان يعلنوا الثورة بين الحين والحين ، ولم يكن لهم سند في ثوراتهم الا اعتمادهم على قوة خارجية يلجأون اليها ، واكثر ما كانوا يستعينون بالقوى الاوروبية وراء الحد الاسباني الشمالي ، او بالقوى الاسبانية الشمالية التي لم تخضع للحكم العربي ، فالى هذه الثورات والقائمين بها يتوجه الاهتمام في هذا البحث .

ولا بد من ملاحظات عامة اسوقها في مستهله ، قبل ان آخذ في درس العلاقات السياسية بين ثوار الاندلس واسبانيا المسيحية وعرض نماذج منها :

١) كان هذا النوع من العلاقات السياسية بين ثوار الاندلس واسبانيا المسيحية يعتمد كثيرا على حال السلطة المركزية في قرطبة ، فان كانت تلك السلطة قوية كانت العلاقات بين الثوار ودول الشمال الاسباني (مثل مملكة ليون ونافار وامارة قشتالة) ضعيفة او غير قائمة ، ولذا كثرت هذه العلاقات وتعددت في ايام عبد الرحمن الداخل لاضطراب الاحوال الداخلية في الاندلس قبيل مجيئه واستمرارها على هذه الحال مدة غير قصيرة بعد مجيئه ، اذ ان عبد الرحمن استغرق وقتا طويلا وبذل جهدا كبيرا حتى استطاع ضبط الامور والتوجه

بالبلاد نحو الاستقرار . وقوة السلطة المركزية في قرطبة عامل يحدو دول الشمال الاسباني الى انشاء العلاقات الودية معها، ولذلك فانها كانت تمتنع في مثل هـذه الحال عن ايواء الثوار او الاستجابة لنداء ثائر ، لان ذلك يعني جـذ العلاقات الودية بينها وبين قرطبة .

٢) كان الثائرون الاندلسيون لا يقتصرون في طلب المساعدات العسكرية على دول الشمال الاسباني ، بل يتوجهون احيانا الى الفرنجة او الى الشمال الافريقي . وفي بداية العهد الاموي كان الثوار يستعينون اكثر ما يستعينون بالفرنجة لان دول الشمال الاسباني لم تكن على مستوى من القوة يغري الثوار بالتوجه اليها .

٣) كانت المعونة التي تقدمها دول الشمال لهذا الثائر او ذاك نوعا من الايواء في البداية ، كي تستفيد منه عند الحاجة وبخاصة خلال المعارك حيث يحصلون منه على معلومات مفيدة او يشاركهم في الحرب ضد المسلمين .

٤) لم يكن من الضروري احيانا ان يطلب الثوار المعونة بـل كان الاسبان والفرنجة يخفّون لمساعدتهم ابتداء ، فاذا سمعوا بثورة سارعوا لتأييدها ، وكثيرا ما يكونون هم المحرضين عليها في الخفاء .

٥) اكثر هـذه العلاقات آني الدوافع ، سواء تم من الجانب الاسلامي او من الجانب المسيحي ، ولذلك كانت العلاقات الناشئة تقوم وتنتهي بسرعة .

٦) من الطبيعي ان تكثر الثورات في شمال الاندلس لان طلب العون هنالك ايسر على الثائرين ، وربمـا كان بعض الثوار يحاول ان يجعل مركزه في الشمال لهذا الغرض، اما الثورات التي قامت في جنوب الاندلس فلا نجد بينها وبين دول الشمال تعاونا الا في النادر .

٧) ومن اليسير ان ندرك سوء ما كانت تجره من نتائج، اذ هي تفتح الباب للانتقام وتعرض الجيش المهاجم للاخطار وابرز مثال على ذلـك ما حدث لشارلمان حين غزا الاندلس سنة ١٦١/٧٧٨ بدعوة بعض الثوار له .

٨) تختلف طبيعة الثورات فتأخذ لذلك اشكالا متعددة، فهي اما ثورة يقوم

بها فرد ، فاذا هلك خمدت الثورة بهلاكه ، وهي امـا ثورة يتوارثها افراد عائلة معينة، وهي اما ثورة مدينة كاملة تسعى الى استمداد المساعدة من وراء الحدود. وسأفصل القول في النوعين الاولين من هـذه الثورات ، أما النوع الثالث فمثاله مدينة طليطلة ، تلك المدينة التي عرفت بكثرة الثورات ، وطلب المساعدة من دول الشمال او الانقياد لتحريض تلك الدول لها على الثورة والعصيان . ففي سنة ٨٥٤/٢٤٠ قامت فيها ثورة ، سـار الامير محمد للقضاء عليها ، فاستعان الثوار باردينو الاول ابن راميرو ملك ليون وبغرسيه انيجس ملك نافار ، فارسل ملك ليون جيشا لنجدتهم بقيادة غاتون ، ورغم ذلـك فقد انتصر الامير واخضع المدينة الثائرة [١] في معركة وادي سليط .

وعادت المدينة الى الثورة في سنة ٩١٢/٣٠٠ ، اواخر حكم الامير عبدالله ، فاستدعى الثوار الفونسو الثالث ملك ليون ضد قرطبة وارتضوا دفع الجزية له[٢] مقابل وقوفه معهم ضد السلطة الاسلامية.

وعصت طليطلة على الناصر في ٩٣٠/٣١٨ معتمدة على مساعدة راميرو الثاني ملك ليون فسار اليها الناصر وضرب حولها حصاراً فكـّه بعد اسابيع ، ولعل ذلك بعد هدوئها نوعاً ، وبعد سنتين اي في صيف ٩٣٢/٣٢٠ ، سـار اليها ثانية – بعد فشل المفاوضات السلمية – فاستنجد اهلها براميرو [٣] فاستجاب لندائهم، ولكنه اخفق، اذ استطاع الناصر اخضاع المدينة الثائرة فلزمت الطاعة فيما بعد.

صور من الثورات بالاندلس في العهد الاموي :

١) **بنو قسي المولدون المسالمة الاصل**[٤] : كان جدهم الاعلى قسي كونتاً ايام القوط ، ولمـا فتح المسلمون شبه الجزيرة الايبرية ، ذهب الى الشام وأسلم على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فأقره في مركزه الذي توارثه ابناؤه وكان مركزهم مدينة تطيله ، وكانت لهم علاقات مصاهرة مع نصارى الشمال خـاصة مع البشكنش [٥] وكانوا أحياناً يشقون عصا الطاعة على سلطة قرطبة اويحاربونها الى جانب الحـكام المسيحيين . ومن ابرز افراد هـذه الاسرة موسى بن موسى بن

فرتون بن قسي (موسى القسوي) [٦] ، ويظهر من كلام العذري [٧] انـــه اول عاصٍ ضد الامير عبد الرحمن الثاني ، ولعله اول من فعل ذلــك من الاسرة [٨] ، فــكان اول عصيانه في ٨٤٢/٢٢٧ وتحالف مع صهره غرسيه انيجس [٩] ملـك نافار ضد قرطبة . ويظهر ان التحالف استمر حتى٨٤٣/٢٢٨ [١٠] وعاونتهما في ذلك قوات من قشتالة وليون ولكن عبد الرحمن انتصر على القوة المتحدة ، ثم عاد موسى الى الطاعة ، كما طلبت نافار الامان والصلح [١١] . وفي ٨٥٠/٢٣٥ عـــاد موسى مرة اخرى الى الخلاف فعاونه وايده غرسيه انيجس اخو موسى لامه [١٢] . كما كانت لموسى احيانا علاقات ودية متقطعة مع اردونيو الاول ملك ليون [١٣] تؤثر فيها علاقات الاخير مع سلطة نافار ، اصهار موسى ، وكذلك اولاده مع معاصريهم من حكام ليون . فاذا قام نزاع بين اردونيو وغرسيه وقف موسى الى جانب صهره .

وآخر مـــا كان من ذلك ان حارب موسى وغرسيه جنبا الى جنب ضد اردونيو في ٨٦٢/٢٤٨ في موقعة البلدة التي اسفرت عن قتل الحليفين .

وخلف موسى ابنه لب الذي تحالف مع اردونيو الاول ضد المسلمين [١٤] . وفي٨٧١/٢٥٧ ثار لب ضد سلطةقرطبة،ولا يستبعد معاونةسلطات نافار له[١٥] . وبعد وفــاة لب أو مقتله في ٨٧٧/٢٦١ تقـــاسم اخوته حكم المنطقة . ويظهر في هذا الامر بعد هـــذا بعض الغموض ، ويمكن وضعه على الصورة التالية : — فحينما خلف لب اباه كان على علاقات طيبة مع نافار وحــين شعر بقوة مملكة ليون خشي خطرها عليه ، فتحالف مع ملكها اردونيو الاول ليشنا الحرب على الاراضي الاسلامية ، وحين توفي لب حل اخوته الثلاثة مكانه فتولى فرتون تطيله ، واسماعيل سرقسطة ، ومطرف وشقة [١٦] وكان هؤلاء قد سلكوا سلوكا مماثلا لسلوك أخيهم في علاقاته ، فــكانوا على علاقة طيبة مع سلطات نافار واحيانا مع ملك ليون الفونسو الثالث ، وكانوا قد اعلنوا العصيان على الامير محمد الذي شن عليهم حرباً قتل فيها المطرف ، فتحالف الاخوان مع الفونسو ، وكان اسماعيل

يبغض ابن اخيه محمد بن لب لولائه لسلطة قرطبة فقامت بينهما حرب انتهت بانتصار محمد على عمه واسره واستيلاء محمد على سرقسطة وحينما اراد الامير انتزاعها منه ، اعلن عصيانه وتحالف مع الفونسو للتعاون على رد القوات الاسلامية وقتالها . فقامت قوات قرطبة بحصار سرقسطة وانتهت هذه العمليات بالمصالحة (١٧) واخضاع سرقسطة الاسلامية . وانتهى امر بني قسي نهائيا في ٣١٢/٩٢٤ . (انظر الجدول الخاص بنسب بني قسي) (١٨)

٢) **بنو مروان الجليقي** : طالما ثاروا على سلطة قرطبة ، واول واخطر ثائر من هذه الاسرة ، عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وكان يثور ضد قرطبة ويعود الى طلب الامان ثم يحنث ، وثار لأول مرة في ٢٥٤/٨٦٨ ولم تكن ثورته هذه عنيفة كالثانية في ٢٦١/٨٨٥ (١٩) حيث اتخذ قلعة الحنش جنوب ماردة مركزا له، وكان يعضده خارج آخر هو مكحول بن عمر في قلعة جلمانية القريبة من الاولى ، فقوي امرهما وكثر انصارهما ، وعندما علما بقدم الامير محمد في جيش كثيف لحربهما ، استعانا بثائر من المولدين هو سعدون بن فتح السرنباقي الذي كان وقتها يعيش جنوب جليقية في كورة الغرب في كنف الفونسو الثالث ملك ليون (٢٠) فسار السرنباقي لنجدتهما ، ورغم ذلك لم يستطع الجميع مقاومة الحصار الذي ضربه الامير حول قلاعهم ، فطلب الجليقي الامان فأجيب اليه ، ولكنه عاد الى النكث ، وفي هذه المرة عقد هو والسرنباقي حلفا مع الفونسو (٢١) وتحصن الجليقي في بطليوس . فارسل الامير جيشا برياسة ابنه المنذر وقيادة هاشم بن عبد العزيز في ٢٦٢/٨٧٦ فاستعان الجليقي بالسرنباقي الذي قدم مع اتباعه ومعهم قوة كبيرة من المحاربين امدّهم بها الفونسو ، فسار هاشم في مجموعة من الجيش للقاء السرنباقي الذي نصب كمينا ، وانتهت المعركة بأسر هاشم حيث سلمه السرنباقي الى الفونسو . وبقي اسيرا في اوفيدو ، ثم تم الافراج عنه لقاء فدية بلغت ١٥٠ الف دينار (٢٢) واستمرت الحرب بين الجليقي والامير ، ولما خشي الجليقي على نفسه حذا حذو السرنباقي فالتجأ الى الفونسو وبقي عنده ثمانية اعوام ثم تركه على اثر خلاف وقع بينهما فركن الى المسلمين في ٢٧١/٨٨٤

واستجاب الامير محمد له [٢٣] وعاد الى بطليوس وانتهى الامر بموافقة الامير على تعيينه حاكما لها . وكان ينكث عهده كلما وجد فرصة الى ان توفي في ٢٦٦/٨٨٩ فخلفه ابنه مروان في حكم بطليوس ، ولم يدم سوى شهرين ، وبعد وفاته خلفه عبدالله حفيد الجليقي [٢٤] وكان هذا على صلة بأمراء الشمال ، يحالفهم ضد سلطة قرطبة حتى قتل في ٣١١/٩٢٣ ايام الناصر وخلفه في حكمها ابنه عبد الرحمن وعصا قرطبة لعدة سنوات حتى اذعن للناصر في ٣١٧/٩٢٩ وبذلك انتهت متاعب بني مروان الجليقي. (انظر الجدول الخاص بنسب بني مروان وقد اعتمدت فيه على تاريخ ابن خلدون) .

٣) **بنو تجيب من العرب :** بدأ نجمهم بالظهور حينما استعملهم الامير محمد ليقابل بهم نشاط بني قسي [٢٥] الذين كثرت ثوراتهم ، فبدأ شان بني قسي يضعف ونجمهم يأفل شيئا فشيئا حتى انتهى امرهم في بداية حكم الناصر [٢٦] .

دخل التجيبيون الاندلس مع موسى بن نصير وتولى افراد منهم حكم بعض الثغور بالأندلس مثل دروقة وسرقسطة وبرشلونه [٢٧]، وكانت سياسة الناصر في القضاء على استقلال الولاة واخضاعهم للسلطة المركزية قد اخافتهم على سلطتهم واطماعهم التوسعية ، وكان محمد بن هاشم التجيبي حاكم سرقسطة وقريبه مطرف ابن منذر التجيبي حاكم قلعة ايوب ، قد تحالفا سرا مع راميرو الثاني ملك ليون ليعترفا بطاعته مقابل مساعدته لهما في عصيان الناصر ، وحينما خرج الناصر في حملته ضد ليون سنة ٣٢٢/٩٣٤ لم يكتف محمد بالامتناع عن الخروج معه بل جاهر بخلع طاعته والاعتراف بسيادة ليون على سرقسطة [٢٨] وما جاورها، وعندما امتنع قادة الحصون المجاورة عن مجاراة محمد في خيانته سار اليهم راميرو واخضعهم لسلطة محمد ، ثم اتسع نطاق هذا الحلف فيما بعد بانضمام طوطه ، ملكة نافار له ناقضة لعهدها مع الناصر الذي سار لمقابلة هؤلاء جميعا في ٣٢٥/٩٣٧ مبتدئا بمحاصرة قلعة ايوب ، فاستنجد حاكمها مطرف بحليفه راميرو الذي ارسل اليه فصيلة عسكرية ، ولكن الامر انتهى بقتل مطرف ومن معه من جنود حليفه ،كما

اسر محمد صاحب سرقسطة ومن كان يعاونه من عائلته، ثم التمس العفو من الناصر فعفا عنه ورده الى منصبه لمقدرته الادارية[٢٩] وهو الذي وقع في معركة الخندق – في اسر راميرو ، حليفه السابق وافتداه الناصر . (انظر الجدول الخاص بنسب بني تجيب ، وقد اعتمدت فيه على الجمهرة لابن حزم: ٤٠٤، ونظام المرجان للعذري : ٤١–٥٤)

٤) **عمر بن حفصون :** من المولدين المسالمة الاصل ، كان من اخطر ثوار الاندلس ، استغرقت ثورته قرابة نصف قرن ، ابتدأت ايام الامير محمد في ٢٦٧/٨٨٠ في جبال بربشتر في جنوب شرق الاندلس وانتهت ايام الناصر [٣٠] وكان ابن حفصون قد توفي في ٣٠٦/٩١٨ ، ولكن اولاده استمروا بالثورة حتى انتهت كليا في ٣١٥/٩٢٨ فعاصرت ثورته اربعة من حكام الاندلس هم محمد وابناه المنذر وعبد الله ، والناصر [٣١] .

ولو قدر لهذه الثورة ان تتخذ مركزها في الشمال لتغيرت احداثها ولكان لها نشاط كثير في هذا النوع من العلاقات مع اسبانيا المسيحية خاصة بعد ان اعلن زعيمها التنصر في ٢٨٦/٨٩٩ [٣٢] .

عقد ابن حفصون حلفا مع محمد بن لب القسوي صاحب سرقسطة في ٢٨٥/٨٩٨ ولكنه لم يتم [٣٣] كما استعان ببعض حكام افريقيا [٣٤] وبالطبع حاول الاستعانة بمسيحيي الشمال ، ولقد ايد الفونسو الثالث ملك ليون هذه الثورة [٣٥] كما عقد حلف بين ابن حفصون وبين غرسيه انيجس ملك نافار ، ولكن بعد مركز الثورة عنهم حال دون تقديمهم مساعدة فعالة لها . كما قام حلف بين غالب بن حفصون وبين شانجو غرسيه ملك نافار واردونيو الثاني ملك ليون ولكن الناصر قضى على هذا الحلف [٣٦] .

٥) **عمروس بن عمرو بن عمروس المولد** [٣٧] : حاكم وشقه ، اعلن العصيان على الامير محمد واستعان بغرسيه انيجس ، فشن الامير الحرب عليه ، فعاد الى الطاعة واستقام امره [٣٨] .

٦) **مطروح وعيشون :** ومن هذه العلاقات ذلك التعاون العابر الذي تم بين البشكنش وبين مطروح وعيشون ، ابني سليمان بن يقضان الاعرابي الكلبي والي برشلونة الثائر على سلطة قرطبة ، حين لحقا - مع جماعة من اتباعهما - بشارلمان في ممر رونسفال وحدث ذلك بعد ان عاد من حملته الفاشلة ضد اسبانيا الاسلامية في ٧٧٨/١٦١ واسر ابوهما ، فكانت معركة عنيفة ، سحقت فيها مؤخرة جيش شارلمان وعلى رأسها قائده رولان ، فاستطاعا انقاذ ابيهما .

٧) **محمود بن عبد الجبار وسليمان بن مرتين :** وفي ماردة قام البربر بثورة في ٨٢٨/٢١٣ بقيادة زعيمين هما محمود بن عبدالجبار بن راحلة من بني طريف من مصمودة . وسليمان بن مرتين المولد ، واتخذ الثوار حصن فرنكش ، على ضفاف وادي يانه [٣٩] مركزاً لهم . ولقد حرض لويس ، ملك الفرنج ، الثورة وشجعها ، ثم ان سليمان اعتزل محمودا واتجه الى الشمال [٤٠] فاستقل بها محمود تعاونه اخته ، جميلة ، التي اشتهرت في الاندلس يومها بجمالها ، كما اشتهرت « بالشجاعة والنجدة والفروسية ولقاء الفرسان ومبارزتهم » [٤١] فاستفحل امره واستولى على عدد من المناطق المجاورة ، ولكن الامير عبد الرحمن الثاني نشط في حربه ، حتى لحق بمحمود الاعياء ، ففر مع اخته وبعض اتباعه الى ليون مستجيرا بملكها الفونسو الثاني فرحب به واكرم وفادته ورأى فيه سلاحا يمكن استعماله ضد سلطة قرطبة ، يعاونه في حربه ضدها . ثم ارتأى محمود أنه من العقل ، عدم الاستمرار في هذا الاتجاه ، والعودة الى الطاعة ، فكاتب عبد الرحمن طالبا الصفح ، ولكن الفونسو علم بالمحاولة فخشي ان يتحول سلاحا ضده وقد اراده سلاحا له ، فحاصره الفونسو مع بعض جنده ، فقاوم محمود ودافع دفاع الابطال ولكنه قتل في ٨٤٠/٢٢٥ [٤٢] ، واسر الباقون ، وكانت اخته منهم ، فصارت في نصيب احد كبار القوم فحملها على التنصر وتزوج بها ، وكان من نسلها فيما بعد اسقف شنت ياقب .

٨) **امية بن اسحاق :** وهو من قرابة الناصر ، فهو أموي من بني

مروان [٤٣]. وكان الناصر قد استوزر أباه، ولما توفي قرب اولاده ، ومنهم احمد وامية ، وفي ٣٢٥/٩٣٩ سار الناصر الى الشمال لقتال راميرو الثاني ملك ليون وحلفائه من الثوار المسلمين ، فعهد بحصار سرقسطة الى احمد بن اسحاق قائد الفرسان وعينه حاكما للثغر ، لكنه تهاون في اداء مهمته لحاجة في نفسه ، ولما أدرك الناصر ذلك سخط عليه [٤٤] وعزله ، فظهرت النيّات، التي كان يخفيها، جليا واتفق مع اخيه امية وبيتا أمرا لاعلان الثورة . ولما علم الناصر بذلك اكتفى بنفيهما ، ولكن سياسة التسامح اغرتهما على المضي في طريق العصيان فسار امية الى مدينة شنترين في كورة الغرب واستولى عليها وتودد الى ملك ليون . اما اخوه احمد فحاول الاتصال بزعماء المغرب الخاضعين للفاطميين الذين كانوا على علاقة سيئة مع سلطات الاندلس ، للقيام بمؤامرة ضد قرطبة . وعلم الناصر بهذه المحاولة فالقى القبض عليه واعدمه [٤٥] . وما ان سمع امية باعدام اخيه حتى اعلن العصيان والثورة ضد قرطبة [٤٦] وتحالف مع ملك ليون ، ولعله كان ينوي القيام بمحاولة عملية ضد قرطبة ، ولكن بعض الموالين للخليفة قاموا ضده واستولوا على المدينة فالتجأ امية الى حليفه راميرو الثاني فرحب به واكرمه . ولقد قام امية بدور في الخيانة كبير في الحدث التالي : فقد علت مكانته عند ملك ليون حتى استوزره وجعله من اصفيائه [٤٧] . وفي شوال ٣٢٧ / آب ٩٣٩ كانت معركة الخندق ، قرب سمورة ، التي تحالف فيها راميرو الثاني مع طوطه ملكة نافار، وفرنان كونثالث حاكم قشتاله [٤٨] ، تحت قيادة راميرو، ضد الناصر. وكان امية الى جانب ملك ليون يعاونه ويدله على عورات المسلمين ، وكانت معركة عنيفة ، حارب فيها امية المسلمين بضراوة [٤٩] وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين ، وقتل منهم عدد كبير ، فاراد ملك ليون تتبع المسلمين ، لكن امية حذره الكمين ، ورغبه فيما خلفوه من الغنائم الكثيرة [٥٠] ثم ان امية ندم على ذلك فكاتب الناصر معتذرا عن فعلته طالبا الصفح ومبديا استعداده للعودة الى خدمته ، فرضي الناصر وعفا عنه ، وتلك كانت سياسته ، ولعله هرب من راميرو [٥١] ، وعاد الى بلاده نادما آسفا .

التعليقات

١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ٧/٨ ٤ ، عيسى بن احمد الرازي ، نقله ابن حيان في مخطوط القرويين (فاس) المقتبس ، الجزء الثاني ، ورقة : ١٢٦ (ترقيم جديد ورقة ١٧٣) ، المقرى ، نفح الطيب ، ١/٣٢٨ ، عنان ، دولة الاسلام ، ١/٢٨٨ ، مورفي (Murphy) ، تاريخ الامبراطورية الاسلامية في اسبانيا ص ، ٩٤ ، ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ٤/١٩١ ، وهو يسمي القائد غاستون .

٢) عنان ، نفس المصدر ، ١/٣٤١ .

٣) عنان ، نفس المصدر ، ٢/٣٨٤ ، ابن خلدون ، العبر ، ٤/٣٠٥-٦ .

٤) المسالمة او الاسالمة هم الاسبان الذين دخلوا الاسلام ، واطلق على اولادهم – الذين ولدوا مسلمين – « المولدون » . مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٤٢٥ .

٥) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٧ - ٨ ، عنان ، نفس المصدر ، ١/٢٥٧ .

٦) مجلة الاندلس ، المجلد ١٩ ، ١٩٥٤ ، ص . (٣٠٤) .

٧) العذري ، نظام المرجان ، ص ٢٩ – ٣٠ ، ابن سعيد ، المغرب ، ١/٤٦ ، ٤٩٠ ، مجلة الاندلس ،العدد السابق ، ص ٢٩٨ .

٨) ابن حزم ، المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

٩) عنان ، دولة الاسلام ، ١/٢٥٦ ، كان غرسية قد تزوج من اوريه بنت موسى بن موسى المذكور الذي تزوج هو نفسه من ابنة غرسيه . انظر العذري ، نفس المصدر ١/٦٢ ، ابن حزم ، الجمهرة ، ٤٦٧–٨ ، مجلة الاندلس العدد السابق ص ٢٩٨ . كما تزوجت بنات لب ، اخي موسى ، من اولاد ونقه بن شانجة ، انظر ابن حزم ، الجمهرة ص ٤٦٨ .

١٠) مجلة الاندلس ، العدد السابق ، ص ٣٠٠ .

١١) مجلة الاندلس ، نفس العدد ، ص ٣٠٠ ، لا يذكر ابن حيان عودة موسى الى الطاعة ، ويمكن استنتاجه من طلب حليفه .

١٢) كانت ارملة موسى بن فرتون بن قسي ، وهي ام موسى بن موسى بن فرتون بن قسي ، قد تزوجت من انجو اريستا ، فولدت له فرتون انيجس (ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ٣/١٤٣) وفرتون هو اخو غرسيه انيجس، ولا ادري اذا كان الاخير ابن ارملة موسى ام هو من زوجة اخرى لانجو اريستا . وقد جعل ابن حيان، غرسيه انيجس – كما جاء اعلاه – اخا موسى لامه ، ولعل ابن حيان جعل غرسيه اخا موسى لامه على اعتبار

ان غرسيه اخا فرتون- اخو موسى لامه- فيكون غرسيه اخا موسى لامه كذلك . ولم اجد مصدرا على ما اعلم - ذكر ذلك ، علما بان ابن حيان لم يقل بانه غرسيه بل قال ابن ونقه صاحب بنبلونه ، وكان صاحب بنبلونه يومها هو غرسيه ، ولا اعتقد ان ابن ونقه الذي ظاهر موسى والذي ذكره ابن حيان هو فرتون ، كما قال عنان (دولة الاسلام في الاندلس ٢/٢٦٢) لاسباب :

١ - لان فرتون ليس صاحب بنبلونه، وان ابن حيان حينما ذكر فرتون لم يقل ذلك. بل قال عنه بانه فارس بنبلونه .

٢ - ولايمكن ان تكون كلمة « صاحب بنبلونه» هنا تعني حاكم المدينة فقط - فيحتمل ان فرتون كان حاكمها - بل حاكم نافار ، لان ابن حيان حينما ذكر غرسيه ، وهو ملك نافار ، وصفه بانه صاحب بنبلونه (مجلة الاندلس ، نفس العدد ص ٣٠٨) . كما وصفه في موضع آخر بـ « امير البشكنش » (مجلة الاندلس ، نفس العدد ص ٣٠٠) .

٣ - ان فرتون بن ونقه كان قد قتل في ٢٢٨/٨٤٣ (مجلة الاندلس ، نفس العدد ص ٣٠٠) ، ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ٤/١٤٤ . والحادثة التي نتحدث عنها كانت في ٢٣٥/٨٥٠ .

١٣) سيد محمود ، مختصر تاريخ الاسلام ، ص ١٧٩ .

١٤) عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ١/٢٩٥ .

١٥) مجله الاندلس ، العدد السابق ، ص٣١٢ ، العذري نفس المصدر ، ص ٣١ ، ويقول ان لب تظافر مع غرسيه ملك نافار ، ولا يمكن ذلك لان غرسيه توفي في ٢٤٨/٨٦٢ ولم استطع معرفة اسم حاكم نافار في هذه الفترة .

١٦) العذري ، نفس المصدر ، ص ٣١ .

١٧) عنان ، نفس المصدر ، ١/٢٩٩ .

١٨) العذري ، نظام المرجان ، ص ٢٩ - ٤٠ ، ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٤٦٧ - ٨ ، ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ٤/٢٤٦ (قائمة النسب) .

١٩) ابن سعيد، المغرب ، ١/٣٦٤ ، ابن الخطيب . اعمال الاعلام ، ص ١٠ ، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ١٠٧ .

٢٠) ابن حيان ، مخطوط المقتبس ، القرويين ، ورقة ٢٧٤ ب .

٢١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٨٤ ، حتي ، تاريخ العرب ، ص ٥١٨ . دائرة المعارف الاسلامية ، ١/٨٥ .

٢٢) ابن حيان ، المقتبس ، ٣/١٥ .

٢٣) ابن حيان ، مخطوطة القرويين ، ورقة ٢٧٣ ب .

٢٤) لين بول ، تاريخ العرب ، ص ١١٩ .

٢٥) العذري ، نظام المرجان ، ص ٤١ .

٢٦) العذري ، نفس المصدر ص ٤٠ .

٢٧) ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٤٠٤ .

٢٨) لين بول ، تاريخ العرب ، ص ١٢٢ .

٢٩) عنان ، دولة الاسلام ، ٢/٣٨٥ - ٦ ، العذري ، نفس المصدر ص ٥٤ و ٥١ .

٣٠) ابن حيان ، المقتبس ٣/٩ .

٣١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/١٠٦ .

٣٢) ابن حيان ، نفس المصدر ، ٣/١٢٨ .

٣٣) ابن حيان ، نفس المصدر ، ٣/١٢٧ .

٣٤) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٣٢ .

٣٥) عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ١/٣٤١ .

٣٦) رينو ، الغزوات الاسلامية ، ص ١٦٦ .

٣٧) هو حفيد عمروس بن يوسف حاكم طليطلة ايام الحكم الاول . وهو بطل واقعة الحفرة في ١٩١/٨٠٧ ، عنان ، المصدر السابق ، ١/٢٣٧ .

٣٨) العذري ، نظام المرجان ، ص ٦٢ — ٦٣ .

٣٩) عنان ، دولة الاسلام ، ١/٢٥٤ .

٤٠) ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ٤/١٤٠ .

٤١) ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٤٦٦ . ويقول ابن القوطية (تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨٩) ان جميلة كانت تدعو اخاها للطاعة ويدعو هو للخلاف . ويظهر ان هذا كان في مبدأ الثورة ولعله اقنعها فيما بعد خاصة بعد ان اعتزله رفيقه سليمان .

٤٢) ابن سعيد ، المغرب ١/٤٨ ، ويقول ان فرس محمود جمح به – حين كان القتال يدور بينه وبين الفونسو – فصدم بشجرة بلوط قتلته . ويروي في ذلك حكاية لطيفة في التدليل على بطولة محمود: انه بقي بعد قتله مجدلا في الارض مدة وفرسان الفونسو قيام على ربوة يخشون الاقتراب منه ظنا منهم انها حيلة ، وانه لا يزال حيا .

٤٣) ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٩٩ ، ابن خلدون ، العبر ٤/٣٠١ .

٤٤) اخبار مجموعة ، ص ١٥٦ .

٤٥) عنان ، دولة الاسلام ، ٢/٣٨٦ .

٤٦) العمري ، مسالك الابصار ١٦/١/٨٢ .

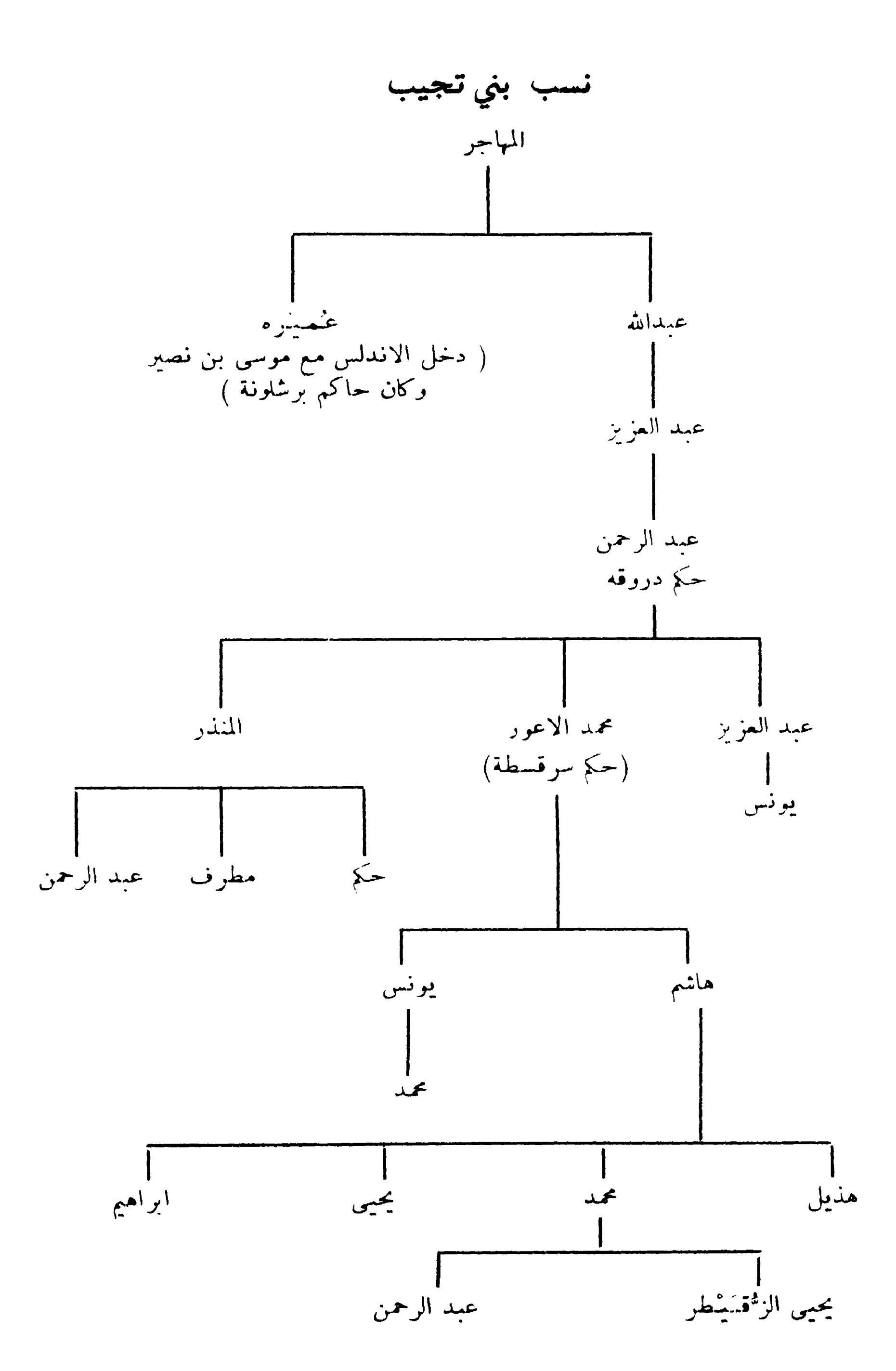
٤٧) عن لجوء امية الى ردمير وعونه له ضد الناصر ، انظر المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/٧٣ ، البكرى ، المسالك والممالك مخطوط ، نور عثمانية ، ورقم ٢٠٠ أ ، باريس ص ١٥٠ – ١٥١ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٨/٦٨ ، الحميري ، الروض المعطار ، ٩٨ – ٩٩ . والظاهر ان هؤلاء نقلوا القصة عن المسعودي الذي هو اسبق منهم حيث توفي ٣٤٥/٩٥٦ وان ما ذكروه اعادة لما قاله وبنفس العبارة احيانا .

٤٨) ليفي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ٤/٢٩٢ .

٤٩) كوندي ، تاريخ العرب في اسبانيا ، ١/٤٢٥ .

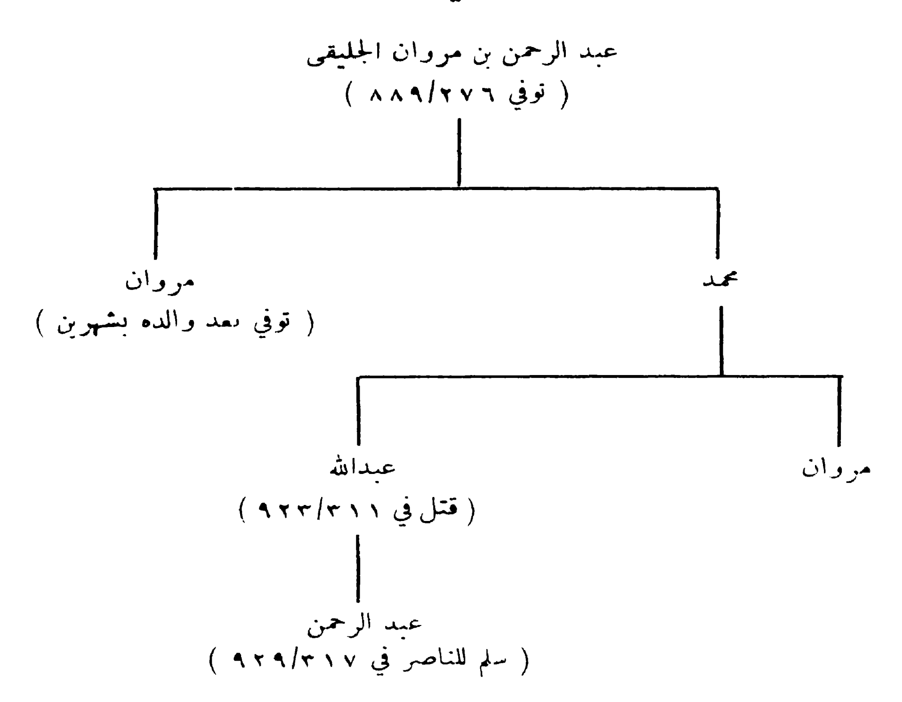
٥٠) لا اعتقد انه حذره الكمين تغطية وحرصا ، للابقاء على البقية من المسلمين ، اذ بسيفه اسال دماءهم ، وكان محاربا شجاعا ، بل كان يعني ذلك . اذ ان طريقة الكمائن خطة عسكرية طالما سار عليها المسلمون ، وهو السبب الذي جعل شارل مارتل لا يلاحق المسلمين في معركة بلاط الشهداء في ١١٤/٧٣٢ ، حين انسحاب المسلمين ، اذ خاف شارل الكمين .

٥١) مورفي ، تاريخ الامبراطورية الاسلامية في اسبانيا ، ٩٨ .

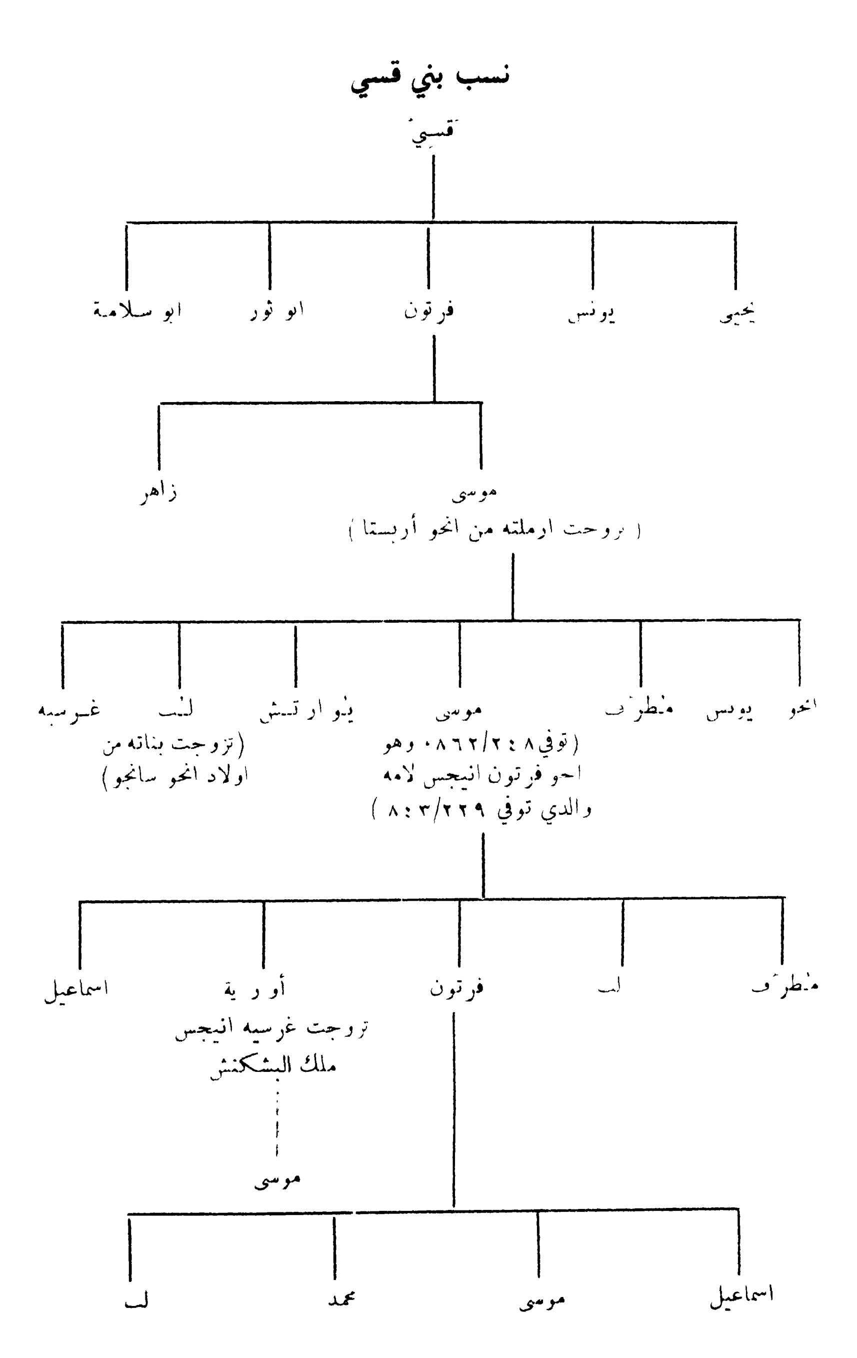


نسب بني تجيب
المهاجر
عبدالله
غميره
(دخل الاندلس مع موسى بن نصير
وكان حاكم برشلونة)
عبد العزيز
عبد الرحمن
حكم دروقه
عبد العزيز
محمد الاعور
(حكم سرقسطة)
المنذر
يونس
حكم
مطرف
عبد الرحمن
هاشم
يونس
محمد
هذيل
محمد
يحيى
ابراهيم
يحيى الزُّقَيْطر
عبد الرحمن

نسب بني مروان



نسب بني قسي



قسي
يحيى
يونس
فرتون
ابو ثور
ابو سلامة
موسى
(تزوجت ارملته من انحو أربستا)
زاهر
انحو
يونس
مطرف
موسى
(توفي ٨٦٢/٢/٢٤٨ وهو
اخو فرتون انيجس لامه
والذي توفي ٨٢٣/٢٢٩)
لب
(تزوجت بناته من
اولاد انحو سانجو)
غرسيه
مطرف
لب
فرتون
أوريه
تزوجت غرسيه انيجس
ملك البشكنش
موسى
اسماعيل
اسماعيل
موسى
محمد
لب

الاعلام و الاماكن التي وردت في هذا البحث

1 - Abenmeruàn el Gallego	عبد الرحمن بن مروان الجليقي
2 - Alange	الحنش (قلعة)
3 - Albelda	البلدة (موقعة)
4 - Alfonso	الفونسو
5 - Alhandega	الخندق (موقعة)
6 - Algarve	الغرب (كورة)
7 - Bobastro	ببشتر
8 Badajoz	بطليوس
9 - Banu Qasi	بنو قسي
10 - Barcelona	برشلونة
11 - Basques	البشكنش
12 - Calatayub	قلعة ايوب
13 - Cordoba	قرطبة
14 - Castile	قشتالة
15 - Daroca	دروقة
16 - Fartùn	فرتون
17 - Fernàn Gonzàlez	فرنان كونثالث
18 - Huesca	وشقة
19 - Galicia	جليقية
20 - Gaton	غاتون (قائد)
21 - Garcia iniguez	غرسيه انيجس
22 - Guadiana	وادي يانه
23 - Guazalete	وادي سليط (معركة)
24 - Inigo Arista	ونقه امجو اريستا
25 - Leon	ليون
26 - Mérida	مارده
27 - Navarra	نافار
28 - Ordono	اردونيو
29 - Oviedo	اوفيدو
30 - Pamplona	بنبلونه
31 - Ramiro	راميرو
32 - Ronscevalles	رونسفال او باب الشزري
33 - Santarem	شنترين
34 - Santiago	شنت ياقب
35 - Toda	طوطه
36 - Toledo	طليطله
37 - Tudela	تطيله
38 - Zamora	سمورة
39 - Zaragoza	سرقسطة

مصادر البحث

اولا – المصادر العربية

ا – المخطوطات

١ - البكري، ابو عبيد، المسالك والممالك ، مكتبه نور عثمانية (اسطنبول) ، رقم ٣٠٣٤، باريس ، المكتبة الوطنية ، رقم ٥٩٠٥ .

٢ - ابن حيان ، المقتبس ، القرويين ، فاس ، الجزء الثاني ، لا رقم له .

٣ - العمري ، ابن فضل الله ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، دار الكتب بالقاهرة ، رقم ٥٥٩ ، الجزء ١٦ قسم ١ .

ب – المطبوعات

٤ - اخبار مجموعة ، مجهول المؤلف ، ١٨٦٧ ، مدريد .

٥ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ت . ليفي بروفنسال ، ١٩٤٨ ، القاهرة .

٦ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٨٦٢ – ٦٥ ، ليون ، الجزء ٧ ، ٨ .

٧ - ابن حيان ، المقتبس ، ١٩٣٧ ، باريس . نشر الاب ملشور انطونية .

٨ - ابن خلدون ، العبر ، ١٩٥٨ ، بيروت ، المجلد الرابع ، القسم الثاني .

٩ - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ١٩٥٦ ، تحقيق ليفي بروفنسال .

١٠ - ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، ١٩٥٣ ، الجزء الاول ، القاهرة ، ت . شوقي ضيف .

١١ - ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ١٩٥٧ ، بيروت ، ت . عبدالله انيس الطباع .

١٢ - ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ليدن ، ١٩٥٨ ، تحقيق ليفي بروفنسال . الجزء الثاني .

١٣ - العذري ، احمد بن عمر ، نظام المرجان في المسالك والممالك ، طبع مركز الدراسات الاسلامية بمدريد ، ت . عبد العزيز الاهواني (تحت الطبع) .

١٤ - عنان ، محمد عبدالله ، دولة الاسلام في الاندلس ، ١٩٦٠ ، القاهرة ، جزءان .

١٥ - مؤنس ، حسين ، فجر الاندلس ، ١٩٥٩ ، القاهرة .

١٦ - المسعودي ، مروج الذهب ، ١٨٦٤ ، باريس ، الجزء الثالث .

ثانياً — المصادر الانجليزية

17 - Brockelmann, K., History of the Islamic Peoples (Eng. tr., by: J. Garmichael and M. Perlmann), 1959, London.

18 - Conde, J.A., History of the Dominion of the Arabs in Spain (Eng. tr., by: J. Foster), 1854, London, Vol: I.

19 - Hitti, P.K., History of the Arabs, 1961, London.

20 - Encyclopaedia of Islam (New Ed.), Vol: I.

21 - Murphy, J.C., History of the Mahometan Empire in Spain, 1816, London.

22 - Reinaud, J., Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerland (Eng. tr., by: Sherwani. H. K.), 1955, Lahore.

23 - Sayyid, F.M., A Short History of Islam, 1960, Oxford.

24 - Lane-Poole, S., The Moors in Spain, 1897, London.

ثالثاً — المصادر الاسبانية

25 - Lévi-Provencal, E., Historia de Espana Musulmana (Sp. tr. by: Garcia Gomez, E., ed. Menendez Pidal, R.,), IV, 1957, Madrid.

26 - Al-Andalus, مجلة ، Vol : XIX, 1954, Fasc. 2, Madrid.
فيه نص لابن حيان حققه ليفي بروفنسال .

البعد الاجتماعي
دراسة احصائية تحليلية

ليفون مليكيان

١

على الرغم من أننا نعيش في عالم سريع التطوّر ، فقلما نجد العناية متجهة الى دراسة النتائج النفسية التي يسفر عنها التغيّر الاجتماعي . وسواء اكان تغيير ما ، هدفاً بذاته لتخطيط معين ، ام نتيجة لاحقة له غير مقصودة ، فالتغيير خليق في الحالين ، ان يتبدى في حياة الأفراد وفي علاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر .

وقد تجلت قيمة هذا الموضوع ، وما له من شأن خطير ، في عدد من « مجلة القضايا الاجتماعية » " Journal of Social Issues " صدر سنة ١٩٦١ وخصّص لدراسته . ففي مقدمة هذا العدد ناشد آدلسون [١] العلماء ان يوسعوا نطاق البحث في هذا الميدان ، وحثهم على بذل مجهوداتهم ، بصرف النظر عن قلة ما بين ايديهم من الطرائق والنماذج الدراسية الصائبة التي لا يتطرق اليها الخطأ . وقد كان بين المقترحات التي حرص على ذكرها ، تكرار الدراسات النفسية السابقة التي تعنى بتفهم الشخصية والمواقف النفسية التي تتخذها الجماعات ، والتوسل بما تسفر عنه من المعلومات ، والاستعانة بدراسات التغير الطارىء على

١) Adelson, Joseph "Bleak Prospects", *Journal of Social Issues*, 1961, Vol. 17 pp. 2-4

فترة طويلة من الزمان . ومع ان هـذه الطرائق ليست مثالية ، فانها خليقة ان تعطينا فكرة مـا ، عن المواقف النفسية ونواحي الشخصية ، التي تكون عرضة للتغير ، وهـذا بدوره يسدي يدا الى تطوير النماذج الدراسية وتحسين اساليب البحث حتى تصير ادنى الى الدقة .

وقد وضعت هذا المقال، مجاراة لما اقترحه آدلسون ، وهو تقرير عن احدى دراستين اعدتها بعد مرور عشر سنوات ، وذلك في منطقة من الارض حصل فيها تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة .

اما المنطقة التي شملتها هـذه الدراسة ، فهي الشرق الاوسط العربي ، في الفترة بين ١٩٥١ - ١٩٥٢ والفترة بين ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، واما المواقف النفسية التي كانت موضوعها فهي : البعد الاجتماعي ، كما يقاس بطريقة بوغاردس [١] .

وقد تولى هذه الدراسة ، الدكتور اى . تري بروثرو [٢] ، احد اساتذة علم النفس في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكاتب هـذا المقال ، واجرياها معاً في ١٩٥٢ على الطلاب العرب في الجامعة الاميركية في بيروت ، ثم توليت تكرارها سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ في الجـامعة نفسها ، وعلى طوائف من الطلاب العرب ، لا يختلفون في مواطنهم ولغتهم - العربية - وسائر اوصافهم بوجه عـام ، عن الفئة الاولى . وفي الصفحات التالية نتائج دراسة « البعد الاجتماعي » هذه .

٢

ينبسط اصطلاح « الشرق الاوسط » في هذه الدراسة على البلاد العربية فيه ، وهي تشمل الاردن ، وسوريا ، والعراق ، والعربية السعودية ، ولبنان ، ومصر

---

١) Bogardus, E. S. *Immigration and Race Attitudes*, Heath, New York, 1928, p. 25.

٢) Prothro, E. T. and Melikian, L. "Social Distance and Social Change in the Near East" *Sociology and Social Research* Vol. 37 pp. 3-11.

(الجمهورية العربية المتحدة)، وامارات الخليج؛ اى البلاد التي وفد منها طلاب الجامعة الذين شملتهم هذه الدراسة .

وقد شهد الشرق الاوسط ، خلال الفترة بين الدراستين (١٩٥٢ — ١٩٦٢) تغييرات عميقة انبثقت منها ضروب جديدة من الاشكال والقوالب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولما كان المجتمع لم يبلغ بعد مرحلة الاستقرار ، فان هذه الاشكال لا بد ان تمضي في طريق التغير . وللمرء ان يقرر ان نهج الحياة في هذه البلاد قد تغير ، وان « المجتمع التقليدي في طريقه الى الزوال » وان المجتمع الجديد لا يزال في طريق التكوين ، ولكنه يشتمل ، فيما يتراءى للزعماء و« الاحزاب السياسية » واهل الفكر والثقافة ، على ناحية من نواحي الوحدة بين البلاد العربية ، والانتفاع الكامل بالموارد الاقتصادية في المنطقة ، انتفاعا يعود بالخير على اوساط الناس ولا يقتصر على المميزين منهم ، اى ان يصير مجتمعا ديمقراطيا اشتراكيا ، وأمة حديثة قوية تلعب دورا كبيرا في العالم . ويبدو ان تحقيق هدف عظيم كهذا الهدف ليس بالامر الميسر ، لانه يصطدم بمقاومة المميزين والمتربعين في مقاعد السلطان ، والذين يخشون الوحدة ، لسبب ما ، وبالصراع السياسي العقائدي . واما الدول الكبيرة، التي تكثر مصالحها المنوعة في المنطقة، فخليقة ان لا تقف موقف المتفرج مما يدور فيه . واذن فوضع يتصف بهذه الاوصاف ، هو وضع يغلب ان تنتابه ازمات متوالية وتوتر مستمر . ونحن نرى ان هذه الاحوال ستحدث تغييرا في مواقف الناس وسلوكاتهم . فالهدف في هذه الدراسة ، ان نفحص طبيعة هذا التغيير في ناحية محدودة من مواقف الناس الشخصية والاجتماعية .

٣

طلبنا من جماعة من الطلاب العرب (ذكورا واناثا) في الجامعة الاميركية في بيروت في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ ان يبينوا شعورهم حيال افراد من اوساط الناس ، يمثلون فئات قومية ودينية مختلفة ، وجُعِل اساس

الاختيار، المقياس الذي وضعه بوغاردوس لقياس البعد الاجتماعي، وعدله الاستاذ دُدْ Dodd [1]، وهو يشمل ستة اقوال رد عليها الطلاب ردودا مغفلة، اى غير موقعة لان الغرض منها دراسة نموذج احصائي لا الاطلاع على آراء فردية. وكانت هذه الجماعة مؤلفة من ١٠٨ طلاب وطالبات، منهم ٦٢ مسيحيا و ٤٦ محمديا، وكان ١٥ من المسيحيين و ١٢ من المحمديين من الطالبات.

اما الاقوال فكانت:

ا) لو كنت راغبا في الزواج لتزوجت واحدا (او واحدة) من هذه الفئة.

ب) اقبل ان ادعو احد افراد هذه الفئة الى تناول الطعام على مائدتي.

ج) افضل ان يكون احد افراد هذه الفئة من الذين القاهم في الشارع واتحدث معهم، وحسب.

د) لا استحسن مصاحبة احد افراد هذه الفئة

ه) اتمنى لو ان احد الناس قتلهم جميعا

و) لست اعرف شيئا عن هذه الفئة، وليس في وسعى ان اعرب عن موقف حيالها.

واذا استثنينا ازديادا يسيرا في عدد الطالبات في فئتي الطلاب المسيحيين والمحمديين لسنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣، بالمقارنة مع عددهن في الفئتين لسنة ١٩٥٢ فاننا قلما نجد فرقا في تكوين الفئتين اللتين اشتركتا في الدراسة. ولما كانت النتائج في الحالين على المعدل، لم تسفر عن فارق يذكر بين مواقف الطلاب ومواقف الطالبات، فقد دمجت نتائج استجابات الذكور والاناث في وحدات احصائية واحدة دون تفريق.

---

١) Dodd S.C., "A Social Distance Test in the Near East" *American Journal of Sociology*, 1935 Vol. 41, pp. 194 - 204.

الجدول الاول

معدل البعد الاجتماعي تجاه الجنسيات المختلفة

الجنسية		ا	ب	ج	د	ه	و	المعدل
اليابانيون	ا	١٠ (٠)	٢٥ (١٣)	٢ (١٥)	٣ (٦)	٠ (٢)	٢٢ (٢٧)	٢٤ (٤١)
	ب	٤ (٣)	٩ (١٢)	١٢ (٥)	٠ (٤)	٠ (٤)	٢١ (٢٩)	٣٣ (٣٥)
اللبنانيون	ا	٨ (٥)	٤ (٧)	١٠ (٤)	٣ (٠)	١ (١)	٠ (٠)	٣٥ (٢٧)
	ب	١٢ (٦)	٨ (١٤)	٥ (٥)	١ (٣)	١ (٠)	٠ (١)	٢٣ (٢٩)
السودانيون	ا	٠ (١)	١٢ (٧)	١٦ (٢٠)	١٢ (١٢)	١ (٠)	٢٠ (١٩)	٥١ (٥٢)
	ب	٠ (٠)	١٧ (١٣)	١٢ ١٥	٢ (٩)	٠ (٠)	١٤ (١٣)	٣٨ (٤٧)
السوريون	ا	٧ (١٤)	٢٥ (١٧)	١٢ (١٥)	٧ (٢)	١ (٠)	٢ (٠)	٣٦ (٢٨)
	ب	١٥ (١٦)	١٤ (١٢)	١١ (٧)	١٢ (٤)	٠ (٠)	١ (١)	٢٥ (٢٥)
السعوديون	ا	١ (١)	١٥ (١٠)	٦ (١٧)	٢٨ (١٤)	١ (٥)	١٦ (٩)	٥٦ (٥١)
	ب	٠ (٠)	١١ (١٨)	١٣ (١٣)	١٢ (٨)	٠ (٠)	٥ (١٠)	٥١ (٤٤)
الاتراك	ا	٢ (٥)	٣ (١٢)	١٠ (١٥)	٢٠ (١٢)	١٠ (١١)	١٧ (٧)	٦٨ (٥٠)
	ب	٥ (٤)	٦ (١١)	٧ (١٢)	١٦ (٨)	١ (١٠)	١١ (٩)	٥١ (٥٦)
الاميركيون	ا	٩ (١٤)	٣٠ (٣٧)	١٤ (٩)	٤ (٣)	٢ (٢)	٣ (١)	٣٣ (٢٧)
	ب	٨ (٥)	٢٣ (٢٢)	١٤ (١٦)	١ (٥)	٠ (٣)	٠ (٢)	٢٩ (٤٠)
الصينيون	ا	٠ (١)	١٦ (١٦)	٦ (١٦)	٢ (٨)	٢ (٠)	٣٦ (٢٤)	٤٠ (٤٥)
	ب	١ (١)	٥ (١٠)	٩ (٦)	٠ (٧)	٠ (١)	٣١ (٢٨)	٣٨ (٤٧)
المصريون	ا	٦ (٤)	١٩ (٣١)	١٣ (٢٠)	١٣ (٣)	٣ (٠)	٨ (٣)	٤٤ (٣٥)
	ب	١١ (٧)	٢٠ (٢٨)	٩ (١٥)	٢ (١)	٢ (٠)	٢ (٤)	٣٠ (٣٠)
الفرنسيون	ا	١٠ (١٦)	٢٧ (٢٤)	١٧ (١٣)	٢ (٥)	٠ (١)	٦ (١)	٢٩ (٢٩)
	ب	٢ (٥)	١٣ (١٩)	١٤ (٩)	٨ (٩)	٣ (٣)	٦ (٥)	٤٨ (٤٢)
العراقيون	ا	١ (٤)	٢٠ (١٧)	٢٠ (٢٣)	٩ (٨)	٠ (٢)	١١ (٤)	٤٣ (٤٠)
	ب	٥ (٥)	١٢ (١٧)	١٦ (١٧)	٦ (٥)	٠ (٠)	٣ (٤)	٤٣ (٤٣)

في السطر الافقي ترمز ا ، ب ، ج ، د ، ه ، و ، الى الاقوال الستة التي بني عليها القياس
الحرفان ا ، ب ، المتكرران في الخط العمودي بعد اسماء الفئات القومية يرمزان: أ الى المسيح
و ب ، الى المحمديين .

المعدل للدول العربية الست ا ٤٤،٢ (٣٩،٣)
ب ٣٤،٥ (٣٥،٥)

المعدل للدول غير العربية الخمس ا ٣٨،٥ (٣٨،٤)
ب ٣٩،٨ (٤٤،٠)

الجدول الثاني

معدل البعد الاجتماعي تجاه الفئات الدينية

الديانة		ا	ب	ج	د	ه	و	المعدل
ارمن	ا	٠ (١٠)	١٨ (١٥)	١٧ (١٣)	١١ (٥)	٠ (٢)	٣ (٨)	٤٦ (٣٦)
ارثودكس		٣ (٤)	١٠ (١٣)	١٤ (١٢)	١٧ (٨)	٠ (٠)	٢ (١٤)	٥١ (٤١)
دروز	ا	١ (٧)	٢٩ (٢٥)	١٤ (١٤)	٧ (٤)	١ (١)	١٠ (١٠)	٣٩ (٣٤)
	ب	٢ (٢)	١٤ (١٦)	١٤ (١٠)	٤ (٦)	٢ (٠)	٦ (٦)	٤٤ (٣٢)
روم	ا	١٠ (١٠)	١٤ (١٦)	٧ (٧)	١ (٢)	٠ (٠)	٤ (٢)	٢٤ (٢٦)
ارثودكس	ب	١ (٨)	١٩ (١٤)	١٠ (١١)	١ (٤)	٠ (٠)	١٤ (١٢)	٣٤ (٣٢)
اليهود	ا	١ (٤)	٥ (١١)	٨ (١٢)	١٢ (١٢)	٢٦ (٢٢)	٩ (٢)	٧٧ (٦٤)
	ب	٠ (٢)	٠ (٤)	٠ (٧)	١١ (٨)	٣٠ (٣١)	٥ (٣)	٩٣ (٨٠)
الموارنة	ا	٧ (١٢)	٢٣ (١٩)	١٠ (١٤)	١١ (٣)	٢ (٥)	٥ (١)	٤٠ (٣٦)
	ب	١ (٥)	١٢ (٨)	١٩ (١٦)	٥ (٧)	١ (١)	٨ (١٢)	٤٥ (٤٤)
البروتستانت	ا	١٤ (٢١)	١٧ (١٥)	١٢ (١٠)	٥ (٢)	١ (٠)	٣ (١)	٣١ (٢١)
	ب	٨ (٨)	٢٠ (٢٣)	١٣ (١٣)	٢ (٢)	٠ (٠)	٣ (٥)	٣٠ (٣٠)
	ا	١٠ (٢٦)	٢٠ (٢١)	١١ (٧)	٧ (٣)	١ (٢)	٥ (١)	٣٤ (٢٦)
كاثوليك	ب	١ (٥)	٢٠ (١٤)	١٣ (١٤)	١ (٢)	٠ (٠)	١٠ (١٢)	٣٥ (٢٨)
السنه	ا	٣ (٩)	٢٦ (٢٤)	١٥ (١٢)	٧ (٣)	٤ (١)	٧ (١٠)	٤٢ (٣١)
	ب	٢ (٥)	٤ (٥)	١ (٣)	٠ (٠)	٠ (١)	٠ (١)	٢١ (٢٧)
الشيعه	ا	٢ (٦)	١٦ (٢١)	١٩ (١٤)	١٢ (٦)	٣ (١)	١٠ (١١)	٤٩ (٣٧)
	ب	١٣ (٧)	١٦ (١٣)	٦ (١٥)	٦ (٥)	٠ (١)	٢ (٢)	٢٨ (٣٨)

		١٩٦٢	١٩٥٢
معدل موقف المسيحيين تجاه جميع المسيحيين	ا	٣٥	(٢٩)
معدل موقف المسيحيين تجاه جميع المحمديين	ب	٣٩	(٣٥)
معدل موقف المحمديين تجاه جميع المسيحيين	ا	٤٣	(٣٤)
معدل موقف المحمديين تجاه جميع المحمديين	ب	٣١	(٣٢)

يشتمل الجدولان (١ و ٢) على خلاصة استجابات الطلاب جميعا بالقياس الى الاقوال الستة التي تقـــدم ورودها ، ولم يستبعد منها الا استجابات الطلاب فيما يتعلق بالفئة التي ينتمون اليهـا قومية كانت او دينية . فاستجابات اللبنانيين عن اللبنانيين او السنيين عن السنيين لم تدخل في عمل تبويب مواقفهم الاجتماعية نحو اللبنانيين او السنيين .

وقد اجري حساب المعدلات ، على الاعتبارات التالية :

١) عُدَّت الموافقة على القول الاول ، ادناهـا الى قصر المسافة الاجتماعية (قلة البعد الاجتماعي) بين المستجيب وفئة واخرى ، واعطيت رقم (صفر) ، لان الموافقة على الزواج، بحسب القول رقم (ا) دليل على ان البعد الاجتماعي قليل جدا ، ان وجد .

٢) وعـدت الموافقة على القول الخامس (اود لو يقتلوا جميعا) ادلها على بعد المسافة الاجتماعية بـــين المستجيب وفئة اخرى واعطيت رقم (١٠٠) لان تمني القتل لفئة اخرى دليل على اقصى التباعد الاجتماعي ، بحسب القول (ه)

٣) واعطيت الارقام ٢٥ و ٥٠ و ٧٥ للاستجابات على الاقوال الثلاثـــة (ب و ج و د) على التوالى .

اما افتراض التساوي في البعد بـــين مواد الاختبار (اي الاقوال الخمسة الاولى من الاقوال الستة) فقد ايدته دراسات د.د. [١]

وتـــدل الارقام في السطر الاول لكل جماعة ، على المعدل (لفئة الطلاب المسيحيين مثلا) في سنة ١٩٦٢ وامـا الرقم الواقع بين قوسين فيدل على ما يقابله من معدل في سنة ١٩٥٢ . وتـــدل الارقام في السطر الثاني على مواقف جماعة الطلاب المحمديين .

---

١) Dodd S. C., "A Social Distance Test in the Near East" *American Journal of Sociology*, 1935 Vol. 41, pp. 194 - 204.

ففي السطرين الافقيين الاولين في الجدول الاول نجد – مثلا – في الخانة اليمنى كلمة « اليابانيون » وتليها خانة فيها حرف أ (دالا على المسيحيين) وامامة رقمان ثانيهما بين قوسين ، وتحته حرف ب (دالا على المحمديين) وامامه رقمان ثانيهما بين قوسين .

فاذا القيت نظرة على الجدول الاول الفيت مقابل فئة اليابانيين مثلا ، وكل فئة اخرى بعد ذلك ، سطرين وزعت ارقامها في سبعة مربعات . فالمربع الاول يشمل في سطره الاول استجابة المسيحيين للقول الاول (أ) عن الزواج ، حيال اليابانيين ، فتجد الرقم ١٠ وهو يدل على ان عشرة من المسيحيين يرضون ان يتزوجوا يابانيا (او يابانية) لو اعتزموا الزواج . واما الصفر بين قوسين وكل رقم آخر بين قوسين في هذا الجدول فيدل على الرقم المستخلص من الدراسة المماثلة التي سبق اجراؤها سنة ١٩٥٢ . وفي السطر الثاني نجد الحرف ب يرمز للمحمديين والرقم ٤ لعدد المستجيبين منهم عن القول الاول بالموافقة ، والرقم ٣ الواقع بين قوسين يشير الى عدد الاستجابات في دراسة ١٩٥٢ . وعلى هذا تجري بقية الارقام في الجدول الاول، الخاص بالفئات القومية، والجدول الثاني الخاص بالفئات الدينية .

واما المربع الاخير في نهاية السطرين الافقيين في كل من الجدولين وهو الواقع تحت لفظ المعدّل فيدل على المعدل العام ، للمستجيبين من المسيحيين والمحمديين عن الاقوال الستة ، حيال فئة اليابانيين -- وعلى هذا الغرار المعدلات العامة الخاصة بالفئات الاخرى .

ومراجعة الجدولين تبين ازدياد البعد الاجتماعى او نقصه ، حيال الفئات القومية بالقياس الى ما كان عليه هذا البعد في سنة ١٩٥٢ بحسب الدراسة السابقة، مدرجة تحت الحروف ا، ب، ج، د، ه، د، التي تشير الى الاقوال الستة.

٤

فالنتائج المجمعة من استجابات الطلاب المسيحيين تبين ازديادا في البعد

الاجتماعي بينهم وبين اللبنانيين والسوريين والسعوديين والاتراك والاميركيين والمصريين والعراقيين . ونتبين من النتائج المجمعة من استجابات الطلاب المحمديين ميلا الى ازدياد البعد عن السعوديين ، والى نقصه (اي ازدياد التقارب) حيال اللبنانيين والاتراك والاميركيين والمصريين ، واما بعدهم الاجتماعي حيال السوريين والعراقيين فلم يتغير . ومراجعة الجدول نفسه تبين نقصا في البعد الاجتماعي (اي ازدياد التقارب) بين فئتي الطلاب المسيحيين والمحمديين من ناحية وفئات اليابانيين والسودانيين والصينيين من ناحية اخرى .

اما فيما يتعلق بفئة الفرنسيين فالبعد الاجتماعي ، الذي قيس بهذه الطريقة ، قد ازداد بينهم وبين فئة الطلاب المحمديين ، وظل على حاله عند فئة الطلاب المسيحيين ، فاذا اخذ معدل البعد الاجتماعي فيما يخص ستة اقطار عربية هي السعودية ، السودان ، سورية ، العراق ، لبنان ، مصر ، وجدنا ان المعدل الناتج عن استجابات الطلاب المسيحيين يدل على ان بعدهم الاجتماعي عن هذه الاقطار قد زاد خمس نقاط ، وان المعدل الناتج عن استجابات الطلاب المحمديين ، يدل على ان بعدهم الاجتماعي عن هذه الاقطار قد نقص نقطة واحدة (اي زاد التقارب الاجتماعي نقطة واحدة)

واذا نظرنا في المعدل الناتج عن استجابات الفئتين ، فيما يخص خمسة اقطار غير عربية هي تركيا ، الصين ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، اليابان ، وجدنا ان البعد الاجتماعي بين الطلاب المسيحيين وبينها كان في سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ كما كان في سنة ١٩٥٢ ، واما البعد الاجتماعي بين الطلاب المسلمين وبين هذه البلدان فقد نقص اربع نقط وعشرين في المئة من النقطة ، اي ازداد التقارب .

وعلى اساس هذا التحليل الاحصائي، في وسعنا ان نقول ان الطلاب المحمديين صاروا في عشر سنوات ادنى الى العرب (نقص البعد الاجتماعي بحسب هذا المعيار) وصاروا ادنى الى قبول غير العرب مما كانوا في سنة ١٩٥٢ .

ومما يدل على وجود فارق بين فئتي الطلاب المسيحيين والطلاب المحمديين في

درجات استجاباتهم عن الاقوال الخاصة بقياس البعد الاجتماعي وجود تطابق بين نسبة الاجابة من الفريقين في اختباري ١٩٥٢ و ١٩٦٢ – ١٩٦٣ ، فمعامل الارتباط للفئة الاولى ٦٥ ، وللثانية ٨٢ ، واذن ففي الوسع ان نقول ان التغير في معدل البعد الاجتماعي حيال الفئات القومية هو اوضح في حالة الفئة الاولى (المسيحيين) منه في الثانية (المحمديين) .

فلنأخذ مجموعة الاجابات عن القولين (أ) و (ب) في مقياس البعد الاجتماعي ، وقد وصفناها بانها «اجابات مؤاتية» ولنأخذ ايضا مجموعة الاجابات عن الاقوال الثلاثة الباقية (ج) و (د) و (هـ) وقد وصفناها بانها « غير مؤاتية » ولنحاول ان نتبين هل هناك مغزى ذو شأن للفوارق في البعد الاجتماعي حيال الجماعات القومية الواردة في الدراسة ، كما قيس هذا البعد في الدراستين .

اذا اخذنا بعين الاعتبار معدل تكرار الاستجابات « المؤاتية » و « غير المؤاتية » حيال كل فئة من الجماعات القومية المذكورة ، وجدنا فارقين كبيرين يتبديان في مواقف الطلاب المسيحيين خلال السنوات العشر التي مرت بين الدراستين . احد هذين الفارقين يظهر حيال اليابانيين والثاني حيال الاتراك . ففي الحالة الاولى (اليابانيين) نجد ازديادا في الاستجابات « المؤاتية » التي سجلها المسيحيون، يبلغ مغزاها الاحصائي ١..، (واحد في الالف) وهو مبلغ ذو قيمة احصائية ، لانه يزيد كثيرا عما ينتظر وقوعه ، بالمصادفة . ويؤيد هذه النتيجة ارتفاع مرتبة اليابانيين من المرتبة السابعة في الدراسة السابقة (١٩٥٢) الى المرتبة الاولى في الدراسة الثانية (١٩٦٢ – ١٩٦٣) . ولعل هذا التغيير يرجع الى عوامل متعددة :

فاليابانيون قد بلغوا ،منزلة عالية في الصناعات التقنية والتجارة، تغري الطلاب المسيحيين بالاتجاه الى توثيق الصلات بهم . وقد يكون مردّ ذلك ايضا الى ان اليابان لا تتدخل تدخلا سياسيا في هذه المنطقة من الارض ، وليس في خططها ما يدل على انها معارضة لمصالح المسيحيين وخيرهم . ومن هنا يتبدى حسن ميل

المسيحيين اليها . اما في الحالة الثانية (الاتراك) فقد ازدادت الاستجابات «غير المؤاتية» حيال الاتراك ازديادا يبلغ مغزاه الاحصائي ٠.٣ ، (ثلاثة في المئة) وهو كبير ، مما يدل على ازدياد معدل البعد الاجتماعي بين فئة الطلاب المسيحيين والاتراك ، وربما عاد تفسير ذلـــك ، على التقدير ، الى تبدل المواقف نحو المسلمين باضافة الصفة الاسلامية الى الاتراك ، على حـــين كانوا في الدراسة السابقة ، اتراكا وحسب .

اما فيما يتعلق بفئة الطلاب المسلمين فليس هناك تغيير يذكر في استجاباتهم « المؤاتية » و « غير المؤاتية » حيال اية جماعة من الجماعات القومية المذكورة .

يبين الجـــدول الثاني ، معدل درجات « البعد الاجتماعي » لكل من فئتي الطلاب المسيحيين والمحمديين حيال الطوائف الدينية المختلفة . ومراجعة هــذا الجدول تبين ازديادا عاما في البعد الاجتماعي ، خــلال السنوات العشر الاخيرة التي مرت بين الدراستين . فمعدل البعد الاجتماعي بين فئة الطلاب المسيحيين من ناحية والطوائف المسيحية المختلفة قد زاد من ٢٩ في سنة ١٩٥٢ الى ٣٥ في سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ وزاد معدل البعد الاجتماعي ، عند هذه الفئة ، حيال الطوائف المحمدية (السنة والشيعة والدروز) من ٣٤ في سنة ١٩٥٢ الى ٣ ، ٤٣ في سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ والتحسن الوحيد الحـــاصل عند فئة الطلاب المسيحيين هو موقفهم حيال طائفة الروم الارثوذكس (اي ان مسافة البعد الاجتماعي عن هذه الطائفة قد نقصت) فمعدل البعد الاجتماعي بين الطلاب المسيحيين عامة من غير طائفة الروم الارثوذكس ، وطائفة الروم الارثوذكس ، قد نقص من ٢٦ في سنة ١٩٥٢ الى ٢٤ في سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ اي ان الطائفة الروم الارثوذكس ، ارتفعت في هذا المقياس من المنزلة الثانية سنة ١٩٥٢ الى الاولى ، سنة ١٩٦٢ — ١٩٦٣ .

اما مواقف فئة الطلاب المحمديين ، فلم نجـد فيها اتجاها معينا بينا . فمعدل البعد الاجتماعي للطلاب المحمديين حيال الطوائف المسيحية بوجه عـام زاد من

٣٥ في سنة ١٩٥٢ الى ٣٩ في سنة ١٩٦٢ – ١٩٦٣ ، فاذا نظرنا في موقف فئة الطلاب المحمديين حيال الطوائف المحمدية المختلفة ، وجدنا معدل البعد الاجتماعي في نقص من ٣٢ في سنة ١٩٥٢ الى ٣١ في سنة ١٩٦٢ – ١٩٦٣ ، ولو لا ازدياد بيِّن في معدل البعد الاجتماعي ، بين فئة الطلاب المحمديين عامة والطائفة الدرزية ، لكان نقص البعد الاجتماعي ، او ازدياد التقارب الاجتماعي ، بين فئات الطوائف المحمدية ، اكبر مما يدل عليه الرقمان ٣٢ (١٩٥٢) و ٣١ (١٩٦٢) .

وفي وسعنا ان نرى في الجدول الثاني ان معدل البعد الاجتماعي بين الطلاب غير السنيين والطائفة السنية قد نقص بمقدار ٦ نقاط ، ومعدل البعد الاجتماعي بين الطلاب غير الشيعيين حيال الطائفة الشيعية قد نقص ١٠ نقاط . وعلى اساس هذه الاحصاءات وتحليلها ، في وسعنا ان نقول ان الطوائف المسيحية تبدو في ١٩٦٢–١٩٦٣ اقل قربا بعضها من البعض الآخر ، ومن الطوائف المحمدية ايضا ، مما كانت سنة ١٩٥٢ . واما المحمديون فيبدو ، على اساس هذا الاحصاء ، انهم ادنى بعضهم الى بعض في سنة ١٩٦٢ – ١٩٦٣ مما كانوا في سنة ١٩٥٢ ، الا فيما يتعلق بالطائفة الدرزية ، التي زاد معدل البعد الاجتماعي ، بينها وبين سائر المحمديين من ٣٢ الى ٤٤ اي ١٢ نقطة . ويبدو ايضا ان المحمديين ادنى الى تقبل المسيحيين من المسيحيين للمحمديين . فازدياد البعد الاجتماعي بين المسيحيين والمحمديين كما يبدو في استجابات المسيحيين ، هو ضعف ازدياد البعد الاجتماعي بين الفريقين كما يبدو في استجابات المحمديين .

ولكي نقرر هل لهذا التغير او لاحد وجوهه مغزى خاص ، جمعنا مرة اخرى درجات استجابات الطلاب المشتركين في الدراسة وقسمناها قسمين ، قسم الاجوبة « المؤاتية » وقسم الاجوبة « غير المواتية » ، على غرار ما تقدم في الصفحة ٧٣–٧٤ .

وقد تبينا من تحليل استجابات الطلاب المسيحيين المشتركين في الدراسة ، ازديادا في الاستجابات «غير المؤاتية» حيال طوائف الروم الكاثوليك ، والسنة ،

والشيعة ، واليهود ، اذ بلغت بحسب اختيار « كا تربيع » الرياضي الاحصائي ۰٫۰۲ ، و ۰٫۰۳ ، و ۰٫۰۱ ، على التوالي . امـا فيما يخص الطلاب المحمديين فليس ثمة سوى تغيير واحـد كبير ، هو ازدياد الاستجابات « غير المؤاتية » حيال اليهود بلغت قيمته بالاختبار نفسه ۰٫۰۱ ، وكذلـك ازدياد الاستجابات « المؤاتية » من قبل المحمديين غير الشيعيين حيال طائفة الشيعة ، فقد بلغت بالاختبار نفسه ۰٫۰٥ ،

ومع ان مراتب الفئات الدينية لم تكد تتغير بعضها حيال البعض الآخر ، فان معدل البعد الاجتماعي ، البين في استجابات المحمديين ، حيال اليهود والارمن والبروتستانت والدروز جدير بالذكر .

فالفرق الاكبر في هذه المقاييس يقع حيال اليهود . فاليهود كفئة لا تزال في اسفل التصنيف ، وليس ذلـك واقعا وحسب ، بل قد زاد ايضا معدل البعد الاجتماعي ، البين في اجابات المسيحيين والمسلمين ۱۳ نقطة في ۱۹٦۲ – ۱۹٦۳ على مـا كان عليه في سنة ۱۹٥۲ . وهذا التغيير يدل في اغلب الرأي ، على توتر العلاقات بين العرب واليهود فيما يتعلق بقضية فلسطين ، التي لم تكن في سنة ۱۹٦۲ – ۱۹٦۳ اقرب الى الحل منها في سنة ۱۹٥۲ .

ونحن نجـد في المواقف حيال الارمن ، ازديادا في البعد الاجتماعي يبلغ ۱۰ نقاط ، نتبينها في اجابات المسيحيين والمسلمين ، ويبدو ان هذا الاتجاه معاكس لما كانت عليه الحالة سنة ۱۹٥۲ ، كما تبيناه ، من مقابلة دراستنا في تلك السنة بدراسة د ، د ، لسنة ۱۹۳۷ . ولعل هذا التغيير يعكس موقفا سلبيا متزايدا حيال جماعة من الاقليات لها مكانتها الاقتصادية الراسية ، ولكنها لا تبذل مجهودا كافيا لـكي تندمج في مجموعة حضارية اوسع نطاقا من حدودها الخاصة .

اما مواقف المسيحيين غير البروتستانت حيال البروتستانت فقد ساءت بعض الشيء . وقد يعزى ذلك الى ان البروتستانت بوجه عـام ادنى الى العطف على الآمال العربية ، من بعض الجماعات المسيحية الاخرى . فطائفة البروتستانت

هي اصغر الطوائف المسيحيةفي المنطقة ، واقلها عـددا . وثمة من المسيحيين من ينظر اليهم على انهم خرجوا على الكنيسة الام — سواء اكانت الكنيسة المارونية ام كنيسة الروم الارثوذكس ، واعتنقوا مذهبا دينيا اجنبيا . وبرغم هذا فانهم يأتون في المقام الثاني بين الطوائف فى اعتبار الطلاب المسيحيين .

ويبدو ان حالة الدروز في نطاق الجماعات المحمدية، مماثلة لحالة البروتستانت في نطاق الجماعات المسيحية . وقد تقدم معنا ان معدل البعد الاجتماعي بـين المحمديين والدروز زاد ١٢ نقطة في ١٩٦٢ — ١٩٦٣ عما كان عليه في سنة ١٩٥٢، وقد يُردّ ذلك الى عامل ذي شقين: فقد يكون ثمة شيء من التساؤل عن عطفهم على الآمالالعربية من ناحية وقد يكون هناك شيءمن الاستنكار لحيودهم الديني من ناحية ثانية ، وكلاهما لا يلقى قبولا عند جميع المسلمين ، ولكنه قد يدل في الوقت نفسه على تماسك الدروز كطائفة ، وعلى كونهم اصغر الطوائف المحمدية .

وصفوة القول ان الزيادة اليسيرة في البعد الاجتماعي التي دلت عليها استطلاعاتنا الاحصائية بـين ١٩٥٢ و ١٩٦٢ حيال الفئات الدينية والقومية المختلفه ، يمكن تعليلها في ضوء التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية ، التي وقعت في المنطقة خلال هذه المدة . وفي وسعنا ان نقول بوجه عام ان اثر هذه التطورات في نفوس الذين اشتركوا في هذه الاستطلاعات بالرد على اسئلتها ، يشير الى قلق مرده الى شعور بعـدم الطمأنينة مهما تتباين بواعثه ، حملهم على التقارب من جماعاتهم الخـاصة ، والابتعاد قليلا عمن ينتمي الى جماعات اخرى دينية او قومية . [وضعت هذه الدراسة في قالبها العربي باشراف مؤلفها]

مدينة فاس في التاريخ

نقولا زياده

١ – قيام المدينة وبناء جامع القرويين

أسست فاس في ايام ادريس الاكبر سنة ١٧٢ (٧٨٩) ، وذلك بعد ان ضاقت وليلي به وبجماعته وبمن وفد عليه من اهل المنطقة . ويبدو ان النقود ضربت في فاس هذه منذ سنة ١٨٩ . وبعد ذلك بمدة ذهب ادريس الازهر بن ادريس الاكبر الى فاس ليستوطنها . ولما كان مولعا بالبناء والتجديد ، على غرار ما عرف عن كبار اهل الحكم في العالم الاسلامي ، فقد بنى هو الآخر مدينة جديدة على الطراز الشرقي الافريقي وذلك في سنة ١٩٣ (٨٠٩) . وقد سميت اولا العالية . ولكن بسبب كثرة من رحل اليها من القيروان وما اليها فقد عرفت فيما بعد باسم مدينة القرويين .

وفي سنة ٢٠٢ (٨١٧) قدم الى ادريس الازهر القرطبيون المعروفون باسم « ثوار الربض » . ذلك ان ثورة قامت في قرطبة ضد الحكم اميرها ، فقام الحكم باخمادها وفرق الثوار ثم امر من بقي منهم ، وهم كثرة ، بالخروج من الاندلس . فانصرف بعضهم الى فاس . فتلقاهم ادريس هناك ، واستقروا على الضفة الشرقية

---

*) شغلت فاس المؤرخين بسبب الدور الكبير الذي قامت به على مسرح التاريخ ولا تزال تقوم به. فقد ظلت عاصمة المغرب الثقافية ، ومركز حضارته الادبية والفكرية ، على ما اعتورها من محن ومصائب . وشهادة المؤرخين والرحالين العرب دليل على ذلك على ما يبدو في هذا المقال

من النهر ، وانشأوا تدريجيا مدينة اندلسية الشكل والنمط ، وهي الـتي سميت فيما بعد مدينة الاندلسيين او عدوة الاندلس [١] .

ولما تم للأمام الاكبر ادريس بناء المدينــة ، وحضرت الجمعة الاولى ، صعد المنبر وخطب الناس ، ثم رفع يديه في آخر الخطبة وقال « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة . وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيــا . اللهم وفق سكانها وقطانهــا للخير واعنهم عليه واكفهــم مؤونة اعدائهم وادر عليهم الرزق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقــاق انك على كل شيء قدير [٢] » .

ومما يتصل بفاس ، وان كان تــأخر عن بناء المدينة قليلاً ، انشاء جامــــع القرويين . وقد روى خبر بنائه ابن القاضي في جذوة الاقتباس قال :

« ذكر ابو القاسم بن جنون وغيره في تأريخ فاس انه لما كثر الواردون عليها في ايام يحيى بن محمد بن ادريس ، كان ممن قدم عليها ووفد اليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهري ، ونزل بعدوة القرويين مع اهل بلده الذين وفدوا معه . فمات وترك ابنتين وهما فاطمة المدعوة بأم البنين ومريم وتحصّل لهما بالارث مال كثير طيّب من والدهما . ورغبتا ان تصرفاه في وجوه من اعمال البر . فاعلمتا باحتياج الناس الى جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين بالناس . فشرعت فاطمة في بناء جامع القرويين ، ومريم في بناء جــامع الاندلس . اما جامــــع القرويين فـكان الشروع في حفر اساسه ، والأخذ في امر بنائه ، يوم السبت مهلّ شهر رمضان المعظّم من عام خمسة واربعين ومائتين . وكان بموضعه الذي بنى فيه ارض لمعمر الخضر ، وفيها اشجار لرجل من هوارة ، كان قد حاز ذلك ابوه بوجه جائز صحيح حين اسست المدينة حرسها الله بمنّه ، فاشترتها منه فاطمة المذكورة ودفعت ثمنها من مالها الحاصل لها بالميراث من ابيهــا ، وتطوّعت ببناء الجامــــع المذكور . فحفر في ارضه واخذ منه التراب والكذان لبنيانه ، وحفرت فيها بئر

لأخذ الماء لبنيانها ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفاء، الذي اسسه ادريس ابن ادريس بعد مشورة اهل العلم واجتهادهم في ذلك. وبنى من اربع بلاطات من قبلة الى جوف، في كل بلاط اثنا عشر قوسا من شرق الى غرب. وجعل محرابه بمقدّم البلاط الذي امام الثريا الكبرى اليوم. وجعل بمؤخره صحن صغير وصومعة حيث العنزة اليوم، وتم على نحو ما ارادته، وذلك بمطالعة الامير يحيى. ولم تزل صائمة من يوم اسس الى ان كمل وصلّت فيه شكرا لله تعالى الذي وفّقها لذلك. ولم يزل على نحو ما ذكر في ايام الادارسة الى ان اتصلت العمارة واتصل البناء في ارض المدينة من سائر الجهات. وجرى امر زناتة في ارض المغرب في سنة سبع وثلاثمائة فأزيلت الخطبة من جامع الشرفاء واقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره. فصنع له منبر من خشب الصنوبر وكان اول خطيب خطب عليه بها الشيخ الصالح ابو محمد عبد الله بن علي الفارسي. وان الذي اقام الخطبة اذ ذاك هو الامير حامد بن حمدان الهمداني عامل عبدالله الشيعي على بعض بلاد المغرب، بعد ان كان تغلّب عليها مصالة بن حبوس. ولم يزل كذلك الى ان تقوى ظهور زناتة بالمغرب فاستدعاه الناصر لدين الله عبد الرحمن المرواني ملك الاندلس. ثم لما ولى عليها عاملا له من زناتة يعرف بأحمد بن ابي بكر الزناتي، وكان من اهل الفضل والدين، كتب الى الناصر يستأذنه في بناء الجامع واصلاحه والزيادة فيه، لحاجة الناس الى ذلك. فأذن له وبعث اليه بمال كثير من اخماس غنائم الروم، وامره ان يصرفه فيه. فاصلحه وزاد فيه اربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق وثلاثة من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه. وجعل بمؤخر الصحن الذي به الان وفي غرب هذا الصحن بلاطان وفي شرقه كذلك وفي جوفه بلاط واحد بعد ان هدم الصومعة التي كانت به، وبنى به الصومعة التي به الان. ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه منها احدى وعشرين شبرا، ويصعد لها على مائة درجة ودرجة، وجعل بابها منجهه القبلة. وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الاصفر. وتمّ العمل في بنائها في شهر ربيع الاول من سنة خمس واربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن. وجعل في اعلاها قبة

صغرى ووضع في ذروتها تفافيح مموّهة من ذهب في زج من حديد، وركّب في الزج المذكور سيف الامام ادريس الذي اسس المدينة » .[٣]

٢ – الموحدون وتطور المدينة

ومع ان عصر فاس الذهبي هو عصر بني مرين ، فأن المدينة كانت ، حتى قبل ذلك ، مهبط اهل العلم ، لانها جمعت علم المشرق والمغرب ، اي علم القيروان وقرطبة ، واضافت الى ذلك الكثير من تفكير ابنائها بالذات .

وقد خلف لنا غير مؤلف وشاعر وصفا لفاس . فمن ذلك وصف جغرافيي العرب في القرن الرابع . ونجتزىء من ذلك على اثنين هما ابن حوقل والمقدسي . قال ابن حوقل : « وفاس مدينة جليلة يشقّها نهر . وهي جانبان يليهما اميران مختلفان ، وبين اهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتّصل . ونهرها كبير وغزير الماء عليه ارحية كثيرة . وهي مدينة خصبة مفروشة بالحجارة ، احدثها ادريس بن ادريس. في كل يوم من ايام الصيف يرسل في اسواقها من نهرها الماء ، فيغسلها فتبرد الحجارة . وجميع ما بها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق والخانات فزائد على سائر ما قرب منها وبعد في ارض الهبط موقعه ، وظاهر بكثرته حدّه وموضعه، ومستفاص بوفوره مكانه ومرفقه».[٤]
وقال المقدسي: « فاس بلدان جليلان كبيران كل واحد منهما محصّن، بينهما واد جرّار عليه بساتين وارحية، قد استولى على احدهما الفاطمي وعلى الاخر الاموي. وكم ثم من حروب وقتل وغلبة . بناؤها مدر وحصنهما طوب . وبها قلعت شميت ، بناها ابن البوري واخرى على الوادي بناها ابن أحمد . وهو بلد كثير الخيرات والتين والزيتون »[٥] .

وممن وصف فاس عبد الواحد المراكشي الذي تحدث عنها ايام الموحدين اذ قال في المعجب: « ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه. اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة اذ كانت قرطبة حاضرة الاندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب . فلما اضطرب امر القيروان كما ذكرنا بعبث

العرب فيها ، واضطرب باختلاف بني امية بعد موت ابن ابي عامر وابنه ، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة . فنزل اكثرهم مدينة فاس فهي اليوم على غاية الحضارة ، واهلها في غاية الكيس ونهاية الظرف ، ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم . ومـا زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب . وبحق ما قالوا ذلك ، فأنه ليس بالمغرب شيء من انواع الظرف واللباقة في كل معنى الا وهو منسوب اليها ، وموجود فيها ، ومأخوذ منها . لا يدفع هذا القول احد من أهل المغرب . ولم يتّخذ لمتونة والمصامدة مدينة مراكش وطنا ولا جعلوها دار مملكة لانها خير من مدينة فاس في شيء من الاشياء ، ولكن لقرب مراكش من جبال المصامدة وصحراء لمتونة . فلهذا السبب كانت مراكش كرسي المملكة . والا فمدينة فاس احق بذلك منها . وما اظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس اكثر مرافق واوسع معايش واخصب جهات . وذلك انها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها ويتخلل الانهار اكثر دورها زائدا على نحو من اربعين عينا ينغلق عليها ابوابها ، ويحيط بها سورها . وفي داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء . ولا اعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج الى شيء يجلب اليها من غيرها ، الا ما كان من العطر الهندي ، سوى مدينة فاس هذه. فأنها لا تحتاج الى مدينة في شيء مما تدعو اليه الضرورة، بل هي توسع البلاد مرافق وتملؤها خيرا » . (٦)

وثمة وصف لعالم من علماء فاس ايام الموحدين هو عثمان السلالجي (او السلالقي) ، من قلم تلميذه ابي الحسن بن عتيق قال فيه : « وخاف الله تعالى فراقبه ، وعمل بمقتضى ما علم فشرح صدره وعلمه علم ما لم يعلم، ووهبه من الفهم لخطاب الشارع صلى الله عليه وسلم والتفقه فيه ، والعلم بمقاصده ، والكشف لمعانيه ، ومن التحقيق والتنسيق ، والتحرير والتدقيق ، ما يقصر عن وصفه اللسان وتكل دون البلوغ الى كنهه الاذهان . واتقى الله تعالى فوقاه ، وتوكل عليه فكفاه ، واهتدى بهديه فوفقه وهداه ، وجعل له من امره يسرا ومخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ووضع البركة في علمه وعمله . ورزقه من الصبر

والاحتمال وحسن الخلق والعشرة والادب وحركاته وسكناته ، حتى تقيدت افعاله كلها باحكام الشرع ، وجرت على مقتضيات اوامر الباري تعالى واذنه. واقتدى بهدي السلف الصالح رضي الله عنهم ففتح له وعلى يده فتحا خرق العادة، وحرك النفوس ، وقامت به الحجة على المبطلين ، مع حداثة سنه، وقلة تمكنه مما يجده غيره من المال والجدة وسعة الحال . فساد اقرانه ورأس اخوانه ، وشرف جيرانه ، وزين عصره ووقته وزمانه . اسأل الله تعالى ان يجعل البركة في عمره ورزقه ، وان ينفعه ويكفيه كل هم » . [٧]

وفي بلاط ابي عنان المريني تحدث ابن بطوطة عن اسفاره – قص اخباره على السلطان نفسه وعلى خواصه وعلى العلماء . فاعجب السلطان بها ، ولذلك صدرت ارادته الى الرحالة بأن « يملي ما شاهده في رحلته من الامصار ، وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ، ويذكر من لقيه من ملوك وعلمائها الاخيار واوليائها الابرار » . [٨] ووضع السلطان كاتبه ابن جزى تحت تصرف الرحالة . فكانت لنا من ذلك هذه المتعة الادبية التي ننعم بقراءتها فنطلع على كنز من المعرفة ، فنذكر بالخير الرحالة والسلطان وابن جزى .

٣ – فاس عاصمة بني مرين

الا ان مدينة فاس تقدمت واتسعت في ايام بني مرين اذ اتخذوها عاصمة لملكهم لما استقر امرهم في البلاد. والذي يعود اليه الفضل في انشاء الدولة والعاصمة الجديدة لها هو ابو يوسف . فأنه « لما عزم امير المسلمين ابو يوسف على بناء مدينة يتخذها دار ملكه وقرار سلطانه ويسكنها هو وحاضرته وحشمه ، ركب يوم الاحد الثالث لشوّال من سنة اربع وسبعين وستمائة وخرّج معه العرفاء والبنائين واهل المغرفة بالصنائع . فتخيروا موضعها على وادي فاس ، وشرع في حفر اساسها . واخذ طالع ذلك الفقيه المعدّل ابو الربيع سليمان الغيّاش وابو عبد الله محمد بن الحبّاك . وكان تأسيسها في طالع سعيد ووقت يمن وبركة زمزّية دلّ على طول بقائها وكثرة عمارتها واتصال خيراتها وما يجيء اليها من الاموال .

فكانت والحمد لله مدينة مباركة . فاتخذها دار ملكه وملك بنيه وعقبه من بعده ، يجيء اليها جميع خراج المغرب . ومن بركتها وسعادتها ويمن طالعها انها لا يموت فيها خليفة ، وانها لم يخرج منها قط جيش الا ظفر ، ولم يعقد قط بها لواء الا نصر . ومصداق ذلك ان امير المسلمين ابا يوسف ، الذي اختطها وبناها وشيدها وبنى اسوارها وجامعها واسواقها واتخذها دا ملكه وقرار سلطانه ، توفي رحمه الله غائبا عنها في المدينة التي بناها امام الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس. ثم ولده الخليفة بعده امير المسلمين ابو يعقوب توفي بقصره في بلدته الجديدة التي بناها بتلمسان، وهو محاصر لها، فاستوطنها ومتنها واتخذها حضرته الى ان توفي بها. كذلك حفيده الخليفة بعده وهو الامير ابو عبد الله بن ابي يعقوب المذكور توفي بقصره بقصبة طنجة. وكذلك اخوه الوالي بعده ابو الربيع سليمان فأنه توفي ايضا بقصبة رباط تازا. ولما تم سور هذه المدينة السعيدة فاس الجديدة بالبناء ، امر ببناء الجامع الكبير بها للخطبة فبني على يد ابي عبد الله بن عبد الكريم الجدودي وابي علي بن الازرق وابي مكناسة والنفقة فيه مال معصرة مكناسة . ولم يخدم في بناء هذا الجامع الكبير مع المعلمين الا اسرى الروم الذين قدم بهم من الاندلس . وفي شهر رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة تم الجامع المذكور بالبناء وصلى فيه . وفيها ابتدىء بعمل منبره الذي به الآن على يد المعلم الغرناطي الرصاع . واول خطيب خطب به الفقيه المحدث ابو عبد الله محمد بن ابي زرع . وفي اول جمعة من شهر رمضان المعظم من سنة ثمان وسبعين وستمائة تم المنبر بالعمل، وخطب عليه. وفي يوم السبت السابع عشر لشهر ربيع الاول من سنة تسع وسبعين وستمائة علقت الثريا الكبرى بالجامع المذكور . وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مائة كأس وسبعة وثمانون كأسا . وكان الصانع لها المعلم الحجازي، والانفاق فيها من جزية اليهود . وفي شهر رمضان من سنة تسع المذكورة بنيت المقصورة بالجامع المذكور . وفيها بنى في المدينة المذكورة الاسواق من باب القنطرة الى باب عيون صنهاجه ، وبنى بها حماما عظيما ، وامر رحمه الله عماله ووزراءه ببناء الديار بها فبنى كل واحد

منهم دارا » .(٩)

ولبني مرين يرجع الفضل في تقوية مركز المدينة علميا . فقد وسع ابو عنان خزانة القرويين وبنى المدرسة البوعنانية . وقد جاء في جنى زهرة الاس: « واما خزانة الكتب التي يدخل اليها من اعلى المستودع الذي بها فأنه لما كان من رأي ابي عناء، رحمه الله تعالى ، حبّ العلم وايثاره والاهتمام به والرغبة في انتشاره ، والاعتناء باهله ومتحمليه والتودّد لقرّائه ومتحليه ، انتدب لصنع هذه الخزانة واوسع على طلبةالعلم بأن اخرج لها من الكتب المحتوية على انواع من علوم الابدان والاديان واللسان والاذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوّع ضروبها واجناسها ، ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الاوفى . وعيّن لها قيّما لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة. واجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعنايةوذلك في جمادى الاولىسنة خمسين وسبعمائة.واما خزانةالمصاحف التي امر بها مولانا امير المؤمنين ابو عنان ، رحمة الله تعالى ، في قبلة هذا الجامع الناطقة بالخير الجامع انشىءعلىحسنها ما لم يسبقه اليها احد من ايمة هذهالاصقاع. فأنه رحمه الله تعالى صوّرها في ذهنه الثاقب المبين ثم ابرزها لمن صنع شخصها الجليل الحصين . فابدأ من ذلك ما هو المعهود من حسناته المأثورة وسهّل بها على الناس تلاوة القرآن ، في كل وقت من الازمان . واعدّ فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجليلة السنية ، وأباحها لمن اراد التلاوة فيها ، بعد ان كتب على كل شخص منها بخط يده لتوقيعها مرّ الاعوام والليالي والايام، ونجز لها من قيّد لاخراجها من هذه الخزانة وابرزها وردّها لصيانها في موضعها واحرازها ، وذلك عند الفراغ من حاجة الناس اليها . فلا يبدل ذلك ولا يغير الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . واجرى لذلك جراية واسعة وكرامة ورعاية وكتب فوق هذه الخزانة ما نصّه الحمد لله امر بانشاءهذه الخزانة السعيدةمولانا امير المؤمنين المتوكّل على ربّ العالمين عبد الله فارس أيّد الله امره واعزّ نصره بتأريخ شهر شوّال سنة سبعين وسبعمائة ، رزقنا الله خيرها . واما زاوية القرّاء البهية التي امر بها مولانا المستعين رحمه الله في شرقي

هذا الجامع مسافتها على ساباط هنالك ، وجعل لقبليّها وجوفها من صنـــاعة الخرط والتزيين بالاصبغة ما يهيم به المارّ والسالك ، ورتب فيها قرّائين يتـلون القرآن ، ويجتهدون بطول السبعة ايام وعلى مرّ الازمان » . [١٠]

ولأبي سعيد المريني فضل على المدارس كبير ، انشأ المدرسة العظمى . « وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في فاتح شعبان منها امر السلطان ابو سعيد ايضـا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس ، وهي المعروفـة اليوم بمدرسة العطارين . فبنيت على يد الشيـخ ابي محمد عبد الله بن قـــاسم المزوار . وحضر السلطان ابو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء واهل الخير حتى اسست وشرع في بنائها بحضره . فجاءت هذه المدرسة من اعجب مصانع الدول بحيث لم يبـــن ملك قبله مثلها . واجرى بها ماء معينا من بعض العيون هنالك. وشحنهابالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بامرها ، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم . واجرى على الكل المرتبـات والمؤن فوق الكفـاية . واشترى عدة املاك ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى . وسياتي التنبيه على ما بناه ابنه ابو الحسن من ذلك يام ولايته وحافده ابو عنان وغيرهما ان شاء الله . وبالجملة فقـــد كان لبني مرين جنوح الى الخير ومحبة في العلم واهله ، تشهد بذلك آثارهم الباقية الى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها » . [١١]

ولعلّ خير ماوصفت به فاس في ايام بني‌مرين هو ما جاء في‌روض القرطاس، لابن ابي زرع، من مؤرخي عهدهم واعلامه : « ومدينة فاس لم تزل ام بلاد المغرب في القديم والجديد وهي الآن قاعدة ملوك بني مرين اطال الله ايامهم واعلى امرهم وخلـّد سلطانهم فهي منهم في المحل الرفيـع والشكــــل البديـع . وقد جمعت مدينة فاس بين عذوبة الماء واعتدال الهواء وطيب التربة وحسن الثمرة وسعت المحرث وعظيم بركته وقرب المحطب وكثرة عوده وشجره . وبها منازل مونقة وبساتين مشرقة ورياض مورقة واسواق مرتبـة منتشقة وعيون منهمرة وانهـار متدفقة منحدرة واشجار ملتفة وجنات دائرة بها مجتمعة . وقـــالت الحكماء احسن مواضع المدن ان تجمع خمسة اشياء وهي النهر الجـاري والمحرث الطيّب

والمحطب القريب والسور الحصين والسلطان ، اذ به صلاح حالها وامر سبلهـــا وكـّف جبابرتها . وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصـــال التي هي كال المدن وشرفها وزادت عليها بمحـــاسن كثيرة . فلها المحرث المعظم سقيـــا وبعلا على كل جهة منها ما ليس هو على مدينة من مدائن المغرب ، وعليها المحطب في جبل بني بهلول الذي في قبلتها ، يصبح كل يوم على ابوابها احمال حطب البلوط والفحم مـــا لا يوصف كثرة . ونهرها يشقها بنصفين وينشعب في داخلها انهـــارا وجداول وخلجانا فتتخلل الانهار ديارها وبساتينها وجناتها وشوارعها واسواقها وحماماتها، وتطحن به ارحاؤها ، ويخرج منها وقد حمل اثقالها واقذارها ورماداتها . ومن فضائل هذا النهر ما ذكره ابن جنّـون المتطبّب انه ينبه شهوة الجمـــاع اذا شرب على الريق ، ويغسل به الثياب من غير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصا ورائحة طيبة ، كما يفعل الصابون ، ويخرج منه الصدف الحسن الذي يقوم مقـــام الجوهر النفيس، تباع الحبة منه بمثقال ذهب واقل واكثر، ولذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه ويخرج فيه ايضـــا انواع من الحوت ... وهو حوت لذيذ الطعم كثير المنفعة. وعلى الجملة ان نهر مدينة فاس يفوق مياه المغرب في العذوبة والخفة وكثرة المنفعة » . (١٢)

٤ ــ عالم في فاس

وقد وصل الينا من قلم ميمون الخطابي ذكره لاساتذته وشيوخه مما يدل على ما كان يحيط بطالب العلم في فاس من عناية ايام الموحدين. قال الخطابي: « انـــا ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي. وبنو خطاب في قبائل من المغرب والبربر. فبنو خطاب في صنهاجة ، وفي هسكورة من ملزوزة ، وفي ورغة من مكنـــاسة ورغة ، وفي غمارة من صنهـــاجة الريف ، وفي بني ابي عدى بالحـــامة . وانا من الصنهاجيين . فهذا النسب حميري يمني قحطاني . وامـــا مولدي فبمدينة فـــاس ، قاعدة من قواعد المغرب ، واكثر قراءتي بها على الجـــلة الذين لحقت . واكبرهم جدى من الام علي بن مهدي القيسي ، وعن الفقيه العالم الفاضـــل ابي الحسن بن

حرزهم وتقول العامة (ابن حرازم) وصحب ابن دوناس من كبار العلماء بها . وقرأت على جماعة في هذه الطبقة . وقرات في سبتة على ابن عبيد الله الحجري. سمعت الموطأ والبخاري ، وكتاب السنن عليه . وقرأت بها الرسالة القشيرية على ابي الصبر . وكانت لهر حلة الى المشرق والاندلس ولحقت مـــن الاندلس من لا احصيه كثيرة . واكبرهم شأنا ابو محمد القرطبي وابو الحجاج بن الشيـخ البلوي . وقرأت بالمنكب على الفقيه القاضي ابن سمجون وكان عالي الرواية يحمل عـــن الحافظ ابي بكر بن العربي ، وعن ابن نفيس عن الطبري ، بالحرم شرفـه الله . ولحقت من اصحاب شريح المقرىء ثلاثة : ابا نصر التلمساني وابن حسون ببياسة، وابن المؤذن بمالقة ، واجازوني ، وفي غرناطة جماعة من اقران ابي ابن كوثر ، ومن اصحابه ، وفي مرسية جماعة وبها تمت قراءتي على الفقيه القاضـي ابي محمد حوط الله مدة كونه قاضيا بها . وقرات بشاطبة على الحافظ ابي عمر بن عـات رحمه الله . ولحقت بوادي آش الحافظ ابن عمر شارح الموطأ باحسن شرح رئي . وفي اشبيلية لحقت بها من المتأخرين ابـا الحسن بن زرقون ونطرائه . وفيهـــا قرأت على ابي الخطـــاب بن واجب في اهل بلنسية ، وكان من اهـل الرواية والفضيلة . وكتب لي ابو عبد الله بن نوح من بلنسية . وسمعت بمالقة خمسةاجزاء من تواليف ابيالربيـع الكلاعيعلى ابيالربيـع المذكور. وكنت سمعت بها، فساقه الله وساقها الي ، وقرب القصد علي . وقرأت بشلب عن ابي فـــاروق الشارح قصيدة ابن عبدون ما لليالي ، ولحقت بها ابن عمر احد الرواة بهـا . وقرأت في طبيرة على صاحبي الحافظ بن خلفون . واما من لقيت وقرأت عليه من علمـاء الادب وايمة اللغة والشعر والنحو ، ومن العلمـــاء بطريق الآخرة اعني المتصوفة فمن لا احصيه كثرة . واما سني فمـا اضبط تاريخه لكني اعلم اني في السبعـين حقيقة . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » .(١٣)

٥ – شعر في فاس

ومما جاء في وصف فاس شعرا قول ابو الفضل ابن النحوي

يا فاس منك جميع الحسن مسترق ... وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هذا نسميك ، ام روح لراحتنا ... وماؤك السلسل الصافي، ام الورق؟
ارض تخللها الانهار داخلها ... حتى المجالس والاسواق والطرق

وقول القفيه ابو عبد الله المغيلي يتشوق الى فاس وكان يلي خطة القضاء بمدينة آزمور

يا فاس حيا الله ارضك من ثرى ... وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي اربت على ... حمص بمنظرها البهى الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ... ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت ... بجداول كالايم او كالمقصل
وبجامع القروين شرف ذكره ... انس بذكراه يهيج تململ
وبصحنه زمن المصيف محاسن ... فمع العشى الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا به ... واكرع بها عني -فديتك- وانهل

المراجع والتعليقات

١) زياده ، نقولا . لمحات من تاريخ العرب، بيروت مكتبة المدرسة ، ١٩٦١ ، ص

٢) كنون ، عبدالله، النبوع المغربي ، بيروت، مكتبة المدرسة، ١٩٦١، ج ٢ ص٣١ .

٣) ليفي بروفنسال ، أ ، نخب تاريخيه ، باريس ، لاروز ، ١٩٤٨ ، ص ٢٢ - ٢٤ . نقلا عن « جذوة الاقتباس » لابن القاضي .

٤) ابن حوقل ، ابو القاسم محمد، صورة الارض ، ليدن ، بريل ، ١٩٣٨ ، ص ٩٠ - ٩١ .

٥) المقدسي ، ابو عبدالله محمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، بريل ، ١٨٧٧ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

٦) كنون ، عبدالله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ج ٢٨ ، عبد الواحد المراكشي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، (لا . ت.) ، ص ٢٧ - ٢٨ .

٧) كنون ، عبدالله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ج ١١ ، عثمان السلالجي ، تطوان، معهد مولاي الحسن ، (لا.ت.) ص ١٨ - ١٩ .

٨) ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ١٩٣٤ ، ص ٤ .

٩) نخب تاريخية ص ٤٩ — ٥٠ . نقلا عن « الذخيرة السنية » .

١٠) نخب تاريخية ، ص ٦٧ - ٦٩ . نقلا عن « جنى زهرة الآس »

١١) الناصري ، ابو العباس احمد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤ ج ٣ ص ١١٢ .

١٢) نخب تاريخية ، ص ٢١ — ٢٢ — نقلا عن « روض القرطاس » لابن ابي زرع .

١٣) كنون ، عبدالله ، ذكريات مشاهير رجال المغرب ، ج ٧ ، ميمون الخطابي (تطوان لا . ت) ، ص ١٢ .

مكتبة الأبحاث

الصوفيون

المؤلف : ادريس شاه
كاتب المقدمة : روبرت غريفز
الناشر : دبلداي وشركاه سنة ١٩٦٤
عدد الصفحات : ٢٦ و ٤٠٤

The Sufis by Idries Shah
with an introduction by Robert Graves
New York, Doubleday & Co. Inc. 1964.
pp. XXVI + 404

المراجع : الدكتور سيد حسين نصر ، استاذ كرسي اغا خان للدراسات الاسلامية في الجامعة الاميركية في بيروت

يروق المطالع ان يقبل على كتاب في التصوف يُظَنّ ان واضعه شيـــخ من مشايخ الطرق الصوفية . لان الكلمة الاخيرة في التصوف انما هي لاربابه لاغير . ولكنه سرعان ما يجده — على غزارة اخباره وسعة المـامه بشؤون التصوف — خلواً من العاطفة الكريمة التي يتميز بها التعبير الصوفي ، ذلك لان القارىء لا يجد فيه تعبيراً عن الروحانية الاسلامية ، وانما الذي يجده ، هو عرض للتصوف تعمد واضعه طمس المعالم الاسلامية فيه ، وابرازه بصورة نظـــام من المذاهب السرية الخفية .. « السابحة في الهواء »

ان واضع الكتاب الذي نحن بصدده مؤلف معروف . الف بالانكليزية عدداً من الكتب عالج في احدها « السحر الشرقي » حيث حاول ان ينقل الى القارىء

الغربي صورة شاملة للتصوف. وذلك بعد ان يعترف في مقدمته بأن اثبات الرسالة الصوفية بالوسائل الكتابية ليس من الامور السهلة . والذي يبدو ان روبرت غريفز ، واضع هذه المقدمة ، هو الذي دفع المؤلف للقيام بهذه المحاولة . والحق ان تقديمه لكتاب في التصوف هو من ابرز المفاجآت في هذا الكتاب . وبعد هذه المقدمة التي تعد القارىء لتقبل الموضوع ، يقدم ادريس شاه كتابه بكلمة موجزة يصفه فيها انه مفرغ في قالب صوفي، وانه موجه الى اولئك القراء الذين يستهويهم الطريق الصوفي في نظامه الخارجي ان لم يكن في فلسفته الروحية. ثم يتبع ذلك بفصول تتصل بمحتوياتها لا بعناوينها وتبسط أشتاتاً من الشؤون الصوفية .

ففي الفصول الاولى يأخذ المؤلف في سرد حكايات واقاصيص ، بعضها مروي عن ايوب وخواجه ناصر الدين ، على انها اقاصيص صوفية تستبطن المعاني البعيدة. ومع ان بعض شروحه تستثير الاعجاب وتحظي بالقبول ، الا ان بعضها الآخر بعيد المحمل كثير التعسف. ثم ينتقل الى الحديث عن عدد من اعلام التصوف هم : سعدي والرومي وابن عربي والغزالي والخيام . محاولاً اظهار اهميتهم الصوفية . وهنا ايضاً ينثر في تضاعيف المعلومات القيمة عن هؤلاء العمالقة الكثير من الرموز العددية والابجدية التي اقل ما يمكن ان يقال بشأنها انها تصرف انتباه القارىء الغربي الذي لا عهد له بالابجدية العربية عن متابعة الموضوع الذي هو في صدده . ولعل ابرز قضية وردت في هذا المجموع من الفصول هي ان الخيام لم يكن « لا ادرياً » بل كان « ادرياً » يمثل منزعاً خاصاً من منازع التصوف. على ان قوله ان الخيام « انما هو تعبير عن منهج خاص من مناهج التعليم الصوفي » (ص ١٦٨) يبقى بلا تزكية ولا شرح .

ويتبع هذه الفصول فصول اخرى تبحث في تأثير التصوف في بعض المنظمات والافراد . نظير جمعية الكاربوناري ، وجماعة البنائين الاحرار ، وفي السحر والكيمياء الاسطورية ، ومنظمة غارتر ، ورهبنة القديس فرنسوا ، وكذلك في العلم والفلسفة بوجه عام في الغرب اللاتيني . ويلي هذه الابحاث احاديث عن

رتشرد بورتن ، والكولونيل كلارك مترجم عوارف المعـــارف للسهروردي الى الانكليزية . ويعتبر ادريس شاه هـاتين الشخصيتين من متصوفة الغرب ، وهو اعتبار يفتقر الى كثير من التزكية والايضاح قبل ان يحظى بالقبول والرضى .

هذا الشوط في مضمار التأثير الصوفي في الغرب، في العصر الوسيط والحديث، تتلوه رجعة الى موضوع الصوفية بالذات ، وبحث في الطريق الصوفية ، وصـلة الشيخ بالمريد ، يستغرق عدة فصول اخرى ، مؤداها ان احداً لا يستطيـع ان يمـارس الطريق الصوفي الا بارشاد الشيخ المباشر (ص ٣٤٦) . فاذا فهم هذا التوجيه فهماً جيداً زالت اكثر العقبات التي تعترض القارىء في اقسام الكتـاب الاخرى .

ويتحول المؤلف في فصله الاخير الى ما يعتبره التـأثير الصوفي في الشرق على الزهد الهندي ونزعة زن البوذية ، مثبتاً عدداً من النتائج التي مـازالت موضوعاً للمناقشة ومثاراً للشك ، وذلك دون ان يزكيها بدليل خارج المشابهات الشكلية الواردة بين الصوفية الاسلامية من جهة والنزعة الباطنية الهندية والبوذية من جهة اخرى ، مما لا ينطوي على اي تفاعل تاريخي . وربما اتهم المؤلف هنا بمثل الخطأ الذي انزلق فيه الذين يذهبون الى ان التصوف دخيـل ، غـافلين عـن اصوله الاسلامية . ويلي الفصل الاخير جـدول من الهوامش والشروح ، وملحقـان موجزان لبعض التعابير والمصطلحات الصوفية، وينتهي الكتاب على هذه الصورة بلا فهرس ابجدي .

ان اخطر ما يمكن ان يوجه الى هذا الكتاب من نقد هو انه يغفل ، على مـا يبدو ، عقلية من هو موجه اليهم من القراء . فهنالك مؤلفات وضعها بعض اعلام التصوف ، وصلات نشأت لهم بالعالم الغربي ، لم تفد شيئاً . ذلك لان هؤلاء ، مع انهم من الثقات الواقفين على شؤون العالم الاسلامي ، لكنهم لم يكونوا على علم بالعالم الحديث الذي يخاطبونه، فاخفقت لذلك رسالتهـــم . ان من كان واسع المعرفة بحضارة الغرب لا يعذر مطلقـــاً ان هو اعتبر رائعة رافل الموسيقية - بوليرو - ناشئة من الانغام الصوفية (ص ١٥٥) او ان الرهبنة الفرنسسكانية

تقوم على اســاس الطريقة الكبراوية (ص ٢٣٠ - ٢٣١) ، مضللاً بهذا العرض الغريب للتصوف ، القراء الغربيين ، ومحدثاً مذهباً روحياً زائفاً مضافاً الى النظم الروحية والمذاهب الشمولية الكثيرة التي يغصّ بها الغرب . ولعل هذا بالذات هو ما يرمي اليه المؤلف حيث يقول: « لقد كان عدد وافر من الصوفيين يعيشون ويعملون في الغرب، لكن الظروف الموافقة لخلق الجو المنـاسب، ونشوء حركة انتقال جديدة الى العالم الغربي، لم تظهر الا في الماضي القريب » (ص ٢٨٥) .

اما الخطأ الفادح الذي ارتكبه المؤلف،والذي يشوّه معنى التصوف بالذات، ويدفع الى خطر اعتبار التصوف مذهباً آخر مضافاً الى العديد من امثـــاله من المذاهب الدينية الزائفة، فهو ان المؤلف يبدو وكأنه يتعمد الاستخفاف بالشريعة وبسائر التقاليد الاسلامية . فهو عندما يقول « مما يمنع المتصوف من ان يدعو الى مذهبه جهاراً ان الرجل الذي كبلته التقاليد الدينية ، والآخر الذي انقـاد الى سلطان المادة ، لا يستطيعان ان يفهماه » (ص ١٢٠) . وكذلك في حديثه عن جلال الدين الرومي حيث يقول : « فهو يرى ان قدمـاء المبشرين بالديانات كانوا على حق ، لكن خلفاءهم - الا القليلين منهم - قد نظموا الامور بحيث تحاشوا التحرر الفكري» (ص ١١٨). فهو هنا يقتصر على تزكية الروح المنـاوئة للدين والمعارضة للتقليد الديني، المسيطرة في هذا العهد على النفوس، والتي ربما حاولت تهديم التقاليد الدينية . وهذه التقاليد لا غنى للتعليم عنها ، لان التعلـيم الروحي لايمكن تحقيقه الا ضمن اطار من الشعائر . لذلك لا يتجلى للقارىء ان التصوف في اساسه فلسفة الهية تابعة للشريعة ، وان هذين الاصلين هما معاً من مقومـاته الاساسية . وهذا الاستخفاف بالشريعة بل التشويه لها يرافقه تحويل للتصوف الى ضرب من السحر الخفي، ومنهج مشبوه للتلاعب بمدلولات الحروف والارقام، في حين انه لا يذكر الا القليل عن الجـانب الفلسفي الذي لابد للقـارىء الغربي من الوقوف عليه قبل الاقبال على المباحث العارضة نظير رموز الاحرف والارقـام التي تقوم في وضعها الخاص على اساس مشروع .

وهنالك اعتبار آخر يتجلى في سياق الكتاب هو عدم التمييز بـين التصوف

من حيث هو نظام روحي اسلامي ، وبين النظم الروحية الاخرى التي كثيراً ما تـُعرَّف – واحياناً على لسان بعض المتصوفين انفسهم – بانهـا المذهب الفلاني او الفلاني من مذاهب التصوف . ولقد اورد المؤلف على غلاف كتابه ان الصوفية تعود في نشأتها الى نحو اربعة آلاف سنة ، فاذا كان المقصود النظام الروحي الاسلامي فهذا لا يرتقي الى اكثر من ١٤٠٠ سنة ، وقد كانت نشأته من التعليم الاسلامي ، والا فالصوفية التي يتحدث عنها هي النزعة الروحية العامة ، وهذه ربما نشأت مع آدم ابي البشر ، ولا يمكن لذلك تعيين تاريخ محدد لها . هـذا الاختلاط هو السبب في الالتباس الذي وقع فيه المؤلف عند الحديث عن تـأثير التصوف في بعض النظم الروحية الاخرى لاسيما في الغرب ، اذ اختلط عليه التصوف الاسلامي بنظم دينية اخرى لا تكاد تمت الى التصوف بصلة . بل ان المؤلف يتمادى في غيه فيسفه الصوفية الهندية (اليوجا) والصوفية البوذية (٣٣٨) . وغريب حقـاً ممن يرفع نفسه الى مستوى « المفكر العالمي » ان يتدنىّ الى تسخيف الملل الدينية المنحدرة من وحي الهي .

ومع ان الكتاب يزخر بالمعلومات التاريخية والادبية ، فـان هنالك الكثير من القضايا العارضة التي ليست بنجوة من الانتقاد. من ذلك ترجمة بعض القصائد الفارسية المباينة للاصل كما نجد على الصفحة ٤١ . كذلك ترجمة « التجلي » بمعنى المشاركة في الرياضة المركزة (ص ١٢٨) ، والجزم بان جـلال الدين الرومي وابن عربي تلاقيا في بغداد (ص ١٣٣) ، مع انه مكان لشك قوي ، والانتقاد المستغرب الموجه الى دانتي بانه سلخ عن ابن عربي سمة التصوف الاصيلة (١٤٠) ، والقول بان باراسلسوس تلقى تدريبه الصوفي في تركيا (ص ٢٠٤) الامر الذي يفتقر الى ادلة تدعمه ، ان لم يكن من قبيل الافتراض والتخمين .

على اننا لا نرى موجبا لمتابعة هذا البحث ، وذلك جريا على القيـاس الذي وضعه المؤلف نفسه اذا قال : « ان الصوفي متى اراد ان يقيّم شخصاً مـا ، او يتخذ موقفاً من تعاليمه ، لا يحتاج الى اكثر من مثال يقيس عليه » . والامثـلة التي مرت بنا تكفي لتكشف عن الاخطار الكامنة في تضـاعيف العديد مـن

صفحات هذا الكتاب . ولما كان هذا الكتاب قد افرغ في اسلوب شعبي مثير ، فقد استرعى الكثير من الانتباه في الغرب ، وغدا الباب الذي اطل منه كثير من الناس على التصوف لاول مرة. ومع انه خليق باداء الكثير من الحقائق الهامة الى القارىء الراسخ في علم التصوف ، لكنه قد يتحول ، في اكثر الحالات، الى سبيل مفضٍ الى صوفية زائفة، متى استهدف قارئوه سلوك « سبيل روحي » غير معتصمين بدين الهي هو الضامن الوحيد لفاعلية ذلك السبيل الروحي . وعلى ذلك فمن المستطاع ان تستحدث في الغرب صوفية زائفة قياساً على ما فيه اليوم من فيداوية وبوذية زائفة . فغني عن البيان ان تحقيق الرابط العضوي بين الصوفية والشريعة هو وحده خليق بان يكشف طبيعة التصوف الحقة وينقذها من هذا الخطر . وفي ما يتعلق بهذه القضية الاساسية فان اقل ما يمكن ان يقال عن هذا الكتاب ، هو انه اخفق فيغايته ، وقصر في اتخاذ الحيطة التي لا بد منها لدىعرض التصوف للعالم الحديث عرضاً جدّياً .

الوثائق العربية

دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة في الجامعة الاميركية ببيروت ، ١٩٦٣ ، ٨٤٧ ص من القطع الكبير

من المسلم به أن الوثائق التاريخية مرجع لا معدى عن اعتماده بين جملة المراجع الأخرى عند دراسة أي موضوع تاريخي . لكن بالرغم من شأنها العظيم فانها لم تنل بعد من عناية الباحثين واولى الأمر في الاقطار العربية ما هي جديرة به . وليس هناك بين دارسي تاريخ العرب الحديث من لا يشكو من صعوبة جمع الوثائق وأحيانا من الوصول اليها واستخدامها . فهي مبعثرة هنا وهناك في أمكنة ومنشورات متباعدة يصعب الوصول اليها .

وعليه فان المعني بتاريخ العرب المعاصر يرحب بهذا المشروع الضخم الذي تضطلع به دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة في الجامعة الاميركية ببيروت، وهو جمع قدر كبير منتخب من الوثائق السياسية العربية يعين الباحث

على دراسة الاوضاع السياسية في مختلف اقطار الجناح الشرقي من العالم العربي . ومجموعة الوثائق التي هي موضوع هذه المراجعة خاصة بسنة ١٩٦٣ ، وهي حلقة من الحلقات السنوية التي تعتزم دائرة الدراسات السياسية اخراجها. هذا علاوة على المشروع الضخم الثاني التي تقوم الدائرة بالاضطلاع به وهو اصدار مرجع سنوي في اربعة اجزاء (باللغة العربية واربعة تقابلها باللغة الانكليزية) وهي تضمّ اهم الاحداث السياسية والتطورات الاجتماعيــة في دول المشرق العربي مرتبة حسب تسلسلها الزمني ومستقاة من المصادر العربية الأولية .

ولقد قصر المشرفون على هذه المجموعة جهدهم على دول المشرق العربي—وهي تشمل الجمهورية العربية المتحدة والسودان والمملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية والجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية والكويت. ولا تضم المجموعة الوثائق الهامة كافة «فقد اخرجت عمدا من نطاقها ، مثلاً ، التشريعات والمراسيم والقوانين الادارية والفنية البحتة، وكذلك اخرجت المعاهدات الثنائية والمتعددة الاطراف بين الدول العربية من ناحية والدول غير العربية من الناحية الاخرى ، فالغاية انما هي ان تعكس هذه المجموعة اكثر مـــا تعكس التطورات السياسية الداخلية في الدول العربيـــة والتطورات في العلاقات بين هذه الدول ذاتها، لذلك لم يتقيد المشرفون بالمفهوم التقليدي القانوني للوثيقة واعتبروا التصاريح والخطب والمقابلات والبيـــانات والبرامج الحزبية وغيرها كلها وثائق هامة ... »

والمشروع من حيث تركيزه على التطورات السيـاسية الداخلية في الاقطـار العربية في المشرق جدير بأن يعد اسهاما نافعـاً في هذا الباب لا مثيل له في سائر انحاء المشرق العربي .

على انه كان من الممكن ان يتجـاوز المشرفون على المشروع ادخال محـاضر محادثات الوحدة بين الجمهوريةالعربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية، هذه المحادثات التي تحتل حوالي نصف المجموعة ، وذلك لان محـــاضر

الوحدة نشرت اكثر من مرة وباستطاعة المعني بالوثائق المتعلقة بمشروع الوحدة ذاك ان يحصل عليها بسهولة . ولو ان المشرفين على المشروع ادخلوا بدلا من تلك المحاضر مزيدا من البيانات والتصريحات الرسمية والحزبية لجـاءت بمجموعتهم اغنى مما هي عليه الان . على ان هذا لايقلـل بحال مـا من قيمة المجموعة ومـن فائدتها العظيمة . ونرجو للقائمين على هذا المشروع النجاح والتوفيق .

عروبة المدن الاسلامية

ناجي معروف (ط ١ ، مطبعة العاني ببغداد ، ١٩٦٤)

هذا البحث ، على قصره ، يسد فراغـا كبيرا في المكتبة العربية ويسهم اسهاما قيما في الدراسات الاسلامية . فالموضوع الذي يعالجه المؤلف ، وهو عروبة المدن الاسلامية ، لم ينل بعد ما يستحقه من اهتمام المعنيين بدراسة التاريخ والمجتمع الاسلاميين على وفرة المراجع عن الموضوع وبالرغم من ان دراسته كفيلة بالقاء اضواء كاشفة على شتى وجوه الحياة في العصور الاسلامية الاولى .

صدر المؤلف بحثه بنظرة في مراجع الخطط تناول فيها كتب الخطط التي تبحث في المدن واشباه المدن من قلاع وحصون واسواق ، وكتب التراجم ومعاجم البلدان وكتب الجغرافيـة والتاريخ العام والادارة وكتب المساجد والمدارس والديارات ومدارس الطب ، وكتب الرحلات وتواريخ المدن والحضارة والعمران والكتب العلمية . وقد جاءت معالجته للمراجع خير مرشد لطلبة التاريخ الاسلامي ، واوضح دليل على غنى المراجع العربية بالمادة عن المدن .

اما البحث فقد جاء في قسمين : قسم يدور حول بناء المدن في الجاهلية والاسلام ، وقسم اورد فيه المؤلف اسماء المدن العربية قبل الاسلام وفي العصور الاسلامية المختلفة .

والفكرة الاساسية التي يدور حولها البحث هي عروبة المـدن الاسلامية :

« ان الامر الذي لا يمارى فيه ، ولا يدع مجالا للشك ، والذي حفظه لنـا

التاريخ، وايدته الوثائق التاريخية والآثارية: ان مؤسسي هذه المدن العظيمة، اوبناتها كانوا عربا صرحاء، في اسمائهم وقبائلهم وعقائدهم. وان كثيرا من هذه المدن. بُنيت على وفق الطراز العربي على الرغم من انها كانت في ارض غير عربية، بل واصبحت هي الطراز العربي كما يشاهد ذلك في اسبانيا والبرتغال وصقلية وخراسان والهند حتى اليوم».

واورد المؤلف شواهد تؤيد فكرته. فقد ذكر في جداوله اسماء المدن وبناتها ووجد ان عددا لا يستهان به من المدن التي تحمل اسماء غير عربية هي من انشاء العرب. وقد ادخل المؤلف في عداد المدن، تلك التي ذكرها البلدانيون باسم حصون او قصور او اسواق تطورت الى مدن وقرى كبيرة وبقيت تحمل اسماءها الاولى.

وتناول المؤلف مسألة تحريات العرب عند تخطيط المدن فبحث في تحرياتهم لاختيار مواقع المدن كعنايتهم بقيمة الموقع من الناحية الحربية وصلاحيته من الناحية الصحية. ونوه باهتمام العرب بهندسة المدن وتجنبهم للارتجال فكانوا يصنعون تصاميم على الرماد او الارض او الجلود واحيانا يصنعون نموذجا مجسما للبناء.

والبحث بعد هذا مفيد لكل دارس للتاريخ الاسلامي. ونرجو ان يكون مقدمة لمؤلف اوسع عن المدينة الاسلامية وتخطيطها ومرافقها واحيائها.

محمود زايد

احياء التراث القديم

١ - اعلام الورى

بمن وُلّيَ نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى - تأليف محمد بن طولون الصالحي الدمشقي - تحقيق محمد احمد دهمان - مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، في وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.

بيّن محقق هذا المصدر التاريخي النفيس، الاستاذ محمد احمد دهمان، في مقدمته ان العصر المملوكي من اولى العصور بالدراسة والتحليل والاعتبار لاتصاله

الوثيق بهذا العصر، في الثقافة والتفكير والأخلاق والعادات، في سورية وفلسطين ولبنان ومصر والحجاز واليمن بل في العالم الاسلامي عامة. فالأسواق والحمامات والخانات والقيسريات والجوامع والمساجد والمدارس جلّها مملوكية، وكذلك امهات الكتب مثل الفية ابن مالك، وكتب ابن هشام، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزبادي، وكتب النووي في الفقه الشافعي، ووفيات الاعيان لابن خلكان، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وتاريخ ابن خلدون ومقدمته، ونهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي وغيرها كثير.

وقد عني البحاثة الفرنسي هنري لاوست بترجمة « اعلام الورى » لمحمد بن طولون الى الفرنسية مع كتاب آخر لابن جمعة المقّار، ونشرهما المعهد الفرنسي للدراسات في الشرق بدمشق عام ١٩٥٢. وقد رأت لجنة التاريخ والآثار في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم في دمشق ان قيمة « اعلام الورى » وخطره يقتضيان طبعه ونشره حرصا على تسهيل سبل البحث والاستقصاء امام المؤرخين والباحثين والمحدثين، وكلّف الاستاذ دهمان، من قبل وزارة الثقافة والارشاد القومي، القيام على تحقيقه واعداده للطبع، ففعل ذلك على افضل وجه، ووضع للطبعة التي بين ايدينا مقدمة وافية - اختصرنا من حقائقها الزاخرة هذه المراجعة - واضاف اليها ثلاثة ملاحق حافلة بالحقائق التاريخية النفيسة عن موكب الغوري حين خروجه من القاهرة الى دمشق لحرب السلطان سليم العثماني، ووصف دخول الغوري دمشق، ووصف المواكب في دمشق زمن الاتراك العثمانيين.

ومما اورده المحقق عما لهذا الكتاب من خطر عظيم ذكره في الصفحتين و،ز من المقدمة، ما يلقاه الانسان في دمشق حيث سار من اسماء مملوكية اصبحت اعلاما على الاحياء التي توجد فيها (جامع التيروزي، حمام التيروزي، سوق جقمق، حارة الشالق وغيرها) واشارته الى مراسيم كثيرة توجد في دمشق وما حولها من قرى وبلدان، وتعود الى عهد المماليك وتحتاج الى نقلها وحل ما فيها من

الكتابة . اما الكتب التي تتحدث عن العهد المملوكي فممتلئة بالاخبار والحوادث عن مصر والقاهرة ولكن ثمة حاجة الى الكتب التي تذكر الحوادث والاخبار في البلاد الاخرى التابعة للقاهرة و«اعلام الورى » في طليعتها. واخيرا يعد الجانب الاول من العهد العثماني في سوريا عهدا غامضا،واخبار جان بردى الغزالي ونيابته في دمشق واعلان استقلاله فيها وانفصاله عن الدولة العثمانية ، نادرة في المصادر العربية ، فلذلك كانت الاخبار المفصلة في كتاب ابن طولون ذات قيمة تاريخية .

اما مؤلف الكتاب فهو محمد بن علي بن محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي ، أمه رومية كانت تحسن لغة الاروام ، وقد اختلف الثقات في تفسير « رومية» ، فاسعد طلس قال انها تركية وهنري لاوست وصفها بالفرنسية بانها يونانية . وليس ثمة من الوثائق ما يقطع بانه من سلالة الامير احمد بن طولون مع ان احد اجداده اسمه خمارويه، ولكن محمد مصطفى زيادهاستنتج بان جده الاعلى هو ابن طولون .

وقد ولد سنة ٨٨٠ ﻫ وتوفي ٩٥٣ ﻫ وهو من اسرة تجار اشتغل بعض رجالها بالعلم، ومؤلفاته في التاريخ تبلغ نحو الخمسين مؤلفا نشر بعضها في عصرنا، ومجموع ما يسند اليه من التآليف ٧٤٦ مؤلفا منها ما هو عدة اوراق وحسب ومنها ما هو عدة مجلدات .

وعلاوة على تحقيق الكتاب استنادا الى نسخة مصورة عن الاصل المخطوط ضمن مجموع كان في خزانة آل الجوهري في نابلس ، اضاف الاستاذ دهمان الى الملاحق الثلاثة التيتقدمذكرها عشرة فهارس باسماء نواب دمشق مرتبة علىاحرف الهجاء ، وبالاعلام ، وبالابناء (ابن بيدمر ، ابن الخياطة) وبالكنى، وبالشعوب والطوائف ، وبالاماكن والترب والجوامعوالمساجد والانهار والجبال ، وبالكتاب ، وبالكلمات المردودة الى العهد المملوكي ، وبالكلمات المشروحة بالتعليقات ، وبالاشهر والسنين .

٢ – الازمنة والانواء

تأليف ابي اسحق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الأجدابي المتوفي حوالي سنة ٦٥٠ هـ ، حققه الدكتور عزّة حسن ، منشورات مديرية احياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٤

وهذا كتاب آخر ، من التراث العربي القديم ، عنيت به مديرية احياء التراث القديم ، في وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق ، وعهدت في تحقيقه ، تمهيدا لنشره الى الدكتور عزة حسن ، فأحسن القيام بالمهمة ، بين تصحيح التصحيفات التي كثرت في ثنايا المتن ، وتقويم الاغلاط التي شاعت بين سطوره ، واكمال ما اعتوره من من نقص وسقط في بعض المواضع ، وشرح المسائل الكثيرة التي تحتاج الى شرح . وقد اضاف الى ذلك كله مقدمة نفيسة في الأنواءِ عند العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، وفهارس كثيرة تيسّر على المراجع العود الى المتن ، كفهرس النجوم والكواكب وصورها ؛ وفهرس منازل القمر ، وفهرس بروج الشمس ، وفهرس الأقوام والجماعات ، وفهرس البلدان والاماكن ، وفهرس الآيات ، وفهرس الأحاديث ، وفهارس الشعر والامثال والاسجاع ، وفهرس ابواب الكتاب وفصوله ، وثبت في ثماني صفحات او تزيد بالمراجع التي اعتمد عليها في التحقيق والشرح .

والمخطوطة التي اعتمد عليها المؤلف هي مخطوطة فريدة من كتاب الأزمنة والأنواء لأبي اسحق الأجدابي ، وقف عليها المحقق بين مخطوطات الشيخ اسماعيل صائب سنجر المحفوظة الآن في مكتبة كلية اللغات في جامعة انقرة ، ولا اخت لها في العالم فيما يعلم .

هذا الكتاب « الأزمنة والأمكنة » هو ثالث ثلاثة كتب في الانواء وصلت الينا مما ألفه علماؤنا القدامى ، وأما الآخران فهما كتاب الأنواء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ ، وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٧٥ / ١٩٥٦ وكتاب الازمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ وقد طبع في حيدر آباد سنة ١٣٣٢ / ١٩١٤ .

ولكتاب الأجدابي منزلة متعدّدة الجوانب . فقيمته العلمية تتجلى في بيـان ما كان معروفا عند العرب في العصر الجاهلي من معارف في الأزمنة والأنواء ، ثم في بيان ما كان معروفا ومستعملا من هذا الفن في البيئة العربية بعـد الاسلام الى عهد المؤلف . واما الناحية الادبية فمردها الى فائدة الكتاب في فهم كلام العرب الذي ترد فيه اقوال عن الأزمنة والأنواء في اشعارهم واسجاعهم وامثالهـم في الجاهلية والاسلام ، وفائدته اللغوية تستمد من الالفاظ الدائرة في موضوع الأزمنة والأنواء ، ومعظمها اصبح من مصطلحات هذا الفن . وثمة قيمته التاريخية لانه يفيد الباحثين في مسائل تاريخ العلوم في الحضارة العربية .

والحق انه من العسير ان يبالغ القارىء المعني بالموضوع ، في قيمة الكتاب من هذه النواحي الأربع ، وبخاصة في تتبع التطور التاريخي لنواح من المعارف التي تدخل في علوم الفلك والأرض ومسائل التقويم ، وكذلك الاستيثاق من الالفاظ العربية الصحيحة في هذه الابواب .

ولمحقق الكتاب -- كما جاء القسم الاول من مقدمته ص ١١ — رأى حسن في اصل كلمة فلك قال : ويغلب على ظننا ..... ان لفظ الفلك الذي شاع في اللغة العربية ، واكتسب صفة المصطلح منذ القديم ... اصله بابلي .... من كلمة pulukku وان لفظ طباق في استعمالها الفلكي (مفردها طبقة) اصلها بابليّ ساميّ من كلمة tupuquat .

اما ابن الأجدابي المؤلف فهو الفقيه اللغوي ابو اسحق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الطرابلسي المغربي الافريقي (له ترجمة في كتب السير مثل انباء الرواة ، ومعجم الادباء ، ومعجم البلدان ، وبغية الدعاة ، وكشف الظنون وغيرها) ، ويعرف بابن الاجدابي نسبة الى اجـدابية ، بلدة « تقع قريباً من طرابلس الى الشرق منها قليلا » كان اسلافه ينسبون اليها ، اما هو فقد كان من اهل طرابلس نشأ فيها وتوفى هناك حوالي سنة ٦٥٠ هـ . اشتهر بالعلم وباللغة وكان اديبا فاضلا ، تصدّر للتعليم في بلده ، والف الكتب ، واحسن في تصنيفها وقد ذكرت له المصادر ثمانية منها .

فالقائمون على مديرية احياء التراث القديم في دمشق ، والمحققان الاستاذ محمد احمد دهمان ، والدكتور عزة حسن • جديرون بكل اعجاب وتقدير .

فؤاد صروف

كتاب هذا الجزء من الابحاث

الدكتور قسطنطين زريق : الاستاذ الممتاز للتاريخ العربي ، الجامعة الاميركية في بيروت • عضو المجلس التنفيذي ، المنظمة العالمية للجامعات ، رئيس جامعة دمشق وعضو المجلس التنفيذي للونسكو ، سابقاً . مؤلف : الوعي القومي ، معنى النكبة ، اي غد ، نحن والتاريخ • في معركة الحضارة . مقاله المنشور في هذا الجزء افرغ اولا في قالب محاضرة القيت في النادي الثقافي العربي في بيروت .

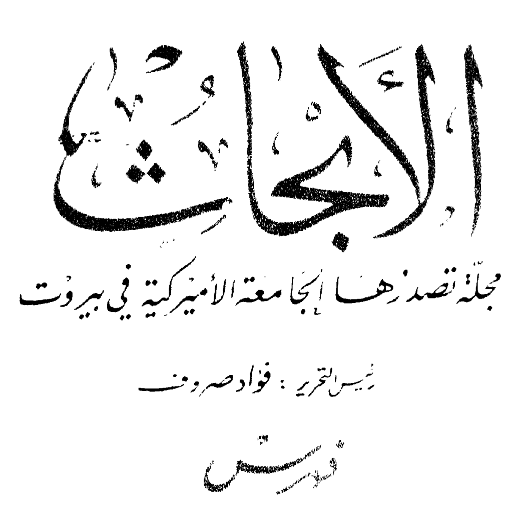
الدكتور فؤاد صروف : نائب رئيس الجامعة الاميركية في بيروت. محرر المقتطف سابقا • عضو المجلس الوطني اللبناني للبحوث العلمية ونائب رئيس اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو ، مؤلف : فتوحات العلم الحديث ، أساطين العلم الحديث ، آفاق العلم الحديث ، آفاق لا تحدّ ، الانسان والكون ، وغيرها .

الاستاذ عبد الرحمن الحجي : باحث عراقي يحضر رسالة للدكتوراه لجامعة كمبردج في موضوع: « السفارات من الاندلس واليها ايام الدولة الاموية » .

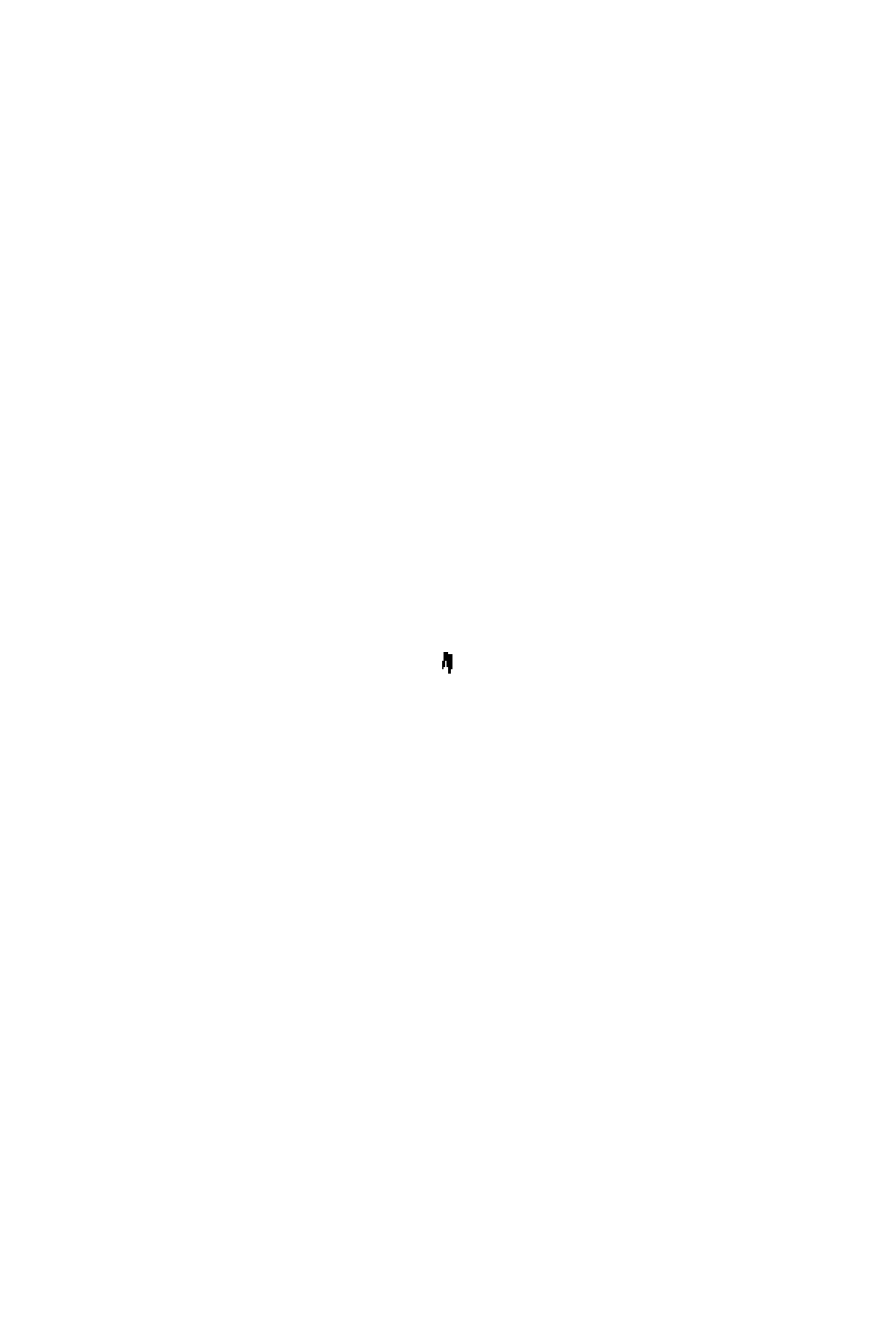
الدكتور ليفون مليكيان : احد اساتذة علم النفس في الجامعة الاميركية في بيروت ، عضو مختبر العلوم السلوكية فيها . له دراسات نفسية اجتماعية نشرت باللغة الانكليزية في مجلات علمية خاصة بنواحي علم النفس تصدر عن الجمعية الاميركية لعلم النفس ، وبالعربية في مجلة الابحاث .

الدكتور نقولا زياده : استــــاذ التاريخ العربي الحديث في الجامعة الأميركية في بيروت ، ألف بالانكليزية : « جذور الحركة القومية في تونس ، و « السنوسية » و « سوريا ولبنان» وبالعربية « لمحات من تاريخ العرب » ، «روّاد الشرق العربي في العصور الوسطى » وغيرها . مقــاله عن مدينة فاس هو فصل من كتاب « مدن عربية » تنشره قريبـاً دار الطليعة في بيروت .

السنة ١٨ — الجزء ٢ • حزيران ١٩٦٥







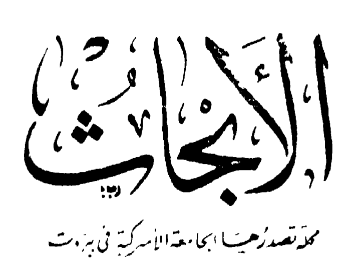
الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركة في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركة في بيروت ، بيروت ، لبنان .





السنة ١٨ – الجزء ٢ رئيس التحرير : فؤاد صروف حزيران سنة ١٩٦٥

التنظيمات

او حركة الاصلاح في الامبراطورية العثمانية

١٨٥٦ – ١٨٧٦

شفيق جحا

[توجز هذه الدراسة ما يعرف في التاريخ العثماني باسم «التنظيمات» او حركة الاصلاح الداخلي في الامبراطورية العثمانية خلال المدة الواقعة ما بين سنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٧٦ فتلقي اضواء على البيئة العثمانية واحوالها الفكرية والسياسية في فترة يتوسطها تأسيس الجامعة الاميركية في بيروت (١٨٦٦)* التي تستعد للاحتفاء بعيدها المئوي في عام ١٩٦٦ -- ١٩٦٧]

* كان اسمها عند تأسيسها (١٨٦٦) الكلية السورية الانجيلية وبدّل سنة ١٩٢٠ بقرار من مجلس اوصياء التعليم العالي في ولاية نيويورك فصار « الجامعة الاميركية في بيروت ».

المقدمة

حركة الاصلاح قبل سنة ١٨٥٦

ابتدات حركة الاصلاح في الامبراطورية العثمانية قبل سنة ١٨٥٦ بوقت طويل. فمنذ القرن الثامن عشر شعر العثمانيون بتفوق الاوروبيين عليهم في عدد من الحقول فاخذوا يقتبسون عنهم ويستفيدون من خبرتهم ولا سيما في الامور العسكرية وذلك بقصد الاحتفاظ بقدرتهم على الوقوف في وجه الدول الاوروبية الطامعة في امبراطوريتهم . ولم تنبع حركة الاصلاح هذه من صفوف ابناء الشعب ، كما حدث في بعض البلدان الاخرى ، بل انحصر القيام بهـا في اول الامر ببعض السلاطين المستنيرين الذين تولوا الحكم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

وكان من ابرز اولئك المصلحين السلطان سليم الثالث الذي دفع عرشه وحياته في سنة ١٨٠٧ ثمنا لنزعته التحررية . وكذلك كان السلطان محمـود الثاني الذي اتخذ عدة اجراءات اصلاحية جريئة . ففي سنة ١٨٢٦ حل فرق «الانكشارية» بعد ان افسدت الحكم وعبثت بالنظام ، وحـاول انشاء جيش جديد منظم بحسب القواعد الفنية الاوروبية الحديثة . والتفت بعد ذلـك الى حقل التعليم فأسس بعض المدارس والكليات العسكرية وارسل بعثات من الطلاب لتلقي العلم في الخـارج . ثم اجرى عدداً من الاصلاحات المهمة الاخرى في الادارة العامة وفي مختلف نواحي الحياة العثمانية .

وبعد وفاة السلطان محمود الثاني انتقلت قيادة حركة الاصلاح من ايدي السلاطين الى ايدى فئة من رجال السياسة والحكم المستنيرين الذين كانوا قد تدربوا على هذا العمل واعدوا انفسهم له في عهد السلطان محمود الثاني واوائل عهد خلفه . وكان في طليعة هؤلاء الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا ويليه في عظم الشأن والزمن علي افنـدي (باشا فيما بعد) وفؤاد افندي (باشا فيما بعد). وزادت حركة الاصلاح قوة واتساعـا على ايدي القواد الجدد ، فبدأوا منذ سنة ١٨٣٩ باصدار سلسلة من القوانين والقرارات الاصلاحية التي عرفت باسم « التنظيمات» والتي كان

لها اثر عميق جدا في تطوير الحياة والافكار في الامبراطورية العثمانية. وقد ساعدهم على ذلك عطف السلطان الجديد عبد المجيد على حركة الاصلاح ورغبته في تطور امبراطوريته وتقدمها .

ومن اهم الانجازات التي حققتها « التنظيمات » في تلك الفترة صدور « خط شريف »[1] في سنة ١٨٣٩ يضمن لجميع الرعايا العثمانيين ، دون اي تميز، حياتهم وشرفهم وممتلكاتهم ومساواتهم امام القانون في جميع الحقوق والواجبات . وفي سنة ١٨٥٢ صدر قانون جديد لتنظيم ادارة الولايات[2]. وفي سنة ١٨٥٤ اجري تعديل اساسي في نظام « المجلس العالي » [3] فقسم الى مجلسين : « المجلس العالي للاحكام العدلية » و « المجلس العالي للتنظيمات » . وانيطت بهذا المجلس الاخير مهمة تنظيم حركة الاصلاح وتوجيهها ووضع التشريعات اللازمة التي تحميها وتدفع بها الى الامام . وكان من ابرز اعضاء هذا المجلس رجلان من كبار رجال الاصلاح في تركيا وهما علي باشا وفؤاد باشا اللذان تناوبا على رئاسته بضع سنوات . وقد لعب هذا المجلس دورا كبيرا في توسيع حركة الاصلاح وتنفيذ برامجها . وان دل تكوين هذا المجلس على شيء فانما يدل على ان الحكومة العثمانية اصبحت مدركة ما للاصلاح من خطر الشأن ومتعطشة الى تحقيق اكبر قسط ممكن منه لانه الوسيلة الناجعة لشفائها من عللها المستعصية ولاستعادة قوتها وعزتها ومجدها .

ونال التعليم ايضا قسطا وافرا من اهتمام المصلحين . ففي اعقاب صدور «خط شريف » في سنة ١٨٤٥ شكلت الحكومة لجنة سباعية من اغزر الرجال علما وكفاءة وكلفتهم درس حالة المدارس وتقديم التوصيات اللازمة لتنظيم التعليم ونشره ورفع مستواه . وفي اواسط سنة ١٨٤٦ قدمت اللجنة تقريرها الذي ضمنته منهاجا طويلا مفصلا يتناول مراحل التعليم الثلاث الابتدائية والثانوية والعالية . واقترحت تشكيل ديوان للمعارف العمومية ليشرف على شؤون التعليم . وعلى اثر ذلك زيد عدد المدارس الابتدائية ، وانشئت بعض المدارس الثانوية التي كانت تدعى « الرشدية » ، وصدر قرار بتأسيس اول جامعة عثمانية . وبعد سنة

واحدة ، اي في سنة ١٨٤٧ تحول ديوان المعارف العمومية الى نظارة او وزارة دلالة على بالغ اهتمام الحكومة باعماله في سبيل التعليم. ومع ان نتائج هذه الاعمال والتنظيمات كانت محدودة متواضعة في اول الامر فأن منزلتهـا كانت كبيرة لسببين : اولا ، انها كانت نقطة انطلاق صحيحة وفعالة لتطوير المجتمع العثماني ، وقد ظهر اثرها بجلاء فيما بعد. وثانيـا ، ان هذا التنظيم انتزع التعليم من ايدي رجال الدين والعلمـاء ووضعه تحت اشراف الدولة وفتح امامه مجالات واسعة وآفاقا جديدة للتطور والتحسين .

ووقعت حرب القرم في سنة ١٨٥٣ فخفت حركة الاصلاح لان اهتمام الحكومة العثمانية ونشاطها انصبّا انصبابا كاملا على شؤون الحرب .

الدور الاول ١٨٥٦ – ١٨٦١
الاصلاح وردود الفعل

ما كادت حرب القرم تقترب من نهايتها حتى عـاد الاهتمام بحركة الاصلاح الداخلي الى اشدّه. فبريطانيا وفرنسا كانتا تريدان ان تقطعا الطريق على التدخل الروسي في شؤون تركيا الداخلية بحجة حماية ابناء طـائفة الروم الارثوذكس القاطنين في الامبراطورية العثمانية . لذلك اعربتا الى حكومة البـاب العالي عن رأيهما في ضرورة ازالة التمييز في المعاملة بين الرعايا العثمانيين وتطبيق مبدأ العدالة والمساواة فيما بينهم في جميع الميادين والحقول. وكانت السيطرة الفعلية على الحكم وعلى مجرى السياسة العثمانية قد انتهت في ذلك الوقت الى ايدي علي باشا الصدر الاعظم وفؤاد باشا وزير خارجيته اللذين كانا ، بالاضافة الى منصبيهما الخطيرين، عضوين بارزين في « المجلس العالي للتنظيمات » .

ولاقت رغبة بريطانيا وفرنسا استجـابة وقبولا لدى علي باشا وفؤاد باشا لعدد من الاسباب. فهما، اولا، كانا من رواد حركة الاصلاح ومن المؤمنين بوجوب بعث الامبراطورية العثمانية كدولة قوية حديثة عن طريق تطوير الحياة فيها على نمط ما جرى عليه الامر في البلدان الاوروبية الناهضة . وثانيا ، انهما كانا يرغبان

في الاصلاح كوسيلة من الوسائل التي تزيد اعتبار الدولة العثمانية في نظر الدول الاوروبية وتخفف من تدخلها في شؤونها الداخلية. وثالثا، لعلهما كانا يعتقدان ان اجراء الاصلاح على ايديهما يعزز مكانتهما الشخصية في المحافل الدولية ويزيد من نفوذهما في الحقل الداخلي .

وفي الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٨٥٦ اصدر السلطان فرمانا هميونيا يكرر فيه جميع العهود الاصلاحية التي كانت قد قطعت قبلا في فرمان سنة ١٨٣٩ وفي القوانين والقرارات الاخرى التي صدرت بعد ذلك والمتعلقة بالعدالة والمساواة المطلقة بين جميع الرعايا دون تمييز في الدين او الطبقة او الجنس، كما اكد الفرمان الغاء الجزية عن العثمانيين غير المسلمين وفتح باب الانخراط في الجندية امامهم بعد ان كان مغلقا [٤] . وكان صدور هذا الفرمان في ذلك الوقت بالذات الذي كان مؤتمر الصلح منعقدا فيه في باريس بمثابة اعلان من الحكومة العثمانية عن مقاصدها النبيلة ونياتها الطيبة نحو رعاياها من غير المسلمين وعن رغبتها الاكيدة في الاصلاح والتطور واقتفاء خطوات الدول الاوروبية في معارج التقدم والرقي .

وفي الثلاثين من آذار وقعت معاهدة باريس. وقد اشارت المادة التاسعة من المعاهدة الى « الخط الهميوني » الصادر قبل بضعة اسابيع بارتياح ووصفته بأنه نابع من صميم ارادة السلطان . واستنادا الى ما ورد فيه من عهود قاطعة تعهدت الدول المتعاقدة في المادة التاسعة ذاتها بأنه لا يجوز بعد ذلك ان تتدخل الدول منفردة او مجتمعة في الشؤون الداخلية للامبراطورية العثمانية مهما كانت الاسباب [٥] . ودخلت تركيا عضوا في اسرة الدول الاوروبية مساوية لها في السيادة والاستقلال. ولكن بالرغم من كل ذلك لم تحترم تلك الدول الموقعة على المعاهدة تواقيعها ولم تمتنع عن التدخل في شؤون تركيا الداخلية عندما كانت مصالحها الخاصة تتطلب ذلك [٦] .

وراحت الحكومة بعد ذلك تعمل بالتعاون مع « المجلس العالي للتنظيمات » على استكمال مشروعات الاصلاح . فأنشأت في سنة ١٨٥٦ « البنك العثماني » ليساعد تدعيم الاقتصاد المتداعي . وفي سنة ١٨٥٨ اصدرت قانونا جديدا

للاراضي وقانونا آخر للجرائم . وفي سنة ١٨٦٠ نشرت ملحقا لقانون التجـارة لتنظيم المحاكم التجـارية . وفي السنة التالية احدثت تغييرا جذريا في تنظيم « المجلس العـالي » . فقد دمج مجلساه ، « المجلس العـالي للاحكام العدلية » و « المجلس العالي للتنظيمات » ، في مجلس واحد . وقسم هذا المجلس الجديد الى ثلاثة اقسام : قسم اداري ، وقسم تشريعي ، وقسم مالي [٧] . وعني كل قسم منها بالمسائل الداخلة ضمن اختصـاصه . وكانت جميع تلك القوانين والترتيبات مستوحاة من القوانين والانظمة الفرنسية .

وظهرت بعض نتائج هذه الاصلاحـات في وقت قصير . ظهرت في الادارة والقضاء والجيش والمجتمع والثقافة وفي وضع غير المسلمين الذين زال بعض ما كانوا يشتكون منه من اضطهاد [٨] .

ولكن تلك النتائج ، على خطر شأنها النسبي ، كانت اقل بكثير مما كان متوقعـا ومرجوّاً . فكثير من قرارات الاصلاح بقيت حبرا على ورق ، وفي المناطق النائية من الامبراطورية لم يهتم الولاة والموظفون بتنفيذهـا لان الدولة لم تضع في ايديهم جميع الوسائل اللازمة لذلك [٩] .

وحمل هـذا التراخي من قبل الحكومة العثمانية الدول الاوروبية على تقديم مذكرة مشتركة الى الصدر الاعظم في سنة ١٨٥٩ يشتكون فيها من البطء في تحقيق الاصلاح الذي تعهدت الحكومة بتنفيذه في فرمان سنة ١٨٥٦ [١٠] .

والواقع انه لم يكن من السهل تحقيق جميع الاصلاحات التي صدرت القوانين بشأنها . فهنـالك بضعة عوامل كانت تحول دون ذلك . من اول هذا العوامل ضعف الجهـاز الاداري وعدم تعاونه مع الحكومة المركزية في تحقيق الاصلاح . فمعظم الموظفين كانوا غير اكفـاء لمثل هذا العمل . زد على ذلك انهم كانوا غير راضين عن بعض تلك الاصلاحات وخصوصاً ما كان منها متعلقاً بتحسين اوضاع غير المسلمين . فحملهم ذلك على تجاهلها او اثارة الرأي ضدهـا . وثانيا : لقد قامت معارضة شديدة لتلك الاصلاحات من قبل العلماء ورجـال الدين والفئات

الرجعية المتعصبة . ولم تكن هذه المعارضة جديدة . فقد جابهت السلطان سليم الثالث في مطلع القرن وانتصرت عليه . وهددت السلطان محمود الثاني بخطرها في اكثر من مناسبة . وفي سنة ١٨٤١ اجبرت السلطان عبد المجيد على اقالة الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا المصلح المستنير (١١).اما بعد فرمان سنة ١٨٥٦ فقد ازدادت المعارضة شدة وعنفا لعدة اسباب اهمها: اولا، انها اعتبرت ان علي باشا وفؤاد باشا ومن فوقهما السلطان يمتهنون كرامة الامة وينتقصون من سيادتها بانقيادهم لارادة الدول الاوروبية وتوجيهاتها في امور الاصلاح . وثانيا، ان الاصلاح عن طريق تقليد الاوروبيين واقتباس انظمتهم ومؤسساتهم مغاير لتعاليم الاسلام ولا يجوز ان يقبل به المؤمنون. وثالثا، ان تحرير الطوائف الدينية ومساواة ابنائها بالمسلمين لم يلق ارتياحا عند الرجعيين المتعصبين . لقد اعتبروه خسارة لهم وانتقاصا من امتيازاتهم . كما اتخذوه في الوقت نفسه دليلا قاطعا على استسلام حكامهم لمشيئة الدول المسيحية الاوروبية وانقيادهم لارادتها . ورابعا، لقد عارضوا تلك الاصلاحات لانهم لم يروا في معظمها ما يصلح احوالهم ، فهي لم تمنح الرعايا المسلمين مزيدا من الحرية ولم ترفع عن عامتهم كابوس الجور والظلم والجهل والفقر والمرض والاستغلال وغيرها من الآفات التي كانوا يشتكون منها . وخامسا، لانهم تأكدوا من معارضة رجال الحكم وقواد الاصلاح في منح الشعب حقوقهم السياسية وفي اقامة نظام دستوري يمكن المواطنين من المشاركة في الحكم بواسطة ممثليهم في البرلمان. ومع انه كان لفؤاد باشا وعلي باشا رأي خاص في هذا الموضوع فأن المعارضين لم يأخذوا بوجاهة ذلك الرأي (١٢) .

وخرجت المعارضة عن طور الكلام والحوار الى حيز العمل . فوقعت عدة اصطدامات دموية في انحاء مختلفة من الامبراطورية مثل حوادث جدة في سنة ١٨٥٨ (١٣).وحوادث جبل لبنان ودمشق في سنة ١٨٦٠. وكان اشد خطرا من ذلك قيام بعض العلماء وضباط الجيش بثورة في العاصمة اسطمبول في سنة ١٨٥٩ (١٤) . وكان غرض الثوار قلب الحكومة وقتل السلطان والتخلص من علي باشا وفؤاد باشا وغيرهما من الوزراء الذين ، على زعمهم ، تعاونوا مع الدول

الاوروبية وانقادوا لها فكادوا ان يؤدوا بالامبراطورية الى الخراب والدمار بعد ان مرغوا كرامتها وهيبتها شر تمريغ (١٥) .

فشلت الثورة في تحقيق اهدافها والقي القبض على قادتها ، ولكن ذلك لم يكن كافيا لتأمين الهدؤ والاستقرار في البلاد . فقد جابهت الحكومة عددا من المشاكل الخطيرة المعقدة . ففي سنة ١٨٥٩ وقعت احداث مقلقة في مولدافيا وولاخيا انتهت بنيل هاتين المقاطعتين استقلالها الذاتي . وفي سنة ١٨٦٠ اندلعت نار الثورة في البوسنة ولم تلبث ان امتدت الى الجبل الاسود . وفي السنة نفسها وقعت اضطرابات في جزيرة كريت كما اشتعلت نار الحرب الاهلية في لبنان وكادت ان تتطور الى مشكلة دولية خطيرة . وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الاحداث تتوالى وتفرض على الدولة العثمانية مسؤوليات جساماً كانت هذه الدولة تعاني ازمة مالية خانقة وتطلب من بريطانيا وفرنسا ان تمدّاها بقروض مالية جديدة (١٦) .

في زحمة هذه الاحداث توفي السلطان عبد المجيد في العشرين من حزيران سنة ١٨٦١ وخلفه اخوه السلطان عبد العزيز ، فدخلت حركة الاصلاح في طور جديد .

الدور الثاني – ١٨٦١ – ١٨٧١
الاصلاح الرسمي والاصلاح الذي ارادته جماعة « تركيا الفتاة»

ابتدأ الدور الثاني من تاريخ حركة الاصلاح بتسلم عبد العزيز الحكم على اثر وفاة اخيه السلطان عبد المجيد في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٦١ . ولم يكن السلطان الجديد متحمسا للاصلاح كأبيه السلطان محمود الثاني او مهتما به كأخيه عبد المجيد . لقد كان شغفه بالبذخ والاسراف وولهه الشديد بالنساء يصرفانه عن الاهتمام الجدي بشؤون الحكم . ولكن عبد العزيز كان قد رزق بعدد من المساعدين الاكفاء ورجال الحكم المستنيرين مثل علي باشا وفؤاد باشا ومدحت باشا ممن قادوا دفة الحكم بمهارة خلال السنوات العشر الاولى من

حكمه وحققوا بعض التقدم والاصلاح في حقول القانون والادارة والتعليم وغيرها.

ففي حقل القانون اصدرت الحكومة مابين سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٣ عددا من التشريعات لتنظيم المعاملات التجارية . وفي سنة ١٨٦٨ صدر قانون الجنسية العثمانية (١٧) . وفي سنة ١٨٦٩ صدر الجزء الاول من «المجلة»، وهي القانون المدني العثماني المستمد من روح الشريعة الاسلامية ومن القوانين الغربية الحديثة معا . وقد قام بوضعها وتنظيمها جماعة من المشترعين على رأسهم جودت باشا .

وفي حقل الادارة صدر في سنة ١٨٦٤ قانون لتنظيم الولايات على اساس جديد مستمد من التنظيم الاداري الفرنسي. وقد نص القانون على انشاء مجالس محلية لتعاون المسؤولين في الحكم (١٩) على مثال ما نص عليه القانون الاساسي للبنان (٢٠) الذي كان قد وضع في سنة ١٨٦١ من قبل فؤاد باشا (٢١) واللجنة الدولية (٢٢) التي اجتمعت في بيروت لتسوية المسألة اللبنانية . وفي سنة ١٨٦٧ قدمت الحكومة الفرنسية، بموافقة بريطانيا والنمسا مذكرة تطلب فيها من الباب العالي تحقيق المزيد من الاصلاح وتعرض منهجا مفصلاً لذلك (٢٣) . وفي السنة ذاتها قام السلطان بزيارة رسمية لكل من فرنسا وبريطانيا والنمسا وتعرف على بعض نواحي الحياة فيها . وبعد عودته من اوروبا اصدر تنظيما جديدا للمجلس العالي بحيث انه صار يتألف من هيئتين : الاولى ديوان الاحكام المدلية، والثانية، مجلس شورى الدولة . وقد تمثل الرعايا المسيحيون واليهود في هذا المجلس بثلاثة عشر عضوا من اصل عدد اعضائه الخمسين (٢٤) . وفي العاشر من ايار سنة ١٨٦٨ افتتح السلطان عبد العزيز هذا المجلس الجديد بخطاب مفعم بالنيات الطيبة والوعود السخية لتحقيق مبادىء العدل والمساواة وسيادة القانون بين جميع الرعايا دون تمييز. وكان مدحت باشا رئيسا لهذا المجلس الذي مارس عمله بنشاط واقرّ عددا من القوانين المهمة ما بين ١٨٦٨ و ١٨٧١ .

ولم يكن التقدم الذي حصل في حقل التعليم اقل شأنا منه في حقلي القانون والادارة. فقد ذكرنا قبلا ان فؤاد باشا وعلي باشا وغيرهما من رجال الحكم قد

اظهروا ادراكا عميقا لأهمية التعليم في نهضة البلاد وقــاموا في سنة ١٨٤٥ وما بعدها بسلسلة من الاعمال والاجراءات الآيلة الى نشره وتعزيزه ورفع مستواه . ولكن المشاكل السياسية والاقتصـادية والعسكرية التي جابهت تركيا بعد ذلك لم تسمح لحكومة الباب العالي بالتوسع في نشر المدارس على نطاق كبير [٢٥] . على ان ذلك لم يمنع رجـــال الحـكم المستنيرين من نشر التعليم بواسطة الارساليات الدينية الاجنبية العـــاملة في الامبراطورية العثمانية . ففي هـذا الدور بالذات سمحت الحكومة العثمانية للعديد من المدارس والمعاهد الاجنبية بالعمل في اراضيها . ففي سنة ١٨٦٣ اسست الارسالية الاميركية في اسطمبول «كليــة روبرت » [٢٦] وفي سنة ١٨٦٦ تأسست في بيروت بمبـادرة من الارسالية الاميركيـة « الكلية السورية الانجيـلية » [٢٧] . وفي سنة ١٨٦٨ التفتت الحكومة العثمانية ، بتوجيه خاص من فؤاد باشا وعلي باشا ، الى مسألة التعليم [٢٨] . فـأنشأت في تلك السنة بالتعـــاون مع الحكومة الفرنسية المدرسة الثانوية التي عرفت باسم « المدرسة الثانوية الامبراطورية في جلاتا ساراي » [٢٩] . والجديد في امر تلك المدرسة انهـا كانت اول مدرسة ثانوية عثمانية يجلس فيها التلاميذ المسلمون والمسيحيون جنبـا الى جنب ويدرسون منهاجا اوروبيا حديثا ويتلقون جميـع الدروس (باستثناء دروس اللغة التركية) بلغة اجنبية هي اللغة الفرنسية [٣٠] .

وفي سنة ١٨٦٩ خطت حكومة علي باشا خطوة جديدة اخـرى في تطوير التعليم . فأنشات بموجب قانون جديد نظاما مدنيا كاملا للتعليم الرسمي التابع للدولة رأسا [٣١] .

وفي تلك السنة نفسهـا توفي فؤاد باشا ثم تبعه علي باشا بعد سنتين فخسرت تركيا بموتهما رائدين كبيرين من رواد حركة الاصلاح .

* * *

ان تلك الاصلاحات الرسمية التي قـامت بها الحكومة العثمانية اثناء وجود فؤاد باشا وعلي باشا في الحكم ، على رفيـع مقامها ، لا تمثل الا وجهـا واحدا من نشاط حركة الاصلاح في هذا الدور الثاني . اما الوجه الاخر فكان ظهور جماعة

« تركيا الفتاة » ونزولهم بقوة الى الميدان لخوض معركة التحرر والاصلاح على اسس جديدة وبوسائل جديدة . وكان افراد هذه الجماعة من العناصر العثمانية المثقفة . ولم يكن ظهورهم مفاجئا او مستغربا، بل كان نتيجة طبيعية للتطورات التي سبقت العقد السابع من القرن التاسع عشر . ان المدارس التي كانت قد انشئت في تركيا والبعثات العلمية التي كانت قد ارسلت لتلقي العلم في المعاهد الاوروبية ولا سيما الفرنسية منها انتجت هذا الجيل الجديد من المثقفين الذين احتكوا بالغرب حضاريا فاطلعوا على تراثه الفكري وتأثروا بآرائه السياسية وانظمته الادارية والاقتصادية وتقاليده الاجتماعية. وبفضل معرفتهم لغة اجنبية او اكثر ، استطاعوا ان يطلعوا باستمرار على التطورات الحديثة في العالم عن طريق الجرائد والمجلات والكتب ، او عن طريق الرحلات السياحية او العلمية في البلدان الاوروبية .

وكان اولئك المثقفون غير راضين عن الاصلاحات التي كانت تجريها الدولة لانها لم تكن ، في نظرهم، جذرية وقادرة على القضاء على المساوىء الاساسية التي كانوا يعتبرونها علة العلل . وكانت تتلخص مطالبهم الرئيسية فيما يلي : اولا ، الحرية . انهم كانوا يتمسكون بطلب الحرية الصحيحة الكاملة وبحق ممارستها ضمن حدود القوانين والشرائع. وثانيا، الدستور . انهم كانوا ضد كل نظام استبدادي وتسلط فردي لا فرق عندهم اكان متمثلا بالسلطان ام بالصدر الاعظم والوزراء. وثالثا ، البرلمان. انهم كانوا يريدون اقامة حكم يفسح المجال امام الشعب للمشاركة في توجيه سياسة البلاد وتحمل مسؤوليات الحكم . ولكنهم كانوا يجدون الدولة تعارض تحقيق هذه الاصلاحات الاسياسية وتقف بحزم في وجه كل محاولة في هذا السبيل [٣٢] . لهذا اتخذوا موقف المعارضة للحكومة والعداء للموجهين الحقيقيين لسياستها وخصوصا فؤاد باشا وعلي باشا[٣٣] .

ان هذه المبادىء لم تكن منهجا سياسيا محددا لجماعة معينة بل كانت خواطر فردية واماني شخصية التقت عندها آمال جميع المثقفين الثائرين وامانيهم. ذلك

لان اولئك المثقفين لم يجتمعوا ، في اول الامر، ويتفـاهموا ويتنظموا، بل عملوا متفرقين كل في حقـله وحسب طاقته ومفـاهيمه وآرائه . ولم تكن آراؤهم موحدة وافكارهم متفقة على جميـع التفاصيل . لقد كانت تقوم بينهم اختلافـات جوهرية على الاسس الفكرية والوسائل العملية التي يجب ان يرتكز عليها الاصلاح ويتحقق بها. ولكن كان يجمعهم امران: معـارضتهم للحكم القائم، ورغبتهم في خدمة وطنهم والنهوض به . واسم « تركيـا الفتاة » نفسه، الذي اشتهروا به فيما بعد ، لم يكن قد وجد واتفق عليه بعد . انه لم يرد في الاستعمال حتى سنة ١٨٦٧ . ثم انه كان يطلق بصورة عامة على جميـع العثمانيين الثائرين على التأخر والفساد والمطالبين بالاصلاح والتطور في الامبراطورية العثمانية بصرف النظر عن وضع الفرد منهم وهل هو ينتسب فعلا الى المنظمة السيـاسية التي كانت تحمل ذلك الاسم او لا .

باشر الشباب العثماني المثقف ثورته في حقل الادب اولا. وقد ظهرت طلائعها في العقد السادس من القرن عند مـا اخذ بعض الادباء يثيرون الجدل والنقاش حول موضوع الاصلاح في الامبراطورية العثمانية عن طريق انتـاجهم الادبي من شعر ونثر . مثـال ذلك انه على اثر صدور « خط شريف » سنة ١٨٥٦ نظم الشاعر ابراهيم شيناسي قصيدة وجهها الى رجل الاصلاح الصدر الاعظم السابق مصطفى رشيد باشا وعرض فيها تعريضا صريحا قويا بسلطة السلطان الاستبدادية كما يتبين من هذه الابيات التي ننقلها بترجمتها الانكليزية : (٣٤)

Life, property and honour are the candles of our hearts,
Your justice is a lantern to guard us from the blast of oppression.

You have made us free, who were slaves to tyranny,
Bound as if in chains by our ignorance.

Your law is an act of manumission for men,
Your law informs the Sultan of his limits.

وبعد ذلك بسنتين كان الكاتب منيف باشا قد فرغ من نشر ترجمة لمقتطفات من « الفلاسفة » الفرنسيين . فصارت تعقد في اسطمبول حلقات ادبية لبحث ما

ورد في تلك المقتطفـات من افكار وللمناقشة في امور تتعلق بتطوير تركيا على النمط الاوروبي (٣٥) .

* * *

وبعد تسلم السلطــان عبد العزيز الحكم في سنة ١٨٦١ زاد الشباب العثماني المثقف نشاطه في سبيل الاصلاح وجدد اساليب عمله . وكانت الصحـافة من اهم تلك الاساليب المنظمة الفعالة التي لجأ اليها الادباء المصلحون كوسيلة لتوجيه النقد للاوضاع القائمة وللمساهمة بصورة ايجابية في توعية الشعب وتحسين الاحوال. وقد لمع في تلك الفترة عدد من الصحفيين الادباء مثل ابراهيم شيناسي (١٨٢٦–١٨٧١)، وضيـا باشا (١٨٢٥–١٨٨٠) ، ونامق كمال (١٨٤٠ - ١٨٨٠) وعلي سوافي (١٨٣٨–١٨٧٨) . وغيرهم .

في سنة ١٨٦٠ اصدر شيناسي بالاشتراك مع احد اصدقائه، جريدة« ترجمان الاحوال » فكانت اول جريدة غير رسمية او شبه رسمية تصدر في تركيا (٣٦) . ولكـن شيناسي لم يلبث ان فك تلك الشراكة واصدر منفرداً في سنة ١٨٦٢ جريدة«تصوير الافكار»وراح يعالج فيها الموضوعات الادبية والاجتماعية الاصلاحية مبتعدا عن المشاكل السياسية مـا امكن . ولكنه وجد نفسه في سنة ١٨٦٥ مضطرا الى الهرب خوفا من الاضطهـاد فسافر الى باريس ولم يعد الى تركيا الا بعد وفاة فؤاد باشا في سنة ١٨٦٩ . ولكنه لم يلبث هو ايضـا ان مات في سنة ١٨٧١ .

وكان نامق كمـال قد التحق بادارة تحرير «تصوير الافكار» وتأثر بشخصية شيناسي وافكاره . ولما ترك شيناسي البلاد وذهب الى باريس حل نامق محله في رئاسة تحرير الجريدة . وبرهن نامق على انه كاتب سيـاسي قدير . فكـانت تعليقاته على احداث ثورة بولونيا والحرب الاهلية الاميركية قوية موفقة .ولكن تعليقـاته على الاحداث العثمانية وحملاته الشديدة على الحكومة لتساهلها في امر التدخل الاجنبي في امورها الداخلية اوغرت عليه صدر السلطـان وحملته على

مغادرة البلاد في سنة ١٨٦٧ . وكان كمال يدعو في كل ما كتبه الى محاربة الظلم والاستبداد والى تقديس الحرية والوطن والى اقامة حكم دستوري مقتبس من الاختبار الدستوري الاوروبي الفرنسي (امبراطورية نابوليون الثالث بشكل خاص) [٣٧] ومرتكز على اسس الشريعة الاسلامية [٣٨] . والغرض من كل ذلك في نظر نامق كمال هو اقالة تركيا من عثرتها وبناؤها من جديد لتعود دولة متحضرة كبيرة عزيزة الجانب .

وكان ضيا باشا موظفا كبيرا في قصر السلطان ، ولكن علاقته بعلي باشا كانت سيئة . فعزل من منصبه وعين في سنة ١٨٦٨ حاكما لجزيرة قبرص . ولما كان ضيا باشا يدرك ان تعيينه في ذلك المنصب لم يكن المقصود منه غير ابعاده عن البلاد هرب الى اوروبا وتنقل ما بين باريس ولندن وجنيف .

اما الصحفي الرابع علي سوافي فكان واعظا في الاصل ولكن نزعته الوطنية والدينية وثورته على الاوضاع القائمة في البلاد جعلتاه يلتفت الى الصحافة على اعتبار ان منبرها اوسع من منبر الوعظ . فاصدر في مطلع سنة ١٨٦٧ جريدة « المخبر » . وكانت مقالاته عنيفة وانتقاداته لسياسة فؤاد باشا وعلي باشا لاذعة بحيث ان الحكام لم يستطيعوا صبرا على حملاته فاوقفوا « المخبر » ونفوا صاحبها الى داخل البلاد . ولكنه تمكن من الهرب الى اوروبا حيث التحق بمن كان قد سبقه اليها من الادباء والصحفيين الاحرار .

لم يكد ينقضي غير بضع سنوات على تأسيس الصحافة الحرة في تركيا حتى شعرت الحكومة بخطرها وانزعجت من نقدها . لذلك اصدرت في سنة ١٨٦٥ قانونا للصحافة ينظم شؤونها من جهة ويمكن السلطة من ملاحقتها ومعاقبتها بالتعطيل والمحاكمة اذا جاوزت الحدود المرسومة لها [٣٩] .

ولكن حتى قانون ١٨٦٥ لم يكن كافيا لمنع النشرات الثورية السرية من الصدور ولردع الصحفيين عن مهاجمة المسؤولين . لذلك تخطت الحكومة قانون الصحافة واصدرت في شهر آذار سنة ١٨٦٧ تعميما تعلن فيه عن عزمها على اتخاذ

اجراءات ادارية خاصة خارجة عن قانون الصحافة بحق كل جريدة تسمح لنفسها بأن تصبح بوقا للاحزاب والآراء المتطرفة معرضة بذلك مصالح البلاد العليا للخطر (٤٠) .

وكان هذا القرار بمثابة اعلان حرب على الصحافة والصحفيين . وبالفعل فانه لم يكد يحل منتصف سنة ١٨٦٧ حتى كانت جميع الصحف الحرة قد توقفت عن الصدور واصبح معظم الصحفيين الاحرار مشردين خارج البلاد .

* * *

لم تكن الصحافة السلاح الجديد الوحيد الذي لجأ اليه العثمانيون المثقفون لمحاربة الرجعية والاستبداد . انهم لجأوا كذلك الى التنظيم الحزبي . ففي صيف سنة ١٨٦٥ اجتمع ستة من الشبان الثوريين وهم : محمد بك ونوري بك ورشاد بك ، وكانوا جميعهم موظفين بمكتب الترجمة ، ونامق كمال المحرر في جريدة « تصوير الافكار » ، وآية الله بك ، ورفيق بك صاحب جريدة « المرآة » ، واتفقوا في ذلك الاجتماع الذي تم في احدى ضواحي اسطمبول على تأسيس رابطة سرية اطلقوا عليها اسم « الاتفاق الوطني » (٤١) .

لسنا نملك تفصيلات وافية عن اهداف تلك الرابطة وخططها . ولكننا استنادا الى معرفتنا بمؤسسيها وبآرائهم التي كانوا قد اعربوا عنها في كتاباتهم نستطيع ان نقول انها كانت تهدف بصورة عامة الى تبديل الحكم الاستبدادي بحكم دستوري واصلاح احوال البلاد (٤٢) .

في ذلك الوقت الذي تأسست فيه رابطة « الاتفاق الوطني » السرية كان يقيم في اسطمبول ويشغل منصبا رفيعا في الحكومة الامير المصري مصطفى فاضل شقيق الخديوي اسماعيل حاكم مصر . وقد وقع سؤ تفاهم بينه وبين الصدر الاعظم فؤاد باشا في سنة ١٨٦٦ فأقيل من منصبه ونفي من البلاد فاستقر في باريس . وهناك اخذ يجمع حوله العثمانيين الاحرار المنفيين والناقمين على الحكومة وكان يغذي حركة المعارضة بماله ويقويها بنفوذه .

وفي شباط من سنة ١٨٦٧ شاع في اسطمبول ان مصطفى فاضل سيوجه رسالة الى السلطان يضمنها اقتراحات مفصلة بشأن الاصلاحات التي يعتبرها ضرورية لاصلاح حال الامبراطورية العثمانية . ونشرت « تصوير الافكار » و « المخبر » وغيرهما من الجرائد اخبار تلك الرسالة واثارت ضجة وجدلا طويلا حول موضوع الاصلاح . وكانت هذه الجرائد قد عالجت موضوع الاصلاح قبل ذلك بقليل في مناسبتين : الاولى ، في اواخر سنة ١٨٦٦ حين اعلن الخديوي اسماعيل الدستور المصري . والثانية ، حين افتتح الامير شارل هوهنزولرن البرلمان في رومانيا . فعلقت الجرائد على ذينك الحدثين واطرت السياسة التقدمية الاصلاحية الحكيمة التي ينتهجها ذانك الحاكمان. وفي اوائل سنة ١٨٦٧ كانت مشكلة جزيرة « كريت » متأزمة فكتب نامق كمال تعليقا سياسيا في جريدة « تصوير الافكار » انتقد فيه سياسة الحكومة بشدة لتساهلها في امر التدخل الاجنبي في شؤون البلاد الداخلية . وكذلك فعل زميله علي سوافي في مقال نشره بجريدته « المخبر » في اوائل اذار سنة ١٨٦٧ حول قبول العثمانيين بأخلاء حصنين في بلغراد الثائرة نتيجة لضغط الدول الاوروبية .

شعرت الحكومة العثمانية بأن هناك حملة صحفية قوية مركزة على الطعن بسياستها واضعاف الثقة بها من جهة ، وعلى اثارة قضية الاصلاح الدستوري وتسليط الانوار عليها من جهة ثانية . وكانت الحكومة قد علمت بواسطة جواسيسها بوجود تنظيم ثوري سري ، وقدرت ان الحملة الصحفية قد تكون من ترتيب تلك الجماعة . لذلك ما كاد علي باشا يتسلم الحكم في شباط سنة ١٨٦٧ حتى شنّ حملة تطهير واسعة ضد العناصر الثورية ، كما ذكرنا قبلا عند حديثنا عن الصحافة والصحفيين[٤٣]. فعطل في آذار جريدتي «تصوير الافكار» و «المخبر» وامر بنفي علي سوافي الى داخل البلاد ، وبتعيين نامق كمال وكيلا لحاكم ارض روم ، وضيا باشا في وظيفة كبيرة في قبرص[٤٤]. وعلم الرجلان ان هذا التعيين لم يكن الا ابعادا لهما عن العاصمة مركز النشاط السياسي . فماطلا في الالتحاق بوظيفتيهما على امل ايجاد تسوية ما . ولكن قصة الصحفيين الثلاثة كانت قد

بلغت مصطفى فاضل فوجه اليهم الدعوة للحضور الى باريس عن طريق السيد غيامبيتري (Giampietry) صاحب جريدة « كوربي دوريان » Courrier d'Orient بحجة العمل معه في التحرير . فقبل الرجال الثلاثة الدعوة وتركوا البلاد خلسة بمساعدة السفير الفرنسي في اسطمبول [٤٥] . ولما احس الاعضاء الاخرون في رابطة «الاتفاق الوطني» السرية بأن الخطر يتهددهم هم ايضا غادروا البلاد قاصدين باريس حيث التقوا بمن كان قد سبقهم اليها من رفاقهم الادباء والصحفيين .

وبدت الحالة في اواسط سنة ١٨٦٧ وكأن حكومة علي باشا قد ربحت الجولة ضد الصحفيين الاحرار واعضاء رابطة « الاتفاق الوطني » في آن واحد ، واستراحت من انتقاداتهم ومؤامراتهم وانصرفت الى التوسع في اعمال الاصلاح التي تحدثنا عنها من قبل ولا سيما في حقلي التعليم والقضاء .

* * *

كانت الاشهر الاولى من لقاء اولئك الشبان العثمانيين الاحرار المشردين حافلة بالنشاط السياسي والامل الكبير بالنجاح. فقد تلاقوا وتباحثوا في ما يجب عليهم عمله لخير القضية التي تجندوا من اجلها . وفي العاشر من آب سنة ١٨٦٧ اجتمع كل من ضيا باشا ونامق كمال ونوري بك وعلي سوافي ومحمد بك ورشاد بك ورفعت بك وآغا افندي ومصطفى فاضل في منزل هذا الاخير في باريس وقرروا تأسيس منظمة سياسية جديدة دعوها « جمعية تركيا الفتاة » [٤٦] . مقتفين بذلك اثر غيرهم من الوطنيين الاوروبيين الذين كانوا قد اسسوا جمعيات مشابهة مثل « ايطاليا الفتاة » و « فرنسا الفتاة » و « اسبانيا الفتاة » . وكان غرض الجمعية تحقيق الاصلاح الداخلي في تركيا على اساس المبادىء التي تضمنتها رسالة مصطفى فاضل للسلطان . وتم اختيار ضيا باشا رئيسا لها كما جرى الاتفاق على ان يعيد علي سوافي اصدار جريدة « المخبر » والنشرات الثورية الاخرى التي تدعو اليها الضرورة. وبسبب قوانين النشر الفرنسية وجدوا من الانسب ان ينتقل سوافي الى لندن ويباشر عمله هناك . وبالفعل نفذ سوافي ما وكل اليه وظهر اول

عدد من جريدة « المخبر » في لندن بتاريخ ٢١ آب سنة ١٨٦٧ .

ولكن ذلك الامل بالنجاح لم يدم طويلا . فقد وقعت بضعة احداث فرقت بين اولئك الاصدقـــاء وشتتتهم واضعفت حركتهم. ومن اول تلك الاحداث واهمها الزيارة التي قام بها السلطان عبد العزيز لفرنسا في صيف سنة ١٨٦٧ . فقد استقبله مصطفى فـاضل بجفاوة وخضوع وتصـــافى معه ومع الحكومة وقرر العودة الى اسطمبول ليتولى منصبـا وزاريا . وقبل مغادرته فرنسا مد رفاقه في جمعية «تركيا الفتاة» بالمال الذي يحتاجون اليه. ولكن انسحابه على تلك الصورة اضعف العلاقة بينه وبينهم وحرمهم الحمـــاية والرعاية اللتين كان يؤمنهما لهم بماله وبنفوذه الشخصي في باريس .

وجاءت النكسة الثانية نتيجة الاختلاف في الرأي الذي ظهر واستفحل أمره بين علي سوافي ورفـاقه الآخرين . كان سوافي من رجـــال الدين وكان يتمسك باحكام الشريعة تمسكا شديدا ضيقا في كل ما يعرض من قضـايا الاصلاح . وكان فوق ذلك يقف موقفا متصلبا من قضايا المسيحيين والرعايا الاخرين غير المسلمين في الامبراطورية العثمانية. وزادت شقة الخلاف بينه وبين رفاقه بسبب هذه الآراء حتى تم الانفصال بينهما كليا في سنة ١٨٦٨. فاستقل سوافي في جريدته واصدرت جماعة « تركيـا الفتاة » جريدة « الحرية » بادارة نامق كمال وضيا باشا وبتأييد ضمني من مصطفى فاضل (٤٧) .

واتسع الخلاف بعد ذلك بين الرفاق الآخرين وزاد التنـاحر والتباعد بينهم لاسباب شخصية ومـالية وفكرية وعقائدية . وقد كتب احدهم ، نوري بك ، مذكرات يصف فيها التباعد بين رفاق الامس ويحلل مشاعره الخاصة بهذا الشأن، بأسلوب صريح مفصل يلقي ضوءا كاشفا على تاريخ جمعية « تركيا الفتاة » في ذلك الدور من حياتها (٤٨) .

* * *

عند وقوع هـذا الانشقاق في صفوف جماعة « تركيا الفتاة » في الخـارج كانت احداث مهمة اخرى تقع في داخل تركيا . من اهم تلك الاحداث، ازدياد

الازمة المالية سوءا، ووفاة فؤاد باشا في سنة ١٨٦٩ ، ثم وفاة زميله علي باشا في سنة ١٨٧١ . وبوفاتهما انتهى عهد ذلك الثلاثي من الحكام المصلحين الاشداء الذين سيطرو على الحكم طيلة ثلاثين سنة تقريبا، ووجهوا سياسة الاصلاح بتصميم اكيد ولكن ببطء وحذر واعتدال .

الدور الثالث ١٨٧١–١٨٧٦
تبدل في الوضع

كان التغيير الذي طرأ على تركيا بوفاة علي باشا اكثر من تغيير في وجوه الحكام فحسب. انه كان تغييرا جذريا في السياسة العثمانية الداخلية والخارجية. فقد تلاشت حركة الاصلاح وانتعشت روح الاستبداد والتسلط واستهان السلطان بالوزراء وراح يصرف الامور بنفسه ولا سيما المالية (٤٩) . ومحاولات الاصلاح التي كانت تعنى الحكومة بتنفيذها في عهود رشيد باشا وفؤاد باشا وعلي باشا توقفت تماما . وزاد شعور العداء والكراهية نحو الدول الاوروبية ، وانعكس هذا الشعور في معاملة الدولة لرعاياها المسيحيين فصرف عدد منهم من وظائفهم . وتطورت فكرة القومية عند قادة الفكر السياسي فيهم من الاخذ بالقومية العثمانية الى الاخذ بالقومية الاسلامية . ونادوا بتوحيد البلدان الاسلامية تحت زعامة السلطان وشددوا على رابطة الدين بين الشعوب مثلما كان الروس يشددون على الرابطة السلافية والالمان على الرابطة الجرمانية (٥٠). وسادت البلاد موجة من التعصب والرجعية كان يخشى معها من وقوع ردة فعل عنيفة .

ولم يكن محمود نديم الذي حل في الصدارة العظمى بعد علي باشا من عيار سلفه حتى يعالج هذه الامور بنجاح . كان ينقصه العلم والجرأة والحزم والدهاء والشخصية القوية وغيرها من الصفات اللازمة للحكام الناجحين. فلم يحكم كما حكم سلفه بل كان آلة طيعة في يد السلطان . وباستثناء مدحت باشا لم يكن الرجال الذين خلفوه في منصبه افضل منه بكثير. اما السلطان عبد العزيز فلم تكن امور الاصلاح

تهمه كما كان يهمه جمع المال لتبذيره على مباذله وشهواته .

وكان لزوال علي باشا عن مسرح الحكم تأثير آخر. لقد جعل ذلك العثمانيين الاحرار المشردين في اوروبا يعتقدون بأن عهد الكبت والاضطهاد والاستبداد قد انتهى فصمموا على العودة الى البلاد ، وخصوصا بعد ان منح الصدر الاعظم الجديد عفوا عاما عن المبعدين السياسيين . وما حلت سنة ١٨٧٢ حتى كانوا جميعهم قد عادوا الى اسطمبول باستثناء محمد بك وعلي سوافي . وكانوا يأملون ان تكون بادرة العفو عنهم صادرة عن تقدير لاعمالهم وتقبل لمبادئهم ورغبة في تحقيق مخططاتهم. وراحوا يعملون بعد عودتهم بهمة ونشاط من اجل تنوير الشعب واثارة الروح القومية في ابنائه عن طريق الادب والتاريخ والسياسة والصحافة وغيرها . وكان اكثرهم نشاطا واغزرهم انتاجا نامق كمال . كان يعمل في السياسة ويؤلف الروايات المسرحية الوطنية ويكتب سير الابطال القوميين ويحرر جريدة « ابرة » . وفي هذا الطور اخذ كمال ، بالاضافة الى تشديده على توضيح مفاهيم الامة والوطن والحرية والعدالة والدستور ، يوجه مقالاته وأبحاثه نحو الوحدة الاسلامية (٥١) . وضرورة تحقيقها كقوة قادرة على الوقوف في وجه الدول الاوروبية .

ولكن سرعان ما خاب امل العثمانيين الاحرار اذ تبين لهم ان الحكومة الجديدة تقف ضد كل اصلاح وانها ليست اقل رجعية وتعسفا وبطشا بالعثمانيين الاحرار من الحكومات السابقة. فقد تعرضوا للاضطهاد والانتقام الشديدين بسبب مبادئهم الوطنية وصراحتهم في انتقاد اعمال الحكومة . ففي سنة ١٨٧١ عزل ابو الضياء من وظيفته لانه لم يحضر الصلاة التي فرض حضورها على جميع الموظفين في الدائرة التي يعمل فيها (٥٢) . وفي سنة ١٨٧٢ عطلت جريدة « الحقيقة » بسبب بعض التعليقات التي كتبها نامق كمال . وزيادة في الاذى صدر قرار في اواسط شهر حزيران من تلك السنة بتعيين كمال وعدد من رفاقه الاحرار ، وهم نوري ورشاد وابو الضياء ، موظفين في مناطق بعيدة في البلاد . ولكنهم

تمكنوا من العودة الى العاصمة في نهاية العام . وعادوا الى التعليق والانتقاد ، فلم تصبر الحكومة عليهم طويلا . وفي اواسط كانون الثاني من سنة ١٨٧٣ عطلت مجلتهم ديوجين (Diyojen) وفي اواخر الشهر نفسه عطلت جريدة « ابرة »لانها نشرت التماسا للعمال المضربين يطالبون فيه بدفع اجورهم المتأخرة . وفي آذار من تلك السنة اسس نورى بـك ونامق كمال جمعية فنية للتمثيل وعرض على مسرحها رواية من تأليف كمال عنوانها « الوطن او سلسترا » وتدور حوادثها حول الدفاع البطولي الذي قام به الاتراك عن حصن سلسترا في الحرب التركية الروسية قبل ذلك بعشرين سنة . فاثارت المواقف الوطنية البطولية حمـاسة الجمهور وهتفوا بحياة كمال طويلا .

لم يرق ما جرى في المسرح للحكومة ، لا من حيث اثارة الروح الوطنية في الجماهير ولا من حيث الشعبية الكبيرة التي فاز بها كمال . وكان للحكومة ما تخشاه منه . فاصدرت امرا بنفي جميع الشباب الاحرار الذي كان لهم علاقة بالرواية ، وهم : كمال وابو الضياء واحمد مدحت ونوري وبركات زاده . ولم تبعدهم هذه المرة كموظفين بل كمساجين عاديين . وقد بقوا في السجون حتى خلع السلطان عبد العزيز في سنة ١٨٧٦[٥٣]. وهكذا قضت الحكومة بشدة على الشباب العثمانيين الاحرار وجمدت نشاطهم .

قد تكون تلك التدابير القاسية بحق الصحافة والعثمانيين المثقفين الاحرار اراحت الحكومة من بعض عناصر الازعاج ولكنها بالتأكيد لم تحل جميع مشاكلها او تنقذها من المصاعب التي كانت تواجهها . وذلك لان الحالة العامة في البلاد كانت تتدهور بسرعة من سيء الى اسوأ . كان السلطان لا يعتدل في اسرافه وتبذيره . فوقعت الخزينة في عجز كبير وبلغت قيمة الديون حوالي مائتي مليون ليرة استرلينية [٥٤] . وفي سنة ١٨٧٥ اعلن الصدر الاعظم محمود نديم عجز الدولة عن دفع الفوائد المترتبة على الديون . فكان ذلك بمثابة اعتراف رسمي بالافلاس [٥٥] فـاثار ذلك الاعلان ضجة في الدوائر المالية الاجنبية وزادت مشاكل الحكومة تعقيدا .

ولم تكن المشاكل المالية وحدها تنذر بالانفجار . كان الاستقرار الصحيح مفقودا . ففي اقل من خمس سنوات تبدل الاشخاص في الصدارة العظمى خمس مرات [٥٦] . وكـــانت حالة الامن قد ساءت واندلعت نار الفتن والثورات في بضعة مناطق من الامبراطورية . ففي سنة ١٨٧٤ كان المحصول الزراعي رديئا في بعض انحاء البلقان. فقدم سكان البوسنة والهرسك التماسا يطلبون فيه تخفيض بعض الضرائب عنهم وتحسين معاملة الاقطاعيين المحليين لهم. ولكن حكومة اسعد باشا لم تهتم بتحقيق شيء من مطالبهم، فغضب سكان الولايتين واعلنوا الثورة. [٥٧]

وما لبث العصيان ان امتد الى بلغاريا ، فأخضعت الدولة ثورة البلغاريين في ربيع سنة ١٨٧٦ بقسوة بالغة . وزاد الحالة سوءاً ان الغوغاء قتلوا في شوارع مدينة سالونيك في السادس من ايار من السنة نفسها قنصلي المانيا وفرنسا لاسباب طائفية فـــاثارت هذه الاعمال الرأي العام الاوربي ضد تركيا وجعلته يطالب حكوماته بالتدخل السريع لوضع حد للمجازر في البلقان [٥٨] .

في ذلك الوقت بلغت الازمة الداخلية في تركيا ذروتهـــا . فالبلاد كانت تجابه تدخلا اوروبيا سافرا وتتعرض لضغط شديد مبطن بالتهديد ، والحكومة كانت اضعف من ان تواجه تلك الاحداث ، وخصوصا لان النقمة عليها كانت كبيرة في الداخل وفي الخارج .

ان تلك الازمة الحادة كانت الباب الذي دخل منه العثمانيون الاحرار الى الحـــكم .

الدور الرابع ١٨٧٦
الانقلاب واعلان الدستور

بينما كانت الحالة الداخلية في تركيا تشتد تأزما كان بعض رجـــال الحكم وكبار الموظفين من اصحاب الميول الاصلاحية التحررية مثل مدحت باشا وحسين عوني باشا وخليل شريف باشا وغيرهم يعدون العدة لضرب ضربتهم في الوقت

المناسب . فمنذ سنة ١٨٧٢ كان خليل شريف باشا يضع مشروع دستور اتحادي للامبراطوية . كما كان يشجع الشبان العثمانيين الاحرار في مجهوداتهم الوطنية ويمدهم بالمساعدة والعون بالرغم من انتقاداتهم اللاذعة للحكومة التي كان هو وزير خارجيتها (٥٩) . وفي سنة ١٨٧٥ ذكر مدحت باشا للسفير البريطاني في اسطمبول انه مهتم بوضع دستور للبلاد وشرح له المبادىء الاساسية التي سيتضمنها ذلك الدستور (٦٠). وكان آخرون يعدون الخطط ويحيكون المؤامرات في السر لخلع السلطان وتبديل الحكام (٦١) .

ولاحت الفرصة موآتية للاحرار العثمانيين ليضربوا ضربتهم عندما اشتدت الازمة السياسية في ايار سنة ١٨٧٦. فقد تظاهر بضعة آلاف من طلاب المدارس الدينية امام دار الحكومة وقصر السلطان مطالبين بالحاح وقوة اقـــالة الصدر الاعظم محمود نديم وشيخ الاسلام حسن فهمي . وكانت تلك اول مرة في التاريخ العثماني يتظاهر فيها الطلاب مطالبين بتغيير الحكومة . وقيل انها كانت من اعداد وتنظيم مدحت باشا ورفاقه . وبسبب الظروف التي كانت سائدة في البلاد اضطر السلطان عبد العزيز الى الاستجابة الى مطالب المتظاهرين . وضمت الحكومة الجديدة التي تشكلت على الاثر رشدي باشا صدرا اعظم وحسين عوني ومدحت باشا . وعين حسن خير الله افندي شيخا للاسلام (٦٢) .

ظهر منذ البدء ان التعاون بين الحكومة الجديدة والسلطان كان متعذرا . فالوزراء كانوا لايثقون بالسلطان ولا يركنون اليه ولا يقبلون ان يكونوا وزراء بالاسم ويستسلموا لمشيئته. وهو بدوره كان لايثق بهم ولا يأمن جانبهم ويخاف من نياتهم . وقد قوى مخاوف السلطان وعززها الجو الذي ساد في العاصمة اثر تولي الحكومة الجديدة الحكم . كانت كلمة « دستور » تتردد كثيرا على السنة الناس . كما كانت توزع نصوص وآيات من القرآن الكريم تبين ان الحكم الصالح هو الحكم الديمقراطي وان السلطة المطلقة التي يستأثر بها السلطان اغتصاب لحقوق الشعب ومخالفة صريحة لاحكام الشرع ، وان الطاعة غير واجبة

للحاكم اذا ما اهمل العناية والاهتمام بمصالح الدولة وخيرها .

وجاء الانقلاب سريعـــا . فقد اخذت الحكومة فتوى من شيخ الاسلام بجواز عزل السلطان وفي ليل ٣٠ ايار ١٨٧٦ احاطت قوة من الجيش بقصر عبد العزيز الذي ابلغ الفتوى بعزله فرضخ لهـا دون مقاومة ووقع وثيقه تنازله عن العرش[٦٣]. وبعد ايام وجد ميتا ، ويقال انه انتحر[٦٤] .

ونودي بمراد الخامس سلطانا جديدا . وكان مراد على اتصـــال وثيق بالعثمانيين الاحرار وعلى تفاهم معهم . وفي الحال اصدر امرا بتثبيت الوزراء الذين قادوا الانقلاب في مراكزهم كما انه اعاد المنفيين الى العاصمة وعين بعضهم في مراكز كبيرة في الدولة . فنامق كمال وضياء عينا اميني سر للسلطان ، وجعل سعد الله رئيسا للديوان في القصر .

ولكن فرصة الاحرار لم تدم طويلا اذ سرعان ما تبين لهم ان السلطان الجديد مصـاب بانهيار عصبي وانه لا يصلح للحكم . فكان عليهم ان يفتشوا عن سلطان جديد . وكان اقرب المرشحين عبدالحميد اخا مراد. وبعد مفاوضات مفصلة وصريحة بين الوزراء الاحرار وعبد الحميد وافق هذا الاخير على ان يتبع سياسة اصلاحية متحررة وتعهد بان يمنح الدستور الذي اطلعه مدحت باشا على مسودة له.

وفي ٣١ آب سنة ١٨٧٦ خلع مراد ونصب مكانه عبدالحميد سلطانا. وفي الحال تشكلت لجنة خاصة لوضع الصيغة النهائية لمشروع الدستور. وظهر ان عبد الحميد كان لا يرغب في الدستور ، او انه ، على الاقل، لا يريده بالنص الذي صاغه فيه واضعوه . فكان يماطل في اقراره واعلانه. وراحوا هم يفاوضونه على التعديلات التي يطلبها ويستعدون في الوقت نفسه لفرضه عليه بالقوة ان اقتضى الامر ذلك. واحس عبد الحميد بما كانوا يعدون له كما احسوا هم ايضـــا بما كان يعده هو لهم ولكن الظروف الخاصة التي كانت تمر بهـــا البلاد بسبب مشكلة البلقان لم تكن

تسمح بأن ينقض احدهما على الاخر .

كانت في اثناء ذلك مشكلة الثورة في البلقان قد ازدادت تعقيدا. ففي صيف ١٨٧٦ اعلنت الصرب والجبل والاسود الحرب على تركيا تأييدا لابناء جنسهم في بلغاريا والبوسنة والهرسك . وذهبت الجيوش التركية تخضع الثوار وتدك معاقلهم. فانتصرت روسيا لهم وكادت الحرب ان تقع بينها وبين تركيا لو لم يتم الاتفاق اخيرا على عقد مؤتمر دولي في اسطمبول في اواخر كانون الاول من تلك السنة لتسوية المشكلة البلقانية برمتها .

ورأت الدبلوماسية التركية ان افضل وقت لاعلان الدستور واظهار العهد الجديد للدول الاوروبية بمظهر التحرر والاصلاح ، لعلها تخفف من حنقها على تركيا ، هو مناسبة انعقاد المؤتمر ، فاعدت جميع الترتيبات لذلك . كان موعد افتتاح المؤتمر في٢٣كانون الاول فأقال السلطان رشدي باشا من الصدارة العظمى، في العشرين منه وعين مكانه فيها مدحت باشا زعيم حركة الاصلاح يومذاك.وبعد يومين فقط من تعيينه وبينما كانت الوفود الدولية في اسطمبول تستعد للمباشرة في اعمال المؤتمر في اليوم التالي دوت اصوات المدافع في العاصمة تعلن للناس مولد الدستور الجديد الذي اعلن المساواة بين الجميع وضمن الحقوق والحريات للمسلمين وغير المسلمين على السواء ، ونص على تمثيل جميع العناصر والمناطق في برلمان للامبراطورية كلها ينتخب اعضاؤه من قبل الشعب بكل حرية ونظام. ولما تقدم المؤتمر الدولي بتوصياته للسلطان بشأن تسوية المشكلة البلقانية في كانون الثاني سنة ١٨٧٧ رفضها عبد الحميد متذرعا بامرين : اولا ، انها مخالفة لمعاهدة سنة ١٨٥٦ التي تحرّم على الدول الاوروبية التدخل في شؤون تركيا ، وثانيا ، لان الدستور الجديد الموضوع على اساس الدساتير الاوروبية الحديثة (٦٥) يحل جميع المشاكل التي قدم المؤتمر توصياته بشأنها .

الخاتمة

١٨٧٧ - ١٨٧٨

كان عبد الحميد طاغية مستبدا وداهية مخادعا لا يثق بأحد ولا يأمن لاحد . وكان يكره الافكار التحررية والمبــادىء الاصلاحية التي جــاهد العثمانيون المصلحون الاحرار من اجلها طيلة سنين. وما تظاهر بتأييدها والموافقة عليها الا لانه رأى انها السبيل الوحيد الذي كان يمكنه من الوصول الى الحكم . وما ان وصل اليه وثبت نفسه في كرسيه حتى اخذ يرسم الخطط للتنكيل بحلفائه ويعد العدة لنقض كل ما كان قد اجبر على منحه من امتيازات وحريات . ومــا ان انتهى المؤتمر الدولي على النحو الذي وصفنا حتى التفت عبد الحميد الى تنفيذ مخططه.

ولما كان عبد الحميد يعتبر مدحت باشا اكثر النــاس خطرا عليه صمم على التخلص منه اولا . ففي الخامس من شباط اقاله من منصبه وامره بمغادرة البلاد فورا على سفينة كانت في انتظاره . واعتبر السلطــان عمله دستوريا شرعيــا لانه منطبق تماما على نص المادة ١١٣ من الدستور .

وللحد من النقمة الشعبية التي كان يخشى ان يثيرهــا عزل مدحت باشا ، ولخداع الشباب العثماني المتحرر وايهامه بأنه ، بالرغم من قضية مدحت باشا ، لا يزال متمسكا بالمبادىء التحررية ومستعدا لتنفيذها كما وعد، امر باجراء انتخاب اعضاء مجلس النواب . وجرى الانتخاب في جو بعيد عن الحرية والنزاهة [٦٦] . وفي ١٩ آذار سنة ١٨٧٧ اجتمع البرلمــان بمجلسيه ، مجلس الشيوخ المؤلف من خمسة وعشرين عضــوا معينين ومجلس النواب المؤلف من مئة وعشرين نائبــا منتخبين. وبالرغم من ضعف ذلك المجلس فأن بعض اعضائه قد برهنوا عن وعي كبير لمسؤولياتهم واظهروا شجاعة وصراحة في عرض مشاكل البلاد ومعالجتها . فكانوا يشيرون الى الفساد ويسمون المخالفين بأسمائهم مهما علت رتبهم. وقد ذهب فريق منهم في جلسة ١٣ شباط سنة ١٨٧٨ الى حد الاصرار على وجوب حضور ثلاثة من الوزراء الذين ذكرت اسماؤهم لاستجوابهم امام المجلس بشأن بعض التهم

المنسوبة اليهم . ولم يتحمل عبد الحميد ان يرى ممثلي الشعب يذهبون الى ابعد من ذلك فأصدر في اليوم التالي امرا بحل المجلس وبوجوب عودة النواب الى مناطقهم (٦٧) . ولم يلبث ان علق الدستور ايضا ، ولم تعرف تركيـــا مجلسا او دستورا بعد ذلك الا بعد ثلاثين سنة عندما خلع عبد الحميد .

مثلما تخلص عبد الحميد من مدحت باشا ومن المجلس والدستور كذلك تخلص من الصحافة الحرة ومن جماعة « تركيا الفتـــاة » . فقد فرض قيودا شديدة على الصحافة وصار يعطل الجرائد المعارضة مرة بعد اخرى لأتفه الاسباب ويعرضها لخسائر لا قوى لها بتحملها فتوقفت ولم يبق سوى الجرائد المؤيدة الموالية (٦٨) .

اما الصحفيون وجماعة «تركيا الفتاة» فقد شتتهم في مختلف انحاء البلاد. لقد عاد ونفى مدحت باشا من جديد الى شبه الجزيرة العربية حيث قتل خنقـا في سجنه سنة ١٨٨٤ ، وارسل رأسه الى السلطان ليتأكد بنفسه من موته ويطمئن خاطره. وعين نامق كمال موظفا في جزر الارخبيل حيث بقي حتى وفاته في سنة ١٨٨٨ . وعين ضياء واليا على سورية ثم على اضنه حيث توفي سنة ١٨٨١ . وارسل اغا افندي الى انقره ثم الى اثينا حيث توفي في سنة ١٨٨٦ . وكان شيناسي قد توفي في سنة ١٨٧١ ومصطفى فاضل في سنة ١٨٧٥ . اما علي سوافي فقد قتل مع عدد من رفاقه في سنة ١٨٧٨ في محاولة لانقاذ السلطان السابق مراد من محتجزه (٦٩) .

ان العام ١٨٧٨ كان عاما سيئا بالنسبة الى قضية الاصلاح والحرية في الامبراطورية العثمانية . ففيه قضت سياسة عبد الحميد الرجعية الاستبدادية على محوري حركة الاصلاح والتحرر في الامبراطورية العثمـــانية . لقد اوقف حركة الاصلاح ، المعروفة « بالتنظيمات » ، التي كانت تقوم بها الدولة ، ونكّل بالعثمانيين المثقفين الاحرار وشتتهم واسكتت اصواتهم . في تلك السنة خسرت جمـاعة « تركيا الفتاة » الجولة الاولى في معركة الحرية والاصلاح مع عبد الحميد وكتب عليها ان تعود من جديد الى العمل في الظلام لتنظيم صفوفها وتطوير مبادئها بانتظار ساعة الخلاص التي لم تسنح الا بعد مضي ثلاثين سنة .

المراجع والتعليقات

١) Hatt-i Hümâyun of Gülhane

٢) Encyclopedia of Islam: under *Tanzimat*. Vol. 4, p. 659

٣) The "High Council"

٤) Miller, William: *The Ottoman Empire 1801-1913*, p. 257

٥) Davison, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire* 1855-1876 p.2

٦) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought, p. 16-17*

٧) Encyclopedia of Islam, vol. 1: under *Tanzimat, p. 659*

٨) Davision, Rodrick, *Reform in the Ottoman Empire*, p. 121-122

٩) La Jonquière, le Vte. De: *Histoire de l'Empire Ottoman*, Vol. 1, p. 143-144

١٠) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 117

١١) Ibid, p. 108

١٢) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Fhought, p. 17-20*

١٣) La Jonquière, Le Vte. De: *Histoire de l'Empire Ottoman*, Vol. 1, p. 460

١٤) Kuleli Revolt

١٥) Mardin, Serif. *The Genesis of Young Ottoman Thought*. p. 18

١٦) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*. p. 118

١٧) Encyclopedia of Islam, vol. 4, *under Tanzimat*, p. 659

١٨) Lewis, Bernard, *The Emergence of Modern Turkey*, p. 120

١٩) Davison, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire* 1856-1876, p.190

٢٠) راجع المادة الثانية من النظام الاساسي لجبل لبنان

٢١) وزير الخارجية التركية

٢٢ كانت اللجنة الدولية مؤلفة من : بريطانيا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا وتركيا

٢٣) Lewis, Bernard: The Emergence of Modern Turkey, p. 119

٢٤) Davison, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire*, p. 304

٢٥) يذكر هملن (Hamlin) في صفحة ٣٦٦ ان عدد المدارس الاسلامية في تركيا بلغ في سنة ١٨٦٤ اثنا عشر الفا وخمس مئة مدرسة تضم نصف مليون تلميذ . لا يذكر هملن مصدره . وقد يكون هذا الرقم مبالغاً فيه .

٢٦) Robert College

٢٧) Bliss, Frederick: *Reminiscences of Daniel Bliss*. p. 187

٢٨) Davision, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire*. p. 305

٢٩) راجع بشأنها The Imperial Ottoman Lycée at Galatasaray.
Davision, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire*, p. 306

٣٠) Lewis, Bernard: *The Emergence of Mod rn Turkey*, p. 119-120

٣١) Davison, Roderick: *Reform in the Ottoman Empire*, p. 305

٣٢) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*. p. 110

٣٣) Mardin, Serif: *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 19

٣٤) Lewis, Bernard. *The Emergence of Modern Turkey*, p. 131

٣٥) Mardin: Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, 285

٣٦) Emin, Ahmad: *The Development of Modern Turkey*, p. 31-35

٣٧) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p.311

٣٨) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p.138 - 141

٣٩) Emin, Ahmad: *The Development of modern Turkey as Measured by its Press*, p. 36

٤٠) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*. p. 146

٤١) بالتركية "Ittifak-i Hamiyyet"
ترجمته بالانكليزية : "The Patriotic Alliance"

٤٢) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p. 13

٤٣) راجع الصفحة ١٢١ من هذا البحث .

٤٤) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 150

٤٥) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p. 42

٤٦) "The Young Ottoman Society". "Yeni Osmanlilar"

٤٧) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 151

٤٨) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p. 49-50

٤٩) Knight, E.F.: *The Awekening of Turkey*, p. 29

٥٠) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p. 59-61

٥١) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*. p. 59-61

٥٢) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought* p. 59-61

٥٣) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought* p. 67

٥٤) Eversley, George: *The Turkish Empire from 1288-1914*, p. 315

٥٥) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 155. and
رامزور ، ارنست . تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ٤٢

٥٦) وهذه اسماؤهم : محمود نديم باشا ، مدحت باشا ، حسين عوني باشا، اسعد باشا ثم محمود نديم باشا مرة ثانية .

٥٧) La Jonquière: Le Vte. De: *Histoire de l'Empire Ottoman*, vol. II, p. 49

٥٨) Miller, William: *The Ottoman Empire*, 1801-1913, p. 366-367

٥٩) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p.66

٦٠) Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 160

٦١) Mardin, Serif: *The Genesis of the Young Ottoman Thought*, p. 46, 67

٦٢) Lewis, Bernard: *The Emergence of modern Turkey*, p. 157

Ibid, p. 158 (٧٣

Mardin, Serif: T*he Genesis of the Young* Ottoman Th*ought*, p.72 (٦٤

Eversley, George: T*he* T*urkish Lmpire 1288-1914*, p. 324 (٦٥

Emin, Ahmed: T*he Development of Modern* Turkey *as Measured by its Press*, P. 55 (٦٦

Lewis Bernard: T*he Emergence of Modern* Turkey, p. 165 (٦٧

Emin, Ahmed: T*he Development* of *Modern* Turkeyi*as Measur d by ils Press*, p. 57-59 (٦٨

Merdin, Serif: T*he Genesis of the Young* Ottoman Th*ought*. p. 76- (٦٩

بعض المراجع

١) باللغة الانكليزية :

Bliss, Frederick : The Reminiscences of Daniel Bliss (New York 1920)

Davision, Roderic : Reform in the Ottoman Empire 1856-1876 (Ph. D. Thesis - Harvard University 1942)

Emin, Ahmed : The Development of Modern Turkey as Measured by its Press (New York 1914)

Eversley, George : The Turkish Empire from 1288-1914 (London 1924)

Hamlin, Cyprus : Among the Turks (New York 1877)

Knight, E.f. : The Awakening of Turkey (A History of the Turkish Revolution (London 1909)

Lewis, Bernard : The Emergence of Modern Turkey (London 1961)

Mardin, Serif : The Genesis of the Young Ottoman Thought (Princeton University Press 1962)

Miller, William : The Ottoman Empire 1801-1913 (Cambridge 1913)

Penrose, Stephen : That They May Have Life (The Story of the American University of Beirut 1866-1941) (New York 1941)

٢) باللغة الفرنسية :

Engelhardt, Edouard: La Turquie et le Tanzimat: (ou Histoire des réformes dans l'Empire Ottoman depuis 1826 jusqu' à nos jours) 2 vol. (Paris 1882-1884)

La Jonquière, Le Vte De: Histoire de l'Empire Ottoman (Depuis les Origines jusqu' à nos jours (Paris 1914).

الطريقة وأصولها في القرآن الكريم

سيد حسين نصر
ترجمة : محمود زايد

ان الطريقة التي تعرف بالتصوف هي الجانب الداخلي والباطني للاسلام، ولها كما للشريعة أصول في القرآن والسنة النبوية الشريفة . وحيث أنها القلب النابض الرسالة الاسلامية فأنه لا سبيل الى رؤيتها من الخارج ، هذا رغم أنها ، كالقلب ، مصدر الحياة الداخلي والمركز الذي ينظم كيان الاسلام كله من الداخل . ومع أن الطريقة اشد جوانب الاسلام دقة وصعوبة على الفهم فإن آثارها واضحة في كثير من مظاهر المجتمع الاسلامي وحضارته. على أن مهمتنا في هذا الفصل ليست بحث مظاهر الصوفية في التاريخ الاسلامي وانما هي تحديد مبادىء الطريقة واصولها في القرآن الكريم . وسنعرض بايجاز خصائص الروحية الاسلامية التي تحرسها الطريقة وتهيء لها سبل التحقق .

والشريعة هي الناموس الالهي. وبحكم قبولها يصبح المسلم مسلما. وكما انه لا بد لمن يود صعود الجبل من السير على الأرض المستوية، فانه لا سبيل الى تحقق التوازن الذي يشترط فيمن يسلك طريق الصوفية الا باتباع اوامر الشرع ونواهيه. وبدون الشريعة تستحيل الحياة الصوفية . والحقيقة هي أن الطريقة والشريعة تلتقيان في الشعائر والاتجاهات .

وقد شبه بعض شيوخ الصوفية المتقدمين، وبخاصة اصحاب الطريقة الشاذلية، العلاقة بين هذين الأساسين في الاسلام برمز هندسي هو الدائرة . فمن اية نقطة في

الفضاء يمكننا ان نرسم دائرة وان نمد عددا غير محدود من **الأشعة تصل** كل نقطة على محيطها بمركزهـا . ورمزوا بالمحيط الى الشريعة التي تشمل بمجموعها الأمة الاسلامية كلها . وبقبول المسلم للشريعة يصبح في هذه الحـالة كالنقطة على محيط الدائرة . اما الاشعه فترمز الى الطرق. وكل شعاع منها هو طريق من المحيط الى المركز. وعليه فهناك كما يقول الصوفية طرق الى الله كثيرة كأبناء آدم. **فالطريقة** التي تتخذ اشكالا كثيرة تختلف باختلاف امزجة الناس وحـاجاتهم الروحية المختلفة ، هي بمثابة الشعاع الذي يصل كل نقطة بالمركز . ولا يمكن للانسان ان يكتشف شعاعا يصله بالمركز الا بالوقوف على المحيط ، اي بقبول الشريعة . ولا تتحقق للمرء امكانية عبور طريق الحياة الروحية الا باتباع الشرع .

وفي المركز اخيرا توجد الحقيقة التي هي مصدر الطريقة والشريعة معا . وكما ان النقطة من الناحية الهندسية تولد الاشعة والمحيط ، فان الحق تعـالى بقدرته الالهية يخلق الطريقة والشريعة معا،وهو الحقيقة او المركز الموجود **«في كل مكان وفي لا مكان»** . فالله تعالى خلق الشريعة والطريقة وميز بينهما . وفي كلتيهمـا يتجلى المركز على نحوين مختلفين. وبممارسة الشريعة يعيش الانسان في ظل المركز او الوحدانية لان المحيط هو انعكاس للمركز . وعلى هذا فـان الشريعة شرط ضروري وكاف للحياة الكلية وللنجاة. بيد ان هناك دائما من لا يقنعون بسبب من تركيبهم الباطني بالحياة في ظل المركز وانما يسعون الى الوصول اليه . واسلامهم يقضي بسلوك الطريق الى المركز. **والطريقة** في نظرهم هي السبيل الذي هيأته لهم العناية الالهية لبلوغ الهدف النهائي وهو **الحقيقة** ومبدأ كل شيء واساس الشريعة والطريقة او المحيط والأشعة .

وعلى الرغم من ان الاسلام الكلي قد استطاع خلال تاريخه ان يحـافظ على التوازن بين الشريعة والطريقة فلم يخل الأمر احيانا من تأكيد الواحدة على حساب الاخرى . فهناك من انصرف عن الشعاع الى المحيط ، ومن انكر الطريقة محتجا بالشريعة . وبينما كان البعض بحكم عملهم حراسا على الشريعة يدافعون عنها وعن

ضرورتها المطلقة ، كانوا هم انفسهم على صعيد آخر يقبلون **الطريقة** ويسلكونها .
وهؤلاء هم **علماء الظاهر** او الفقهاء الذين نيط بهم امر المحافظة على تعاليم الشريعة . فمنهم من انكر الطريقة انكارا تاما واكتفى بظاهر الدين ، وهؤلاء هم **العلماء القشرية** الذين لو أوكل اليهم امر الامة كلها لحطموا التوازن بين الجانبين الظاهري والباطني . لكن على الرغم من ان رد الفعل الذي اثاره الغرب الحديث قد ادى الى غلبة اتجاه معين قائم على هذه النظرة في بعض الجهات ، فأن هذه النظرة نفسها لم تظفر ابدا بقبول جميع المتدينين لها ، وبقيت مسألة فرعية. فالكثرة الغالبة من المسلمين كانت ولا تزال تعتبر الصوفي مسلما متدينا وتحترمه لعمق حياته الدينية حتى وان كان باقي الأمة الاسلامية لا يعرف اولا يفهم جميع اعماله .

على ان هناك ايضا من حاول احيانا ان يحطم التوازن لاعلاء شأن **الطريقة** كما لو ان وجود الطريقة في هذا العالم يمكن بدون الشريعة التي هي بمثابة ترسها الواقي من المؤثرات الدنيوية . والواقع ان كثرة من الحركات التي انتهت بقيام فرقة من الفرق او حتى بالانحراف عن الدين والخروج عليه كانت محاولات لاظهار الباطن بدون سند من الشريعة . وعلى العموم فان كثيرا من الفرق الدينية المزيفة المارقة عن الدين تبدأ من اصول باطنية وتنحرف عن طبيعتها الأصلية بتحطيم اطار الشريعة الواقي ، وينتهي الأمر بان تصبح اما فرقا صغيرة ضررها بسيط نسبيا ، واما فرقا دينية مزيفة خطيرة يتوقف خطرها على التربة التي تنشأ فيها .

وفيما يختص بفهم القرآن الكريم استطاعت الامة الاسلامية بمجموعها ان تحافظ على التوازن بين الظاهر والباطن او بين التفسير والتأويل . ونجح الدين بمفهومه الكلي دائما في منع الشريعة من اخماد الطريقة ، وفي منع الطريقة من تحطيم اطار الشريعة ، وبالتالي من تحطيم التوازن في المجتمع الاسلامي . فهذان الجانبان من الاسلام هما مصدر حيويته الدينية والروحية خلال العصور ، ومنهما تكون الاسلام المتكامل القادر على خلق مجتمع ديني ومعايير للحياة الروحية

الباطنية . فالاسلام كما يذهب الصوفية في رمزهم المعروف اشبه بـــالجوزة : قشرتها بمثابة الشريعة ، ولبها بمثابة الطريقة ، وزيتها الذي لا يظهر بالرغم من وجوده في كل مكان هو بمثابة الحقيقة . وكما انه لا يمكن للجوزة ان تنمو في الطبيعة بدون القشرة ، فانها اذا فقدت اللب فقدت الغاية من وجودهـــا . والشريعة بدون الطريقة جسد بـلا روح ، واذا فقدت الطريقة الشريعة فقدت درعها الواقية واسباب البقاء والظهور في العالم الدنيوي . وكلتاهما بالنسبة لمجموع الاسلام ضرورية ضرورة مطلقة .

وينبغي لنا ان نفهم كثيرا من اقوال الصوفية المنافية للشريعة في الظاهر فقط على اساس الظروف التي صدرت فيها والناس الذين قيلت لهم . وينبغي الا نتخذ من قول احدهم كحافظ بان على المرء ان يلقي فراش صلاته جانبا او قول ابن عربي بان قلبه هيكل لعبدة الاصنام دليلا على انكار هذين الشيخين للشريعة . فالواقع انهما كان يخاطبان جمعا مؤمنا بالشريعة وكانا يحثان الناس على الاستعلاء عن الصور الظاهرية بالنفاذ الى المعاني الباطنية للشريعة . وهناك فرق بعيد جدا بين امـة يلتزم كل فرد منها بالشريعة وبين امة لا يلتزم الشريعة فيها احد .

في العالم اليوم كثيرون ممن يودون النفاذ الى ما وراء الصور وهم لا صور لديهم ، ويريدون حرق الطوامير – على حد تعبير البوذيين – وهم لاطوامير في حوزتهم . والانسان لا يستطيع ان يطرح جانبا شيئا ليس بين يديه . لكن الصوفية الذين كانوا يدعون الناس الى نبذ الصور الظاهرية كانوا يخاطبون اناسا كانت هذه الصور في حوزتهم . ولم يكن يخشى على الناس من خطر الخروج على احكام الشرع . فالشريعة كانت على الدوام اقوى من ان يتهددها مثل هذا الخطر . اما اليوم فالناس يعيشون بدون اية صورة دينية ، ويتوهمون بأن عجزهم عن بلوغ عالم الظاهر انما هو استعلاء عليه . وعليه فالوصول الى الطريقة لا يتم الا بالشريعة . اما ما ينكره رجال الطريقة انكارا ظاهريا فليس هو الشريعة وانما هو حصر الحقيقة في الصور الظاهرية وحدها . وليس ما هو ابعد عن نيات الصوفية من محاولة

تحطيم الشريعة والمناداة بالفردية والثورة على الاحكام الدينية . فلا يقصدالى هذا غير المجددين الذين يريدون القيام به باسم الصوفية . وان الحرية التي تهيئها الطريقة بقبول احكام الشريعة ثم بالاستعلاء عليها اعلى طرفي نقيض من « الحرية » الكمية التي بها يرفضون الشريعة رفضا تاما . ولا شبه بين حالي الحرية هذين الا بمقدار ما بين المسيح والمسيخ. ولا يخلط بين هذين الصنفين من الحرية الا ساذج او مكابر . ولا يجوز لأحد ان ينبذ الظاهر الذي ليس لديه باسم الباطن . والحكم على الشجرة يكون بثمرها ، ولا نحتاج الى برهان على عقم مثل هذه المحاولة اقوى من ثمر لا خير فيه .

وخير برهان على الترابط الداخلي بين الطريقة والشريعة هو انتشار الاسلام في كثير من جهات العالم بطريق الصوفية . وقد انتشر الاسلام اول ما انتشر في مناطق معينة من الهند وجنوبي شرق آسيا وفي اجزاء كبيرة من افريقية بفضل مشايخ الصوفية وتأسيس الطرق الصوفية . وتلا هذا انتشار الشريعة والاسلام انتشارا واسعا . فاذا كان التصوف عنصرا اجنبيا دخيلا على الاسلام كما يريد منا كثير من المستشرقين ان نعتقد ، فكيف قـــام التصوف بشق الطريق امام الشريعة ؟ نجد الجواب في الترابط الداخلي بين الشريعة والطريقة هذا الترابط الذي به امكن انتشار الاسلام على ايدي مشايخ واولياء الصوفية الذين ضربوا مثلا حيا على الروحية الاسلامية .

ولقد ظفر الدور الذي تلعبه الطريقة بوصفها الجانب الباطني للشريعة بالاعتراف حتى من بعض كبار الفقهاء ومؤسسي المذاهب الاربعة الذين اكدوا على اهميته في تهذيب الاخلاق الاسلامية . ويروى ان الامام مالكا قال : « من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن يتصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق » . وقال الامام الشافعي : « احبب الى دنياكم ثلاث : ترك التكلف ، وعشرة الخلق بالتلطف ، والاقتداء بطريق اهل التصوف » . وان كان الغزالي الفقيه المتكلم الصوفي قد وصف سيرتهم بانها « احسن السيرة » وطريقتهم بانها « أصوب الطرق » فان فخر الدين الرازي الذي كان من متكلمي الاشاعرة قال

بان « المتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية وهؤلاء هم خير فرق الآدمين » . ونجد الشيء ذاته او ما يفوقه عن التصوف في كتب الشيعة لأن اقوال الأئمة ، وبخاصة الامام علي ، ليست اساس الفقة الشيعي فحسب ، بل واساس الطريقة . ويعتبر الامام علي بوصفه امام الطريقة في الاسلام مرجعا ثانيا بعد النبي صلى الله عليه وسلم للطريقة عند السنة والشيعة .

اما فيما يختص بوضع الطريقة بالنسبة للسنة والشيعة فهو معقد لا يمكننا ان نوفيه حقه من الشرح في بضع كلمات . وكخطوة اولى في توضيح العلاقة يمكن القول بان هناك بين السنة من يتبع التصوف ، اى ينتظم في الطريقة ، وهناك بينهم من يتبع الشريعة فحسب . وكذلك بين الشيعة من يتبعون الشريعة وحدها ، وبينهم من ينتمي الى احدى الطرق . وعليه يمكن القول بان وحدة الصوفية او الطرق هي فوق التقسيم الى سنة وشيعة ، فهما يؤلفان معا محيط الدائرة التي يرمز شعاعها الى الطريقة . والطريقة موجودة في كلا العالمين الشيعي والسني ، وتتكيف في كل حالة مع المحيط الذي تزدهر فيه .

لكن مما يزيد في تعقيد العلاقة ان امام الشيعة الأول وهو علي بن ابي طالب ، هو نفسه امام الباطن ، وانه لاريب في ان مذهب الشيعة وكلامهم يشتملان حتى في علومهم الظاهرية على عناصر باطنية . وعلى الرغم من ان التشيع ذاته يشتمل على تعاليم باطنية فاننا لانستطيع ان نعتبره هو والباطنية في الاسلام بوجه عام شيئا واحدا ، وذلك لأن للتشيع شريعة وجانباً باطنياً . ولهذا يمكن القول بصدد هذه المسألة الدقيقة المعقدة انه بينما توجد الطريقة او الصوفية داخل المذهبين السني والشيعي ، فان التشيع بجمله تفسير اشد باطنية للوحي ، وان التعاليم الشيعية تشتمل على عناصر اقرب الى تعاليم الصوفية .

وحصيلة القول هي ان البناء الكلي للاسلام يظل بعيدا عن التغير من حيث ان فرعي الأمة الاسلامية وهما السنة والشيعة او الشريعة والطريقة موجودان فيه . بل يمكن القول بانه اذا كان التشيع هو « اسلام علي » فان بركة علي ماثلة

في العالم السني في الطرق الصوفية وفي الاصناف الذين كانوا فيما مضى مرتبطين بالطرق . وكذلك فان تعاليم علي وغيره من ائمة الشيعة التي تكون الأساس الثاني للتشيع بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة موجودة ايضا في الصوفية المنتشرة في عالم السنة ، لكنها لا تعتبر تعاليم ائمة الشيعة بل تعاليم ائمة الباطنية الاسلامية . ولا يمكن القول بان التشيع هو مصدر التصوف لأن التشيع يشتمل على العنصر الباطني وعلى الشريعة ايضا . لكن لما كان علي هو اساس التشيع وامام الباطن في الوقت ذاته ، يمكن القول بان للتشيع والصوفية اساساً مشتركاً وان فيهما عناصر كثيرة مشتركة . لكن ينبغي الا ننسى ان التشيع لا يقتصر على كونه التصوف الاسلامي فحسب بل هو تفسير شامل للاسلام موجه الى الانسانية كلها ، كما انه ، مثل السنة ، يشتمل على الشريعة والطريقة القائمتين على اساس القرآن الكريم والحديث والسنة النبوية .

على ان المستشرقين الذين يدركون ان جذور الطريقة راسخة في القرآن الكريم هم قلة . فقبل سنوات طويلة كتب ماسنيون يقول بانه يتضح من قراءة القرآن الكريم عدة مرات انه مصدر للطريقة . واعترف مارغوليوث ايضا بانه القرآن مصدر الصوفية . وايد هذه النقطة الاساسية المستشرق قربان ، وهو صاحب نظرة تختلف عن نظرة غالبية المستشرقين ، ويقوم بابحاثه في الاسلام بروح من الفهم والرغبة الشخصية والمشاركة الروحية . لكن الأكثرية الساحقة من المستشرقين الذين قد لا يريدون الاعتراف بوجود جانب روحي للاسلام نادوا بمختلف انواع النظريات لتفسير اصل الصوفية ، لكن نظرياتهم تبحث في الواقع مظاهر الصوفية الثانوية لا الصوفية ذاتها .

هناك عدد من النظريات عن اصل الصوفية جاء انتشارها في الظاهر على شكل دائري : فكل منها احتلت مقام الصدارة بين الباحثين ردحا من الزمن ثم اصبحت هدفا للنقد وفقدت اهميتها ، ثم عادت الى الظهور والانتشار من جديد . فما اكثر المذاهب في اصل الصوفية : هناك من ارجعها الى مؤثرات

الافلاطونية الحديثة او الرهبنة المسيحية او «رد الفعل الآري ضد الدين السامي» او المجوسية او المانوية او الهندية او البوذية وغيرها من الديانات والفلسفات. واتخذ اصحاب كل مذهب من التشابه الظاهري او ربما الاقتباس التاريخي لأسلوب او تعبير معين برهانا جديدا على ان اصل الصوفية غير اسلامي . على ان وراء حججهم كلها تقريبا افتراض مسبق بان الاسلام دين غير سماوي وعليه فلا يمكن ان يكون له جانب روحي اصيل . وهناك كذلك الاعتقاد الغربي القديم بان الاسلام « دين سيف » بسيط كون مجتمعا بالقوة، ولهذا فلا بد وان يكون قد اقتبس كل عنصر له طبيعة روحية او عرفانية من خارجه .

لكن هؤلاء الذين ينادون بان اصول الطريقة خارجة عن الاسلام يهملون الطبيعة الفعلية للطريقة الروحية . فالطريقة الروحية هي التي تمكن الانسان من ان ينفذ الى ما وراء القيود البشرية ويقترب من الله . وعلى هذا فلا يمكن لهذه الطريقة ذاتها ان تكون من صنع الانسان . فان محاولة الانسان الاستعلاء على الطبيعة البشرية بوسائل من صنع البشر تنطوي على خطأ منطقي . وينبغي لمن يسلم بحقيقة الحياة الروحية ان يسلم بالحقيقة التالية وهي انه لا بد وان تكون الطريقة فضلاً من الله يؤتيه من يشاء وانها بالتالي طريقة خلقها الله ليسلكها عباده الصالحون .

ويمكننا تطبيق هذه الحقيقة الأساسية على الصوفية ايضا . فاما ان تكون الطريقة في الاسلام طريقا روحيا يؤدي بصاحبها الى الولاية وتشهد ثمارها على اصلها الالهي بما تبعثه من عبير روحي ، واما انها اقتباس من خارج الاسلام اي انها من صنع البشر واقتباسهم . ويتحتم عندئذ الا تكون طريقة روحية ولا فائدة من البحث فيها . لكن اذا كانت تخرج اولياء صالحين ولها فاعلية روحية فلا بد وان تكون عندئذ هذه البركة الالهية، التي تجعل التحول الروحي ممكننا، من مصدر الهي ، ولا بد ايضا وان تكون نابعة من الوحي الاسلامي ذاته . وينبغي ان تكون هي البركة المحمدية . اذ من المؤكد ان البركة المسيحية لا تقدر على ان

تخرج وليا مسلما يحمل صورة مصغرة للعبقرية الاسلامية اكثر مما تقدر البركة المحمدية على اخراج قديس نصراني؛ غير ان بركة الدين الآخر تستطيع في حالات استثنائية ان تساعد على تحقق الغاية الروحية .

قد لا تكون هذه الحجج صائبة في نظر من ينكرون صدق الحياة الروحية ، ولكن لا يستطيع احد ان يسلم بحقيقة الروحية المسيحية مثلا وينكر روحية الاسلام على اساس الحجج التاريخية . فلكل دين شجرة روحية لا بد وان تمتد جذورها الى اصوله . فلا يقبل مسيحي القول بان روحية القديس اوغسطين يونانية بسبب معرفته بالافلاطونية او الافلاطونية الحديثة وذلك لان المسيحي يدرك ان القديس صار قديسا لا بقراءته كتب الفلاسفة القدماء وانما ببركة المسيح. اما حكماء اليونان مثل افلاطون او افلوطين فانهم امدوه بلغة صالحة للتعبير عن حقيقة هي مسيحية .

لكن البعض لا يدركون انه من الخطأ كل الخطأ اعتبار روحية الحلاج او ابن عربي او رومي غير اسلامية استنادا الى ان الحب الذي تحدثوا عنه يحمل بعض الشبه بتعاليم المسيح او بناء على استخدامهم صيغا معينة في مذهبهم نقلوها عن الافلاطونية الحديثة او الهرمسية . فليست هذه الفكرة او تلك التي نادى بها الحكيم اليوناني او الحكيم النصراني هي التي جعلت من هؤلأ صوفيين وانما هي البركة المحمدية او « الحضور الالهي » الحقيقي الذي تهيء لنا الصوفية الطرقَ والوسائل للوصول اليه . وما هذه البركة الا ثمرة شجرة الاسلام الروحية ، ولا يتأتى لشجرة ان تؤتي ثمارا الا اذا كانت جذورها في التربة التي تغذيها . وفي حالة الشجرة الروحية لا بد « للتربة » وان تكون الوحي الالهي ، ولا بد وان تكون الجذور حلقة الوصل المباشرة بين كل مظهر روحي في اية ديانة وبين اصلها .

اذا كنا قد اطلنا في دحض وجهة النظر السائدة بين المستشرقين عن اصل التصوف فذلك لأنها تشوه صورة الاسلام الكلية ، وبالتالي يستحيل معها فهم

التصوف فهما حقيقيـــا . وبمجرد اعتبار الصوفية عنصرا اجنبيــا منقولا يصبح الاسلام ذاته في نظر الاجنبي نظـــاما سياسيا اجتماعيا لا اكثر ولا يرضي اعمق النزعات الروحية عند الانسان . وان سبب الاهمال النسبي لدراسة الاسلام اليوم في حقل دراسة الدين المقارن هو بالضبط اهمـــال الجوانب الروحية في الاسلام واعتبارها في الغالب غير اصيلة فيه . ولا يمكن ان تدرس الصوفية دراسة جدية وان تفهم فهما كاملا الا اذا ادركنا ان جذور الطريقة او الجانب البـــاطني في الاسلام راسخة في القرآن الكريم ، وان الطريقة كباقي المظاهر الاصيلة في الدين الاسلامي قائمة على القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

وقبل ان ننتقل الى بحث اصول الطريقة في القرآن الكريم نرى من المهم ان نحدد معنى الاسماء التي يعرف بها اتباع الطريقة. ان مدلول كلمة تصوف بالعربية هو تلك الحكمة الالهية التي يحفظها اصحاب الطريقة وينشرونها بين اتباعهم. ومهما يكن من امر اشتقـــاق كلمة تصوف – سواء كان من الصوف الذي كان يلبسه المتصوفون المتقدمون او من الصفـــاء الذي يطمحون الى الوصول اليه او من الكلمات الاخرى العديدة التي تناولها البـاحثون في المراجع القديمة والحديثة – فان مدلولها الديني هو «الحكمة الالهية» بالضبط . والحقيقة هي ان كلمة التصوف في علم الجفر المتصل بحروف الابجدية يساوى عـدديا « الحكمة الالهية » ويعتبر الصوفية اصطلاح التصوف اساسيا وساميا الى حد لا يجوز معه اشتقاقه في مصدر آخر .

ويعرف المتصوف بالفقير استنادا الى الآية (والله الغنيُّ وانتمُ الفقراء)(محمد: ٣٨). ويسعى الفقير الى بلوغ الفقر المحمدي اي الى ان يدرك انـــه لا شيء لديه وان كل شيء من عند الله تعالى ، وانه لا شيء وان الله تعـــالى هو الوجود المطلق الوحيد. وتسمية الفقير بالصوفي عند الشعوب الاسلامية تسمية بعيدة عن الليـــاقة لان الصوفي هو من بلغ نهاية الطريق . والافضل تسميته بالمتصوف اي الممارس للتصوف . ثم هناك من يعيشون بتعاليم الصوفية بدون اتباعها . ويعرف

هؤلأ بالمستصوفين لانهم ، كما وصفهم احد مشايخ الصوفية ، كالذباب يحوم حول الحلوى .

ويعرف الصوفية ايضا باسماء اخرى مثل «اهل الطريقة» و «اهل الاشارة» « واهل القلب» بالفارسية وغيرها من الاسماء التي يدل كل منها على جانب معين من جوانب الصوفية . ويعرف الفقير بالفارسية بالدرويش ومن الفارسية انتشر هذا الاصطلاح بين باقي المشارقة المسلمين . ويعرف كذلك بالمريد (اي من يريد اتباع الطريقة) . اما الشيخ الذي لا بد من وجوده لهداية السالكين في مفاوز السلوك فيعرف بعدة اسماء مثل المرشد والمراد ، ويعرف بالفارسية بكلمة (بير). وهذه كلها اصطلاحات خاصة بالصوفية .

ان للاعتقاد وللاعمـــال التي تتمسك بها الطريقة جذورا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . فمن حيث الاعتقــاد فان الصوفي يسعى الى تحقيق معنى شهادة ان لا اله الا الله، ويسعى باعماله الى تعظيم شأن سيرة الرسول (ص) الذي هو اساس الصوفية ومحقق التوحيد الذي تنطوي عليه الشهادة تحقيقا كاملا. ويبدأ الصوفي بالسؤال عن المعنى الحقيقي لشهادة ان لا اله الا الله . ويكتشف الجواب بالحيــاة طبقا للمثل الذي ضربه الرسول الكريم . ويبدأ التصوف بالبحث عن اعمق المعاني للمعتقدات الاساسية في الاسلام .

ويتم للصوفية تحقيق التوحيد كما هو في الشهادة باقتدائهم في حيــاتهم اقتداء تاما بالرسول (ص) . ولم تبلغ اية فئة من الشعوب الاسلامية مبلغ الصوفية في شدة حـــرصهم على تعظيم شأن السيرة النبوية الشريفة . ولا يسعى الصوفية في حياتهم اليومية الى العيش طبقا للسنة النبوية فحسب ، وانمـــا يسعون ايضا الى سلوك الطريقة الى التجربة الروحية التي نجد مثالهــا الاصيل في خبر المعراج ليلة الاسراء برسول الله (ص).

ففي ذات ليلة اسرى برسول الله الى القدس الشريف ومن هناك صعد خلال السماوات او مراتب الوجود العديدة التي ترمز اليها الافلاك المتحدة المركز في علم

الفلك القديم الى الحضرة الالهية . وطاف الرسول يرافقه دليله جبريل (ع) اقرب الملائكة في جميع العوالم الى ان بلغ حدا ابى جبريل ان يتجاوزه ، لانه لو فعل ذلك « لاحترق » جناحاه ، وهذا اشارة الى ان المرحلة النهائية من الرحلة كانت اعلى من مرتبة عالم الجبروت . وعلاوة على هذا فان الرسول قام بهذه الرحلة لا بعقله او بروحه فحسب وانما بجسده ايضا . وفي هذا اشارة الى ان الرحلة ترمز الى كمال وجوده الكلي بما في ذلك الجسد وهو شبيه بما يحدث حين يبعث الانسان روحا وجسدا .

والمعراج هو المثال الاعلى للرحلة الروحية عند الصوفي . على ان هذا ، اي الصوفي ، يأمل في ان يقوم برحلته روحيا فقط لا بكليته . ورحلته من مرتبة وجود الى اخرى صاعدا سلم الوجود الكلي الى الحضرة الالهية هي غاية الطريقة وهي تقليد لرحلة الرسول (ص) .وقد كتب عن الاهمية الروحية للمعراج كثيرون منهم الشاعر الصوفي الفارسي سنائي صاحب «معراج نامة» التي كانت هي وغيرها من كتب الصوفية مصدر ايحاء للشاعر دانتي . اذ يستخدم دانتي في الكوميديا الالهية رمز الرحلة خلال الكون ليصور صعود الروح الى الله ، الا ان الكون الذي يصفه هو كون مسيحي على الرغم من انه اقتبس النموذج من المصادر الاسلامية .

واعمال الصوفية او اصحاب الطريقة ليست فقط مبنية على سيرة الرسول ومثاله وانما لها ايضا جذور في القرآن الكريم ذاته الذي يتحدث عن الاسلام والايمان والاحسان. وسئل الرسول (ص) ايضا عن الدين فأجاب بانه مكون من ثلاث : الاسلام والايمان والاحسان . واطلق اسم الاسلام على دين محمد (ص) . وكل من يقبل هذا الدين ويذعن لمشيئة الله وارادته يعرف بانه مسلم . لكن ليس كل مسلم مؤمنا . ولا يصف كل مسلم نفسه بانه مؤمن . فالمؤمن اكثر تمرسا في الدين واقوى اعتقادا . اما الاحسان فهو تغلغل اشد عمقا في قلب الدين لان صاحبه يتمتع «بفضيلة» لا توهب للجميع ،وهي الحقيقة التي تشتمل عليها الطريقة وتسمى

الى غرسها في اتباعها .

والايمان في اساسه هو الاعتقاد بالتوحيد، والاسلام هو الاستسلام لارادة الله. ومن هذين المبدأين اي الاسلام والايمان يولد الاحسان التصوف. والحقيقة هي ان مشايخ الصوفية ظلوا قرونا يعرفون الصوفية بحديث معروف للرسول (ص) يقول: (الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ، فـــان لم تكن تراه فانه يراك) ويتفق هذا الحديث الشريف مع تعريف الصوفية.

وان مـــا تعلمه الطريقة فهو على التدقيق عبادة الله مع الادراك باننا قريبون منه تعالى بحيث «نراه» او انه يرانا دائما واننا امامه . وتسعى الطريقة الى جعل المريد يدرك انه يعيش دائما في الحضرة الالهية . والتصوف يطبق الاحسان على الايمان وعلى الاسلام . فاذا تحول الايمـــان الى احسان اصبح المعرفة الاشراقية او العرفان الذي يسري في الانسان ويحوله. وعندما يرى الاسلام في ضوء الاحسان يصبح الفناء في الله ، او التحقق باننا لا شيء .

وكثير من علماء الصوفية اعتبروا الاحسان اخلاصــا في الدين . ولبلوغ هذا الاخلاص لا بد للمرء من ان يجعل الدين محور اهتمامه وان يحاول بكليته النفاذ الى معناه البـــاطن . واذا طبق الاحسان على شهادة ان لا اله الا الله اصبح وسيلة للحصول على المعرفة . وتشتمل الشهادة على اعتقـــادات الطريقة وعلى الحكمة كلها . ويمكن فهم الشهادة على هذا النحو في ضوء الاخلاص او الاحسان . واذا طبق الاحسان على القسم الثاني من الشهادة وهو « محمد رسول الله » فـــانها تولد الفضائل والمواقف الروحية التي تسعى الطريقة الى تلقينها والتي هي وحدها تمكن من بلوغ الحقيقة. وعليه فان الطريقة تشتمل على مبدأين اساسيين وعلى نوعين من التعاليم : على اعتقاد بصدد طبيعة الحقيقة او الحكمة ، وعلى ارشاد روحي الى مراحل الطريقة. والحقيقة ان كل نص صوفي اما ان يكون شرحا للحكمة او علم الكون وإما أن يكون شرحا للفضائل الروحية التي اذا حصل عليها الانسان بلغ الولاية وتحققت طبيعته كخليفة الله في الارض .

وهكذا فان الصوفية قـائمة ، مثل كل طريقة روحية حقيقية ، على اعتقـاد وطريقة او على التمييز والتوحيد. واساس الاعتقاد هو ان الله هو الحقيقة المطلقة، وان كل ما عداه نسبي. ويفرق اعتقادهم هذا بين الظواهر والحقيقة او بين المطلق والنسبي . وهو كذلك وسيلة التمييز . وتعلمنا الطريقة سبل الوصول الى الحق ، وهذه هي سبل التوحيد . والاعتقـاد والطريقة كلاهمـا اساسي وينبثقان من الشهـادتين كما تبدوان في ضوء الاخلاص او الاحسان اللذين تشتمل عليهمـا الطريقة .

ويمكن القول كذلك ومن زاوية نظر اخرى بأن الطريقة تشتمل على ثلاثة عناصر ضرورية ، وهي الاعتقاد ، والفضائل الروحية ، والكيمياء الروحية او الوسائل التي تحول الروح وتمكنها من تحقيق الفضائل والتعمق في الاعتقـاد . فالطريقة تشتمل على جميع هذه العناصر المستمدة من الوحي. فليست الفضائل والاعتقاد هي الوحيدة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بل ان البركة التي لا بد منها لتحقق الكيمياء الروحية هي الاخرى مستمدة من الرسول (ص). وهي البركة المحمدية الموجودة في الطريقة والتى تجعل السلوك الروحي ممكنـا . والبركة هذه والاعتقاد والفضائل الروحية تؤلف معـا الطريقة في الاسلام التي تهدف الى تحقيق « الفقر المحمدي ».

على انه ينبغي الا نخلط بين اعتقـاد الصوفية والفلسفة لان اصطلاح الفلسفة هو الذي يستخدم في اللغات الاوروبية غالبا ، اما في الشرق الاسلامى فان الفلسفة عندما تقترن باسم امثال الشيخ شهـاب الدين السهرودى وصدر الدين الشيرازي فانها تعني في الاساس الحكمة ، وعليه فهي مرتبطة ارتباطا وثيقـا بالاعتقاد الصوفي . والاعتقاد بالنسبة للطريقة ليس بفلسفة ، لانه لا يستهدف شمول الحقيقة بطريقة استدلالية . فهو رؤية فكرية للحقيقة، رؤية قوامها صورة تشريحية للكون ووضع الانسان فيه وللصفات والاسماء الالهية. وهي ايضا رؤية امكن وجودها بفضل اداة العقل .

وما مأساة الفلسفة الغربية الحديثة ، كما يراها الاسلام ، الا الخلط بين العقل الذوقي والعقل الاستدلالي؛ فالعقل الذوقي الذي به يفهم الاعتقاد هو اداة المعرفة التي تميز الاشياء مباشرة . على انه ليس بالعقل الاستدلالي ، فالعقل الاستدلالي في احسن صوره صورة ذهنية للعقل الكلي. والعقل الاستدلالي يستطيع خلق الفلسفة بمعناها العادي وفهمها . لكن العقل الذوقي وحده هو الذي يستطيع فهم الحكمة بالمعنى الحقيقي الذي هو جوهر الاعتقاد . وعليه فان فهم الاعتقاد لا يقتصر على مجرد تنسيق الآراء بحسب نموذج منطقي . كما انه لا يعني العبث بالافكار ولا السعي الى ممارسة البهلوانيات الذهنية . فهو شهود باطني لطبيعة الاشياء يمكن الوصول اليه من خلال عملية التعقل بمعناها الشامل . ولو انه كان في استطاعة الناس ان يعقلوا بالسهولة التي يستدلون بها على الاشياء لكان تعليم الاعتقاد او الحكمة من ايسر الامور . لكن حقيقة الامر هي ان تفسير هذا من اشد الامور صعوبة لان قلة من الناس فقط يقدرون على التعقل الذوقي . ولهذا فانه لا يستطيع ادراك الاعتقاد ادراكا تاما الا عدد قليل جدا من اتباع الطريقة .

ويمكن القول بان الاعتقاد بداية الطريقة ونهايتها . ويكون في البدء معرفة « نظرية » تتحقق في النهاية وتتبع في الحياة . وما ابعد الفرق بين البداية والنهاية. فالاعتقاد الصوفي اشبه بمفتاح يفتح بابا معينا يتعين على السالك ان يدخله الى ان ينتهي به السير الى ان يحقق في وجوده ما كان في البدء مجرد معرفة نظرية . وعلى الرغم من ان البعض يقللون من شأن الاعتقاد باسم التجربة ، فان الاعتقاد امر اساسي وبخاصة في البدء عندما يكون المرء اشبه بالضال في خضم الافكار التي تتنازعه، وهو اكثر ضرورة في العصر الحديث بسبب الاضطراب الذهني الذي لا بد معه من وجود رؤية واضحة لطبيعة الاشياء . ويمكن تشبيه الاعتقاد في البداية بخارطة جبل يراد صعوده . فاذا صعده المرء اصبح الاعتقاد معرفة وثيقة بسبب التجربة الفعلية .

وكما انه ايضا يمكن وصف الجبل باوصاف مختلفة يعتمد كل منها على الزاوية التي نظر منها اليه فكذلك يمكن التعبير عن الاعتقاد بطرق تبدو معها بعض

جوانبه الخارجية متناقضة. لكن الموصوف في جميع الحالات هو الجبل، ومضمون التعبيرات كلها هو الحقيقة التي يعبر عنها في كل حالة من زاوية نظر معينة. على انه ليس بين مذاهب الحكمة تضارب جوهري كما هي الحال في مدارس الفلسفة، وانما هي صور للجوهر ذاته تكمل احداها الاخرى .

فاساس الاعتقاد الكلي هو التمييز بين الحقيقة والظاهر او بين المطلق والنسبي، او بين الجوهر والاعراض . ونقطة الدائرة في تعاليمه هي ان الله وحده الحقيقة المطلقة ، وعليه فان العالم الذي يعيش فيه البشر عرضي . وبين الله المتعالي عن الوجود والذي اراد في البدء الوجود المحض، وبين هذا العالم الذي هو ابعد ما يكون عنه تعالى ، عدد من العوالم الاخرى القائم احدها فوق الآخر في مراتب الوجود الكوني . وتؤلف هذه العوالم كلها مراتب الوجود المتعددة التي استمدت وجودها من الله والتي ليست شيئا امامه تعالى . وهكذا يقف الانسان امام هذا العدد الهائل من العوالم ويقف وراءها امام الحضرة الالهية ذاتها ؛ وعلى الرغم من تعالي الحضرة الالهية تعاليا تاما على جميع مناطق الكون فانها اقرب الى الانسان من حبل الوريد .

وقد عرف محور الاعتقاد حول الطبيعة النهائية للحقيقة بوحدة الوجود . على ان هذا المبدأ الرئيسي في الاعتقاد بمعناه الواقعي ليس بالمذهب الحلولي، او الاسم الذي اطلقه عليه المستشرقون الغربيون، ولا بالتصوف الطبيعي، وانما هو نتيجة مباشرة للشهادة. فهو يؤكد انه لا يمكن ان يوجد نظامان للحقيقة او الوجود الواحد منهما مستقل عن الآخر تمام الاستقلال ، فهذا هو الاشراك بعينه . والواقع ان الشهادة تبدأ بكلمة «لا» او بالنفي وذلك لتنزيه الحقيقة عن الكثرة او التعدد . وليست العلاقة بين الله وبين نظام الوجود مجرد علاقة منطقية اذا ساوى فيها شيء شيئا آخر يكون الشيء الآخر مساويا للاول. فبفضل السر الذي يكمن في بطن الخلق ذاته يندمج كل شيء في النور الالهي القاهر في حين ان الله تعالى منزه عن كل شيء . ويتطلب منهم فهم هذا المبدأ فهما عقليا القدرة على التعقل الذوقي، ولا يتأتى تحقيقه تحقيقا كاملا الا عند الاولياء الذين يرون الله عزوجل في كل شيء .

ويقترن بالاعتقاد بوحدة الوجود ويليه في الاهمية الاعتقاد بالانسان الكامل. فالانسان كما يتصوره الصوفية ليس مجرد «حيوان ناطق» بالمعنى العام بل كائنا يشتمل على جميع مراتب الوجود. هذا مع ان الكثرة الساحقة من الناس لا يدركون جسامة طبيعتهم والامكانات التي تنطوي عليها. والاولياء وحدهم هم الذين يحققون الطبيعة الكلية للانسان الكامل وبذلك يصبحون مرايا كاملة تتجلى فيها الاسماء والصفات الحسنى كلها. فقد خلق الله العالم لكي يعرفه الناس كما جاء في الحديث القدسي: «كنت كنزا مخفيا واحببت ان اعرف فخلقت العالم». والانسان الكامل هو المرآة التي تتجلى فيها الاسماء والصفات الحسنى ويتحقق فيها الغرض من الخلق ذاته.

وان مراتب الوجود المتعددة التي يشتمل عليها الانسان في ذاته تجعل منه مماثلا للكون، ولهذا عرف الانسان بالعالم الصغير وعرف الكون بالعالم الكبير. وكلا الكون والانسان يعكسان في وجودهما ورمزيتهما المبدأ الاعلى. ولدى علماء الكون في العصور الوسطى صورة للحقيقة الالهية تقوم الارض في مركزها تحيط بها الافلاك المتحدة المركز التي يرمز كل منها الى مرتبة من مراتب الوجود تقترب من الله بشكل تصاعدي. ويقف على القمة العقل الاول او الروح وفوقه الحضرة الالهية ذاتها. ونجد النظام ذاته معكوسا في داخل الانسان بمعنى ان «الارض» او الجزء المغرق في المادية هو الجسم او القشرة الخارجية. وتلي الجسم النفس التي بدورها تحيط بالنفس الداخلية، وتؤدي هذه اخيرا الى الروح التي تحكم المركز القائم في قرارة الانسان او في قلبه.

ويعرف القلب في الحقيقة، مثل السموات العليا، بعرش الرحمن. وكون الانسان على نحو يحتل معه مقاما مركزيا في العالم ويمكنه من تحقيق الحقيقة التي يشتمل عليها الاعتقاد وذلك بتحقيق الطبيعة الكلية للانسان الكامل. وهذه الامكانية موجودة دائما، ويمكن ان تتحقق اذا قام الانسان بالرياضة الروحية التي تتطلبها الطريقة، وحقق الفضائل الروحية التي هي طرق انسانية تتفق مع الحقيقة وتحقق الحقيقة في الانسان.

والفضائل الروحية والاعتقاد معا عنصر اساسي من عناصر الطريقة . فهما سبل الوصول الى حياة الاولياء . ففضائل الطريقة سبيل يبلغ بها المرء الحقيقة ، كما ان الاعتقاد سبيل لمعرفتها. وهذا هو السبب في انه بدون الفضائل الروحية، يستحيل ان يحقق المرء الحقيقة في حياته وفي جوهر نفسه . فالانسان ليس مجرد عقل يفكر ، بل هو ايضا مخلوق موجود . ولهذا ينبغي تحويل المعرفة والوجود . ثم ان الفضائل ليست مواقف اخلاقية من صنع الانسان ، بل هي «سبل للوجود » تحول وجود الانسان على نحو يتلاءم مع طبيعته الداخلية. وهي كذلك فضائل سامية ينبغي تحقيقها اذا ما اراد الانسان ان يتضوع عبيرا روحيا .

وان الفضائل الروحية الصوفية الاساسية التي تميز الحياة الروحية بوجه عام هي التواضع والخشوع، والكرامة والاحسان بالمعنى العادي، والصدق والاخلاص. على ان التواضع في الاسلام لا يعني مواقف التخاذل العاطفية التي تخفي كبرياء الذات . ولا تعني كذلك الحقد على العقل على النحو الذي كثيرا ما نلحظه في بعض اتجاهات الفكر الديني الحالي في الغرب . وهناك من يحقدون على العقل باسم التواضع ، بل ويعتبرون العرفان كبرياء ، كما لو ان المتصف بالعرفان لم يعرف ب « العارف بالله » اي الذي يعرف الله بواسطة الله ذاته ، لا بواسطة المعرفة الانسانية البحتة . فالحقد على العقل هو بمثابة الحقد على اثمن هدية منحها الله للانسان . وفي المسيحية يعتبرون حاقدا كهذا مخطئا في حق الروح القدس . وما ابعد موقف الحاقد من المعنى الحقيقي للتواضع في التصوف .

والتواضع بوصفه فضيلة روحية يعني تحقق ان الله تعالى هو الغني ونحن الفقراء، وتعني على صعيد آخر انه يمكن للجار - انسانا كان او مخلوقا من مخلوقات الله - ان يعلمنا شيئا ما ، لانه حقق كمالا لم نحققه . وهذا يعني اننا ندرك عجزنا امام جبروت الله ونتبين ان الانسان شيء تافه امام الله . ويستلزم التواضع بالنسبة للجار ان ندرك على الدوام بانه مهما تكن درجة الكمال التي نبلغها فقد يكون

آخرون قد بلغوا الكمال في وجوه تنقصنا ، ولهذا ينبغي لنا ان نتواضع معهم . فالتواضع ينكر الكبرياء التي تعمي الذات عن قصورها فتسعى الى تعظيم نفسها لا امام الانسان فحسب بل وامام الله عزوجل وتنسى صغر شأنها واعتمادها الكلي على الله الذي يصبح الانسان لا شيء امام قدرته تعالى .

اما الاحسان من حيث هو فضيلة روحية فليس بالاحسان الكمي المادي الواسع الانتشار في هذه الايام . فالكثيرون يرغبون في الاحسان للناس دون ان يقترن عملهم بما يجب ان يصاحبه من خشوع للخالق . وهكذا فان من يتلقى الاحسان يصبح حيوانا يقف على اثنين ، وتراعى حاجته الجسمية فقط ، اما حاجاته العميقة كالجمال والحب فتهمل وتنزل منزل ادوات الترف . وليس هناك مقياس مشترك بين الاحسان الروحي واحسان الاولياء والاحسان الخيري المادي الذي ينزل الانسان آخر الامر الى مرتبة الحيوان --يزوده بالغذاء والكساء بينما يحرمه الملجأ بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ويعلمه كيف يسير بينما يجرده من البصر او الوسيلة الوحيدة التي تريه اين يسير .

والاسلام ينظر الى الانسان كله ؛ والمرء بموجبه اما ان يهتم بالانسان كله واما ان لا يهتم به على الاطلاق . والاحسان الذي لا يستهدف الا حاجات الانسان الحيوانية يحدث من الضرر ما لا يحدثه عدم الاحسان. والحقيقة هي ان الاحسان الذي تتطلبه الطريقة لا يقصد الفعل الخارجي والموقف الاخلاقي الذي يرافقه فحسب ، وانما يقصد ايضا وبشكل خاص مرتبة من مراتب الوجود . وينبغي للانسان ان يكون محسنا لا بسبب دوافع الايثار بل لانه هو نفسه سيحتاج اليه في النهاية اي لان الاحسان في طبائع الاشياء .

ما اثقل وطأة نفس الانسان المادية او وجوده الانفصالي على كتفيه . وليس في مقدور احد غير الولي ان يضحي بنفسه في سبيل الله . وبمنح الولي نفسه لله يقوم باعظم عمل من اعمال الاحسان حتى ولو انه لم يطعم فما واحدا . ومجرد وجوده في المجتمع اعظم احسان للبشرية جمعاء . اما الآخرون فانهم يتخلصون

من وطأة النفس الامارة حين يقومون بعمل طيب . والانسان يرفع من نفسه عندما يعطي نفسه للآخرين. على ان فعل الانسان لا تكون له فاعلية روحية الا اذا قام به صاحبه وهو يدرك ان الخير كله من الله عزوجل وانه بدونه تعالى لا يمكن لفعل ان يكون من قبيل الاحسان الحقيقي . ولا بد للمرء ان يدرك ان الكون واحد في النهاية ، وان الانسان يجد نفسه الباطنة في كل شيء . ويتوجب عليه ان يدرك ايضا انه اذ يقدم نفسه لله يقدم نفسه لجاره ، وانه بتقديم نفسه للاخرين يقدم نفسه لله . فالاحسان الروحي ينطوي على اذابة النفس المتحجرة بحيث تنبسط على جميع الاشياء . واذا كان التواضع هو قتل شيء في النفس او انقباضها فان الاحسان الروحي هو انبساطها الذي به يحقق الانسان توحده مع جميع الموجودات التي تشمل البشر وباقي المخلوقات .

اما الفضيلة الثالثة وهي الاخلاص او الصدق فتقوم على الفضيلتين الاخريين وتصل بهما الى الذروة . ومعنى الفضيلة التي تميز الاسلام بوجه عام ، هو ان يرى المرء الاشياء كما هي،أي على طبيعتها الحقيقية التي لا تستر الله تعالى بل تكشفه. ومعنى هذا ان نرى الله في كل شيء . ويروى عن الرسول (ص) حديث مؤداه انه لم يكن يرى شيئا بدون ان يبصر الله تعالى قبله وفيه وبعده . وهذا هو الاخلاص الكامل . وعليه فان الاخلاص او الصدق هو الفضيلة التي بواسطتها يحقق الانسان التوحيد ويعيش دائما في الحضرة الالهية . وباكتساب هذه الفضيلة يحقق المرء تحقيقا فعليا الاعتقاد الذى يتعرف عليه نظريا في بداية الطريقة .

ويقوم السلوك الذي يتبعه اصحاب الطريقة والاعتقاد على المفهوم الاسلامي للانسان ، هذا المفهوم الذي عالجناه آنفا . فقد خلق الله الانسان على صورته ، وبذلك اكتسب الانسان طبيعة الانسان الكامل التي يهملها الكثيرون بالرغم من انها موجودة فيهم . وباكتساب الانسان لهذه الطبيعة منح صفات معينة لا توجد كاملة الا عند الله تعالى. فالله عز وجل حي ولهذا منح الانسان الحياة . والله

مريد ولهذا منح الانسان حرية الارادة ، والله موصوف بالكلام ولهذا وهب الانسان القدرة على الكلام . وقد استندت الطريقة في اساليبها الى تلك الصفات الالهية ذاتها التي تتجلى في الانسان . لكنها لا توجد كاملة الا عند الله .

ويشدد القرآن على ان الله خلق العالم بكلمته : فيقول تعالى : (انما امرُه اذا ارادَ شيئاًان يقول له كُنْ فيكون) (يس: ٨٢) ولذا فان لكلمة الله جانبين: فهي تخلق وتنقل الحقيقة. فالعـالم خلق بالكلمة، والوحي كله مستمد من الكلمة. وبالكلمة والقدرة على الكلام يعود الانساني الى الله تعالى .

وللكلام الانساني قدرة على التعبير عن الحقيقة وعلى تحويل الانسان، الامر الذي «يعكس» عملية الخلق من وجهة النظر اليها على انها انفصال عن الله وسعي اليه . ويرى الصوفية ان للكلام الانساني في الاساس وظيفتين : التحدث عن مظـاهر الحقيقة والتسبيح . وتقـابل الوظيفة الاولى وظيفة الكلمة الالهية كوسيلة لتزيل الوحي ، وتقـــابل الثانية قدرتها على خلق العالم . والحقيقة هي ان الجوهر ذاته للعالم هو « التسبيح » ، فالوجود « تسبيح » . وظهر العـالم الى الوجود بنفس الرحمن على نحو جعل من جوهره النهائي «النفس» الذي يرتبط في حـالة الانسان بالكلام ارتباطا وثيقا .

وعليه فان الطريقة الروحية الرئيسية في الصوفية هي التسبيح الذي به يعود الانسان الى خالقه ، ولكنه التسبيح بمعناه العام لانه يتحد في النهاية مع ايقـاع الحياة ذاتها . والتسبيح في اساسه هو ذكر الله . ومـمـا هو في غاية الاهمية ان الذكر ، الذي هو الطريقـة الرئيسية للصوفية ، يعنى بالعربية كلا من التسبيح والذكر . فذكر اسم من الاسمـاء الحسنى ، وهو اكثر اشكال التسبيح شيوعـــا ويوجد في الاديان الاخرى ، يستدعي ايضـا ذكر الله واليقظة من حلم النسيان . والتسبيح بهذا المعنى يكوّن الانسان ويحوله بحيث يصبح الانسان نفسه «تسبيحا» ويصبر الذكر طبيعة حقيقية له يكتشف فيه هويته الحقيقية .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تعلم الانسان ان يذكر اسم الله . ولا تمكن

ممـــارسة الذكر بالمعنى الروحي الا بارشاد شيخ وبمساعدة السلوك الذي تفرضه الطريقة. وفي القرآن الكريم ما يؤكد للانسان ان هذه هي وسيلة التقرب من الله اذ يقول تعالى : (فاذكروني أذكركم) (البقرة : ١٥٢) كما ان هناك احـــاديث كثيرة تؤكد على اهمية التسبيح .

وان هذه الاصول في القرآن والسنة هي الاساس الديني للذكر بكل اشكاله عند الصوفية . فبالتسبيح يحقق الانسان الفضائل الروحية والاعتقاد وبالتـــالي يصحو من غفلته ويدرك ان طبيعته الحقيقية وذاته الحقيقية هما فوق مجـــالات الاعراض والقيود . واذا كان من قبل انسانا بسبب النسيان فـــانه يصبح الآن انسانا بالمعنى الحقيقي للكلمة بسبب من الانس او قربه من الله تعالى .

وتوجد سبل السلوك الروحي الاسلامي في الطرق الصوفية . وبفضـــل هذه الطرق بقيت هذه السبل وانتقلت من جيل الى جيل. والحقيقة هي ان فاعلية السلوك لا تتحقق الا باتباع المريد اتباعا منتظما لحلقات السلسلة التي يعود اساسها الى الرسول (ص) والتي تنقل بركته من جيل الى آخر.ولم يتلق التعاليم الباطنية من الرسول (ص) الا بضعة من اصحابه يعتبرون الصوفية السابقين . ولم تنتظم جماعـات الصوفية في طرق معينة تعرف كل منها بشيخهـــا الا في القرن الثالث الهجري . وفي الوقت ذاته تقريبـــا اصبحت الطرق والمذاهب الفقهية بوحي من طبيعة الدين الاسلامي طرقا ومذاهب مستقلة ومقررة هذا بالرغم من انهـــا تبدأ مع الرسول (ص) ذاته وان اصولها راسخة في الدين نفسه .

وبانتظام التنشئة في الطرق الصوفية تبقى البركة ماثلة وتعمل على نقل النفس من حال الفوضى الى حال الاشراق.ولا يتأتى تطبيق اساليب الصوفية باطمئنان الا بارشاد شيخ وفي رحاب الطريقة . واذا لم يتيسر هذا فانهـــا قد تؤدي الى اشد الاضطرابات النفسانية . ذلك ان خطر السقوط اثنـاء صعود الجبل اعظم منه اثناء سير الانسان على الارض المستوية . ولا بد للمرء اثناء صعوده ، جسميا وروحيا،من مرشد، الا اذا كان قد سبق له ان صعد الجبل وصار مرشدا لغيره.

ولقد لعبت الطرق حتى على الصعيدين الاجتماعي والظاهرى دورا كبيرا في التاريخ الاسلامي لا يستطيع المعني باي جانب من جوانب الاسلام اغفاله. فالعلاقة بين الطريق وبين الأصناف والفتوة والمرابطين على الثغور، وتلقين العلوم، وتجديد الاخلاق الاجتماعية في الاسلام تجديدا دائما هي من الوضوح بحيث لا يمكن اغفالها. لكن اهم دور لعبته الطريقة هو تهيئه السلوك والبركة اللذين يجعلان الحياة الروحية ممكنة. ولما كانت جذور الطريقة في القرآن الكريم وفي الشريعة فهي كالشجرة التي ترسل فروعها خارجا نحو السماء. ولقد كانت وظيفتها دائما كشف المعنى الباطني للشريعة وتمكين الانسان من ان يعرف المعنى الحقيقي لكون الانسان عبد الله، اي تمكينه من ادراك ان (كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (الرحمن : ٢٦-٢٧)

وتقوم الطريقة على اعتقاد هو في اساسه تفسير للشهادتين، وعلى طائفة من الفضائل الروحية التي كان يتحلى بها الرسول (ص) على وجهها الكامل، وعلى نهج يرتبط ارتباطا وثيقا بشعائر الشريعة ويسمو في الحقيقة بمعنى التسبيح الى المستوى العام الشامل. ويجمع اسلوب الطريقة ونظرتها بين الخوف من الله تعالى ومحبته ومعرفته اي يجمع كل ما يلعب دورا في تحقيق الانسان لطبيعته الروحية. والطريقة ايضا سبيل الولاية في الاسلام، والطريقة هي التي ظلت طيلة قرون وما زالت تخرج الاولياء الذين يشدون المجتمع بعضه الى بعض ويبعثون مجددا حياته الدينية بما يبثون في عروقه من تلك القوى الروحية التي اوجدت الدين ذاته. ولا يمكن ان يتبدد عبير الروحية من حياةاولئك الذين يسلكون الطريقة والذين يبلغون اقصى مراتب الكمال الروحي الذي هو غاية الأنسان والغرض النهائي من وجوده.

البريطانيّون في البصرة قبل سنة ١٨٠٠

جوزيف مالون

كان الاصطلاح « بلاد العرب التركية » يستعمل قبل الحرب العالمية الاولى في المراسلات الرسمية والكتابات السياسية ليعني العراق وتلك البلاد التي عرفت لمدة اطول بكثير قبل ذلك ببلاد ما بين النهرين وبلاد اشور والكلدان . وتعد هذه المنطقة من وجوه كثيرة منطقة نائية منعزلة ، وكانت بعض العوامل التي تحول اليوم دون رغبة العراقيين في القيام بدور بارز في الحركة العربية — كالأقلية الكردية او الجفاء المتعدد الاشكال بين طائفة سنية اكثر تقدما وبين طائفة شيعية اكثر عددا — تقف حجر عثرة في وجه الذين حاولوا من قبل ان يحكموا البلاد او ان يزاولوا التجارة او حتى في وجه الذين حاولوا ان يمروا فيها . فالاوروبيون جميعهم كانوا ينسون هذه البلاد لسنوات طويلة ، اللهم الا بعض القناصل او بعض المعتمدين السياسيين، وبعض الموظفين الذين كانوا يقرأون تقارير هؤلاء، وحفنة من التجار والمبشرين والعلماء الرحالين غرارا. وربما حدثت هبات قصيرة من الاهتمام كما حصل مثلا في اثناء الفتنة الهندية او عندما اوحى احتمال السيطرة الفرنسية على قناة ده ليسبس باتخاذ مجرى الفرات على انه الطريق البديل للقنال الى الهند. ولكن حتى الربع الاخير من القرن التاسع عشر بقيت بلاد العرب التركية متأخرة . ثم اصبحت المنافسات الاوروبية من التفجر بمكان لم يعد يسمح بحصرها في اوروبا وحدها ، فتحولت بلاد العرب التركية الى مركز للتنافس الاستعماري .

بناء عليه لم تستطع اية دولة اوروبية حتى قرابة سنة ١٨٧٨ ان تتحدى مركز بريطانيا في بلاد العرب التركية ما عدا عدد من المحاولات الفرنسية التي بالغ البريطانيون في تقديرها عندما كانت تقع . ولئلا يعني ذلك ان البريطانيين لم يلاقوا اية صعوبات يجب القول ان مركز البريطانيين لم يكن يعتمد على حسن نية الاتراك وحسب ، بل على حسن نية القبائل العربية والكردية ايضا وعلى الاتحادات القبلية التي كانت تعقد ضمن البلاد الواقعة تحت سلطة بغداد او على الحدود على السواء ، كما كانت تعتمد ايضا الى حد محدود على الفرس . ان البلاد التي كانت في اغلب هذه الفترة تحت حكم بغداد تمتد من ماردين الى الخليج الفارسي ، مع ان الموصل والبصرة كانتا من وقت الى آخر تؤلفان مقاطعتين كل منهما تحت حكم باشا منفصل ، ثم بعد ذلك ولايتين منفصلتين. وفي اغلب هذه الفتره كادت ان تكون بلاد العرب التركية مستقلة عن القسطنطينية استقلالا تاما . ومن المشكلات السياسية العديدة التي انقسمت عليها الحكومة الامبراطورية البريطانية وحكومة الهند مشكلة اعتبار هذه المنطقة ولاية تركية في حاجة خاصة الى الاصلاح او كيانا مستقلا يرغب في اقامة علاقات دبلوماسية معه . اما الممثل البريطاني في بغداد الذي كان منتدبا من قبل احدى هاتين الحكومتين بينما كان يقبض مرتبه من الاخرى فلم يكن عمله يسيرا . وقد كانت بلاد العرب تزداد شأنا سنة بعد سنة ، ففي بداية القرن التاسع عشر بدا انه من الممكن ان تتخذ قاعدة لتحرك نابوليون بالتوافق مع الروس نحو الهند . وتبين فيما بعد ان ابراهيم باشا كان له مخططات لبغداد من شأنها ان تؤدي الى تحقيق اتحاد اسلامي واسع يكون لوالده محمد علي دور رئيسي فيه . وقد عادت مكانة هذه المنطقة الى البروز على انها خط مواصلات ، نتيجة للفتنة الهندية وافتتاح قناة السويس واتمام الاتصال البرقي مع الهند عن طريق بغداد والبصرة وفاو والخليج الفارسي ، كما كانت ذات قيمة كبيرة للتجارة ، البريطانية والهندية البريطانية كلتيهما ، وللحج من قبل كثير من المسلمين الهنود المنتمين الى الطائفة الشيعية . وربما كان اهم من ذلك كله اعتبارها مكانا يستطيع البريطانيون اعتماده لاستعمال مركزهم الخاص

للعمل من اجل الحفاظ على السلام بين تركيا وبلاد فارس . والحقيقة ان كثيرا من النقاط الحساسة كانت على الحدود ، مثلا المناطق المتنـازع عليها كالمحمرة ومندلي والسليمانية ، والولاءات المختلف عليها كولاءات قبائل كردية وعربية كثيرة من الرحّل. وكانت اثنتان من هذه النقاط الحساسة تقعان ضمن الحدود وهما الحرمان الكبيران كربلاء والنجف اللذان تقدسهما الشيعة كثيرا وتنديهما دموع ما لا يقل عن مئة الف حاج فارسي كل عام . وكانت وجهة نظر بريطانيـا قائمة على مبدأ بسيط مؤداه ان اي نزاع بين هـاتين الامبراطوريتين المتداعيتين منذ زمن من شأنه ان يسهل التوسع الروسي باتجـاه الهند ، ولذلك ركزت على بلاد العرب التركية الكثير من الجهود الرامية لتوطيد السلام .

لمثل هذه الاسبـاب كانت بلاد العرب التركية نقطة انطلاق ممتـازة لتحليل ما دعاه اثنـان من مؤرخي الامبراطورية « بالتفكير الرسمي للاستعمار » ولرؤية كيف ان القائمين بالامر هناك كانوا يجرون بريطانيـا والهند من حين الى آخر الى سياسات خاصة . ولكن كيف ربح البريطانيون في الدرجة الاولى مركزهم الخاص وما ترتب على ذلك من مسؤوليات ؟ نعلم ان المقيم الاول في بغداد كان قد أُرسل الى بلاط الباشا سنة ١٧٩٨ وذلك لقلق البريطـانيين من تحرك قوة فرنسية كبيرة كانت قد ابحرت من طولون في مغامرة لها الى الشرق . وكان قد عهد الى السير هارفرد جونز (Sir Harford Jones) بتأمين تعاون باشا بغداد او حياده. ومما جعل مهمته هذه ممكنة ، مئة وستون سنة من العلاقات البريطانية مع مـا دعي فيما بعد ببلاد العرب التركية . وقـد كان جونز نفسه عضوا في دار صنـاعة شركة الهند الشرقية في البصرة لمدة عشر سنوات اي من سنة ١٧٨٤ الى سنة ١٧٩٤ . وان الغـاية من هذا البحث هي فحص تلك العلاقة الباكرة ذات الاهداف التجارية ونتائجهـا الخطيرة من الناحيتين الستراتيجية والسياسية على السواء .

كانت البصرة اول نقطة احتكاك بين الانكليز ومـا يسمى اليوم بالعراق ،

ولسنوات كثيرة كانت نقطة الاحتكاك الوحيدة . ولكن سبق وكان لغيرهم من الاوروبيين نشاط ظاهر في هذه المنطقة ، وذلك قبل ان تتوجه اول سفينة انكليزية الى شط العرب بوقت طويل. ففي سنة ١٥٠١ كتب المؤرخ البرتغالي الرحالة دوارت باربوسا (Duarte Barbosa) صهر ماجلان (Magellan) عن المدينة يقول :

> هنا في الطرف الاقصى من البحر الفارسي يوجد حصن كبير يدعى البصره (Baçora) ويسكنه **المور***... وفي هذا المكان ينبع من النهر الرئيسي الذي يدعوه **المور** بالفرات نهر في غاية الكبر والجمال ذو مياه عذبة. ويقولون انه احد الانهر الاربعة التي تصدر من ينبوع الفردوس الارضي . (٢)

ولم يمض وقت طويل حتى كان البرتغاليون قد استقروا هناك نهائيا . ومع ان الانكليز كانوا من وقت الى آخر يرسلون بعض الملاحظات بخصوص هذا المكان ، كما حدث في سنة ١٥٨٨ عندما قاد المغامر التاجر جون الدرد (John Eldred) السفينة هرقل(Hercules)الى لندن حاملة شحنة كان قد جمعها من البصرة في غضون ستة اشهر – وصعد بها النهر الى بغداد في ٧٠ قاربا ثم عبر بها الصحراء على بضعة الوف من الجمال – فان بلاد فارس كانت اول من شهد مجهودا تجاريا منظما .

ومما يلفت النظر ان الفرس كانوا متجاوبين للغاية وان العائدات التجارية الاولى في اصفهان – عن طريق جسك – كانت موفقة رابحة . ان الانطباعات الاولى مهمة فبعد ان فقد المكفلون بالامر تفاؤلهم ببلاد فارس بمدة طويلة كان رؤساؤهم في سرات وبومباي، وبصورة اخص رؤساؤهم في لندن، مفعمين بالامل حيال السوق الفارسية . ان نجاح السير روبرت شرلي (Sir Robert Sherley) مصادفة في البلاط الفارسي – وقد قال عنه احد المؤرخين انه « احرز اسمى

*) [كان هذا اللفظ هو الاسم الذي اطلقه الهولنديون والبرتغاليون على جميع العرب في ذلك العهد]

مركز اثناء حروب ملك فارس ضد الاتراك ، » ورعـــاية الشاه عبـاس له قد سجلت في فرمـــان يؤكد ان « ... خبز هذا الرجل يخبز لمدة ستين سنة » — هذان الامران يفسران بعض التفسير تجاوب الفرس مع شركة الهند الشرقية[٣].

ومن الاسباب الاخرى ان الانكليز عرفوا بمقدرتهم البحرية . لم يسمع الفرس بدرايك (Drake) ولكن شهرة الانـكليز بالبسالة البحرية كانت قد ازدادت من جراء انتصارهم على البرتغاليين في بعض المناوشات قرب جسك . وما عتم الفرس ان استعملوا الضغط التجاري لكي يحرزوا التعاون الانكليزي . اما الانكليز فكان لهم ايضا شروط ، وهي السماح لهم بالاستقرار في كمبرون (Combroon) (او بندر عبـــاس) وهي اقرب الى اصفهان من جسك بثمانية ايام على الاقل . هذه باختصار هي المقدمة للهجوم الانكليزي الفارسي على المركز البرتغـالي في جزيرة هرمز والاستيلاء عليه . وقد منح الشاه عباس الانكليز مقابل ذلك حصة في عائدات الجمـارك بكمبرون ، فعمل تسلم ذلك الدخل او الامل بتسلمه — مع التشديد على كلمة الامل — على ابقاء دار الصناعة الانكليزية في كمبرون . واخيرا تخلى الانكليز في سنة ١٧٦٣ عن كمبرون نهائيا . ويمكن ان يفسر تقهقر كمبرون بافتتاح طريق التجارة الى بلاد فارس عبر بحر قزوين من ناحية ، ومن ناحية اخرى بالفوضى التي عمت بلاد فارس لسنوات عديدة بعد موت نادر شاه . وكانت قد تقررت تسوية ما في البصرة قبل ذلك بكثير وقد وصفها موظف في رئاسة بومباي بعد ذلك بسنوات عديدة قائلا ، [انها تمت] « ... كيما يتسنى لنا التراجع الى مركز ما في الخليج حيث نتمكن من ان نكون بمنـــأى عن الاضطهادات التي خبرتها دور صناعتنا في مملكة بلاد فارس . »

تمت التسوية بشأن شط العرب سنة ١٦٤٠ ، وكانت « الاضطهـادات » التي آلت اليهـــا ناشئة في معظمها عن جهود الفرس للحصول على مساعدة الانكليز البحرية للانقضاض على البصرة ، وعن مقاطعة الفرس للبضائع الهندية بينما كان الشاه على خلاف مع **مغول الهند** . ولم يكن الاضطهاد كله فارسيا ، ذلك اكيد.

فنشاطات جمعية البلاط الحقت الضرر ايضا بالمركز الانكليزي في بلاد فارس كما الحقت به رحلات **الانكليز** القرصـــانية الضرر في اواخر القرن اي سنة ١٦٨٨ وتكرر ذلك سنة ١٦٩٦ – ١٦٩٧ (٤).

عندما ذهب الانكليز الى البصرة في سنة ١٦٤٠ لاقوا ترحيبا حارا من قبل الباشا الذي اجاز لهم انزال البضائع بشروط اكثر ملاءمة من الشروط الممنوحة الى غيرهم من الاوروبيين . ويكاد هذا الامر الا يكون مفاجئا ، فقد كان الاتراك قد احتجوا لدى مجلس سرات على التسوية بشأن كمبرون سنة ١٦٢٢ اذ كانت قبل ذلك معظم السفن تصعّد في الخليج وتقوم باولى زياراتها للبصرة حيث كانت السوق الفارسية تتزود باكبر مقدار من مؤنها وكذلك بغداد وحلب وما وراءهما . اما في سنة ١٦٤٠ فقد بدا وكأن الموقف اخذ يميل الى التحسن. فمن ناحية التجـار المحليين ساعد وصول الانكليز على تخفيض اسعار البضائع الاوروبية ، غير ان ذلك لم يعد على الانكليز بالازدهـار . فقد كانت السوق غاصّة بالمنتجـات البرتغالية كما ان اعضاء دور الصناعة البرتغالية اخذوا يهاجمون القـادمين الجدد في الاسواق ، ومع ذلك كانت دار الصناعة الهولندية تشكل الخطر الاكبر على البرتغاليين ، وقد توقع وليم ثورستن (William Thurston) ، الوكيل التجاري الانكليزي نصر الهولنديين لانهم كانوا يملكون الاسلحة الماخرة للبحار – بينما كان البرتغاليون يعتمدون بكثرة على الاستعـانة بالسفن المحلية لنقل منتجـاتهم من مسقط – ولانه ، « لا يمكن ان تتسع المدينة لفئتين مشاكستين » على قول «مقيم واحد »

واذا استبقنا مجرى الحوادث يمكننا ان نقول ان الهولنديين اخرجوا البرتغاليين عنوة ، والانكليز صدوا الفرنسيين او حدوا من قوتهم ، وأن الهولنديين مرة اخرى هيأوا لنزوحهم . وقد سيطر الهولنديون لسنوات عديدة على تجـارة سرات – البصرة ، كما كان لهم في الحرب بين هولندا والكومنولث حصة الاسد في الخليج ، فقد دمروا عددا من سفن الشركة واستولوا على عدد اخر منها وكانوا السبب في نقل

مخازن الشركة مؤقتا من البصرة الى كمبرون (وقد ساعدهم على ذلك نكسات الشركة في الهند والاشاعة بانها قد حلت) . وكان من الصعب على الانكليز، حتى فيما بعد ، ان يفسروا كيف اتفق لنائب الملك الهولندي ان يصبح ملكهم ، وان يوافق ذلك تجدد نشاط تجاري هولندي قوي في الموانىء الهولندية. والواقع ان الامور بقيت تسير في مصلحة الهولنديين حتى سنة ١٧٥٣ عندما اوقف مقيمهم البارون كنيفاوسن (Kniphausen) وطرد من البصرة لعدد من الاتهامات اهمها تلك التي كانت لها علاقة بالابتزاز و« العربدة الدائمة في الليل والفسق بنساء هذه البلاد . »

وهكذا بدأت حركة الانتاج في دار الصناعة بالبصرة بدءا ضعيفا. فالفوضى الداخلية في مقاطعة البصرة سببت تحوّل استثمار سنة ١٦٤١ الى مخا . غير ان الوكيل التجاري وليم ثورستن كان متيقظـــا وقديرا فقد نبه سرات الى مظهر التجارة الموسمية (التي كانت جيدة في اوائل الفصل الموسمي رديئة في الشتاء) كما اشار عليها بالحاجة الى تحويل اصناف من البضائع الى سوق البصرة. وقد قال عن بعض البضائع الجوخية التي ارجعها الى سرات انها :

> ... غالية جدا على هؤلاء العرب الطماعين الذين يتشدقون بالوعود ولكنهم عند الدفع بخلاء يحجمون عن بذل شيء على ما ليس لهم ضرورة اليه .

ومن ضروب التجـــارة الرابحة من البصرة الى الهند التي شغلت الانكليز في تلك المرحلة الباكرة تصدير الخيول . وفيما بعد نشأت مشاكل عديدة في الحصول على مزيـد من الخيول للجيش الهندي بسبب الحظر الذي فرضـــه الاتراك على التصدير ، ذلك الحظر الذي كان سبب ازعاج شديد للهنود في اثناء الفتنة .

كانت البصرة في ذلك الوقت قد بدأت تقوم بـدور حيوي في مواصلات شركة الهند الشرقية ، وكانت الاخبار والاوامر ترد سابقا من اوروبا عن طريق البصرة ايضا ، اما الآن ، وقد تسلمتها الشركة ، فقد بات الاسراع بهـــا امرا يسيرا . بعضها كان مضللا ، نظير تقرير الوكيل التجـاري لسنة ١٦٤٥ ، الذي

استقاه من كاهنين كانا قد وصلا مؤخرا ومؤداه ان «... الهولنديين في الاراضي المنخفضة ناصروا ملكنـــا ، وقد احرزوا نصرا عظيما على قوة البرلمان ، وهم زاحفون الآن على لندن . »

كانت الرسائل الصادرة والواردة من مقر المديرين واليه ترسل برا عن طريق حلب ، الامر الذي قرّب بين ممثلي الشركة والأعراب، وذلك لتـــأمين حركة المرور . ولم يلبث هذا الامر ان بعث المشايخ المتمردين على المطالبة للتوسط مع السلطات التركية وعلى الانغماس الشديد بشؤون بلاد العرب التركية .

وكثيرا ما كانت السرعة،واحيانا الحذق، في ارسال الرسائل بحرا من البصرة من العوامل الحاسمة في شؤون الهند . ففي احدى المناسبات جنب خبر عن عقد مصـــالحة ، معركة كبيرة مع الفرنسيين ، كانت خليقة ان تكون باهظة الثمن للطرفين في الدماء والاموال . وطبعا كان المعتمدون الانكليز والفرنسيون يقضون وقتا ممتعا في محاولة كل منهمـــا اعتراض رسائل حكومة الآخر للاطلاع عليها .

اما حالة التجارة المتقلبة بسرعة تبعا للهدؤ السيـــاسي او لعدمه فقد جعلت سلطات سرات تكتب بتفاؤل شديد عن البصرة سنة ١٦٤٥ وذلك عندما قلّ الطلب على الحرير الفـــارسي في لندن الجمهورية . كما امتدحت حكومة الاتراك « المستقرة مع انها مطلقة » . فقد وفرت سوقا للمستوردات الاجنبية « لرفـــاه العظماء»، في حين كانت تسهل التصدير. ووصفت البصرة بانها من اهم مراكز التبادل التي تمتعت بها الشركة. ولكن لم تمر سنة على ذلك حتى صدرت اوامر تقضى بحل دار الصناعة، بيد ان هذه الاوامر لم تلبث ان نقضت نتيجة لارتفاع مفاجىء في المبيعات (تقابله خسائر في مخا وسواكن) .

وهكذا سارت الامور . ولكن حتى بعد ان احتكر الهولنديون التجارة ساد نوع من التفاؤل قائم على الاعتقاد بان كل منافس اوروبي سيزول يومـــا ما من الطريق . ومع ان ثروات كبيرة لم تكن تحرز دائما فقد كان ثمة ربح وفير يحصل

عليه من جراء نقل المشحونات على سفن الشركة لحسابات خاصة او للتجار الوطنيين . (ففي البصرة ، كما في سواها ، كان مستخدمو شركة الهند الشرقية غالبا ما يعنون بمصالحهم التجارية الخاصة اكثر بكثير من عنايتهم بشؤون الشركة) .

وقد اتخذت خطوة واسعة الى الامام سنة ١٦٦١ بسبب ما وفرته المعاهدة الانكليزية التركية من حرية تامة في التجارة للسفن الانكليزية في المرافىء التركية لقاء رسم جمركي لا يزيد على ثلاثة بالمئة من قيمة البضائع . صحيح ان شركة الشرق التي سعت الى هذه المعاهدة قلما حسبت حسابا للمنافسة العنيدة من جانب شركة الهند الشرقية ، ولم تدرك لسنوات عديدة ان المعاهدة تنطبق على البصرة ، وان باشاوات بغداد والبصرة استمروا يرفضون الاقتناع بهذا ، مدة اطول ، ولكن في النهاية لم يحدد الرسم الجمركي بثلاثة بالمئة وحسب بل ان تقييم البضائع كان مبنيا على كتاب للتعرفات هو من القدم بحيث انه في حالات عديدة لم يُجْبَ من الرسوم الجمركية فعليا حتى واحد بالمئة .

كان القرن السابع عشر اذن عهد تعرف وسبر غور لا عهد تعاقد والتزام . وقد بقيت دار الصناعة في البصرة تحت سيطرة كمبرون اذا استثنيت مدة قصيرة عندما كان من الضروري التخلي عن هذه المستعمرة واللجوء الى البصرة. وكان الوكلاء التجاريون احيانا يبقون خلال سنوات عديدة في البصرة ولكنهم غالبا ما كانوا يبقون مدة الموسم المؤاتي ليعودوا بعد ذلك الى كمبرون. ولكن ما ان بدأ القرن الثامن عشر حتى اخذوا بالاستقرار الدائم . فقد اخليت دار الصناعة مددا قصيرة بسبب الطاعون، وكذلك في سنة ١٧٧٦ اثناء حصار الفرس للبصرة. وفي نهاية القرن نقلت دار الصناعة لمدة وجيزة الى الكويت وذلك اثناء النزاع بين سليمان باشا والمقيم ، المستر مانستي (Manesty) ، ولكن لم يكن هنالك اي داع وجيه قدمته بومباي او لندن للانسحاب .

ومن حين لآخر ، خصوصا عندما كان المتسلم في البصره يلاقي صعوبة في

تسديد التزاماته من العائدات لباشا بغداد ، كان الوكيل التجاري التابع لجالية التجار الانكليز عرضة للابتزاز ، على شكل من الاشكـــال. ولكن بعد سنة ١٧٢٦ اتخذت اجراءات احزم من ذي قبل وذلك عندما دفع الوكيل التجاري اسحاق هوساي (Isaac Houssaye) مبلغا جسيما من المال فداء لضـــابط من ضباط احدى السفن كان قد سجن بتهمة مختلقة ، ثم اجبرته رئاسة بومبـاي على ان يسدد للشركة منماله الخاص. كانت البصرة بعيدة جدا عن القسطنطينية، كما كان باشا بغداد مستقلا الى درجة تعذر معها تأمين فعالية الامتيازات الاجنبية ، وهكذا كان التعاون يعتمد على مقدرة الوكيل المحلي على المداهنة واالتاثير .

وكان خليفة المستر هوساي،مارتن فرنش (Martin French) من نوغ آخر. فقد رفض ان يؤدي ضريبة الجزية التي كان قد قبل بهـــا الهولنديون ، وسحب موظفي دار الصناعة الى احدى سفن الشركة في النهر وذلك عندما سجن المتسلم احد المترجمين . وقد اثمرت هذه السياسية ، فوافق باشا بغداد ، بعد مفاوضات طويلة باهظة الثمن ، على اصدار فرمـــان يثبت فيه حقوقا كان قد منحهـــا السلطان منذ زمن بعيد.هذا وقد وسّع فرنش مصالح الشركة التجارية لتتضمن، علاوة على البضائع الصوفية ، الحديد والنحاس ، كما حـــاول ان ينسق تحركات سفن الشركة مع وصول العمارات الكبيرة النهريةمن بغداد والقوافل الآتية من حلب. غير ان تقدم التجارة توقف في سنة ١٧٣٣ اثر نشوب الخصومات التركية الفرنسية .

وقد افضت الاضطرابات الناشبة حول البصرة بين العرب وحكامهم الاتراك الى تشجيع الفرس. فبذل ، في كمبرون ، ضغط شديد لتأمين مساعدة الانكليز البحرية . فقـد ورد في المذكرة المقدمة من بومباي ان الاتراك شعب معروف « بالمغالاة باخذ الثأر ، فربما استولوا على موجودات تجارنا الاوروبيين في بلادهم في اول نوبة من التعبير عن اشمئزازهم لظهورنا بمظهر المعـارضين لهم ، او حتى قد يضطهدونهم اضطهاداً يجعلنا نشعر بكراهية شديدة لهم . » واذا لم يكن ثمة بدّ

في نهاية الآمر ، فقد فوض الى الوكيل التجاري في كمبرون بأن يبيع سفينة او سفينتين الى الفرس . غير ان الفرس تدبروا امرهم بدون محالفة الانكليز او مساندة من سفنهم ليجدوا ان الاتراك قد صادروا البارجتين «دين» (Dean) و«رويال جورج» (Royal George) لتعملا ضدهم . ولم تحدث اية مفاوضات . بل كان الامر اما مجرد تعاون واما مواجهة الغوغاء التي صبت جام غضبها على دار الصناعة بتحريض من السلطات التركية . ولتأمين الاذعان وضع ممثنا انكشاري على كل سفينة .

لقد انهمكت حكومة البصرة لمدة مئتي سنة ببعض العراقيل وذلك مع قبيلة شَعَب العربية الكبيرة التي ضربت خيامهـا بمحاذاة الضفة اليسارية لشط العرب بعد تنقلات كثيرة . حظيت هذه القبيلة بقيادة حسنة ، وعملت الكثير لتحسين البلاد ، بخلاف كثير من القبائل الاخرى ، فبنت السدود والاقنية وقامت بتجارة ناجحة . غير ان افرادهـا كانوا قراصنة خطيرين ، فكانت سفنهم تنقض على المشحونات في شط العرب بدون خوف او رحمة . وقد استطاع المقيم الانكليزي في اواخر القرن ان يتوصل الى اتفـاق معهم ، فلم تعد السفن الانكليزية تتعرض لهجومهم . وازدهرت هذه العلاقة خلال قرن آخر حتى لقد اصبح احدهم «السير» حاجي جابر . ولكن في سنة ١٧٦٣ عندمـا اقترب باشا بغداد من البصرة بقوة مؤلفة من ٣٠،٠٠٠ رجل بغية الاقتصاص من قبيلة شعب ، طلب معونة سفينتي الشركة وهما «الترتر» (Tartar) و«السوالو» (Swallow) ، فلم يجد الوكيل بدا من الاذعان . وكان معنى ذلك انه ما ان انسحبت جيوش البـاشا حتى زادت الصعوبات التي صارت البصرة ودار الصناعة الانكليزية عرضة لها . وقد زال كل تردد بانحياز الانكليز في النزاع بين تركيا وقبيلة شعب على اثر الاستيلاء على عدة سفن تابعة للشركة . فبعث الى الهند بطلب مستعجل لارسال اسطول وقوة للنزول الى البر . ووصلت هذه النجدات اخيرا ، وبعد مفـاوضات قصيرة ، جعلت الاتراك يميلون الى الظن بوجود معاهدة منفصلة بين الانكليز وقبيلة شعب ، بدأ القتـال فاسفر عن كارثة مني بها الانكليز . وكان السبب الاكبر في ذلك عدم وجـود اي تنسيق بين القوات التركية والقوات الانكليزية . فقد احرق معظم

الاسطول التركي وخسرت القوات البرية للشركة قائدها وكثيرا من جنودها الشرقيين وجميع مدفعيتها . (وقد عرض احد شيوخ قبيلة شعب ، بعد سنوات عديدة ، المدافع على لايارد (Layard) وكانت كلها بحالة جيدة يديرها « فارون » من الجيش الفارسي[٥]) وقبل ان يصار الى اية محاولة لاصلاح الحالة وضعت قبيلة شعب نفسها تحت حماية كريم خان حاكم بلاد فارس الذي صرح بعزمه على توسيع الحرب. فسحبت بقية القوات الانكليزية من بلاد قبيلة شعب، وذلك بسبب تهديد ممتلكات الشركة الواسعة والثمينة في بلاد فارس . هذا وكان الاتراك قد انسحبوا قبلا . فتسبب من هذا الوضع الذي كان لا يقل شأنا عن نشاطات الفرنسيين في المياه الشرقية ، ان قدمت شركة الهند الشرقية الطلبات الى الملك جورج الثالث لكي يصار الى ارسال امدادات بحرية اليها .

ومن المهم ان نذكر هنا ان قروضا كبيرة قد منحت للاتراك مساعدة على هجومهم على قبيلة شعب وان باشا بغداد قد وافق على الدفع للقوات البحرية والعسكرية التي قدمتها الشركة ، فكان احدث الديون التي لم تسدد واكبرها الى ذلك الحين في البصرة وبغداد . وتراكمت ديون اخرى غير هذه ، عندما شرع باشاوات بغداد حوالي سنة ١٧٥٠ يطلبون البنادق والمدافع والمؤن من رئاسة بومباي . وقد اخذت بومباي ببناء سفن كان مصيرها البلى في البصرة تحت امرة القابودان باشا. وكانت المحاولات التي بذلت لتسديد هذه الديون تسبب احتكاكا متواصلا بين ممثلي الشركة وجهاز الباشا كله، من الباشا نفسه الى موظفي الجمارك عنده الى محظيي البلاط وامناء المال والصيرفيين اليهود والمقاولين الارمن والموظفين في البصرة . وقد حدثت عدة اصطدامات مع متسلم البصرة ، سببها عادة الديون الكثيرة التي لم تسدّد، هذا وكانت المطالبات الانكليزية غالبا ما تسبب نقل الموظف المسؤول ، وهو على كل حال اقل كلفة من دفع الديون المستحقة منذ زمن طويل .

غير ان متسلما واحدا لم ينقل ، بل رقي بواسطة الانكليز ، هو سليمان آغا ، ذلك العبد الجورجي الذي كان قد حكم البصرة اثناء الحصار الفارسي سنة ١٧٧٥—

١٧٧٦ ، والذي اخذ اسيراً الى بلاط كريم خـان في شيراز. ان هذا الفصل من اختبارات شركة الهند الشرقية في العراق يتيح فرصة ممتعة لدراسة الطريقة المتبعة في اقرار سياسية عامة ما . وكان كريم خـان كلما اصاب نجاحـا ازداد قوة وازدادت رغبة ديوان المديرين في تركيز جهود الشركة كلها على بلاد فارس . غير ان ممثليهم في البصرة كانوا قد خبروا من رياء كريم خان ما يكفي لان يعارضوا ذلك ، وكان لهم من العلم بالتاريخ الفارسي والاحداث الجارية ما يكفي لان يعرفوا ان حكمه على البصرة كان مؤقتـا وان الشيء نفسه لينطبق على حكمه في بلاد فارس. ولا يمكن ان نرد امر كريم خان في الحكم حتى مماته الى مهارته او عزمه، فالفوضى الداخلية في بلاد فارس كانت قد ارغمته على سحب قواته من البصرة حيث رجع سليمان باشا ليس بصفة متسلم بل بصفة باشـا على البصرة مستقل عن بغداد . (ويجب التنبيه هنا بان البصرة عندمـا كانت مستقلة عن بغداد ازدهرت فيها التجارة لتحرر المدينة من ضرائب الدخل المفروضة من قبل باشا بغداد الذي كان من حين الى آخر يتمادى الى حد انه كان يمنع القوافـل من استعمال الطريق الصحراوية من البصرة الى حلب ويرغمهـا على المرور في بغداد لدفع ضرائب اضافية . ولربما كانت البصرة على غاية من النظام والهدوء والازدهار خلال السنوات الاخيرة فقط من القرن الثامن عشر باكمله، وذلك عندما استولى عليها وحكمها الشيخ ثويني الكبير شيخ الاتحاد القبلي لجماعه المنتفق الذي قدر له ان يموت اغتيالا في النهاية اثناء حملة ضد الوهابيين) . (٦)

سبق لسليمان آغا ان كتب من الاسر في شيراز يطلب من المقيم الانكليزي في البصرة، وليم لاتوش (William Latouche) مساعدة للحصول على باشاوية بغداد والبصرة ، واذا لم يكن ذلك ممكنا فعلى البصرة فقط بصفتها حـاكمية مستقلة . ولم يعد بتسديد النفقات المتوجبة لتحقيق مطامعه في القسطنطينية وحسب ، بل وعد ايضا بالمال الذي كان قد اقترضه اثناء حصار البصرة ، وبديون الباشاوات السابقين غير المسددة . وقد كان لاتوش يحبذ مساعدة سليمان، فقد عرفه مقتدرا فوق العادة ، وظن ان الحظ في تسديده قسما وافرا من الديون حظ يتجاوز الحد

الوسط . ولذلك فقد كتب الى السفير البريطاني لدى القسطنطينية، السير روبرت اينسلي (Sir Robert Ainslie) ، ذلك السفير المعروف بموهبته الخارقة وشعبيته، يطلب منه ان يتدخل ويرسل مبلغا كبيرا من المال لتسهيل مهمة الاقناع . كانت هذه المفاوضات مفترقا على طريق السياسة، فلأول مرة اشتركت وزارة الخارجية فعليا بشؤون العراق اشتراكا ادى فيما بعد ، في القرن التاسع عشر ، الى تباين بين لندن والقسطنطينية وبومباي وكلكتا وسملا . وقد نجح السير روبرت الى درجة ادت ، بعد التفكير العميق بكل ما قيل عن مؤهلات سليمان آغا ، الى ترقية وظيفته من حاكم باشاوية البصرة المستقلة الى الحاكم العام لباشاوية بغداد مع اعادة ضم البصرة اليها . وهكذا تسلم السلطة بويوك سليمان باشا ، ذلك الجورجي المسيحي الاصل ، والحاكم الذي كان تأثيره على بلاد العرب التركية اعمق من تأثير جميع حكامها ، ولا نستثني من ذلك احدا حتى مدحت باشا الشهير الذي نصب في بغداد بعد قرن من الزمن .

وهذه اذن هي الاختبارات المتنوعة التي استطاع ان يستند اليها السير هارفرد جونز بعد ان رفع رايته على « دار المقيم » الانكليزية في بغداد سنة ١٧٩٨ .

[مترجمة عن الاصل الانكليزي الذي وضعه المؤلف لمجلة الابحاث]

المراجع والتعليقات

1) Except as noted hereafter, all the materials drawn upon for this article are to be found in the India Office Library, London, or in Sir William Foster's multivolume *The English Factories in India* (London, 1906-1927) which is based upon the India Office collection. Original correspondence included the following series: Letters from Persia; Letters from Bussora and Gombroon; Despatches from Bombay to the Court of Directors of the East India Company. My thanks are due to the Secretary of State for Commonwealth Relations for permission to use Crown Copyright materials.

2) See Arnold Talbot Wilson, *Early Spanish and Portuguese Travellers in Persia*, (Guildford, England, 1927), pp. 13-14.

3) Anon., *The Three Brothers; or the Travels and Adventures of Sir Anthony, Sir Robert and Sir Thomas Sherley in Persia, Russia, Turkey, etc.* (London, 1825), pp. 136-139.

4) For the Courteen Association, see Vincent T. Harlow, *The Founding of the Second British Empire 1763-1793*, Volume I, *Discovery and Revolution*, (London, 1952).

5) Austen Henry Layard, *Early Adventures in Persia, Susiana and Babylonia including a Residence among the Bakhtiyari and other Wild Tribes before the Discovery of Mineveh*, (London, 1887), Volume II, pp, 82-83.

6) William Francklin, *Observations Made on a Tour from Bengal to Persia in the Years 1786-7*, (London, 1790), pp. 263-273.

النموّ الحضري السّريع في الدّول العربيّة

ومَا يتضمّنه من مشكلات اجتماعيّة واقتصاديّة ماديّة وإداريّة

[نظمت الامم المتحدة (قسم الادارة العامة ، دائرة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية) بالتعاون مع الحكومة اللبنانية، ندوة فى بيروت (١١–٢٢ آذار ١٩٦٣) لبحث المشكلات الادارية المتعلقة بنمو المدن في الدول العربية نموا سريعا ، وهذه الدراسة التي تبدأ الابحاث في نشرها في ثلاثة اعداد متوالية ، وضعها باشراف امانة الامم المتحدة، باللغة الانكليزية الدكتور هوبرت مورسنك ، ثم ترجمت الى العربية . وقد سبق للامم المتحدة نشر نص مختصر للدراسة باللغة الانكليزية سنة ١٩٦٤ . وعلى ان هناك تغيرات قد طرأت على تفصيلات الموضوع منذ عقدت ندوة بيروت (١٩٦٣) ، فان الدراسة لا تزال ذات قيمة علمية في تحليل الحالة القائمة في البلاد المعنية بالدراسة – المحرر]

موجز الدراسة

مقدمة

بالرغم من ان مدنا عديدة في العالم العربي تعد من اقدم المدن المعروفة في التاريخ فان مشاكل الادارة العامة لتنمية المدن حازت اخيرا اهتماما متزايدا بسبب التغير

الحادث في عملية التوسع الحضري في البلاد العربية حجما ونوعا — كما هو الحال في غيرها من البلاد — وبسبب تغير مفهوم مسؤوليات الحكومة بالنسبة لرفاهية الشعب. ستناقش هذه الندوة المشاكل الادارية المذكورة وفي سبيل ذلك يقتضيها الامر اولا تحديد اي المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والمادية الرئيسية التي تقع في نطاق مسؤولية السلطة العامة في مختلف مستويات الادارة .

تستعرض هذه الدراسة المشاكل المذكورة والبرامج اللازمة لمواجهتها كما تهدف الى تجزئة منطقية لكامل عملية النمو الحضري السريع الى عناصرها التكوينية .

الفصل الاول

ان نسبة سكان معظم البلاد العربية الذين يقطنون المدن مرتفعة نوعا اذا ما قورنت بالبلاد الاخرى التي تغلب فيها الاحوال الجغرافية والاقتصادية الشبيهة بمثيلاتها في البلاد العربية. فتعداد السكان في حوالي ٤٥ مدينة من مدن العالم العربي يزيد عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة في كل منها . ويمكن تصنيف هذه المدن بحسب حجمها الى ثلاث فئات على الاقل مستقلة نسبيا : المدن الحواضر وعدد سكان الواحدة منها حوالي المليون او اكثر ، المدن التي يتفاوت عدد سكانها بين ٤٠٠ الى ٥٠٠ الف نسمة وتلك التي يقل عدد سكانها عن ٢٠٠،٠٠٠ نسمة . يبدو مناسبا ان نستطلع هل للمدن في كل من هذه الفئات الثلاث مشاكل ادارية متميزة. وهناك تصنيف آخر واضح الارتباط بسياسة الادارة العامة والتطور الحضري وهو بحسب الوظائف الرئيسية للمدن في مجال الاقتصاد والخدمات .

ينعكس النمو الحضري السريع في النسبة المئوية المتزايدة لسكان المدن الوطنيين وفي الارقام الاحصائية الكاملة للمدن الرئيسية خلال سنوات تعدادية منتقاه . تدل هذه الارقام بطريق غير مباشرة على مدى تيار الهجرة المتدفق نحو المدن . ويمكن الحصول في بعض البلاد العربية على بيانات متعددة مباشرة لحجم هذه الهجرة (مثلا عدد المواليد خارج المدينة) وكذلك على تقديرات مباشرة لتحركاتها .

يمكن تصنيف الاسباب الرئيسية للهجرة الى المدن الى فئات ثلاث :

(١) «الاندفاع» الريفي ويرجع اساسا الى ضغط السكان في الاحوال الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المناطق الريفية .

(٢) «الجاذبية» الحضرية والمكونة من فرص العمل في المدن والوهم الغالب عن فرص العمل والانجذاب الى مستوى ارقى للمعيشة وخدمات افضل في المناطق الحضرية .

(٣) بعض الظروف الخاصة كالاحداث السياسية مثلا .

ان قوة هذه العوامل محل مناقشة بالنسبة الى الحالة الاقتصادية العامة في البلاد العربيه المختارة للبحث . وللهجرة وجوه عديدة من التأثير في المنطقة التي يهجرها المهاجر، وفي المنطقة التي يؤمها (المدن خاصة) وفي الامة ككل وفي جماعة المهاجرين انفسهم .

الفصل الثاني

ان تدفق المهاجرين المستمر الى المدن العربية وما يترتب عليه من نمو سريع يخلق مشكلات مادية واقتصادية واجتماعية متعددة . هذه المشكلات ووجوه تاثيرها المتنوعة تؤدي الى تصعيب المشاكل الادارية للتخطيط والتطور الحضري اكثر مما هي عليه الان . ويستعرض هذا الفصل اهم المشكلات في المجالات الاتية :

(١) المرافق الاساسية والنقل (حركة المرور والنقل العام والمجارى والكهرباء) ،

(٢) التنمية الاقتصادية ،

(٣) التنمية الاجتماعية (الاسكان ، النظافة ، الصحة العامة ، الخدمات الاجتماعية ، التعليم ، الترفيه وتطور المجتمع المحلي) ،

(٤) التخطيط المادي ،

(٥) التخطيط المتكامل للتنمية الحضرية .

واستعراض كل من هذه المجالات يستكمل بعرض المعلومات (متى وجدت) عن البرامج التي وضعتها البلاد العربية لمعالجة المشكلات الموجودة وكذلك الاعتبارات الاساسية المتعلقة بحل هذه المشكلات .

١ - في مجال المرافق الاساسية ، تعد مشكلة توريد المياه وتصريفها (انظمة المجاري) من ابرز المشاكل في عدة مدن عربية ويليها عن قرب - في بعض الحالات - المشاكل الملحة لازدحام المرور وبناء الطرق .

(٢) وان كانت المشاكل الاقتصادية تبدو بوضوح في المدن الا انها في الاساس مشاكل للتنمية الاقتصادية والقومية والاجتماعية يتطلب حلها وضع سياسات وبرامج على المستوى القومي .

٣ - في المحيط الاجتماعي سنستعرض اولا مشكلة الاسكان . يشير هذا العرض الى الحاجة الى اهتمام متزايد ببرامج الاسكان المنخفض التكاليف كما يحدد المراحل المختلفه لتنظيم هذه البرامج حتى تواجه مواجهة فعالة مجدية ، الاهداف الحاضرة والمستقبلة . ان مشاكل الاسكان في معظم المدن العربية من الجسامة بحيث تصبح الطرق العادية لحلها قليلة الفائدة. يقتضي الامر انشاء منظمة قومية خاصة تكون مهامها الاساسية تخطيط العمل وتنسيقه في مجال الاسكان والاستقرار وتزويد البلديات بالمساعدة الفنية فيما يتعلق بالاسكان ونواحي تخطيط المدن المتصلة به. ومن الاهمية القصوى للسياسات والبرامج الحضرية المتعلقة بالاسكان وكذلك الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية ان يُعمد الى تقسيم السكان - وبخاصة المهاجرين منهم - بحسب دخلهم حتى يمكن تحديد الحاجات الحاضرة واي التسهيلات يمكن لافراد كل فئة ان يتحكموا فيها ماليا

وكذلك للتحقق من القوة العددية لكل فئة . قد تساعد برامج تنمية (ترقية) المجتمع المحلي على مواجهة كثير من الحاجات الحاضرة في هذه المجالات المختلفة بواسطة نشاط جماعي منظم على اساس الاتكال على النفس والمساعدة المتبادلة . ومع ذلك فان تنمية (ترقية) المجتمعات المحلية لا تعد بديلا من التغييرات الهامة التي يجب ان تحققها مجهودات اكبر سواء كانت قومية او على مستوى المدينة في حقول فرص التوظيف وتطهير الاحياء الفقيرة المكتظة بالسكان ، على سبيل المثال .

٤ - ان السرعة التي تسير عليها اعمال البناء في المدن العربية لا تكاد تصدق. ومع ذلك فحتى الان لا توجد مخططات ملائمة الا في مدن عربية قليلة . ولعل اكثر الامور كلفة في تنفيذ مخطط مدينة من المدن هو تملك الارض. ولا يمكن تنفيذ مخطط بغير تشريع وجهاز اداري مناسب . وعندما تتم الموافقة على المخطط يظل هنالك واجبان رئيسيان وهما تنسيق الوكالات الرئيسية لاعمال البناء - الحكومية منها والخاصة - والعمل اذا لزم الامر على ادخال تعديلات مفيدة على المخطط . ان كلا الواجبين المذكورين يقتضى وضع تنظيمات ادارية ملائمة .

٥ - يشمل التخطيط الكامل للتنمية الحضرية الصورتين الوثيقتي الارتباط للتخطيط المادي والتخطيط الاقتصادي والاجتماعي . ولربما يكون التحقيق المثالي الفعال لتخطيط شامل للتنمية الحضرية في منطقة المدن الهامة ، هو ان يوضع تحت اشراف حكومة موحدة للمنطقة او للمدن الكبيرة .

الفصل الثالث

لمناقشة آثار التوسع الحضري السريع في الامة ككل ، من المفيد ان نفرق بين الآثار الطويلة المدى والاثار القصيرة المدى . تظهر حاليا الاثار القصيرة المدى للتوسع المدني على اشكال من عدم التوازن في التنمية القومية وخاصة عدم توازن

اقتصادي وعدم توازن جغرافي وكليهما وثيق الارتبـاط بالآخر . وقد واجهت بلاد عربية عديدة عدم التوازن الاقتصـادي عن طريق تطوير برامج تصنيـع . امـا عدم التوازن الجغرافي في التنمية القومية فيمكن مواجهته عن طريق رسم سياسات متعلقة بتحديد مواقع الصناعة وغيرها من النشاطات الاقتصـــادية في جميع انحاء الوطن .

ايا كانت السياسة التي ستتبع فيما يتعلق باللامركزية الحضرية فمن الضروري ان يكون تطور كل مدينة على حدة متصلا بعنـاية بالاقاليم التي تقع فيهـــا هذه المدينة . وتتطلب هذه الضرورة نظرة اقليمية لكل من التخطيط المادي والتخطيط الشامل للتطور .

الفصل الرابع

ينبغي للحكومات ان تعالج مشكلة التوسع الحضري السريـع كمشكلة للتنمية القومية . ومن الواجبات الرئيسية ان يحدد معنى التوازن الصحيح بين التنمية في المناطق الريفية والمناطق الحضرية ووضع السياسات لتسوية التنمية بين الاقـاليم وبين المدن الكبيرة والصغيرة وتنفيذها . وفي هذا المجال تظهر في مختلف البلاد العربية مواقف مختلفة كلّ الاختلاف فيما يتعلق باحتيـاطات الاراضي (حيث التنمية الملموسة ما زالت ممكنة) .

ستشعر الحكومة بضرورة دراسة الموارد لمعرفة من ايها يمكن سحب المبالغ اللازمة للبرامج القومية المتعلقة بالتوسع المدني . وتختلف هـــذه الموارد من بلد لآخر . كذلك فيما يتعلق بتخصيص الموارد المالية توجد مواقف مختلفة بالنسبة الى حصة السلطات العامة فى المصروفات القومية .

يجب رسم سياسة تهـدف الى حـــل المشكلات المتصلة بالتوسع الحضري السريـع لتحديد درجات الافضلية على اساس نظرة شاملة الى الموقف كله . ان تحديد درجات الافضلية سيصبح ضروريا في كل مستوى من مستويات الادارة :

منها المحلي والقومي والاقليمي . وحتى اذا ركزت برامج التنمية الحضرية على المشاكل الاساسية فالحل قد لا يكون ممكنا في الحال ويستلزم الامر تقدما تدريجيا .

يتصل بمشكلة شحة الموارد سؤال جوهري الا وهو اللامركزية في السياسات والبرامج ، هل يمكن تحقيقها؟ واذا كان الامر كذلك فالى اي مدى ؟ ويبدو من المفيد ان نصنف اول الموضوعات التي ستتناولها السياسات والبرامج ثم تحديد اي هذه الفئات توافق اللامركزية الادارية . ومن الواضح انه يمكن للسلطات العامة المحلية ان تتحمل قدرا اكبر من المسؤوليات المباشرة فيما يتعلق بالمرافق الاساسية والتنمية الاجتماعية مما تقوم به في النشاطات مباشرة بالتنمية الاقتصادية .

٢ – تفصل الدراسة

ا – المقدمة

غرض الدراسة ونطاقها

١ – قد يتساءل البعض لماذا يعقد في عام ١٩٦٣ بعد الميلاد مؤتمر حول المشاكل الادارية للنمو الحضري في منطقة من العالم هي اسبق المناطق في التاريخ لتنمية المدن ، منطقة وصفت فيها المدنية العربية الحالية بانها جد حضرية . ان الاجابة على هذا السؤال يتركز في نقطتين :

(ا) تغير عملية التوسع الحضري حجماً ونوعاً : بالرغم من ان التوسع الحضري كخطة سير وكوضع هو في هذه المنطقة من العالم ظاهرة قديمة قدم العالم نفسه ، فان الاسراع في هذا السير في الازمنة الحديثة قد خلق مشكلات جديدة من حيث الحجم والنوع .

(ب) تغير مفهوم مسؤوليات الحكومة : قد يفترض – حتى ولو لم يحدث اي اسراع في عملية التوسع الحضري – ان تصبح ادارة المناطق الريفية نقطة اهتمام جديد من جانب الحكومة والرأي العام نظرا للرغبة المتزايدة في رفع مستويات المعيشة وتحسين رفاهية السكان

واستعمال الحكومة كاداة لتحقيق هذا الغرض . يكوّن السكان الحضريون جزءا كبيرا من سكان كل بلد وهم اقرب جغرافيا الى السلطات الحكومية واقدر تعبيرا عن حاجاتهم ومشاعرهم .

٢ – ان الغرض من هذه الندوة مناقشة المشاكل الادارية الناجمة من النمو الحضري السريع ، والخبرة المكتسبة في البلاد العربية وغيرها في معالجة هذه المشاكل والسياسات والاجراءات اللازمة لملاءمة النظم والاجراءات الادارية الراهنة وتطويرها لمواجهة المشاكل الناجمة عن التوسع الحضري السريع مواجهة فعالة (١) .

٣ – يعتبر النمو الحضرى السريع مسؤولا عن جانب من المشاكل التي تواجهها السلطات العامة في البلاد العربية في متابعتها للقانون والنظام والتقدم الاقتصادي والاجتماعي للشعب كله في ظروف من الحرية الشخصية .

٤ – عند مناقشة نواحي الادارة العامة لسرعة النمو الحضري يبدو ضروريا وقبل كل شيء توضيح اي المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والمادية هي بوجه الدقة المشاكل الرئيسية المتصلة بالتوسع الحضري السريع التي تدخل في نطاق مسؤولية السلطات العامة في مختلف المستويات (المدنية – الاقليمية – الوطنية) . هل المشكلة الرئيسية في بلد من البلاد : التجديد الحضري ، ازدحام المرور ، نظم المياه والمجاري ، تعود المهاجرين غير الفنيين ظروف المعيشة الحضرية او ايجاد التوازن بين التطور الريفي والتطور الحضري ؟

٥ – للتعرف على المشاكل الرئيسية في كل حالة يجب اولا الجواب على الاسئلة الاتية : ما هو جوهر النمو الحضري وخاصة النمو الحضري السريع ؟ ما هى اسبابه وآثاره على مختلف المستويات ، ما هي اوسع تشعباته ؟ عندئذ فقط نستطيع تحديد المشاكل الرئيسية

: بالنمو الحضري بل وايضا معرفة اي السياسات يلزم اتباعها
ة هذه المشاكل ، مثلا سياسة تشدد على تنمية المناطق الريفية او
المرافق الاساسية والفرص الاقتصادية والاجتماعية في المناطق
ية. ان التغييرات اللازمة لتنظيم الحكومة وادارتها في مختلف
يات ينظر اليها عادة بالاتصال مع التغييرات في السياسات والبرامج
من انه في بعض المناطق الحضرية في العالم اعتبرت التغييرات
مية — كنظام الحكومة البلدية — ضرورة سابقة على تغيير
ات .

ض هذه الدراسة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والمادية المتصلة
م الحضري السريع كتطور واقعي في البلاد العربية .

بة

لدراسة مبنية الى حد كبير على المراجع الموجودة في المكتب
ي للشؤون الاجتماعية للشرق الاوسط التابع لهيئة الامم المتحدة
لمراجع الاخرى التي يمكن الرجوع اليها في بيروت [٢] . لذلك
ذه الدراسة تحتوي على معلومات غير كافية عن البلاد العربية في
ة وقد ينقصها ايضا معلومات عن البرامج التي وضعت حديثا في
د العربية في الحقول المتعلقة بالنمو الحضري السريع . ونأمل من
كين في المؤتمر ان يقدموا المعلومات كتابة اثناء الندوة اينما يكون
سروريا للحصول على صورة اكمل .

رض الرئيسي لهذه الدراسة هو وضع اطار للمناقشة . واستناداً
ك والى وجوب معالجة المشاكل المتسلسلة من سياسة التنمية
ادية على المستوى القومي الى ازدحام حركة المرور على المستوى
فان هذه الدراسة تهدف الى تقسيم منطقي لعملية النمو الحضري

السريع اكثر من ان تقدم معلومات مرهقة عن كل تفاصيل عملية التوسع الحضري واسبابه وتشعباته .

مدخل الى تحليل

(التوسع الحضري السريع كطريقة للهجرة)

٩ – ان التوسع الحضري طريقة لتركز السكان بواسطة –

(ا) تكاثر نقاط التركز ،

(ب) زيادة في حجم التركزات الفرادية .

تعالج هذه الندوة المشاكل الناتجة عن زيادة في ارتفاع عدد التركزات الفردية (اساسا في المدن العربية التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة) وبالتالي جزءا واحدا فقط من عملية التوسع الحضري في البلاد العربية .

١٠– مبدئيا ، ان كل مدينة تنمو وتتوسع عن طريق السير الديموغرافي لنمو السكان بواسطة الزيادة الطبيعية للسكان المحددة سرعتها بنسبة المواليد والوفيات بين سكان المدن . هذا النمو والتوسع الطبيعيان للمدينة يتطلبان عادة مجهودات من قبل السلطات العامة لتوسيع شبكة المرافق الاساسية وتوفير التسهيلات والخدمات .

١١– يحدث النمو السريع (اذا ما قوبل بالنمو الطبيعي) للمدن عندما ينتقل الاشخاص المولودون خارج المدينة للاقامة فيها. هذه الحركة او الهجرة – خاصة اذا كان عددهم كبيرا – ستؤثر على :

١ – منطقة الانطلاق –

هذه المنطقة في اغلب الاحيان منطقة ريفية او مدينة صغيرة.

ان مناقشة آثار الهجرة على منطقة الانطلاق تخرج عن نطاق هذه الدراسة .

ب — منطقة الوصول — (يراجع الفصل الثاني)

حـ — الامة ككل — (يراجع الفصل الثالث)

د — مجموعة المهاجرين انفسهم — (نوقشت في الفقرات المتعلقة بالموضوع في الفصل الثاني)

١٢- يجب ان تطبق السياسات والبرامج التي تعالج هذه الاثار على مستوى محلي ، اقليمي ووطني (على التوالي الفصل الثاني والثالث والرابع من هذه الدراسة) . لتقدير هذه السياسات من الضروري ان نلم باسباب الهجرة الى المدن والى اي نطاق وصلت حتى الان في البلاد العربية (الفصل الاول) .

ب — الفصل الاول

المدن في البلاد العربية ونموها السريع

نسبة السكان الحضريين

١٣—ان نسبة مرتفعة نوعا من السكان في معظم البلاد العربية يقطنون المدن، ويتضح ذلك من الارقام التالية :

الجدول رقم ١ : النسبة المئوية لمجموع السكان في البلاد العربية الذين يقطنون المناطق الحضرية[٣] والمناطق التي يبلغ عدد سكانها ٢٠،٠٠٠ نسمة او اكثر و ١٠٠،٠٠٠ نسمة فاكثر .

البلد	آخر السنة	المناطق الحضرية	+٢٠،٠٠٠	+١٠٠،٠٠٠
المغرب	١٩٦٠	٢٩٫٣(٤)		
	١٩٥٢		٢٧٫—	١٩٫٢

البلد	آخر السنة	المناطق الحضرية	+٢٠٠٠٠	+١٠٠٠٠٠
الجزائر	١٩٥٤	٢٢٫٩		٩٫٩
	١٩٤٨		١٤٫١	
تونس	١٩٥٦	٣٥٫٦	١٨٫٢	١٠٫٨
ليبيا	١٩٥٧			١٥٫--
ج.ع.م.	١٩٥٨			٢٢٫٢
	١٩٥٧	٣٥٫٨	٣٦٫٩	
السودان	١٠٥٦	٨٫٣		٢٫٤
العراق	١٩٥٧	٣٧٫٣		١٤٫٥
الكويت	١٩٥٧			٥٠٫٦
سوريا	١٩٥٥			٢٨٫٩
لبنان	١٩٥٨			٣٣٫٢
الاردن	١٩٥٢	٣٧٫٧		٨٫١
المملكةالسعودية	١٩٥٤			٨٫٤

تبين هذه الارقـام انه في الجمهورية العربية المتحدة – مصر – وفي الجمهورية العربية السورية يعيش حوالي ربع السكان في المدن التي يبلغ عدد سكانها ١٠٠،٠٠٠ فاكثر وفي لبنان الثلث وفي الكويت نصف عدد السكان .

المدن الرئيسية

١٤– ان اسماء اهم المدن معلومة : القاهرة ، الاسكندرية ، الدار البيضاء : الجزائر ، تونس ، دمشق ، حلب ، بيروت ، بغداد . وفي العالم العربي اليوم حوالي ٥٤ مدينة يبلغ عدد سكانها ١٠٠،٠٠٠ فاكثر كما هو مبين ادناه :

الجدول رقم ٢ : قائمة باسماء المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة مع بيان عدد سكانهم الحاليين .

(«ت» تدل على «تقديري»)

	السنة	المدينة بالذات	التجمعات الحضرية بما فيها المدينة
الجزائر			
الجزائر	١٩٦٠ – ت	–	٨٠٠٫٠٠٠
بون	١٩٥٤	١١٤٫٠٦٨	--
قسطنطينه	١٩٥٤	١٤٨٫٧٢٥	–
وهران	١٩٥٤	٢٩٩٫٠٠٨	٣٢٢٫١٤٥

	السنة	المدينة بالذات	التجمعات الحضرية
العراق			
بغداد	١٩٥٧	٣٥٥ر٩٥٨	٦٥٦ر٣٩٩
البصرة	١٩٥٧	١٦٤ر٦٢٣	—
الكاظمين	١٩٥٧	١٢٦ر٤٤٣	—
كركوك	١٩٥٧	١٢٠ر٥٩٣	—
الموصل	١٩٥٧	١٧٩ر٦٤٦	—
الاردن			
عمان	١٩٥٢	١٠٨ر٣٠٤	—
الكويت			
الكويت	١٩٥٧	١٠٤ر٥٥١	١٢٥ر٩٢٩
لبنان			
بيروت	١٩٥٨ - ت	٤٠٠ر٠٠٠	—
طرابلس	١٩٥٨ — ت	١١٥ر٠٠٠	—
ليبيا			
طرابلس	١٩٥٧ - ت	١٧٠ر٠٠٠	—
المغرب			
الدار البيضاء	١٩٦٠	٩٦٠ر٨١٢	—
فاس	١٩٦٠	٢١٥ر٨١٢	—
مراكش	١٩٦٠	٢٤١ر٩٠٠	—
مكناسة	١٩٦٠	١٧٧ر١٢٨	—
اوجده	١٩٦٠	١٢٩ر٠٥٥	—
الرباط	١٩٦٠	٢٢٤ر٩٠١	—
طنجة	١٩٦٠	١٤١ر٩٢٦	—
تطوان	١٩٦٠	١٠١ر١٥٥	-
المملكة السعودية			
جدة	١٩٥٦ ت	١٦٠ر٠٠٠	—
مكة المكرمة	١٩٥٦ - ت	٢٠٠ر٠٠٠	—
الرياض	١٩٥٦ — ت	١٥٠ر٠٠٠	—
السودان			
الخرطوم	١٩٥٦	٩٣ر١٠٣	٢٤٥ر٧٣٦
ام درمان	١٩٥٦	١١٦ر٣٢١	(٥)

	السنة	المدينة بالذات	التجمعات الحضرية
الجمهورية العربية السورية			
حلب	١٩٥٥ — ت	٤٠٧ر٦١٣	—
دمشق	١٩٥٥ - ت	٤٠٨ر٧٧٤	—
حماه	١٩٥٥ — ت	١٦٧ر٥٠٧	—
حمص	١٩٥٥ ت	١٣٢ر٦٣٧	—
تونس			
تونس	١٩٥٦	٤١٠ر٠٠٠	—
الجمهورية العربية المتحدة			
الاسكندرية	١٩٥٩ — ـ	١ر٣٣٥ر٠٠٠	١ر٣٥٠ر٤٠٠
اسيوط	١٩٥٩ — ت	١٢٠ر٥٠٠	١٢٠ر٨٠٠
القاهرة	١٩٥٩ — ت	٢ر٨٥٢ر٠٠٠	٢ر٩٩٣ر٠٠٠
دمنهور	١٩٥٩ — ت	١٢٤ر٣٠٠	—
المحلة الكبرى	١٩٥٩ - ت	١٦ ر٢٠٠	١٦٨ر١٠٠
الجيزة	١٩٥٩ — ت	١٧٤ر٢٠٠	—
امبابة	١٩٥٧	١١١ر١٨٧	—
الاسماعيلية	١٩٥٩ — ت	١١٣ر٠٠٠	١١٥ر٣٠٠
المنصورة	١٩٥٩ - ت	١٤٤ر٣٠٠	١٤٤ز٦٠٠
بور سعيد	١٩٥٩ — ت	٢٢٥ر٥٠٠	٢٢٩ر٨٠٠
السويس	١٩٥٩ — ت	١٥٢ر٢٠٠	١٦٦ر٥٠٠
طنطا	١٩٥٩ - ت	١٧٥ر٠٠٠	١٨٩ر٣٠٠
الزقازيق	١٩٥٩ ت	١٢١ر٣٠٠	—

فئات المدن بحسب الحجم

١٥ —يبين هذا الجدول ان المدن بحسب حجمها يمكن تصنيفهـــا الى فئتين رئيسيتين :

١ — المدن الهامة التي يبلغ عدد سكانها حوالي المليون او اكثر اي الدار البيضاء والاسكندرية والقاهرة « تكون القاهرة ظاهرة مستقلة بنفسها بحوالي ثلاثة ملايين نسمة »

ب —المدن التي يقل عدد سكانها عن٠٠٠،٥٠٠ نسمة (ومجموعها ٤٠)،

وهذه يمكن بدورها تصنيفها الى :

١ – تلك التي يتراوح عدد سكانهـا بين ٤٠٠،٠٠٠–٥٠٠،٠٠٠ نسمة (تونس ، حلب ، دمشق ،بيروت) .

٢ – تلك التي يقل عدد سكانها عن ٢٠٠،٠٠٠ نسمة (ومجموعها ٣٥) من المنـاسب ان نبحث هل هـذه المدن في كل فئة مشاكل ادارية متحيزة ، اي مشاكل لا تتميز بحسب حجمهـا ونطاقهـا فحسب بل وبحسب طابعها ونوعها .

الفئات الوظائفية للمدن

١٦ – ان تصنيفا له دلالة مباشرة للادارة العـامة وخـاصة لسياسة التنمية الحضرية (تراجع الاقسام المتصلة بالموضوع في هذه الدراسة) هو ذلك التصنيف بحسب الوظـائف الرئيسية للمدن . بعض المدن لها اساسا وظائف دينية مثل خيرالله ، قيروان ، ومكناسة ، وبعضها الاخر مراكز اساسا على مقطع طرق المسالك التجارية مثل الاسكندرية ، الدار البيضاء، بيروت وبغداد، واخيرا فهنالك مدن تغلب على وظائفها الصبغة السياسية والادارية مثل القـاهرة والرباط . في مجـال سياسة تطور المدن يجب توجيه اهتمام خـاص للمدن المتصلة اتصالا وثيقـا باقتصاديات المناطق الريفية المجاورة ومثال ذلك حلب في شمال سوريا حيث يمكن تطوير وظيفة المدينة الى مركز خدمة للاقليم الريفي المحيط بها (المدارس المتاجر والبنوك) . وفي هـذا الخصوص قد يكون بنفس درجة الاهمية من وجهة نظر التنمية القومية زيادة مقدرة الادارة العامة للمدن الصغيرة لتركيز الجهود كلها على المشاكل الملحة والاكثر وضوحا ، للمدن الرئيسية ومناطق المدن الهامة .

النمو الحضري السريـع – ارقام نسبية

١٧--ينعكس النمو السريع للمدن في النسبة المئوية المتزايدة لمجموع السكان الذين يقطنون المدن وبالذات في المدن التي يزيد عدد سكانهـا على ١٠٠،٠٠٠ نسمة (ينظر الجدول رقم ٣ في الصفحة التالية) .

الجدول رقم ٣: النسبة المئوية لمجموع سكان البلاد العربية الذين يعيشون في الاماكن الحضرية والاماكن التي يبلغ عدد سكانهـا ٢٠،٠٠٠ + والاماكن ذات ١٠٠،٠٠٠ + ساكن في سنين مختارة

السنة		المغرب(٦)	الجزائر	تونس	ليبيا	ج.ع.م.	السودان
١٩٦٠	حضرية (٧)	٢٩ر٣					
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠						
١٩٥٨	حضرية						
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠					٢٢ر٢	
١٩٥٧	حضرية					٣٥ر٨	
	٢٠ر٠٠٠					٣٦ر٩	
	١٠٠ر٠٠٠				١٥ر٠	٢٤ر١	
١٩٥٦	حضرية			٣٥ر٦			٨ر٣
	٢٠ر٠٠٠			١٨ر٢			٢ر٤
	١٠٠ر٠٠٠			١٠ر٨			
١٩٥٤	حضرية		٢٢ر٩				
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠		٩ر٩				
١٩٥٢	حضرية	١٨ر٥					
	٢٠ر٠٠٠	٢٧ر٠					
	١٠٠ر٠٠٠	١٩ر٢					

		مراكش	الجزائر	تونس	ليبيا	ج.ع.م.	السودان
١٩٤٨	حضرية		٢٣ر٦			٣٠ر١	
	٢٠ر٠٠٠		١٤ر١			٢٩ر١	
	١٠٠ر٠٠٠		٦ر٦			١٩ر٣	
١٩٤٧	حضرية	٢٤ر٢		٣٠ر٩			
	٣٠ر٠٠٠			٢٩ر٩			
	١٠٠ر٠٠٠			١٩ر٣			
١٩٤٦	حضرية						
	٢٠ر٠٠٠					٢٢ر٥	
	١٠٠ر٠٠٠					١٢ر٣	
١٩٣١	حضرية			٢٧ر٠			
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠						
١٩٣٦	حضرية	١٧ر٩	٢٢ر٠	٢٤ر٩			
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠				١٢ر٠		
١٩٣١	حضرية		٢١ر١				
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠						
١٩٢٦	حضرية		٢٠ر٢				
	٢٠ر٠٠٠						
	١٠٠ر٠٠٠						

		العراق	الكويت	سوريا	لبنان	الاردن	السعودية
	(حضرية						
١٩٥٨	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠				٣٣ر٢		
	(حضرية	٣٧ر٣					
١٩٥٧	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠	١٤ر٥	٥٠ر٦				
	(حضرية						
١٩٥٥	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			٢٨ر٩			
	(حضرية						
١٩٥٤	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			٢٧ر٩			٨ر٤
	(حضرية						
١٩٥٣	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			٢٥ر٤			
	(حضرية					٣٧ر٧	
١٩٥٢	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			٢٦ر٠		٨ر١	
	(حضرية	٣٣ر٨					
١٩٤٧	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠	١٢ر٢					
	(حضرية						
١٩٤٢	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			١٨ر٩			
	(حضرية						
١٩٣٨	(٢٠٫٠٠٠						
	(١٠٠٫٠٠٠			٢١ر٩			

١٨ -يوضح هذا الجدل-في بعض الحالات-الفرق بين نسبة نمو المدن التي يبلغ عدد سكانها اكثر من ١٠٠،٠٠٠ نسمة والمدن التي يقل عدد سكانها عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة . وتدل الاقام في حالة ج.ع.م. (مصر) زيادة في النسبه ٦٠ ٪ وفي الاماكن التي تضم اكثر من ١٠٠،٠٠٠ ساكن بنسبة ٨١٪ وذلك في خلال الفترة الزمنية نفسها. ومع ذلك فان فئات المدن الى يزيد عدد سكانها عن ٢٠،٠٠٠ تشمل المدن التي تضم اكثر من ١٠٠،٠٠٠ ساكن . وهذا يعني ان سرعة نمو المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠،٠٠٠ تؤثر مجموع رقم المدن التي يزيد عدد سكانها عن ٢٠،٠٠٠ نسمة . ان الفرق الفعلي بين نسبة نمو المدن التي يزيد سكانها عن ٢٠،٠٠٠ ولكن يقل عن ١٠٠،٠٠٠ وبين المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة اضخم من ان يوضح بمقارنة بسيطة للنسبتين المئويتين المذكورتين .

النمو الحضري السريع – ارقام مطلقة

١٩ -ان الارقام المطلقة لسكان المدن الرئيسية في العالم العربي من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي-في سنوات احصائية مختارة- تعطي فكرة ادنى الى واقع نموهم الكبير في السنوات الاخيرة :

الجدول رقم ٤ : الارقام المطلقه سكان المدن العربية الرئيسية في سنوات مختارة :

		المدينة بالذات	التجمعات الحضرية
الدار البيضاء	١٩٥٢	٦٨٢ر٣٨٨	–
	١٩٦٠	٩٦٠ر٨١٢	–
الجزائر	١٩٤٨	٢٦٦ر١٦٥	٤٨٨ر٨٩٣
	١٩٦٠-ت	–	٨٠٠ر٠٠٠

		المدينة بالذات	التجمعات الحضرية
تونس	١٩٤٦	٣٦٤ر٥٩٣	—
	١٩٥٦	٤١٠ر٠٠٠	—
اسكندرية	١٩٤٧	٩١٩ر٠٢٤	—
	١٩٥٩	١ر٣٣٥ر٠٠٠	١ر٣٥٠ر٤٠٠
القاهرة	١٩٤٧	٢ر٠٩٠ر٦٥٤	—
	١٩٥٩	٢ر٨٥٢ر٠٠٠	٢ر٩٩٣ر٠٠٠
بيروت	١٩٥٨ – ت	٤٠٠ر٠٠٠	—
دمشق	١٩٥٥ – ت	٤٠٨ر٧٧٢	—
حلب	١٩٥٥	٤٠٧ر٦١٣	—
بغداد	١٩٤٧	٣٥٢ر١٣٧	٥٢٣ر٨٧٠
	١٩٥٧	٣٥٥ر٩٥٨	٦٥٦ر٣٩٩

الهجرة

٢٠–ان زياد السكان الحضريين بالنسبة الى السكان الوطنيين والتركز المتزايد للسكان في القليل من المدن الرئيسية ونسبة النمو في البلاد المختارة ، كل هذا يدل على الدور الذي تلعبه الهجرة في عملية النمو الحضري السريع . ان الدلالات المباشرة عن الهجرة يمكن ان نجدها في ارقام عدد المواليد خارج المدن الرئيسية . بالنسبة للقاهرة عام ١٩٦٠ يمكن تقدير هذا العدد بـ ١٬٢٥٠٬٦٤٤ نسمة اي ٣٧٬٥ ٪ من عدد سكان المدينة [٨] . اما في بيروت فيمكن ملاحظة موجتين من الهجرة متميزتين فقد هاجر اليها في الازمنة الاخيرة مجموعتان من المهاجرين وهما الارمن عقب الحرب العالمية الاولى والفلسطينيون بعد حرب فلسطين . تكون هذه العائلات حاليا ١٢٬٥ ٪ من ساكني المدينة على التوالي . ويكون السوريون المجموعة الاخرى الكبيرة للسكان اذ تقدر بحوالي ٧٬٥ ٪ [٩] .

٢١–بخلاف موجات الهجرة المذكورة الى بيروت فان هناك هجرة مستمرة من سكان الارياف والمدن الصغير نحو العاصمة . من الممكن الحصول على

تقديرات مباشرة لحركة الهجرة في بعض البلاد . ففي المغرب تقدر الهجرة الريفية بانها شملت حوالي ٨٠٠،٠٠٠ مهاجر من عام ١٩٣٦ الى ١٩٥٢ منهم ٣٠٠،٠٠٠ استوطنوا المدن مثل الدار البيضاء ، رباط – سالي و كنيتره (١٠) .

اسباب الهجرة

٢٢– ان الاسباب الرئيسية للهجرة الى المدن في البلاد العربية وغيرها كانت موضوع دراسة وتحليل دقيقين. ويمكن تصنيف هذه العوامل الى ثلاث فئات :

(ا) **«الاندفاع» الريفي**– ويرجع اساسا الى ضغط السكان تحت الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المناطق القروية .

(ت) **«الجاذيبة» الحضرية**– وتتمثل في فرص العمل في المدن وتوهم هذه الفرص ، وجاذبية مستويات من المعيشة والخدمات في المناطق الحضرية اعلى مما هي عليه في المناطق الريفية .

(ج) **ظروف خاصة** - كتلك التي ادت الى الهجرة الى بيروت والبلاد العربية الاخرى كما ذكر اعلاه .

تختلف قوة عاملي الاندفاع والجاذبية من اقليم لاخر كما تختلف باختلاف الزمان . ولكل دولة حالة اجتماعية واقتصادية فريدة من نوعها .

٢٣– وفقا لدراسة قامت بها منظمة العمل الدولية (I L O) بهذا الخصوص، فان «عوامل الاندفاع» للجهرة في العراق هي في غاية القوة . ان مداخيل المزارعين في مستوى لايكاد يكون كافيا بسبب شحة الغلات وارتفاع نسبة المحصول الذي يطلبه صاحب الارض كحصة في الايجار . بالاضافة الى ذلك فان الظروف الصحية سيئة للغاية : فمعظم الفلاحين يعانون الامراض الناتجة عن سؤ التغذية .

٢٤–وعلى غرار ذلك فان عوامل الجاذبية قوية. بالرغم من ان صناعة النفط في حد ذاتها لا تستخدم الا عددا قليلا من المستخدمين فان حجم التوظيف –الناتج عن النفقات العامة الجديدة – كبير . معظم الوظائف الجديدة في ميادين اعمال البناء ومشاريع رقابة استهلاك المياه وتشييد الطرق والمباني الحضرية (١١) .

٢٥–وفي دراسة سابقة عن التوسع الحضري في مصر خلال الخمسين السنة الماضية وعن حقائق متصلة بالعلاقة بين التوسع الحضري ودرجة التطور الاقتصادي نجد خاتمتها كما يلي :

« تدل هذه الحقائق على ان الريف المصرى الفقير والمكتظ بالسكان يدفع الناس الى المدن وليس امامهم سوى هذا الطريق . يصلون الى المدينة وفي اعتقادهم انه يصعب على الحكومة ان تتركهم يموتون جوعا بالاضافة الى المجازفة آملين ان يلتقطوا بعض الفضلات من الاثرياء الذين لا يسكنون الا المدن . وقد قدم يساوي ما يثبت حصول انخفاض شديد في استهلاك المواد الضرورية في مصر من ١٩٢٠ الى ١٩٣٧ . وذلك بالنسبة لعدد السكان . وهكذا يتضح ان معظم الهجرة الى المدن عبارة عن هجرة اللاجئين من الريف حيث ازداد عدد السكان وصغر حجم الاملاك وازداد الضغط تدريجيا على العائلات بسبب مظالم صاحب الارض الذي لا يسكن الريف فيدطرون الى الهجرة بالآلاف » (١٢) .

٢٦–تقرير آخر عن مراكش جاء فيه : « ان نمو السكان لا يقابله زيادة كافية في سبيل العيش بسبب الامكانيات المحدودة لانتشار الزراعة وتأجير المساحات الواسعة من الاراضي الزراعية والحرف اليدوية . ان التحديدات المادية السابق شرحها يزيدها سوءا حالة الجفاف الملموسة في المنطقة الجنوبية قبل الصحراء . (مثال ذلك واحة

الطفيللات) . يضاف الى ذلك التحديدات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي » .

٢٧ –« الاتجاه نحو تركيز اكبر للاراضي في ايدى اثرياء المغرب ساهم في نمو طبقة المأجورين الريفيين الفقراء . بمقارنة الحالة كما كانت عليه في عام ١٩٣٢ مع الحالة في عام ١٩٥٢ لوحظ – طبقا لدراسات معينة – ان الطبقة الوسطى وطبقة الملاك انخفضت نسبتها من ١٧ الى ١٠ ٪ من السكان الريفيين وان طبقة صغار الملاك المزارعين انخفضت من ٥٠ الى ٣٠ ٪ . ومن جهة اخرى فان نسبة السكان الريفيين من غير الملاك ارتفعت (٣٣ ٪ في ١٩٣٢ و ٦٠ ٪ في ١٩٥٢) » .

٢٨ –« سبب آخر لحالة الفقر السائدة في الكتل الريفية يمكن ان يعزى الى واقعة تعرض فلاحي المغرب لنظام اقتصادي لم يكونوا على استعداد لمواجهته . ساعدت ضرائب الدخل والرسوم واستيراد السلع كالشاي والسكر التي تباع في **الاسواق** وكذلك الاشغال اليدوية، على اضعاف الوضع الاقتصادي **للفلاح والخماس** وعامل الارض »[١٣] .

مراجع

(١) Aide Memoire ص ٣

(٢) وقت تحرير هذه الدراسة كانت معظم تقارير البلاد المختلفة دور الاعداد بواسطة المشتركين في الندوة

(٣) المقصود بكلمة « حضري » في المغرب : المنطقة الشمالية – اماكن مكونة على شكل بلديات ، المنطقة – اماكن مكونة على شكل بلديات وتجمعات اخرى مكونة من ٢٠٠٠ ساكن او اكثر .
الجزائر : ست واربعون ناحية مهمة لها حكومة محلية ذاتية .
تونس : اماكن مكونة من ١٠٠٠ ساكن او اكثر لها حكومة محلية ذاتية .
ج.ع.م. : المحافظات والمدن الرئيسية للاقاليم والمناطق
السودان : ست وثمانون مدينة .
الاردن : المدن

(٤) موقت بالنسبة للمغرب باجمعه

(٥) مشمولة في التجمعات الحضرية للخرطوم .

(٦) هذه الارقام خاصة بالنسبة الجنوبية . اما بالنسبة للمنطقة الشمالية

	جضرية	٢٠٬٠٠٠
١٩٤٠	١٩٬١	
١٩٤٥	٢٣٬٤	١٨٬-
١٩٥٠	٢٣٬١	١٨٬٥

(٧) مؤقت للمغرب باجمعه

(٨) تعداد السكان لسنة ١٩٦٠ ، جزء اول ، محافظة القاهرة - ج.ع.م. - قسم الاحصاء والتعداد ، ١٩٦٢ ، جدول رقم ٢٠ ص ٢٥٧ (باللغة العربية) .

(٩) شارل م . تشرشل : « مدن من الهلال الخصيب » (تحت الطبـع)

(١٠) يراجع : « اعداد برنامج لتنمية المجتمع المحلي في المغرب » لمؤلفة جـــان ب. ريشاندو (TAA/MOR/1) ، ٣١ كانون الثاني ١٩٥٩ .

(١١) يراجع : ILO – « لماذا يترك العامل الارض» دراسة مقارنة لابتعاد العامل عن الزراعة – جنيف ١٩٦٠

(١٢) « المدن والمجتمع » – المطالعة المنقحة في علم الاجتماع الحضري . نشرت بمعرفة بول ك. البوت ج. ريس (الابن) ، (جلينكو – ولاية ايلينوي–الطبعة الثانية–١٩٥٧) .

(١٣) جان ب . ريشاردو ، المؤلف المذكور اعلاه .

مكتبة الأبحاث

الرائـــد

معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الاولى
تأليف : جبران مسعود
نشر : دار العلم للملايين – بيروت ، ١٩٦٤

تتضافر الجهود المخلصة على خدمة اللغة العربية في ميدان المعاجم ، بما يكفل مواكبة التطوّر السريع الذي تتعرض له اللغة في دلالات الفاظها المتطورة ، وفي تقييد الكلمات المستحدثة ، وفي تلافي النقص الذي تشكو منه الطريقة القديمة في التأليف المعجمي . وقد كان للبنان فيهذا السبيل دور بارز وفضل يذكر فيشكر منذ « الجاسوس على القاموس » مرورا بمحيط المحيط واقرب الموارد والبستـان والمنجد ومعجم متن اللغة والمعجم الى ان شهدت هذه السنوات الاخيرة يقظـة جديدة في العالم العربي على متطلبات التجدد في الميدان المعجمي : فألف الاستاذ محمود تيمور معجما في الالفاظ الحضارية ، وصدر « المعجم الوسيط » عن مجمـع اللغة العربية بالقاهرة في جزءين (١٩٦٠ – ١٩٦٢) ، وظهر المجـلد الاول من « المرجع » للعلامة الشيخ عبد الله العلايلي (١٩٦٣) على ان يعزز بمجلدين آخرين ، واخذ مكتب التعريب بالمغرب يوالي اصدار سلسلة من الفصل والمؤلفات فيخدمة اللغة فكانما هو يمثل مجمعا رابعا الى جانب المجامع اللغوية بالقـاهرة ودمشق وبغداد التي ما تزال تضطلع بدورها الكبير في خدمة العربية ؛ وها هو الاستاذ جبران مسعود يطلع علينا بمعجمه الجديد « الرائد » ، فهو من هـذا الفريق الذي

أوتي العزيمة الصادقة والقدرة على الاستهانة بالصعاب، والطاقة الحافزة على تذليل العقبات، والحب الذي يشقي صاحبه في سبيل الغاية : فيحرمه الراحة والاخلاد الى الدعة ، ويمتع عينيه بالحبر والورق والجزازات ، ويكفل لجسمه — كفالة الطبيب الحاذق — وخز الارق والسهد والتقلب على جمر المسؤولية . ان معجما بلغت صفحـاته ١٦٣٧ ، في كل صفحة عامودان ، لم يكن الا وليد الاخلاص ، ولو لم يكن لهذا الجهد الا صدق الحافز في محبة لغتنا العربية لكان حقيقـا بالاكبار .

وجد الاستاذ جبران مسعود لدى ممارسته تدريس اللغة ان المعاجم المتيسرة لدى الطالب تصده عن الافادة منها لقيامها على صعوبات لا قبل له بهـا : « فان صعوبة الاهتداء الى الكلمات فيها تحجب عن الطالب الدر في غياهب الصدف»، ولذا عقد العزم على ان يجعل هذا « الدر » مبذولا لطالبه ، فقام بعمل الغواص الماهر ، وقمس في القاموس الاعظم ، وعاد باللؤلؤ فازال عنه الصدف ، واماط عنه غياهبه وعوالقه ، ونظمه في نظام فريد ، مراعيا في ذلك الترتيب الابجدي الخالص ، فلفظة « درس » تقع في باب الدال و « مدرسة » في الميم و «تدارس» في التاء وهكذا . وبسط الشروح القديمة واكمل ما كان منها ناقصا واضاف اليها ما لحقها من دلالات جديدة ، وميز انواعها ورقمها مؤثرا نوعـا من التدرج في ترتيبها، واضاف « مئات الكلمات من فروع شتى كالفلسفة وعلم النفس والتربية والاقتصاد والحقوق والرياضة وغيرها » .

وفي كل هذا —على وجهه — خير ، والفـائدة منه مرجوة — ان شاء الله — والتيسير والتبسيط أمران يحدوان كثيرا من الاعمال العلمية في ايامنـا هذه . ذلك امر تفرضه طبيعة الحياة المتغيرة ونحن ننقاد لها طوعا او كرها ، فنألف من شئونها ما كنا نواجهه بجفوة وانقباض . غير ان اكثر مـا اخشاه ان يكون الاندفاع وراء غاية معينة — كالتبسيط والتيسير — حجابـا يحول دون رؤية احتمالات اخرى قائمة في واقع لغتنا وطبيعتها ؛ فقد ظهرت دعوة الى تبسيط

النحو منذ سنوات كانت ثمرتها القضاء عليه الا التماعات يسيرة تشبه تفاريق العشب في الصحراء الواسعة ، وكان من ثمرة القضاء على « علم الصرف » — وهو شيء جليل لا تعرف اللغة الا به — الجهل بالمزيدات والمصادر والجموع والمشتقات ... الخ ، واخشى ايضا ان يكون هذا الجهل الذي حجب اصول القواعد عن الطلاب هو العذر الذي نتخذه حين نريد ان نضع معجما ، كأننا بذلك نقر هذا التردي الذي صارت اليه حال اللغة في المدارس بدلا من ان تتدارك الامر باصلاح جذري.
وانا اقول — في تواضع وثقة واشفاق معا — ان عملية التبسيط ربما لم تقف عند حد ، فالطالب الذي لا يعرف ان « استغفر » ترد الى « غفر » لن يعرف ان « زن » امر من « وزن » ، وسوف يقوم — في المستقبل الذي لاندري اقريب هو ام بعيد — « مبسط » ينادي بضرورة اثبات فعل الامر في القاموس ويتبعه ثان يدعو الى اثبات جميع صور الفعل المضارع ، ويجيء ثالث فيقول : والجموع ايضا . ذلك انه ان كان مقياسنا هو هذا الطالب الذي جهل حتى ما يكاد يعلم شيئا من امر اللغة حين تستوي به السن الصالحة لاستعمال المعجم ، وقرأ هذا الطالب « خضع الرقاب نواكس الابصار » فكيف نرجو ان يعرف ان « خضع » يجدها في « خاضع » وان « الرقاب » يجدها في « رقبة » وان « نواكس » صيغة جمع لِـ « ناكسة » ؟ اذن فلا بد من ان نثبت له هذه الكلمات في امكنتها بحسب الترتيب الابجدي . وليس يغني عن معجمنا ان تثبت له بعض الجموع دون بعضها — كما فعل مؤلف « الرائد » — فنضع « شوارد » ونهمل « شواعر » و « خضع » ومئات من هذه الجموع دون تقييدها منفصلة في ابوابها .

قلت : ان عملية التبسيط هذه ربما لم تقف عند حد ، واقول ايضا : حين يعصف هذا التبسيط بطبيعة اللغة نفسها فنحن نختار بين امرين : فاما هذا التبسيط الضار واما الحفاظ على طبيعة اللغة ، وانا — بطبيعة الحال — اختار الثاني منهما ، ولا أقر تبسيطا يمزق أجزاء اللغة ، ويفقد الطالب — الذي نرجو له ان يتعلم — العلم بالروابط بين اللفظة الواحدة وما تفرع عنها وما نبت منها ، يفقده المعرفة بان « علم » و « اعلم » و « علّم » و « تعالم » ... الخ — على

ما تكتسبه من معان جديدة — تحور الى اصل واحد . وكنت ارجو للمؤلف ان يستأنس بقول العلامة العلايلي في مقدمة « المرجع » — : « ذلك لان العربية كاخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي ، فكل جنوح بها في دائرة تصريف الافعـال عن الاندراج تحت الجـذر يؤدي الى التفسخ الذي لا يغتفر . . . » ؛ وهذا فيما ارى حق لا مرية فيه ، والخروج عليه يؤدي الى فوضى جديدة ، ومن السهل على الطالب ان يتعلم اوزان المزيدات في درس او بضعة دروس ولكن ليس من السهل عليه ان يربط « ترفع » التي كتب له بازائها في المعجم (رفع) ، و « ارتفع » التي كتب له بازائها (رفع) بالفعل الثلاثي ويدرك الصلة على تباعد المواقع .

وقد افترضت — فيما تقدم — ان « الرائد » وضع للطالب ، وانما خلصت الى هذا الفرض من مقدمة المؤلف نفسه . فهل جاء « الرائد » حقاً كذلك ؟ اي طالب مدرسي — فى اي مستوى حتى في الجامعة — يحتاج ذات يوم ان يراجع الالفاظ التالية في معجم :

الممخ : القوي على الكلام
الصبصب : الغليظ الشديد
القندعل : الاحمق
الفليقة : الداهية
الفلقحي : الضحوك البشوش

واي طـالب هـذا الذي تكتب له تسع لغـات في كيفية النطق بكلمة « الاصبع » موضوعة في تسعة اسطر (دون مراعاة ايضا للاقتصاد في الاخراج القاموسي) ؟

لقد كان وضوح الهدف خليقا ان يكون دليلا هاديا للمؤلف فيما يختار اثباته وما يؤثر اسقاطه . والمعجم الذي يثبت « الرمزية » و« البرناسية » و« الراديكالية » و « الاشعرية » و « البوذية » و « المرجئـة » يثير التساؤل حول عدم اثبـات :

« الشكوكية » و « الجاحظية » و « اللا أدرية » و « الحشوية » ... الخ ، وحول اهمال لفظة « التكفيت » وهي من الالفاظ الحضارية الضرورية ، ولفظة « البروة » - بمعنى بقية القطعة من الصابون وهي مما نستعمله في العامية ، ويجعلنا نسأل - ان كان التبسيط للطالب هدفا كبيرا - لم لا نثبت النسب الصعبة مثل: « الرازي » و « العبشمي » و « الداري » و « الحصكفي » ؟ قد يقال : اي معجم يمكن ان يفي بهذا كله ؟ لست الى الاستيعاب الجامع اهدف وانما انا ارى انه لا بد من نهج مرسوم وسياسة واضحة لكل عمل ، ومن الخير لو ان المؤلف حدد طبيعة هذا النهج - في الاختيار والحذف - في مقدمة معجمه .

اقول هذا وانا على وعي بما في هذا المطلب من صعوبة ؛ غير ان المعجم ليس نخلا لما في المعاجم وترتيبا له ، بل هو معاناة وتصيد للالفاظ في تطورها على مر الزمن ، وفي استخراجها حيث وقعت في قرائنها ، وبعثها للافادة منها ، كما فعل الخفاجي في « شفاء الغليل » ودوزي في « ملحق المعاجم العربية » . ولاضرب على ذلك مثلا كلمة « ظهير » فهي تعني في المغرب المرسوم الذي يصدره السلطان ، وقد استعملها الاندلسيون منذ القرن السادس الهجري وربما قبله . وكلمة « القطيع » ولها عند الاندلسيين عدة معان منها : « الزجاجة » و « ضريبة على الرءوس » ... وكلمة « برطل » وهي تعريب Portal عند الاندلسيين ، ومثل هذه الالفاظ جديرة بالحياة حين نجد انفسنا اليوم بحاجة الى مصطلحات كثيرة نواجه بها التطور في العلوم والفنون . وانا ارجو ان اكون مخطئا حين الحظ - لحظ المتصفح - ان نسبة الالفاظ العلمية في هذا المعجم قليلة ؛ ولا ريب في ان كل علم يحتاج الى معجم مفرد او معاجم ولكن التنبه للالفاظ العلمية والاكثار منها - بل ربما قلت : وتغليبها على ما عداها - قد اصبح شيئا ضروريا في حياتنا المعاصره .

ومن الامور المسلمة ان المعاجم هي المعتمد الاكبر في التقليل من الفوضى الشائعة في رسم الكلمات ، فاخلالها بذلك مبعث حيرة للطالب والدارس ، وقد

قارنت بين ألفاظ وردت في «الرائد» وما يقابلها في مرجع الاستاذ العلايلي واليك صورة من هذه المقارنة :

الرائد	المرجع
برونز	برنز
تليفون	تلفون
بيانو	بيان
البرديوت	البرديوط

فاذا كانت المعاجم غير متفقة على الرسم فما هو موقف الطالب حينئذ ؟

ويخيل الي ان مؤلف « الرائد » لم يجر تمييزا بين ما هو شائع في الاستعمال ولم يقر عليه رأي حاسم بعد وبين ما شاع ولقي قبولا واقرارا . فالمطلع على المعجم يجد مؤلفه يعطي كلمات مثل : « خردجي » و « اوتوبوس » مكانة مثل التي لغيرهما من الكلمات المقررة ، دون ان يميز امثال هاتين اللفظتين بشيء او ينبه الى انهما من الدخيل او العامي الذي يؤثره ولا يرى به بأسا .

كذلك كنت ارجو لو ان المؤلف تنبه الى الامور الاتية :

(١) قصور التعريف احياناً كقوله : البرقوق نوع من الخوخ البري الصغير .

(٢) اعتبار الحرف المضعف حرفين لا واحدا ، فكلمة « جوّد » في هذا المعجم تقع قبل « جوذر » مثلا .

(٣) اسقاط بعض الاخطاء التي اخذت على المعاجم الحديثة مثل : « البجرة : الوجه » فقد ردها العلامة العلايلي وقال : « واخطأ في المنجد اذ زعم ان من معانيها الوجه وانما هي عقدته » .

(٤) ادراج الصور مقابل الكلمات لا حشدها في صفحات مستقلة ، فالصورة في القاموس جزء هام في تصور المعنى .

واخيرا ارجو ان يتسع صدر الاستاذ المؤلف لهذه الملاحظة ، فمخالفتي له في بعض الراي لا تعني استهانتي بجهده الكبير واخلاصه الصادق فهما بالتقدير والثناء احق ، والله يوفقنا جميعا الى ما فيه الخير .

احسان عباس

تعايش الطوائف في لبنان

Die Koexistenz der Religionsgemeinschaften im Libanon von Dr. Wilhelm Kewenig, Köln. Walter Gruyter & Co. Berlin 1965. (The coexistence of the religious communities in Lebanon). 198 pp. DM 26.

تحاول هذه الدراسة ان تصف النظام السياسي والحقوقي اللبناني ، في نشأته وتطبيقه ، نتيجة لتعايش الطوائف اللبنانية الدينية المختلفة. وهذه نظرة تنطوي على فوائد جمة وقادرة ان تفسر كثيرا مما يبدو مستغلقا في حياة لبنان السياسية.

تتألف الدراسة من قسمين رئيسيين : اولهما وصفي ويستغرق النصف الاول من الكتاب ، في بيان مختصر واف لنشوء الدولة اللبنانية ، وتحديد فكرة « الطائفة الدينية » كما يستعملها المؤلف في دراسته ، وتطور نطاق التعايش سياسيا وحقوقيا . وثانيهما ادنى الى التدبير النظري ، اذ يحاول المؤلف البحث في جدوى النظام الموصوف في القسم الاول والرد على السؤال الخاص باحتمال استمرار نجاح هذا النظام في لبنان ، وتقدير تطوره في المستقبل ، اما الى تخطي « الطائفية » والسير نحو قيام « وحدة وطنية » واما الى الاتجاه المقابل اي الاحتفاظ بنظام « التعايش » وتحسينه بمنح الطوائف المختلفة اقصى ما يمكن من المساواة .

وفي سبيل تحديد فكرته عن « الطائفة الدينية » غاص المؤلف في التاريخ الاسلامي ، مبينا الطبيعة السياسية الدينية « للطوائف » او الملل في نشأتها في الاسلام وفي تأثيرها ، بالضرورة ، في الطوائف المسيحية الرشيدة والمنشقة التي

كانت تعيش تحت السيطرة الاسلامية . ويرى المؤلف – وله على ذلك دليل – ان الاتجاه العام الى العلمانية الملاحظ في الشرق الادنى ، لا يسوي ، ضرورة ، الفوارق بين « الطوائف الدينية » ، وذلك لانها طوائف اجتماعية وسياسية وثقافية ، بالاضافة الى كونها دينية . واستنادا الى ذلك ، يذهب المؤلف الى ان القومية العربية كانما هي تستميل جانبا واحدا من الشعب اللبناني ، يكاد ان يكون موازيا للطوائف الاسلامية ، على حين نجد ان درجات متفاوتة في التمسك بقومية لبنانية محددة ، يسود « الطوائف المسيحية » .

يصف المؤلف وصفا موضوعيا ازمة سنة ١٩٥٨ التي يبدو ان حدوثها كان الحافز الى تأليف الكتاب، على الارجح . وهو يأبى ان يسلم بما ذهب اليه الناطقون الرسميون و السياسيون من ان « الطائفية » في لبنان هي ظاهرة ينبغي ان تزول، ويقول انها آخذة في الزوال ، حتى يقوم فيما بعد لبنان « علماني » موحد . وهو يشير في مقابل ذلك الى ما يجده من دليل على ان الفوارق تزداد تحيزا ووضوحا، وانها ماضية الى تكتل عام – كان غير معروف في جبل لبنان في الماضي – ينتظم في احد طرفيه ذوي الاتجاه العربي وفي الطرف الآخر ذوي الاتجاه اللبناني من السكان .

ولعل هذه ناحية من الدراسة يبدو ان التحولات السياسية السريعة في المنطقة قد تخطتها . ويبدو ان المؤلف متأثر تاثيرا بالغا بالقومية العربية وتطورها بقيادة الرئيس عبد الناصر، وما تنطوي عليه من قوة موحدة وقصد . وقد انجز كتابة مؤلفه سنة ١٩٦٠ ، ومنذ ذلك الحين لم يزر منطقة الشرق العربي . فاذا نظرنا الى الزمن الذي كتب فيه فصوله ، كان الذي ذهب اليه من ان جانبا واحدا من سكان لبنان يبدو مريدا ان يتحيز مع القومية العربية كما تتمثل في عبد الناصر ،صحيحا في اصوله . اما سنة ١٩٦٥ فلا بد من الاعراب عن بعض التحفظات : فقد انطلقت القومية العربية شوطا بعيدا الى الثورة الاشتراكية، وخاضت غمرة النزاع بين العرب ، ومالت الى اهتمامات ايديولوجية ذات صفة شبيهة بالماركسية .

ولعله لا يزال من الصواب ان يقال ان جانبا كبيرا من المسلمين في لبنان يتتبعون سيرها وتطورها بعطف فياض قوي ، ولكن القول بان قسماً كبيرا منهم يريد ان يتخلى عن ولائه للبنان ليدخل دخولا غير مشروط في القومية العربية المصرية الطابع ، يبدو كانما هو ادنى الى الشك اليوم مما كان منذ بضع سنوات . وهذا بصرف النظر عن الواقع الجغرافي الذي يجعل في الوقت الحاضر ، هذا الانتظام عسيرا من الوجهة الطبيعية العلمية ، بعد الانفصال الذي وقع في سنة ١٩٦١ .

وعلى ذلك يدنو المرء من موافقة المؤلف ، حين يحاول في ختام دراسته ان يشدد على ان فرص البقاء والازدهار في لبنان ، لا تتوقف ، في الحقيقة ، على « التغلب على الطائفية » وتطويرها الى « وحدة قومية » . ومع ان هذه الفكرة لم تزل المدار الدائم لاقوال الخطباء الوطنيين منذ عهد الجنرال فيغان ، فان العمل الفعال لتحقيق هـــذا الغرض كان قليلا . وقد بين المؤلف بأدلة قوية ان معظم التطور كان الى الاتجاه المقابل – نحو توازن الطوائف ، ومنح كل منهـا مقدارا اوفر من الحرية الداخلية ، والسلطة الحقوقية ، والمشاركة في اجهزة الدولة .

على انه لا يرى ان في ذلك خطأ ما . فنظام التعـــايش ، يبدو في رأيه ، النظام الوحيد الموافق للبلاد ، وهو واثق ان رابطة المصلحة المشتركة التي توحد الطوائف المختلفة تستطيع ان تبلغ من القوة مبلغا كافيا للترابط بينها لانقاذ البلاد من الانقسام . ويضيف الى ذلك تحذيرا واحدا : ينبغي ان يصير لجميع فئات الشعب في لبنان ما يحملها على الولاء له ، وهذا يعني الاهتمام العظيم بالفئات المتخلفة في الاقسام الشمالية والجنوبية والشرقية الفقيرة من البلاد حتى ترتفـــع الى مستوى الفئات المتقدمة تربويا ومهنيا واقتصاديا . وكأن المؤلف يقول ان هذا الضرب من العمل يضمن لبنـــان ضمانا اقوى من الحنين الوهمي الى « وحدة وطنية » غير متاحة اليوم لسبب بسيط وهو ان الطوائف المختلفة تبدو راغبـة في استمرار حياتها كطوائف ، دون ان تعني هذه الرغبة ، امتناعها ، بالضرورة ، عن كونها وبقائها جميعا لبنانية .

ارنولد هوتنغر

رسائل في الاسلام

Mohammad Fa lhel Jamali, *Letters on Islam: Written* by *a Father in Prision io his Son.* Oxford University Press, London 1965. pp. 108. 15/-.

عند قيام الثورة العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨ والقضاء على الاسرة الهاشمية الحاكمة القي القبض على عدد من رجالات العهد المباد وقدموا الى المحكمة العسكرية العليا الخاصة . وكان في عداد هؤلاء الدكتور محمد فاضل الجمالي وحكمت عليه المحكمة بالاعدام وبالسجن خمسا وخمسين سنة وبغرامة مالية تزيد عن المائة الف دينار . واذ جلس الجمالي تحت ظل المشنقة مدة سنة ونصف السنة بعد ان كان يتربع على دست السياسة والحكم عاد الى نفسه وتفتحت نفسه الى ذلك النور الذي يقذفه الله في القلب . فعكف على دراسة القرآن الكريم وغيره من كتب الدين الاسلامي ووجد طمأنينة لنفسه والراحة لضميره في العقيدة الدينية التي تؤكد على ان « الحياة لا تنتهي بالموت الجسدي بل تتجدد بعده » .

ولما انتهت مساعي الكثيرين من رجالات العرب الى استبدال السجن عشر سنوات بالاعدام سنحت للدكتور الجمالي الفرصة في ان ينصرف في سجنه الى محاسبة النفس على ما بدا له تقصيرا منه في ايلاء الامور الروحية مايجب من العناية فحاول ان يعوض عن ذلك التقصير فبدأ بتحرير رسائل الى ابنه عباس الطالب في الجامعة الاميركية يشرح له فيها الاسلام . ويبدو ان الجمالي شاء من البدء ان ترى هذه الرسائل الخاصة النور وتنتشر حتى يستفيد منها المؤمن وغير المؤمن على السواء .

عدد هذه الرسائل اربع وعشرون ، اضاف اليها المؤلف ملاحق ثلاثة اولها رسالة مختصرة لابنه أسامة تعالج قضية « الحرية والمسؤولية في الاسلام » ، وثانيها مذكرة كتبها الى شاب عزيز عليه وحاول ان يبين فيها « رأيه في علاقة الدين بالدولة وخطل اللادينية العلمانية » ، وثالثها خطاب كان قد ألقاه في جمعية الشبان

المسلمين في بغداد في عيد المولد النبوي قبل ثلاثين سنة . وغاية الرسائل الاربع والعشرين والملاحق الثلاثة كلها التأكيد على «اهمية الاسلام في عالم اليوم وضرورة التمسك باهداب الدين اذا شئنا الفوز في الدنيا والنجاة في الآخرة » . وقد كتبها المؤلف بالعربية اولا ثم نقلها الى الانكليزية .

ذكرتني هذه الرسائل بنفر من الناس انصرفوا في اثناء انقطاعهم في غياهب السجون الى الكتابة في الامور الدينية فهناك ابن تيمية الشهير (١٢٦٣—١٣٢٨) الذي كتب عددا من تآليفه الرئيسية في السجن ان في الاسكندرية او القاهرة او دمشق . وهناك يوحنا بنيان (١٦٢٨ – ١٦٨٨) الانكليزي مؤلف كتاب « سياحة المسيحي » في اثناء وجوده في السجن . وقد يصعب ان تقارن رسائل الجمالي برسائل ابن تيمية او ان تشبه بكتابات بنيان على الرغم من ان الثلاثة يؤكدون على التمسك بالعقيدة والتعلق باهداب الدين .

تبحث هذه الرسائل المواضيع التالية : الايمان بالله ، القرآن الكريم ، العلم وافكار الخالق ، اهمية الدين ، التدين ، العلم والدين ، ما هو الاسلام ، الاسلام والمذاهب الفلسفية ، الادلة على وجود الله ، ذات الله وصفاته ، الايمان باركان العقيدة الاسلامية ، العبادات او الفرائض ، النظام الاجتماعي فى الاسلام ، ملامح النظام الاجتماعي في الاسلام ، المجتمع الاسلامي الصحيح ، نظام الحكم في الاسلام ، الاسلام والاخلاق وما يجب ان يتحلى به المسلم منها ، اسلوب التربية الاخلاقية في الاسلام ، علاقة الاسلام بالقومية العربية ، وضع الاسلام في عالم اليوم ، الله والكون والاسلام ، العلاقة بين الدين والدولة وخطل اللادينية العلمانية ، الاسلام والمدنيات الغربية الحديثة .

ومهما يكن من امر فأن هذه الرسائل لا تأتي ، من الناحية الدينية الاسلامية بجديد وهي تعكس العقيدة الشيعية اكثر مما تعكس عقيدة اهل السنة والجماعة كما هو واضح في تعداد الفرائض الواجبة على المسلم وهي حسب قول المؤلف « الصلاة والصوم والزكوة (والى جانبها الخمس) والحج والجهاد في سبيل الله

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر » في حين تقول السنة انها « شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » (انظر صحيح البخاري ، كتاب الايمان ، الباب الاول) . والمؤلف كما هو معروف من اهل الشيعة ولكنه يدعو الى التقريب بين جميع المذاهب الاسلامية ولست اعتقد ان احداً سيأخذ على الرسائل هذه صلتها الوثيقة بمذهب الشيعة . غير ان كثيرين من المعجبين بالمؤلف قد يجدون في موقفه من العلمانية ورميها بالخطل شيئا من التجني لا سيما لدى وصفها المسبق باللادينية . فالعلمانية تقول بالفصل بين الدين والدولة غير انها لا تقول بمحاربة الدين ما دام دينا يدعو الى المعروف وينهى عن المنكر ، لان عدم الفصل بينهما يؤدي الى جعل الدين والقومية مترادفين وبالتالي يحول دون احلال المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات وقد يختلف اصدقاء المؤلف ايضا معه على مدى العلاقة بين الاسلام والقومية العربية . فمما لا ريب فيه ان الاسلام والعروبة يتفقان على امور كثيرة ويختلفان على اخرى . اقول هذا مع العلم ان العرب دخلوا التاريخ العالمي تحت راية الاسلام . غير ان العروبة تقوم على الاعتقاد بأن العرب امة واحدة تتميز عن سواها بصفات اساسية خاصة وهي تدعو الى الوحدة العربية وترغب في اقامة دولة عصرية مستقلة عن الدين . ولذلك نرى الدول العربية في النزاع التركي القبرصي ، تقف الى جانب رئيس الاساقفة مكاريوس لا الى جانب الاتراك المسلمين . وفي الواقع لم تكن الفكرة العربية الحديثة فقط رد فعل ضد محاولات الاتحاديين الاتراك لصهر العرب وغيرهم من شعوب الامبراطورية العثمانية في البوتقة الطورانية بل كانت ايضا والى حد ابعد حجبا للثقة عن فكرة الجامعة الاسلامية .

ولعل ابرز ما في هذه الرسائل انها تثير من المسائل المصيرية الخطيرة عددا اكبر من العدد الذي تجيب عليه . وهنا تكمن قيمتها ومنفعتها .

نبيه امين فارس

مدن عربية

نقولا زياده – دار الطليعة – بيروت – ٢٣٠ ص

من مراكش الى طرابلس الغرب في الجناح الغربي من العالم العربي ومن القاهرة الى بغداد في الشرق العربي ، اختار الدكتور نقولا زيادة اربعا وعشرين مدينة عربية عريقة ورسم لكل مدينة منها صورة قلمية مستمدة خطوطها من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب ، قال في الطريقة التي جرى عليها : « والصورة في واقع الامر رسمها جغرافيون ومؤرخون ورحالة عرفوا هذه الرقعة وجابوا انحاءها وكتبوا تاريخها . فجئت انا مختارا عباراتهم ، متخيرا اقوالهم ، ضاما اياها بعضها الى بعضها الآخر ، رابطا بينها بالقليل من قولي لتستقيم الصورة ويتم الوصل . وبذلك يكون الحكم للمدينة ، او الرواية عنها ، بقلم اولئك الذين عاصروها وعرفوا وخبروا امورها » .

فالكتاب في مجمله فيه من التاريخ اخبار طريفة ، ومن ملامح العمران اوصاف لبيوت العبادة ودور العلم ومعيشة السكان وطبائع الحكم ، ومن الادب والشعر مختارات . وكل فصل من فصوله الاربعة والعشرين ، يعرض للقارىء برغم الايجاز ، صورة متكاملة العناصر عن نشأة المدينة وعمرانها ومكانتها في التاريخ ، استنادا الى نصوص مختارة من فئة من كبار المؤرخين والجغرافيين والرحالة من القدامى كالمقدسي ، أبي عبدالله محمد في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » وابن عبد الحكم في « فتوح مصر واخبارها » وديوان ابن رشيق القيرواني ، وابن جبير في « الرحلة » وابن فضل الله العمري في « مسالك الابصار » والهمداني في « صفة جزيرة العرب » والمرزوقي ، أبي علي احمد في « الازمنة والامكنة » وابن بطوطة ، ابي عبدالله في « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » والاصطخرى ، ابي اسحق ابراهيم في « مسالك الممالك » ، ومن المحدثين كامين الريحاني في « ملوك العرب » وبلاشير في منتخبات من آثار الجغرافيين العرب » وجبرائيل جبور في « عمر ابن ابي ربيعة »

ومصطفى زياده في « حملة لويس التاسع على مصر » ونقولا زيادة في « رواد الشرق العربي » « ولمحات من تاريخ العرب » ، وخير الدين الزركلي ، في « ما رأيت وما سمعت » وصلاح الدين المنجد ، في « الشرق في نظر المغاربة » وغير هؤلاء عدد كبير من الفئتين .

وقد نشرت « الابحاث » احد فصول هذا الكتاب قبل صدوره (« فاس في التاريخ » ، الابحاث ، آذار ، ١٩٦٥) ومنه يستدل القارىء على تطبيق الطريقة التي اتبعها المؤلف في رسم هــذه الصور ، ولكن من المستحسن ان نورد فيما يلي فقرات من ثلاثة فصول اخرى للتمثيل على بعض النواحي العمرانية والثقافية الطريفة التي تخيرها الكاتب في رسم صورة .

ففي الفصل عن مدينة مراكش وفي الصفحة العاشرة وصـــف لتأسيس مدرسة قال :

« فقد انشأ علي بن يوسف (بن تاشفين) مدرسة كبيرة ، هي التي تعرف اليوم بالجامعة اليوسفية ، بحيث تعبر عن العنصر المغربي الاصيل علما وفكرا فلا تكون عالة على القيروان او الاندلس . كان تأسيس هذه الجامعة سنة ٥١٤ (١١١٦) على اشهر الاقوال وكان الطلبة يتلقون فيها التفسير والفقه والاصول والنحو والفقه . ويبدو ان تفسير الطبري وموطأ مالك وصحيح مسلم وتصانيف ابن رشد وكتاب سيبويه والايضاح والمخصص والمحكم ومؤلفات ابن سينا كانت الكتب المعتمدة في معهد يوسف . وقد جاء على السنة المؤرخين قولهم « وجاءت دولة المرابطين فجمعت ما كان متفرقاً بالمغرب من كلمة الاسلام وتمسكوا بالسنة وعظم امر الفقهاء . . . وانصرفت وجوه الناس اليهم ، فكثرت لذلك اموالهم واتسعت مكاسبهم .. . ولم يكن يقرب من امير المؤمنين ويحظى عنده الا من علم علم الفروع ... فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها » .

وفي الفصل عن طرابلس الغرب (ص ٨٧) نقلا عن ابن عبد الحكم في

« فتوح مصر واخبارها » فقرة تصف كيف دخل عمرو بن العاص المدينة ، قال: « ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس في سنة اثنتين وعشرين (٦٤٣)... فنزل على القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منها على شيء . فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر . فمضوا غربي المدينة حتى امعنوا عن العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن الروم مشارعة في مرساها الى بيوتهم ، فنظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا اليها من الموضع الذي غاض منه البحر . فدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم . وابصر عمرو اصحابه السبعة في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم الا بما خف لهم في مواكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة » .

وفي الفصل عن بيروت (الصفحة ١٦٥) وصف للزلزال الذي الم بها سنة ٥٥١ للميلاد نقلا عن شيخو في كتابه « بيروت : تاريخها وآثارها » قال : « لما حدث الزلزال في بيروت ومدن فينيقية اندحرت المياه باذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت اعماق البحر وظهرت فيه سفن مشحونة بالبضائع ومال كثير ، فحمل الطمع الاهلين ولم يردهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك الكنوز فحملوها راجعين بسرعة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فاغرقتهم جميعا . اما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بنفسهم من الغرق الا ان جدران الابنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم . وانتشر الحريق في المدينة بعد خرابها مدة شهرين فحول مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس .

ونزل بها حريق بعد ذلك بقليل فصرخ احد المعاصرين لذلك يرثي بيروت وكانه يتكلم بلسانها : « ويلاه ! انا اشأم المدن حظا واسوأها حالا . رأت عيني جثث ابنائي متراكمة في ساحاتي دفعتين في ظرف تسع سنين . رماني فولكان

(اله النار) بسهامه المتقدة، بعد ان صدمني نبتون (اله البحر) بتياره الهائل...
فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلة (عن لامنس ، هنري « الزلازل في بيروت المشرق ج ٢ ، ١٨٩٩ حتى ٩٧٠) .

هذه ثلاثة مقتطفات احدها عن تاسيس جامعة قديمة ، وثانيها عن فتح مدينة عريقة ، وثالثها وصف زلزال تاريخي ، تبين طبيعة الملامح التاريخية والعمرانية المختلفة التي الف الكاتب بينها ليصنع منها صورة لكل مدينة من المدن التي اختارها وهي : مراكش ، فاس ، مكناس ، اشبيلية ، تلمسان، الجزائر ، القيروان ، تونس ، المهدية ، طرابلس الغرب ، القاهرة ، مكة المكرمة ، المدينة المنورة ، صنعاء ، عكاظ ، دمشق ، القدس ، بيروت ، صيدا وصور ، حلب ، حماه و معرة النعمان، الموصل، بغداد. ومعظمها من المدن التي عرفها المؤلف معرفة دقيقة او زارها غير مرة .

والكتاب في مجمله ، على طرافته، يثير رغبة في اطلاع اوسع على كل مدينة من هذه المدن وغيرها ، لا يشبعها سوى سلسلة من الكتب ، يختص كل كتاب منها بمدينة على حدة ، وعسى ان تنهض لتحقيق ذلك دار من دور النشر عندنا ، بالتعاون مع المؤرخين والادباء وربما باشراف الدكتور زيادة ، فتجاري بذلك ما تفعله الان في الولايات المتحدة مطبعة جامعة اوكلاهوما التي كتب لها الدكتور زياده كتابا عن « دمشق في عهد المماليك » في سلسلة كتبها عن المدن التاريخية .

تصحيح احدى كتابات عربية غير منشورة في جبل اسيس

كنت نشرت في مجلة الابحاث (السنة ١٧ – الجزء ٣ – ايلول ١٩٦٤) كتابات عربية غير منشورة وجدت في جبل اسيس؛ واشرت الى اهمية الكتابة الاخيرة (اللوحة ٨٥ – النص ١٠٧ الصفحة ٣٠٢) ؛ وذكرت ان هذه الكتابة تعود الى ما قبل الاسلام ، لان طريقة رسم الحروف تختلف عن كتابات العهد الاسلامي ، ولان **الملك الحارث** لا بد من ان يكون الملك الغساني المتوفي سنة ٥٧٠ م .

لم يخطر على بالي ان الكلمة الاخيرة في السطر الرابع هي تاريخ الكتابة بالنبطية ؛ لانه خيل الي انها تشبه (ومايه) فقدرت قبلها (خمس) . وقلت ان التاريخ يجب ان يكون بالنسبة الميلادية .

تفضل العالم الدكتور ادولف غروهمان Dr. A. Grohmann ، فارسل الي تصحيحه للكلمة الاخيرة . وذكر لي ان هذه الكلمة هي التأريخ بالنبطية ،وقد فصّله لي على النحو التالي :

[نبطي] = ٤ ، [نبطي] = ١٠٠ اذن [نبطي] = ٤٠٠
[نبطي] = ٢٠
[نبطي] = ٣
[نبطي] = ٤٢٣

[٤٢٣ في تأريخ بصرى النبطي يعادل ٥٢٨ م]

أما الكلمة الموجودة قبل كلمة ([نبطي]) في السطر الثالث وقد كنت قرأتها (مُسَلَّحَةً) ، فهي حسب تصحيح الدكتور غروهمان (مَسْلَخَةَ)وتعني في غضون)

لقد كان سروري عظيما جدا بهذا التصحيح ، لان ظني اصبح حقيقة . تضاف هذه الكتابة الى الكتابات العربية قبل الاسلام وهي : نقش النمار ، نقش حران ، نقش زبد ، نقش ام الجمال ، ونقش اخر

اللوحة : —٨٥— النص ١٠٧

١ — ابراهيم بن مغيرة الأوسي
٢ — ارسلني الحرث الملك على
٣ — سليمن مَسْلَخَةَ سنت (كذا)
٤ — ٤٢٣ تاريخ بصرى : ٥٢٨ م

٨٥

١٠٧

محمود ابو الفرج العش

كتاب هذا الجزء من الابحاث

الاستاذ شفيق جحا : رئيس دائرة التـــاريخ والجغرافية والتربية الوطنية بالقسم الانكليزي في المدرسة الثانوية العامة ، بيروت . محاضر في دائرة التربية بالجامعة الاميركية في بيروت . مؤلف مشارك : سلسلة « التربية الوطنية والاخلاق » المدرسية (٨ اجزاء) . وسلسلة « المصور في تاريخ لبنان » المدرسية (١١ جزءا) وسلسلة « امس واليوم » التاريخية (٧ اجزاء) .

الدكتور سيد حسين نصر : استاذ كرسي آ غا خان للدراسات الاسلامية في الجامعة الاميركية في في بيروت لسنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

الدكتور جوزيف مالون: احد اساتذة التاريخ الحديث ورئيس دائرة التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت .

الدكتور هيوبرت مورسنك : استاذ مشارك لعلم الاجتماع الريفي في كلية الزراعة بالجـــامعة الاميركية في بيروت ، وكان قبل منصبه هذا مستشارا لأمانة الامم المتحـدة في نيويورك في « التنمية الريفية » : وقد وضع تقارير متعددة للامم المتحدة عن التنمية الريفية والتنمية الحضرية ومنها ما كان خاصا بالدول العربية نتيجة لعمـــله مع الامم المتحـــدة (١٩٥٩ — ١٩٦٣) في الدول العربية .

كتب عربية

اضيفت حديثاً الى مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية
ببيروت وهي مدرجة بحسب تقسيمات ديوي الرئيسية .
تشرين الثاني ١٩٦٤ – نيسان ١٩٦٥

جمعتها

ليندا صدقه

ببليوغرافيا ومباحث عامة

ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق .
الفهرست . تح. غوستاف فلوغل واعتنى به بعد موته يوهانس روديفر واغست موللر .
بيروت ، مكتبة خياط ، ١٩٦٤ . ٢ ج في ١ .

الاجيال .
١٩ حزيران ، ١٨٩٧ – ١١ حزيران ، ١٨٩٨ . القاهرة . ج ١ .

الاخبار . صحيفة الحزب الوطني . ٢٢ اغسطس ، ١٩٢٥ – ٢٨ فبراير ، ١٩٢٦ .
القاهرة . ١ ج .

البستاني، فؤاد افرام .
دائرة المعارف . قاموس عام لكل فن ومطلب . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ .
ج ٥ .

الجريدة .
١٢ نوفمبر ، ١٩٠٧ – ٥ مارس ، ١٩٠٨ . القاهرة . ١ج.

جمعية تعليم الكبار الاميركية . مح .

المؤتمرات المثمرة . تر. فؤاد فوزي حنين ، مراجعة وتقديم عبد الحميد مرسي . القاهرة، دار القلم ، ١٩٦٤ . ٨٧ ص.

حمزه ، عبد اللطيف .

ادب المقالة الصحفية في مصر، الطبعة الثانية. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٣ . ج٨ .

سوريا . وزارة الثقافة والارشاد القومي .

محاضرات الموسم الثقافي ١٩٦١-١٩٦٢ . دمشق ، الوزارة ، لا.ت. ج ٦ .

السياسة ، لسان حال الاحرار الدستوريين .

(يومية) — القاهرة ، ١٩٢٤ — ١٩٢٥ . ٢ ج في ٣ .

القاهرة . دار الكتب المصرية .

النشرة المصرية للمطبوعات ١٩٦١ — ١٩٦٢. القاهرة، دار الكتب ، ١٩٦٣ . ٢ ج.

اللواء المصري ، صحيفة الحزب الوطني .

٢٣ آب ، ١٩٢١ — ٣ مايو ، ١٩٢٥ . القاهرة ، لا.ت. ٣ج .

المحروسة : جريدة يوميـة سياسية اقتصادية . ١٦ يناير ، ١٩٢٣ — ٣٠ يونيو ، ١٩٢٣ . القاهرة . ١ ج .

نجم ، محمد يوسف .

فهارس الادب العربي الحديث . بيروت ، ١٩٦٣ . ٢ج .

هوايت ، آن تيري .

الانهار العظيمة في العالم. تر. وتقديم ا. ح. محمد عبد الفتاح ابراهيم . القاهرة، دارالمعارف، ١٩٦٤ . ١٣١ ص .

الفلسفة وعلم النفس

افلاطون .

جمهورية افلاطون . تر. نظلة الحكيم ومحمد مظهر سعيد ، القـــاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ١٩٠ ص.

التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد .

رسالة الصداقة والصديق . عني بتحقيقهـا والتعليق عليها ابراهيم الكيـلاني . دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٤ . ٥٤٠ ص .

الحبابي ، محمد عزيز .
من الكائن الى الشخص ، دراسات في الشخصانيـة الواقعية . القـــاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ج ١ .

زكريا ، فؤاد .
نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للانسان . القاهرة ، مكتبةالنهضـــة المصرية ، ١٩٦٢ . ١٨٧ ص .

السهروردي ، ابو الفتوح يحيى بن حبش .
مجموعة في الحكمة الالهية ... عني بتصحيحه ه. كوربين . استانبول ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٥ . ج ١ .

شيرازي ، صدر الدين محمد بن ابراهيم .
كتاب المشاعر . باترجمة فارسي بديع الملك ميرزا عماد الدولة وترجمة ومقدمة وتعليقـات فرانسوى هنري كربين . تهران ، انستيتو ايران وفرانسه ، ١٩٦٤ . ٥١٧ ص.

صليبا ، جميل .
الدراسات الفلسفية . دمشق ، جامعة دمشق ، ١٩٦٤ . ج ١ .

عاقل ، فاخر .
نظريات حديثة في التعلم . عمان ، مجلة رسالة المعلم ، ١٩٦٣ . ٨٠ ص .

مهر ، جورج .
مواجهة الطفل للازمات . تر. محمد خليفة بركات . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ . ١١٢ ص .

نكروما ، كوامي .
الوجدانية ، فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور خصوصاً بالنسبة للثورة الافريقية . نقله عن الانكليزية كريم عزقول . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ٢١٩ ص .

الوردي ، علي حسين .
منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٣١٦ ص .

الدين

ابن المطهر الحلي ، جمال الدين الحسن بن يوسف .
كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد. طهران، مكتبة المصطفوى، ١٣٧٧ ه. ٢٧١ ص.

ابن شهر اشوب ، ابو جعفر محمد بن علي .
مناقب آل ابي طالب . قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من اساتذة النجف الاشرف . النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦ . ٣ ج .

ابن قيم الجوزية ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر .
احكام اهل الذمة . حققه وعلق حواشيه صبحي الصالح . الطبعة الاولى . دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١. ٢ج .

ايران ويمن يعني سه رسالة اسماعيلي : ١ — كتاب الينابيع از ابو يعقوب سجستاني — ٢ - رسالة المبدأ والمعاد از سيدنا الحسين بن علي — ٣ بعض از تأويلات كلشن راز بتصحيح وترجمة وشرح فرنسوي هنري كربين. تهران، انستيتو ايران وفرانسه، ١٩٦١. ٥٧٤ص.

البحراني ، يوسف .
الكشكول . كربلاء ، مؤسسة الاعلمي المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ — ٦٢ . ٣ ج .

بريدي ، ميشال .
كنيسة المسيح من وجهها الصحيح على ضوء المجتمع الفاتيكاني الثاني والحديث من المعارف اللاهوتية. بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٤ . ٧٥ ص.

الحصان ، عبد الرزاق .
المهدي والمهدوية ، نظرة في تاريخ العرب السياسي . الطبعة الاولى . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٥٧ . ٢٣١ ص .

خالدي ، مصطفى .
التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي . تأ . مصطفى خالدي وعمر فروخ . الطبعة الثالثة . صيدا ، المكتبة العصرية، ١٩٦٤ . ٢٦٨ ص.

رجب ، منصور علي .
نظام الاسلام. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٢ . ٢٤٢ ص .

سرور ، محمد جمال الدين .
الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة. القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠ . ٢٧٠ ص .

الصابيء ، ابو الحسين هلال بن المحسن .
رسوم دار الخلافة . عني بتحقيقه والتعليق عليه ونشره ميخائيل عواد . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ . ٢٠٦ ص .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن .
تهذيب الاحكام في شرح المقنعة . حققه وعلق عليه حسن الموسوي الخرسان . الطبعة الثانية . النجف، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٥٩ — ١٩٦٢ . ١٠ ج .

الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد .
مشكاة الانوار . حققها وقدم لها ابو العلا عفيفي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ٩٥ ص .

المنقذ من الضلال والموصل الى ذى العزة والجلال . تر ، الى الفرنسية فريد جبر . بيروت ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، ١٩٥٩ . ١٧٧ ص .

الفيض الكاشاني ، ملا محسن بن مرتضى .
المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء . صححه وعاق عليه علي اكبر الغفاري ، طهران ، مكتبة الصدوق، ١٣٣٩ - ١٣٤٢ هـ.ش. ٨ ج.

الكازروني ، ابو محمد روزبهان ابن ابو منصور .
كتاب عبهر العاشقين . بحث در تصوف بفارسي بتصحيح ومقدمة فارسي وفرانسوى. تهران، انستيتو ايران وفرانسه ، ١٩٥٨ . ٤٨٥ ص .

لاهيجي ، محمد .
مفاتيح الاعجاز في شرح كلشن راز. تهران، كتابفروشي محمودي، ١٣٣٧. ٨٠٤ ص .

ماجد ، عبد المنعم .
التاريخ السياسي للدولة العربية . الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٦٠ . ٢ ج .

المارديني ، جرجس .
فجر المسيحية . بيروت ، الرابطة الكهنوتية، ١٩٦٣ . ٣٩٦ ص .

محمود ، محمد حلمي .
ابو بكر والوحدة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٣ ص .

مغنية ، محمد جواد .
المهدي المنتظر والعقل . اسلوب جديد في فلسفة الفكرة . بيروت ، دار العلم للملايين ، لا.ت. ١٠١ ص .

المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان .
الارشاد للشيخ المفيد . النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٢ . ٣٦٨ ص .

المنوفي ، محمود ابو الفيض .
المدخل في التصوف الاسلامي. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤١ ص.

ناصر ابن خسرو ، ابو معين علوى قبادياني مروارى .
... جامع الحكمتين. بتصحيح ومقدمة فارسي وفرانسوى هنري كربين ومحمد معين. تهران، انستيتو ايران وفرانسه ، ١٩٥٣ . ٣٤٨ ص .

نصر بن مزاحم ، ابو الفضل .
وقعة صفين . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . القاهرة ، المؤسسة العربية الحديثة ، ١٣٨٢ هـ. ٦٩١ ص .

العلوم الاجتماعية

ابو زهرة ، محمد .
فلسفة العقوبة في الفقه الاسلامي . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٢٢٠ ص .

احمد ، محمد عبد العزيز .
التضامن الدولي والسلام . تأ . محمد عبد العزيز احمد ومحمد الجبالي . القاهرة ، الدار القومية للطباعية والنشر ، لا.ت. ٨٤ ص .

الاردن . دائرة الاحصاءات العامة .
التعداد العام الاول للسكان والمساكن. عمان، الوزارة . ١٩٦١ ج ٣ .

الاردن . دائرة الاحصاءات العامة .
حسابات الدخل القومي ١٩٥٩ — ١٩٦٢ . عمان ، دائرة الاحصاءات العامة . ١٩٦٤ . ٣ ج .

الارسوزي ، زكي .
متى يكون الحكم ديمقراطيا. دمشق، لجنة تحرير لواء الاسكندرونة، ١٩٦١. ١٣٦ص.

اقلاديوس ، شوقي .
الصراع حول بترول الشرق . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا . ت . ٩٨ ص .

الامام ، محمد محمود .
التخطيط من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٢٣٨ ص .

باريت ، فرانسوا .
تاريخ العمل . تر . فائز كم نقش ، مراجعة انطون المقدسي . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، لا.ت. ٢٣١ ص .

البراوي ، راشد .
التطور الاقتصادي الحديث في افريقية . الطبعة الاولى . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ٢١٠ ص .

بلال ، عبد الله .
القيادة في المجتمع الاشتراكي . تقديم محمد طلعت خيري . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٥٥ ص .

بولارد ، ريدر وليم .
بريطانيا والشرق الاوسط من اقدم العصور حتى ١٩٥٢ . نقله الى العربية حسن احمد السلمان. بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٦ - ١٩٥٧ . ٢٣٨ ص .

بوي ، روبرت رتشرد سون ، مح .
دراسات في الدولة الاتحادية . تر . برهان دجاني ، تقديم وليد الخالدي . بيروت ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ج ١ .

بيلوف ، ماكس .
ابعاد جديدة في السياسة الخارجية . تر . محمد جعفر ، مراجعة ابراهيم جمعه . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٩٦ ص.

تونس . كتابة الدولة الثقافية والاخبار .
افريقيا الجديدة . تونس ، كتابة الدول للثقافة والاخبار ، ١٩٦٢ . ٢٣١ ص .

تونس . كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاختبار .
مشروع التنمية الاقتصادية، ١٩٦٢ - ٧١ . تونس ، كتابة الدول ، ١٩٦٣ . ٢٠١ ص.

جمعية تعليم الكبار الامريكية ، مح .
كيف نعلم الكبار . تر . سيد عبد الحميد مرسي ، تقديم محمد عماد الدين اسماعيل . القاهرة، دار القلم، ١٩٦٤ . ٩٢ ص .

الجمهورية العربية المتحدة . الحكومة المركزية .
بيان وزير الخزانة المركزي عن مشروع ميزانية الجمهورية العربية المتحدة للسنة المالية ١٩٦٠ - ٦١ . القاهرة ، الهيئة العامة لشؤن المطابع الاميرية ، ١٩٦٠ . ١ ج .

جنينة ، محمود سامي .
القانون الدولي العام . القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٣٣ . ٨٠٠ ص .

حجير ، محمد مبارك .
تمويل التنمية الاقتصادية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٣٦٨ ص .

حزب البعث العربي الاشتراكي . اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي السابع .
ازمة حزب البعث العربي الاشتراكي من خلال تجربته في العراق . دراسة تحليلية نظرية . بيروت ، دار الشعب ، لا.ت. ١٥٠ ص .

حسني ، محمود نجيب .
اسباب الاباحة في التشريعات العربية ، النظرية العامة للاباحة — استعمال الحق . محاضرات. القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١٧٦ ص .

حمزه ، سعد ماهر .
دراسات في البنوك والنقود في الاقتصاد السوداني . القاهرة ، مطبعة لجنة البيـــان العربي . ١٩٦٠ . ٣٧٩ ص .

خالد ، خالد محمد .
في البدء ، كان الكلمة . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١ . ١٥٩ ص .

الخفيف ، علي .
احكام الوصية، بحوث مقارنة تضمنت شرح قانون الوصية رقم ٧١ سنة ١٩٤٦ . محاضرات. القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٥٨٠ ص .

خلف ، سمير جورج .
البغاء في مجتمع متغير . دراسة اجتماعية للبغاء المرخص في بيروت . تقرير مقدم الى مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت ، ١٩٦٤ . ١١٩ ورقة .

الدجاني ، برهان .
تحليل بعض اوجه العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية . محـاضرات . القـاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١٧٧ ص .

درويش ، حسين .
السلطات المخولة لجهة الادارة في العقد الاداري . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦١. ٢١٢ ص .

دليل البحرين التجاري ، ١٩٦٣ – البحرين ، حكومة البحرين ، لا.ت. ٣٢٢ ص .

دياب ، فؤاد .
الرأي العام وطرق قياسه . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٣٥ ص .

الذهبي ، محمد حسين .
الاحوال الشخصية بين مذهب اهل السنة ومذهب الجعفرية . بغداد ، شركة الطبع والنشر الاهلية، ١٩٥٨ . ٤١٩ ص .

الزيني ، علي .
القانون الدولي الخاص المصري والمقارن . القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٨ . ج ١ .

سابان ، جورج .
تطور الفكر السياسي . تر . حسن جلال العروسي ، مراجعة وتقديم محمد فتح الله الخطيب. مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤ . ج ٢ .

السباعي ، مصطفى .
اشتراكية الاسلام . الطبعة الثانية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت. ٢٦١ ص .

السبري ، وليرد .
تقويم الطفل في المدرسة الابتدائية . تر . عدلي كامل و رشدي لبيب. القاهر ، مكتبةالانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ١٦٥ ص .

سمعان ، حسن شحاته .
اسس علم الاجتماع . الطبعة الخامسة – مزيدة ومنقحة . القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٦١ . ٣٤٠ ص .

السودان . وزارة المعارف .
الاحصاء التربوي للعام الدراسي ١٩٦٢ – ١٩٦٣ . الخرطوم ، الوزارة ، ١٩٦٤ . ٢ ج .

شافعي ، محمد زكي .
التعاون النقدي الدولي الاقليمي والعالمي . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١٥٢ ص .

الشرباصي ، رائد السعيد الشربيني .
مبادىء الاشتراكية في الاسلام . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨٥ص.

صادي ، جلال حسن .
قادة الفكر الاشتراكي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٠٥ ص .

صادق ، دولت احمد .
الاسس الجغرافية للتخطيط الاقتصادي في العالم العربي. محاضرات. القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٦٩ ص .

الصده ، عبد المنعم فرج .
محاضرات في القانون المدني . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٢ — ٦٣ . ج ٢و٣ .

طرابيشي ، جورج .
سارتر والماركسية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ . ١٨٩ ص .

طه ، جاد .
الاتحاد الاشتراكي العربي في ميزان العمل السياسي . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٧٢ ص .

الطويجي ، احمد كمال .
النقل البحري في مصر . القاهرة ، دار اخبار اليوم ، ١٩٥٩ . ١٦٢ ص .

عاشور ، عصام يوسف .
الدخل والتطور الاقتصادي في البلاد العربية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١١٨ ص .

عبد الحكيم، محمد صبحي .
موارد الثروة الاقتصادية . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦١ . ج ١ .

عبد الرحيم ، محمود .
قيادة حزب البعث المرتدة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٦٨ ص.

العقاد ، عباس محمود .
افيون الشعب ، المذاهب الهدامة . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، لا.ت. ١٤٣ ص .

عوض ، لويس .
الجامعة والمجتمع الجديد . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٦٠ ص .

العيسوي ، عبد الرحمن محمد .
الايديولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٢٣٢ ص .

غانم ، محمد حافظ .
المسؤلية الدولية، دراسة لاحكام القانون الدولي ولتطبيقاتها التي تهم الدول العربية .محاضرات. القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ١٤٣ ص .

غبريال ، وهبي .
اضواء على خطة التنمية الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة . تقديم حسن زكي احمد . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤١ ص .

افريقية والتكتلات الرأسمالية الاوربية . تقديم حسن زكي احمد . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨١ ص .

الغريب ، امين .
جواهر العصور . اي الاقوال الشهيرة والحكم الباهرة والامثال السايرة في تواريخ العرب وسائر الشعوب القديمة والحديثة مع شرح اسبابها وايضاح غوامضها . عمان ، مطبعة صفدي التجارية ، ١٩٦٠ . ٣٧١ ص .

غنيم ، احمد محمد .
تطور الملكية الفردية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٦ ص .

الفاضل ، محمد .
محاضرات في الجرائم السياسية . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٢٢١ ص .

فرج ، احمد علي .
التخطيط في المجتمع الاشتراكي . اعداد عبد المنعم زكي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٦٢ ص .

فستر ، هوراشيو .
نقابات العمال والقانون . تر . ليلى محمد الحسيني ، مراجعة محمود فتحي عمر . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٧٢ ص .

فلاندرز ، الين .
النقابات المهنية في بريطانيا . تر . جرانت اسكندر . مراجعة محمود عبد المجيد عثمان . القاهره ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٠ ص .

القاسمي ، محمد سعيد .
قاموس الصناعات الشامية . حققه وقدم له ظافر القاسمي . باريس ، موتون . ١٩٦٠ .
٢ ج في ١ .

القاهرة ، جامعة .
قانون رقم ٦١ لسنة ١٩٣٣ بوضع اللائحة الاساسية لكلية الاداب ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٣ . ١٢ ص .

مرسوم باعتماد اللائحة الداخلية لكلية الاداب . القـاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٣ .
٢٤ ص .

مرسوم بتحديد اختصاصات كبار الموظفين بالجامعة المصرية وبمجلس الجامعة ومجالس الكليات.
القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩٢٩ . ٨٧ ص .

كاظم ، محمد ابراهيم .
تطورات في قيم الطلبة ، دراسة تربوية تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ . ١٦٢ ص .

كامبس ، جون ساكه .
المدخل الى علم الاقتصاد ، او الانسان والنقود والبضائع . تر . حميـد القيسي . الموصل ، مكتبة الوفاء ، ١٩٦٤ . ٣٣٤ ص .

كلود ، اينيس ل (الابن)
النظام الدولي والسلام العالمي . تر . وتصدير وتعقيب عبد الله العريان. القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ . ٧١٨ ص .

لانكلي ، كاثلين ام .
تصنيـع العراق . تر . محمد حامد الطائي وخطاب صكار العاني. بغداد، دار المثنى ،١٩٦٣.
٤٦٧ ص .

لبنان . قوانين ، انظمة ، الخ .
الفهارس الثلاثة. مجموعة التشريع اللبناني. وضعها سليم ابي نادر. بيروت، ١٩٦٤. ١٩٢ص.

لبنان . وزارة المالية .
فذلكة مشروع موازنة سنة ١٩٦٣ و ١٩٦٤ . بيروت ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ٢ ج .
موازنة ١٩٦٤ . بيروت ، الوزارة ، ١٩٦٤ . ١ ج .

لنتون ، رالف .
الاصول الحضارية للشخصية . تر . عبد الرحمن اللبان ، مراجعة محمود زايد . بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ . ٢٠٥ ص .

لونزوفسكي ، جورج .
البترول والدولة في الشرق الاوسط . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشرة ١٩٦٢ .
٦٣ ص .

لينين ، ف. ا.
ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية، حق الامم في تقرير مصيرها. موسكو ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية ، لا. ت. ٢٣٦ ص .

ماهر ، علي .
القانون الدولي العام . مجموعة المحاضرات التي القيت على طلبة الليسانس بمدرسة الحقوق الملكية سنة ١٩٢٣ -- ١٩٢٤ . القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٤ . ٦٥٥ ص ،

متولي ، عبد الحميد .
القانون الدستوري والانظمةالسياسية. الطبعة منقحةالثانية. القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.
ج ١ .

المنمت ، ابو اليزيد علي .
في ظل المجتمع الاشتراكي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت. ٥٧ ص .

محمد ، عبد الحميد ابراهيم .
المرأه في الاسلام . تقديم ومراجعة احمد محمد الحوفي. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا.ت. ١٢٤ ص .

محي ، عبد الله ابراهيم .
مشكلات المرأة في البلاد العربية . بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٨ . ٧٧ ص .

مراد ، محمد حلمي ، جا .
قوانين الأدارة المحلية في الدول العربية . القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ .
٦٠٦ ص .

مالية الهيئات العامة المحلية في الدول العربية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢ . ١٨٩ ص .

مرزوق ، عبد الصبور .
الارض والمصنع بين الاقطاع والاشتراكية . القاهرة ، الدر القومية للطباعة والنشر ، لا.ت.
١٥٠ ص .

مصر . قوانين ، انظمة ، الخ .
تشريع العمل في مصر ، مجموعة القوانين والقرارات والاوامر العمالية ، وضع محمد خيفي . الاسكندرية ، مطبعة محمد خليل ، ١٩٥١ . ٢٢٩ ص .

مغنية ، محمد جواد .
اصول الاثبات في الفقه الجعفري . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ٢٤٨ ص .

مكتب العمل الدولي . جنيف .
النقابات في الاتحاد السوفييتي . تر . فريد مصطفى ، مراجعة جمال البنا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٢٦ ص .

النقابات في الولايات المتحدة الامريكية . تر . مصطفى حسين ، مراجعة جمال البنا. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤٩ ص.

من قصص المحاكم . روائع قصصية اختارها قانونيون عالميون . اشرف على التحرير البرت ب . بلاوشتين ،
مراجعة وتقديم حسن جلال العروسي . القاهرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٦٤ . ٣٩٣ ص .

منظمة الامم المتحدة للتربية رالعلم والثقافة . المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية . بيروت .

عرض عام لوضع التعليم بدولة الكويت ، اعداد عبد الله ابراهيم المفرج . بيروت ، المركز ، ١٩٦٤ . ٣ ج .

عرض عام لوضع التعليم في اتحاد الجنوب العربي— عدن. اعداد صالح عبد الله زوقرى وغيره. بيروت ، المركز ، ١٩٦٤ . ٣ ج .

عرض عام لوضع التعليم في الجمهورية التونسية . اعداد محمد رضا تنور وغيره . بيروت ، المركز ، ١٩٦٤ . ٣ ج .

عرض عام لوضع التعليم في الجمهورية اليمنية . اعداد طاهر حسين الكلالي وغيره . بيروت ، المركز ، ١٩٦٤ . ٣ ج .

نيفن ، ادوارد .
ارصدة رأس المال في الدول النامية . تر . عبد الله حسين ، مراجعة عبد الحميد الاسلامبولي. القاهرة ، الدر القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٥٤ ص .

وايلز ، كيمبول .
الاشراف في التربية الرياضية . تر . زكي ابراهيم الحبشي ومصطفى كمال الحلفاوي . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤. ٣٠٧ ص .

الوكيل ، عبد الواحد .
اضواء على الاتحاد الاشتراكي العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٩٨ ص .

وود ، ماكسين .
فقد البصر قدرة لا عجز . تر . فاروق احمد حسني ، مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس . القاهرة ، مؤسسة الخانجي ، ١٩٦٤ . ٧٠ ص .

اليافي ، عبد الكريم .
المجتمع العربي ومقاييس السكان . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ١٥٠ ص .

يكن ، زهدي .
التنظيم الاداري . تنظيم الادارة المركزية والمحلية . بيروت ، دار الثقافة ، لا . ت . ٣٦٦ ص .

القضاء الاداري في لبنان وفرنسا . بيروت ، دار الثقافة ، لا.ت. ٢٧١ ص .

فقه اللغة

ابو صالح ، منصور .
لباب الاصول ، اصول لساننا — لسان العرب. رسالة موجزة في تجديد قواعد اللغة. بيروت، مطبعة خوري وخوند ، لا.ت. ٦٩ ص .

سرور البكري ، محمد .
القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغات العرب . تح . ابراهيم سالم ، راجعه وقدم له ابراهيم الابياري . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ . ١٦٨ ص .

الطهانوي ، محمد علاء بي علي .
كشاف اصطلاحات الفنون : حققه لطفي عبد البديع ، ترجم النصوص الفارسية عبد المنعم محمد حسنين ، راجعه امين الخولي . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ٣٨٦ ص .

كامل ، مراد .
دلالة الالفاظ العربية وتطورها . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٨٤ ص .

الكنتوري ، كرامت حسين .
فقه اللسان ، لكنو ، مطبعة نولكشورا ، لا.ت. ج ١ .

ماسينيون ، لويس .
تعليقات على لهجة بغداد العربية . تر . اكرم فاضل . بغداد ، المركز الفولكلوري العراقي ، ١٩٦٢ . ٨٠ ص .

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . القاهرة .
الكتاب الدراسي وتنمية وعي القراءة . ندوة عقدت بمقر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ٣٠ مارس واول ابريل سنة ١٩٦٣ . القاهرة ، ١٩٦٣ . ١٥٩ ص .

العلوم الطبيعية

جاموف ، جورج .
قصة الفيزياء . تر . وتقديم محمد جمال الدين الفندي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ . ٤٤١ ص .

صفي الدين ، محمد .
قشرة الارض . دراسة جيومورفولوجية. الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة مصر، ١٩٦٠ . ٣٦٨ ص .

فارس ، محمد ابراهيم .
علم الجيولوجيا . تأ . محمد ابراهيم فارس ، حسين لطفي عباس وعبد العزيز محمود.القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، لا.ت. ٣٤٤ ص .

فتح الله ، مدحت فضيل .
هندسة وصفية . بغداد ، مطبعة الجمهورية، ١٩٦٣ . ١٦٠ص .

فرجارا ، وليم .
كنوز العلم في اسئلة واجوبة . تر . وتقديم سيد رمضان هدارة ومحمد صابر سليم. القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ . ٤٢٤ ص .

فلوري ، بيير .

الفيزياء العامة والتجريبية . تأ . بيير فلوري وجان بول ما تيو . تر . وجيه السمان وغيره . دمشق ، المجلس الاعلى للعلوم ، ١٩٦٤ . ٢ ج في ٤ .

كولدويل ، وليام المر .

مقرر مختصر في : التحليل الكيفي شبه الميكروئي . تأ . وليام المركولدويل وجورج بروكس كينج . تر . عيسى مصطفى عيسى وغيره . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ . ٢٥٨ ص .

العلوم التطبيقية

اتشلي ، دانا و .

الطبيب معالجا وعالما . تر . زكريا فهمي ، تقديم محمد كامل حسين . القاهرة دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ . ١٨٢ ص .

الالوس ، يوسف .

تمويل المشاريع . بغداد ، مطبعة ، العاني ، ١٩٦٢ . ١٦٠ ص .

الربيعي ، نور الدين عبد الله .

نظريات دوائر الالكترونيك . بيروت ، دار النشر للجامعين ، ١٩٦٠ . ١٨٥ ص .

الصياد ، محمد محمود .

الصناعة في الجمهورية العربية المتحدة . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٢ . ٨٤ ص .

الطاهر ، علي نصوح .

شجرة الزيتون . تاريخها - زراعتها - امراضها - صناعاتها . عمان ، مكتبة الطاهر ، ١٩٤٧ . ٦٣٦ ص .

العراق . دائرة الاحصاء المركزية .

نتائج احصاء اجازات البناء والترميم لسنة ١٩٦٣ . بغداد ، وزارة التخطيط ، ١٩٦٤ . ج ٢ .

علي ، علي محمد .

نهر الاردن والمؤامرة الصهيونية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٢٥٥ ص .

الفكيكي ، توفيق .
شجرة العذراء يصورها ادب النخيل . بغداد ، مكتبة المعارف ، ١٩٦٢ . ٢٣٩ ص .

القرني ، احمد حسنين .
قصة الطب عند العرب ، مراجعة مصطفى شفيق . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٣٥ ص .

يونس ، عبد الغفور .
التنظيم الصناعي وادارة الانتاج . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ . ٤٩٤ ص .

الفنون الجميلة

السويفي ، مختار .
الوان من النشاط المسرحي في العالم . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ١٤٤ ص .

غلاب ، محمد .
مصابيح المسرح الاغريقي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٢٤ ص.

كوكوليا ، بوجو .
في العرائس وتحريكها . نقلته الى العربية نجاة قصاب حسن. دمشق، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ١٣٠ ص .

الادب

ابن ابي ربيعه ، ابو الخطاب عمر بن عبد الله .
شرح ديوان عمر بن ابي ربيعه المخزومي . تأ . محمد محي الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٠ . ٥٢٥ ص .

ابو الوفاء ، محمود .
شعري . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٢١٢ ص .

اسماعيل ، صدقي .
العصاة ، رواية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ . ٣٩١ ص .

الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين .
الاغاني . فهرس قسم ٢ . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ١ ج .

الامين ، عبد الله عبد الرحمن .
ديوان العروبة . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ . ٩٦ ص .

البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد الله .
ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٢ ج .

التبريزي ، ابو زكريا يحيى بن علي .
شرح القصائد العشر ... حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ، صبيح ، ١٩٦٢ . ٤٢٤ ص .

تقويم الشعر السنوي الرابع . راجعه واشرف على طبعه ... محمود عماد . القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٣ . ١ ج .

حاماتي ، حبيب .
بين جدران القصور ، تاريخ ما اهمله التاريخ. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، لا.ت. ١٤٦ ص .

جبران ، جبران خليل .
عيسى ، نقله الى العربية وقدم له ثروت عكاشة . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ٢٤٧ ص .

جمال الدين ، محسن .
رثاء هر بين شاعر بغدادي ودمشقي . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٤ . ١٤ ص .

الجمبلاطي ، علي .
الجلاء في الاسلام . مسرحية تاريخية من ثلاثة فصول . تأ . علي الجمبلاطي وفؤاد الطوخي ، تقديم محمد عطا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨٠ ص .

الحسيني ، اسحق موسى .
المدخل الى الادب العربي المعاصر . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٧٣ ص .

حميد بدير متولي .
قضايا اندلسية . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ . ٤٣١ ص .

الحوفي ، احمد محمد .
فن الخطابة . الطبعة الثالثة ، معدلة ومزيدة . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ . ٢٧٨ ص .

الخيام ، ابو الفتح عمر بن ابراهيم .
رباعيات الخيام . تر . احمد رامي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
٧١ ص .

الرمادي ، جمال الدين .
دراسات في الادب السوداني . القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٦٧ ص.

فصول مقارنة بين ادبي الشرق والغرب . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا. ت.
١٥٣ ص .

رشيد ، هارون هاشم .
مع الغرباء . شعر . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤٣ ص .

السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف .
النقد الادبي من خلال تجاربي . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ،
١٩٦٢ . ١٧٧ ص .

سلامة ، بولس .
عيد الستين . شعر . بيروت ، دار الحضارة ، ١٩٦٤ . ١٥٦ ص .

السلفي ، احمد بن محمد بن احمد .
اخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي . اعدها وحققها احسان عباس .
بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ١٧٥ ص .

الشاروني ، يوسف .
العشاق الخمسة . مجموعة قصص قصيرة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، لا . ت .
١٨٢ ص .

شرف الدين ، علي .
لبنان والجيش ، شعر . مع مقدمة لاسد رستم. بيروت ، عويدات، ١٩٦٢ . ١٠٤ ص.

الشوش ، محمد ابراهيم .
الشعر الحديث في السودان. محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ،١٩٦٢ .
ج ١ .

الشيخ احمد ابو خليل القباني – ثماني مسرحيات . اختيار وتقديم محمد يوسف نجم . بيروت ،
دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ج .

صايغ ، جوزيف ،
قصور في الطفولة . شعر . بيروت ، دار الحضارة ، ١٩٦٤ . ١٢١ ص .

صايغ ، سلمى .
صور وذكريات . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الحضارة ، ١٩٦٤ . ص .

صدقي ، جاذبية .
من ادب المعركة . تعال ... وقصص اخرى . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٦٠ ص .

صعب ، وليم .
مواكب الايمان . بيروت ، مطبعة النجوى ، ١٩٦٤ . ٤٩ ص .

الصوفي ، عبد الباسط .
آثار عبد الباسط الصوفي الشعرية والنثرية . دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ،لا.ت. ٤٥٤ ص ،

صيدح ، جورج .
ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية . الطبعة الثالثة منقحة ومزيدة . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ٧٤٢ ص .

طراد ، ميشال .
ليش . زحلة ، زحلة الفتاة ، ١٩٦٤ . ١٧٣ ص .

عباس ، احسان رشيد .
الشعر العربي في المهجر، اميركا الشمالية . تأ. احسان عباس ومحمد يوسف نجم. بيروت، دار صادر ، ١٩٥٧ . ٢٩٢ ص .

عراقي ، فخر الدين ابراهيم شهريار .
كليات ... بامقدمة وتصحيح ومقابله هجده نسخه وفهرست بكوشش سعيد نفيسي.طهران، كتابخانه ، سنائي ، ١٣٣٨ . ٤٤٣ ص .

العظم ، نزار مؤيد .
سلاسل الماضي . رواية . دمشق ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٦٤ . ٣٣١ ص .

العقاد ، عباس محمود .
ديوان من دواوين . مقتبس من : يقظة الصباح . وهج الظهيرة . اشباح الاصيل . اشجان الليل ... القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، لا.ت. ٣٣٥ ص .

عقل ، ريمون .
تماثيل للقتل . بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ١٣٨ ص .

علي ، فؤاد حسنين .
من الادب العبري . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .
٢٢٢ ص .

عوض ، لويس .
المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٢ج .

عياد ، شكري محمد .
طريق الجامعة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٢٥ ص .

غارشن ، فسيفولود .
الاشارة (قصص) . موسكو ، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية . لا.ت. ٣٠٩ص.

غنيم ، محمود .
في ظلال الثورة . شعر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ . ٣٠٥ ص .

قدامة ابن جعفر ، ابو الفرج .
نقد الشعر . تح . كمال مصطفى . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٣ . ٢٨٨ ص .

القرشي ، حسن عبد الله .
الحان منتحرة ، شعر . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ١٢٧ ص .

مارون النقاش — مسرحيات . اختيار محمد يوسف نجم . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦١ .
٣٠٠ ص .

المازني ، ابراهيم عبد القادر .
سبيل الحياة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١١٣ ص .

عود على بدء وحكم الطاعة . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٥٢ص.

محرم ، احمد .
ديوان مجد الاسلام ، او الالياذة الاسلامية . اشرف على تصحيحه ومراجعته محمد ابراهيم الجيوشي . القاهرة ، دار العروبة ، ١٩٦٣ . ٤٥٥ ص .

محمد عثمان جلال — الكوميديا — اختيار وتقديم محمد يوسف نجم . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ٣٤٧ ص .

المرزوقي ، محمد .
ابو الحسن الحصري القيرواني . عصره — حياته — رسائله — ديوان المتفرقات . تونس ، مكتبة المنارة ، ١٩٦٣ . ٥٢٠ ص .

مندور ، محمد .
الادب وفنونه . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ١٥٨ ص .

الشعر المصري بعد شوقي . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، لا.ت. ج ١ .

في الادب والنقد . الطبعة الرابعة . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٢ . ١٧٢ ص .

نجم ، محمد يوسف .
فن المقالة . الطبعة الثالثة . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ١٥٩ ص .

نداء .
عيناي فداك ، شعر . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٤ . ١٢٨ ص .

نعيمة ، ميخائيل .
هوامش . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥ . ٢٨٦ ص .

هدارة ، محمد مصطفى .
اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ٦٨١ ص .

هلال ، محمد غنيمي .
المواقف الادبية . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٩١ ص .

الوزير ، احمد المختار .
المختار من شعر الوزير . تونس ، دار النشر ، بوسلامة ، ١٣٧٨ هـ. ١٥٨ ص .

يعقوب صنوع (ابو نضارة) — سبع مسرحيات — . اختيار وتقديم محمد يوسف نجم . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ . ٢٣٩ ص .

يوسف ، محمد كمال الدين علي .
الادب والمجتمع . مقدمة ودراسة يحيى حقي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٠٧ ص .

التاريخ والجغرافيا والتراجم

ابن تيمية الحراني ، تقي الدين احمد بن عبد الحليم .
سؤال في يزيد بن معاوية . تحقيق صلاح الدين المنجد . دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٣ . ٢٣ ص ،

ابن طولون ، محمد بن علي بن محمد .
امراء مصر في الاسلام ... نشرها صلاح الدين المنجد . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، لا.ت. ؟؟

كتاب الذيل المسمى بذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر على كتاب التمتع بالاقران بين تراجم الشيوخ والاخوان . القاهرة ، دار الكتب ، لا.ت. ٩٦ ورقة .

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم .
الشعر والشعراء . طبعة محققة ومفهرسة . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٤ . ج ١ .

ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد عبد الله بن احمد .
كتاب التوابين . عني بنشره وتحقيقه جورج المقدسي . دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ١٩٦١ . ٣٣٨ ص .

الاحمدي ، علي بن حسين .
كتاب مكاتيب الرسول . قم ، محمد مهدي الحجتي وقدرت الاسكندري ، ١٣٧٩ ق . ج ١ .

الاسد ، ناصر الدين .
محاضرات عن خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين. القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٩٠ ص .

اسماعيل ، صدقي .
العرب وتجربة المأساة . بيروت ، منشورات دار الطليعة ، ١٩٦٣ . ١٤٠ ص .

الانصاري ، احمد بن الحسين النائب .
نفحات النسرين والرعان فيما كان بطرابلس من الاعيان . تحقيق وتقديم علي مصطفى المصراتي . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ٢٢٣ ص .

انيس ، محمد .
دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ . المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ . ج ١ .

بسيوني ، ابراهيم .
القوى المعنوية في الميثاق . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٣ ص .

البيطار ، صلاح الدين .
السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٠ . ١٤٤ ص .

توتل ، فردينان (الاب) .
وثائق تاريخية عن حلب . اخبار اللاتين والروم وما اليهم . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ . ج ٤ .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد .
تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم . تر . وشرح زوتنبرج . طهران ، مكتبة الاسدي ، ١٩٦٣ . ٨٠٨ ص .

جاماتي ، حبيب .
اغرب ما رايت . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ١١٥ ص .

جبر ، جميل .
لبنان في روائع اقلامه . بيروت ، المكتبة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ . ٥١٣ ص .

الجسر ، باسم .
رئاسة .. وسياسة ولبنان الجديد . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤ ، ١٣٠ ص.

جعفر ، محمد .
ابن خلدون . تأ . محمد جعفر و فوزي سليمان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٥٦ ص .

جمال الدين ، محسن .
وصف الاندلس في معجم البلدان . بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ . ق./ ١ .

الجمالي ، محمد فاضل .
ذكريات وعبر من العدوان الصهيوني واثره في الواقع العربي . بيروت ، دار الفكر الجديد ، ١٩٦٤ . ١٤٢ ص .

الجندي ، انور .
الفكر العربي المعاصر في معركتي التعريب والتبعية الثقافية. القاهرة ، مطبعة الرسالة، لا.ت. ٦٤٨ ص .

الجندي ، درويش .
الحطيئة ، البدوي المحترف . القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٢ . ٢٤٣ ص .

الجندي ، عبد الحميد سند .
ابن قتيبة : العالم الناقد الاديب . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ١٩٦٣.
٤٣٦ ص .

حاطوم ، نور الدين .
محاضرات عن المراحل التاريخية للقومية العربية . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٩٨ ص .

الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي .
تحف العقول عن آل الرسول . قدم له محمد صادق بحر العلوم . الطبعة الثالثة. النجف، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٣ . ٣٩٩ ص .

حسين ، علي صافي .
مسلمة بن عبد الملك ، حياته العسكرية والادبية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٣ ص .

حلمي ، محمد مصطفى .
ابن الفارض : سلطان العاشقين . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ .
٢٥٤ ص .

الخطيب ، محمد عجاج .
ابو هريرة : راوية الاسلام . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ .
٣٥١ ص .

الخولي ، علي الشاذلي .
العدوان الثلاثي في العصور الوسطى . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت.
٨٤ ص .

الخوند ، لويس .
بولس السادس في وطن المسيح . تأ . الاخوة لويس الخوند – انطران خليفة – باسيل باسيل ، باشراف الاب يوسف الخوري . الكسليك ، معهد الروح القدس ، ١٩٦٤ .
١٢٩ ص .

دروزه ، محمد عزة .
عروبة مصر في القديم والحديث ، او قبل الاسلام وبعده. الطبعة الثانية . صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٣ . ١٩٩ ص .

زكريا ، فؤاد .
اسبينوزا . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ . ٢٨٧ ص .

زكي ، احمد .
الاصمعي . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، لا.ت. ٣٣٥ ص .

زكي ، محمد امين .
خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ... تر . محمد علي عوني . الطبعة الثانية . بغداد ، مطبعة صلاح الدين ، ١٩٤٥--١٩٦١ . ٢ج .

زياده ، نقولا عبده .
تونس في عهد الحماية من ١٨٨١ - ١٩٣٤ . محاضرات ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ج١ .

سارطون ، جورج .
الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط . نقله الى العربية عمر فروخ . الطبعة الثانية . بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٣ . ١١٨ ص .

سلام ، عبد المغني .
نحو ثورة ثقافية . بقلم عبد المغني سلام وابراهيم بسيوني . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨٦ ص .

سلطان ، جميل .
حرير . بيروت ، دار الشرق الجديد ، ١٩٦٣ . ١٨٠ ص .

سيد الاهل ، عبد العزيز .
عبقرية ابي تمام . الطبعة الثانية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٢ . ١٥٩ ص .

شبيكه ، مكي .
مختصر تاريخ السودان الحديث . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ١٤٤ ص .

شكري ، محمد فؤاد ،
الصراع بين البورجوازية والاقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٨ . القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ - ١٩٦٠ . ٣ج .

شيحا ، ميشال .
فلسطين . ترجمه الى العربية انطون غطاس كرم . بيروت ، مؤسسة ميشال شيحا، ١٩٦٠ . ٢٥٩ ص .

شيدل ، فرانسيس جوزيف .
اسطورة اسرائيل . تر . عادل القباني ،احمد عبد القادر . القاهرة ، الدار القوميه للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٦٦ ص .

صادق ، جلال حسن .
من اعلام الادب الفرنسي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤١ ص .

صبري ، موسى .
... الثورة الثانية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨٧ ص .

صوّار ، احمد .
مؤتمر القمة الافريقي وما بعده ... القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٧٥ ص .

طبانه ، بدوي احمد .
الصاحب بن عباد ، الوزير الاديب العالم . القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٣٨١ ص .

الطريحي ، فخر الدين .
ضوابط الاسمـاء واللواحق . عني بتحقيقه ونشره محمد كاظم الطريحي . طهران ، مطبعه الحيدري ، ١٩٥٦ . ٩٤ ص .

الطناحي ، طاهر .
حديقة الادباء . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٩٦ ص .

طه ، رياض .
فلسطين اليوم لا غدا . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الكفاح ، ١٩٦٤ . ١٧٣ ص .

العارف ، عارف .
النكبة . نكبة البيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٥ . صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ . ج ٥و٦ .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
الظاهر بيبرس . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦٣ . ٢٠٦ ص .

عباس ، مصطفى .
عام في ظل الانفصال . تأ . مصطفى عباس وعطية عبد الجواد . القـاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٢٠٤ ص .

عبد الرحمن ، عائشة .
الشاعرة العربية المعاصرة . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٤ .
١٣٣ ص .

عبد اللطيف ، محمد فهمي .
فلاسفة وصعاليك . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٦٦ ص .

عبد الرزاق ، غالب .
اضواء على العالم العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١١٢ ص .

عبد الناصر ، جمال ، رئيس الجمهورية العربية المتحدة .
قال الرئيس، مجموعة خطب واحاديث الرئيس جمال عبد الناصر ، القاهرة ، دار الهلال ،
لا.ت. ٤٧٨ ص .

عرجون ، محمد صادق .
الخليفة المفتري عليه عثمان بن عفان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت .
١٥٢ ص .

عشر سنوات مجيدة بقلم عبد القادر حاتم ، كمال رفعت وغيرهما . القاهرة ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٢١ ص .

العفى ، جورج وهبه .
رحلة حول افريقيا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٦٦ ص .

العقاد ، صلاح .
المغرب في بداية العصور الحديثة . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ،
١٩٦٣ . ١٣٩ ص .

عقل ، محمد صادق .
اضواء على ثورة اليمن . بقلم محمد صادق عقل وهيام ابو عافية . القاهرة ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، لا.ت. ٢٢٤ ص .

علي ، احمد فريد .
الجامعة العربية بين القوى الرجعية والقوى الشعبية . القاهرة ، الدار القومية للطباعةوالنشر ،
لا.ت. ٩٦ ص .

كفاح الشباب وظهور جمال عبد الناصر . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت.
٩٣ ص .

علي ، علي محمد .
في داخل اسرائيل . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٣٦٧ ص .

عمر ، محمود فتحي .
٢٣ يوليو . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٩٣ ص .

غرابة ، عبد الحميد .
شخصيات لها تاريخ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٢٢٢ ص .

غرايبه ، عبد الكريم محمود .
سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ — ١٨٧٦ . محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٢ . ٢٦١ ص .

غربال ، محمد شفيق .
من زاوية القاهرة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٨٥ ص .

غلاب ، محمد .
من اعلام الكتاب الاجتماعيين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٥٦ص.

غلوب ، السير جون باغوت .
الفتوحات العربية الكبرى . تر . وتعليق خيري حماد . بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٣ . ٦٧٩ ص .

غنيم ، عادل حسن .
قضية اللاجئين . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٠٤ ص .

فرج ، محمد
العدوان الثلاثي وقائعه واحداثه . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٧٥ ص .

النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٩ ص .

النضال الشعبي ضد حملة فريزر. القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٥٣ص.

فروخ ، عمر .
ابو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، دراسة تحليلية . بيروت ، لا . ن . ، ١٩٦٤ . ٣٠٠ ص .

تاريخ الجاهلية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ١٩٧ ص .

فهمي ، وفيق عبد العزيز .
نحو وحدة افريقية . تأ . وفيق عبد العزيز ومحمد عبد العزيز احمد . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت، ٢٤١ ص .

فورتشن . مجلة .
عباقرة المال والاقتصاد وكيف نجحوا. تأ . كبار محرري مجلة فورتشن ، تر . محمد رفعت. بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٣٩٩ ص .

فوزي ، احمد .
ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٥٠٣ ص .

المجتمع العربي بين الاتجاهات القومية والسياسية . تـأ . محمد فوزي ومحمد محمود مكرم . القاهرة ، مطابع اخبار اليوم ، لا.ت. ٣٢٨ ص .

المرعي ، احمد يوسف .
تحالف الرجعية في مرحلة جنون اليأس . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٧٣ ص .

القمي ، عباس .
الكنى والالقاب . النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٦ . ٣ج .

كبه ، عبد الكريم قاسم .
المملكة الليبية ، صناعتها البترولية ونظامها الاقتصادي . كتبه بالانكليزية وعربه بتصرف عبد الكريم قاسم كبه . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦٣ . ٢٢١ ص .

كراتشقوفسكي ، اغناطي بوليانوفيتش .
تاريخ الادب الجغرافي . نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم . القـاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ . القسم الاول .

كرامة ، نبيل .
جبران خليل جبران وآثاره في الادب العربي . دراسة - نقد - تحليل - نصوص. زحلة، دار الرابطة الثقافية ، ١٩٦٤ . ١٥٩ ص .

كروثرز ، جورج ، مح .
الانسان والطبيعة . تر . نظمي لوقا ، تقديم وتعريف عباس محمود العقاد . القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ . ١٤٢ص .

الكشي ، ابو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز .
رجال الكشي . قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه السيد احمد الحسيني . كربلاء ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، لا.ت. ٥٣٥ ص .

كنعان ، ابراهيم نعوم .
لبنان في الطليعة . بيروت ، مطبعة سميا ، ١٩٤٧ . ٢٣١ ص .

كنعان ، داود خليل .
بيروت في التاريخ . بيروت ، مطبعة عون ، ١٩٦٣ . ٢ج في١ .

اللجنة الدولية للقوانين . سويسرا .
سياسة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا واهدار حقوق الانسان . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٣٥ ص .

لومومبا، باتريس .
الكونغو ارض المستقبل . تر . فوزي عبد الحميد. القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٠٤ ص .

متولي، عبد الحميد .
نظام الحكم في اسرائيل ، محاضرات . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٤ . ٣١٩ ص .

المحاسني ، زكي .
محاضرات عن احمد امين . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ . ٢٠٦ ص .

مروه ، اديب .
تأشيرة الى اوروبا . دراسات وانطباعات . بيروت ، دار الحياة ، ١٩٥٦ . ٢٣٥ ص .

مطر ، فؤاد .
رؤساء لبنان من شارل الحلو الى شارل دباس ، ذكريات ووقائع وطرائف وصور. تقديم غسان تويني . بيروت ، جريدة النهار ، ١٩٦٤ . ١٥٥ ص .

مظهر، سليمان .
عملاق من بني مر . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ . ٩٩ ص .

المعتصم بالله، احمد .
ناجي ، شاعر الوجدان الذاتي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ٨٦ ص .

المقدسي ، انيس الخوري .

في مواكب النور ، لوحات مسرحية تمثل حياة الاعلام الذين حملوا عبر الاجيال مشاعل الحق والنبل والجمال ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٤ . ٣٩٩ ص .

المنجد ، صلاح الدين .

معجم اماكن الفتوح . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٦٠ . ١٠٣ ص .

مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، نصوص . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ . ج١ .

المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني وآثارهم المخطوطة . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٤ . ١٠٨ ص .

المؤتمر الوطني الثالث للاتحاد العام لطلبة فلسطين في الفترة ما بين ٢٧/٢ – ٣/٥ ، ١٩٦٤. القاهرة ، الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ١٩٦٤ . ١٠٣ ص .

المؤتمر الوطني للقوى الشعبية . بقلم محمد عبد الله العربي وغيره . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ . ٣٨ ص .

الميثاق . قدمه الرئيس جمال عبد الناصر الى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ١٤٦ ص .

الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، لا.ت. ١٢٥ ص .

ناجي ، منير .

ابن هانىء الاندلسي ، درس ونقد . بيروت ، دار النشر للجامعيين ، ١٩٦٢ . ٢٨٧ ص .

نجيله ، حسن .

ذكرياتي في البادية . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤ . ٢٤٦ ص .

النص الكامل : قانون الاتحاد الاشتراكي العربي . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا.ت. ٢٩ ص .

يس ، فؤاد .

الشاعر المهاجر ايليا ابو ماضي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا . ت . ١٠٣ ص .

سنة ١٨ – الجزآن ٣ و ٤   ايلول – كانون الاول ١٩٦٥

الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت

رئيس التحرير: فؤاد صروف

فهرس

الناشرون



الأبحاث

مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

«الابحاث» مجلة تصدرها الجامعة الاميركة في بيروت اربع مرّات في السنة ، وهي منبر حرّ لاهل الفكر ولكنها لا تتحمل تبعة الآراء التي تنطوي عليها بحوثهم ، وهي تدعو الباحثين والكتّاب الى التعاون معها في خدمة البحث العلمي والمعرفة الصحيحة وبخاصة في شؤون الشرق العربي .

بدل الاشتراك في السنة : تسع ليرات لبنانية او ما يعادلها تدفع عند طلب الاشتراك او تجديده لأمر رئيس التحرير . جميع المراسلات الخاصة بالتحرير والادارة ترسل الى مكتب رئيس تحرير «الابحاث» ، الجامعة الاميركة في بيروت ، بيروت ، لبنان .





مجلة تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

السنة ١٨ – الجزء ٣ رئيس التحرير : فؤاد صروف ايلول سنة ١٩٦٥

من كليلة ودمنة

تحقيق : محمد يوسف نجم

مقدمة

عثرنا على هذا النص في مخطوطة لكتاب مجهول المؤلف يدعى « الغرّة »[1] . ويبدو ان المؤلف اراد في كتابه هذا ان يلخص علوم عصره ، العربيّ منها والدخيل ، فتحدث في الجزء الاول عن العلوم العربية ، وهي علوم الدين ، والشريعة، والفلسفة، والمساحة والحساب ،والطب، والتعبير ، واللغة ، والقصص ، والتاريخ ، والانساب ، والرواية ، والشعر . وهذا القسم من المخطوطة مفقود . ويشتمل القسم الباقي من الجزء الاول على طبقات الشعراء ، وينقص الطبقة العاشرة من الاسلاميين ، بحسب تقسيمه ، وبقية التاسعة ، وعلى النحو والاعراب ، وقد ضاع

١) هذه المخطوطة في خزانة الاستاذ خير الدين الزركلي الخاصة ، وهي منسوخة سنة ٥٨٤ ﻫ . وقد تفضل واذن لنا بمطالعتها ونشرها مجزأة او كاملة ، فله جزيل الشكر .

اوله. ويبتدىء القسم الباقي من اواخر المنصوبات وينتهي بالحروف. ويلي ذلك باب عن العروض، وبهذا ينتهي جزء من الكتاب ، ولعله الجزء الاول ، بحسب ما يتبيّن من كلام المؤلف في صدر الجزء الثاني .

اما القسم الثاني من الكتاب، فيشمل علوم الامم الأخرى وهي الفرس والروم والهند والصين. وفي نهاية الكتاب يورد المؤلف فهرسة مصادره .

ونستطيع ان نستنتج من طبقات الشعراء التي اوردها المؤلف ، ومن الاشخاص الذين ذكرهم او روى عنهم ، انه من اهل القرن الثالث ، واوائل القرن الرابع ، وهذا امر سنبينه بالتفصيل عند نشر المخطوطة كاملة .

فاذا ثبت لنا ان مؤلف « الغرة » من رجال القرن الثالث او اوائل الرابع ، يكون هذا النص من اقدم المراجع لمعرفة ابواب كتاب كليلة ودمنة وترتيبها. يليه او يعاصره اشارة عابرة في تاريخ اليعقوبي (توفي بعد ٢٩٢ هـ)، ثم الترجمة السريانية الحديثة، التي صنعت في القرن الرابع او الخامس للهجرة (او الحادي عشر للميلاد) على ما ذكر كيث – فلكونر [١].

وسنجعل ابواب الكتاب كما اوردها صاحب « الغرّة » اساساً لبحثنا في ترتيب الكتاب وعدة ابوابه، ثم نعرض عليها ما ذكره اليعقوبي منها، وما احتوته الترجمة السريانية. اما ابواب «الغرة» فهي:

(١) مقالة مترجم الكتاب الى العربية .

(٢) باب برزويه الطبيب .

(٣) باب الأسد والثور .(وابتداء من الفقرة ٢٧ يدخل في باب الفحص عن امر دمنة)

(٤) باب الحمامة المطوّقة .

(٥) باب البوم والغربان.

(٦) باب السلحفاة والقرد.

(٧) باب الناسك وابن عرس .

(٨) باب السنّور والجرذ .

(٩) باب الملك والطائر فنزه .

(١٠) باب ملك الهند وبلاد وزيره .

(١١) باب الاسوار واللبؤة والسفهر.

(١٢) باب الناسك وضيفه .

---

١) مقدمة ترجمة الترجمة السريانية (كمبردج ١٨٨٥) ص ١٤ .

(١٣) باب الملك والسفهر الفرّام .

(١٤) باب النساج والببر والقرد والصائغ.

(١٥) باب ابن الملك وابن الشريف وابن التاجر وابن الاكـّار .

أما الابواب التي ذكرها اليعقوبي فهي: (١)

(١) باب السلطان الذي سعى اليه البغاة بخاصته واصحابه المقدمين عنده، وكيف ينبغي ان يستعمل الأناة والتثبيت ولا يعجل بقول السعاية. وهو باب الاسد والثور .

(٢) باب الفحص عن الامور وكيف تكون العواقب فيها وما يؤدي اليه البغي والتهور والكيد من سوء العاقبة . وهو باب الفحص عن خبر دمنة .

(٣) باب الاعداء والتحرز منهم والحيلة لهم، والكلام الذي يكسب العداوة وما يجب من مداراة الاعداء وانتهاز الفرصة فيهم عند امكان الامر والتضرع لهم حتى يمكن الانتقام منهم. وهو باب البوم والغربان .

(٤) باب المشاورة للعلماء والاستعانة باهل الحزم والامانة وافشاء الامور الى اهل العقل . وهو باب بلاذ .

(٥) باب المعروف والى من ينبغي ان يصطنع وكيف يفسد وسوء الشكر اذا وضع غير موضعه وحمله من لا يستحقه، وكيف يعرف موضعه عند أهله الذين يشكرونه. وهو باب السلحفاة والببر والقرد والنجار (٢) .

(٦) باب الظفر بالأمر واضاعته بعد امكانه والعجز عن حفظه بعد القدرة عليه. وهو باب القرد والغيلم .

(٧) باب المداراة ومصانعة اهل الشأن واحتراز مودتهم واستمالة اهل الانحراف حتى يتخلص من السوء . وهو باب السنـّور والجرذ .

(٨) باب معرفة السلطان باعوانه واقربائه واهـل دخلته ، واستصلاحه من نالته جفوتـه منهم واجتلاب ردأته والاستعانة على اموره باهل العفـاف والمودة وتفقد احوال اعوانه وحاشيته ومكافأة المحسن ومعاقبة المسيء على الاساءة، وهو باب الاسد وابن آوى .

(٩) باب الاخوان المتصادقين على صحة مودّاتهم ومقدار الاخوان وعظم النفع بهم ومعاونتهم على امور الشدة والرخاء. وهو باب الحمامة المطـّوقة .

(١٠) باب طلب نفع الناس بضر النفس والتفكر في العاقبة. وهو باب اللبؤة والاسوار .

---

١) تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري (النجف ١٣٥٨ ﻫ) ، ج ١ ص ٦٩ — ٧٠ .

٢) وقع هنا بعض التحريف والخلط بين الابواب ، ويبدو ان المقصود هو الباب الرابع عشر.

فالابواب التي ذكرها اليعقوبي عدتها عشرة ، وهي اقـل من ابواب « الغرة » بستة ، اذا اعتبرنا ان باب الاسد والثور في « الغرة » بابان ضمها المؤلف في واحد . والابواب التي تركها اليعقوبي هي الاول والثاني والسابع والتاسع والثاني عشر والخامس عشر. وقد نعزو هذا الاخلال الى نقص في الاصل الذي طبع عنه تاريخ اليعقوبي ،وقد يكون ذلك ناتجاً عن عمده الى الاختيار دون الاستيعاب .

اما الترجمة السريانية الحديثة فقد اسقطت مقدمة ابن المقفع وضمت الابواب الخمسة عشر الاخرى جميعاً بالترتيب التالي[1] : ٣–٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١١، ١٢، ١٠، ١٦، ١ . وبهذا تكون مطابقة تام المطابقة لنص « الغرة » من حيث عدد الابواب، وان لم تتفق معه من حيث الترتيب . وقد نرد ذلك الى رغبة خاصة في نفس المترجم السرياني لم نتبينها، جعلته يقدم ويؤخر في الابواب كما يشاء.

أما قيمة النص في ضبط الكتاب فهي محدودة ، لان غاية المؤلف كانت تلخيص الكتاب وعرضه . على ان هذا التلخيص لم يخل من عبارات اخذت عن الاصل بنصها ، وهي بذلك تعين المحقق على ضبط بعض الاخطاء والتأويلات البعيدة التي وقع فيها دي ساسي وشيخو وعزام عند تصدّيهم لنشر الكتاب . وقد بيّنا الاختلافات بين نص « الغرة » ، وطبعة عزام، لأنها ما تزال حتى اليوم خير طبعة اخرجت من هذا الكتاب .

١) راجع بهذا الشأن مقدمة كيث – فلكونر ص ٥٧ .

[٦٢] وهذا من كليلة ودمنة*

هـذا كتاب يجمع معاني السياسة في صنوف الاشياء وهو من تأليف بزرجمهر ابن بختكان وكان صاحب كسرى انو شروان. وفيه حكم كثيرة وامثال واعظة وآداب جمة حكاها على السنة البهائم والسباع وسائر انواع الحيوان ، واراد بذلك تسمية الطبائع فابتدأ بذكر الهزل ليشحذها من بعد ما يفضي اليه من جدّ الحكمة، ويؤدب المتأمل بانواع الآداب .

وكليلة ودمنة اسمان لجروي كلب ، وقد انتخبت جوامع كل باب من ابوابه وبينت [٦٣] ما فيه والمغزى به . وهذا اول ابوابه وهو :

١ – مقالة مترجم الكتاب الى العربية

وفيه تقويم نفسه واخذها بما له وعليه وتهذيبها بما يحسن من الفعل.

قال المترجم : (١) من لم يأخذ العفو وطمح الى الفضل فهو كمن وجد كنزاً فلم يرض ان يأخذ منه بعضه طمعاً في احراز كله ، واستأجر لنقله اجراء وجعل يحمّل كل رجل منهم ليحملوه الى منزله ، ففاز كل منهم بما حمل ، وبقي الاول صفراً . (٢) من لم ينتفع بعلم طلبه بتعرّف حقيقته وبلوغ غايته فهو كصاحب الصحيفة الصفراء التي كان يودعها العلم ثم تكلّم فلحن في كلامه فردُدّ عليه ذلك فقال : مثلي يلحن في كلامه وفي منزلي الصحيفة الصفراء ؟ (٣) يقال في امرين لا ينبغي لاحدٍ ان يستكثر منهما كثيراً وهما التزوّد للآخرة والعلم[1]. (٤) ويقال في امرين يحتاج اليهما كل من يحتاج الى الحياة وهما الادب الصالح والمال الكثير[2]. (٥) ويقال ان الادب يجلو العقلَ كما يجلو الوَدَك ظلمةَ النار ويزيدها ضوءًا. والادب يرفع منزلة صاحبه كما تُرفع الكرة يضربها الرجل الشديد . (٦) العلم هو الشجرة والعمل هو الثمرة . (٧) اقلّ الناس عذراً في ارتكاب قبيح من عرف قبحه ، واقل الناس عذراً في [٦٤] ترك الحسنة من عرف فضلها كما ان البصير

---

* من كتاب « الغرّة » لمؤلف مجهول ، نسخ سنة ٥٨٤ هـ.

في العثار والسقوط في البئر اقل عذراً من الضرير. (٨) قال ينبغي لصاحب الدنيا ان يقتبس خلالاً ثلاثاً ويُقبسها غيره : منها العلم ومنها المال ومنها اتخاذ المعروف والمجاملة. (٩) من طلب صلاح نفسه يأمل فيه مضرة على غيره اوشك ان ترجع مضرته عليه كالشريكين اللذين [٣] كان لكل واحد منهما سمسم في بيت، فعزم احدهما خيانة صاحبه في سمسمه فغطّاه بردائه علامة ليأخذه ليلاً، ووافق ذلك ان دخل الشريك <فرأى> [٤] رداء صاحبه فظنّ انه اراد ان يقي سمسمه فغلط به فحوّل الرداء عن سمسم نفسه الى سمسم صاحبه. وجاء صاحب الرداء ليلاً مع رجل آخر فحملا سمسمه بينهما نصفين، فلم يصل الى سمسم شريكه وخسر من سمسمه شطره. (١٠) فينبغي لمن طلب امراً ان تكون له فيه غاية ينتهي إليها فمن جرى الى[غير] غاية اوشك ان تُقوِّمَ دابته[٥]. (١١) قال: لا تطلب ما لا يوجد ولا تأيس مما يوجد. (١٢) وقال : امران يحمدان [٦] لكل احد : النسك والمال. (١٣) الفضل قد يأتي من لم يطلب ويمتنع ممن يطلب، وليس ينبغي ان يتكل على هذا فيترك الطلب، لأن من طلب فأصاب اكثر ممن لم يطلب فأصاب. (١٤) الحذر من المكروه [٦٥] حزم وان كان قد سلم من لم يحذر. (١٥) من جاز الحدّ فيما يبغيه فهو كمن قصّر عنه لانهما خالفا الحدّ. (١٦) ثلاثة أشياء يحق على صاحب الدنيا اصلاحها وابتذال نفسه فيها : منها دينه ومنها أمر معيشته ومنها أمر ما بين الناس وبينه [٧]. (١٧) قيل : أمورٌ من كانت فيه لم يستقم له امر؛ منها التواني في العمل ومنها التضييع للفرص ومنها التصديق لكل مخبر. (١٨) لا ينبغي للانسان ان يتمادى في الخطأ اذا التبس عليه الامر، ولا يعزم عليه قبل ان يستقرّ [٨] للصواب منه، فيكون كالرجل الذي يجور على الطريق فيسير على الجور، فلا يزداد في السير جدّاً الا ازداد عن القصد بعدا.

٢ - باب برزويه الطبيب

وفيه تبصير الناظر في العلم وتعبير المتأمل بوصف حال الانسان.

قال برزويه : (١) إذا صدّقتُ ما لا علم لي به كنت كالمصدّق المخدوع الذي [٩]

علا سقف بيت رجل ليتسلّق منه إلى بيته ويسرق ما فيه ، واحسّ به صاحب البيت فناجى امرأته وناجته ، حتى قال إني أصبت مالي هذا من السرقة ، كنت آتي الى ظهر البيت في الليلة المقمرة فأنتهي الى الكوّة وأرْقي بأن اقول «شولم» سبع [٦٦] مرات، ثم احتضن الضوء بهذه الرُّقية وانزل الى البيت فاجمع ما فيه وأعيد الرقية فأصعد بها محتضناً للضوء . فاقتحم اللصّ مغروراً فسقط مُنكَّساً وقام اليه الرجل فأثخنه ضربا . (٢) من ألهاه نيل الحلاوة عن مصلحته كان كمن استأجر اجيراً ليثقب له جوهراً ثميناً مياومة بمائة دينار، فلما وفّاه الأجير نظر الى صَنج في منزله فتنـــاوله وكان به حاذقاً، فاستحلاه صاحبه وأقبل عليه حتى امسى وطالبه الأجير باجرته، فقال: وما الذي عملت؟ قال: ما أمرتني به [١٠]. (٣) تخوّفت عند تحيّري في فنون العلم الا ابلغ الغاية في حقيقة ما أردت، واكون قد رفضت ما كنت فيه، كالكلب الذي مرّ بالماء وفي فمه عظم فرأى ظلّ العظم في الماء فأهوى ليأخذه فأسقط ما كان معه. (٤) الدنيا كلّها بلاء واذى والانسان يتقلّب [١١] في ذلك من حين يبدو جنيناً الى ان يشبّ في أيامه، فانا نجد في كتب الطبّ ان الماء الذي يتقدّر منه الولد السويّ اذا هو وقع في رَحِم المرأة اختلط بمائها ودمها فخثَر وغلُظ . ثم إن الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى تتركه كماء الجبن، ثم تصيّره كالرائب الغليظ ثم تُقسّم اعضاؤه لإبّان أيامه، فان كان ذكراً [٦٧] كان وجهه قِبَل ظهر أمه ، وان كان انثى كان وجهها قِبَلَ بطن امها ويداه على وجهه وذقنه [على ركبتيه] [١٢]، وهو يتنفس من متنفس شاقٍّ عليه، وليس له عضو الا وكأنه مقموط بقماط ، وهو منوط بمَعَىً من سرّته الى سرّة والدته ، وبتلك السرّة يمتص ويعيش من طعام أمه وشرابها . فاذا كان ابّان ولاده سُلّطت الريح على رحم امه وقوي على التحرك [١٣] فيصوّب رأسه قِبَل المخرج ، فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح أو مسّته يد ، وجد من الألم ما لم يجده [١٤] الانسان الذي قد سلخ جلده . ثم هو في الوان العذاب : اذا جاع وليس به استطعام او عطش وليس به استسقاء او وَجِع وليس به استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والمسح ما دام رضيعاً . فاذا افلت من عذاب

الرّضاع أُخِذ بعذاب الأدب فاذيق منه الواناً . وله نوائب من الداء والحمى [١٥] والاوجاع والأسقام . فاذا ادرك أهمّه الاهلُ والمال والولد، وبُعدُ [١٦] الشّره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي . وهو مع هذا يتقلب فيه مع اعدائه الأربعة التي هي المِرّة والدم والبلغم والسوداء [١٧]، ثم السمّ المميت والحيات اللاذعة وخوف السّباع والهوام [٦٨] والناس، وخوف الحر والبرد والأمطار والرياح، ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه . (٥) ثم هو مع ذلك لا يحتال لنفسه ولا يعمل لنجاتها وليس له مع ذلك مانع الا لذة صغيرة من الشمّ والطعم والنظر والسمع واللّمس [١٨] . فاذا مثله مثل رجل اضطره الخوف الى بئر فدلّى رجليه وتعلّق بغصن نابت [١٩] على شفيرها ، فوقعت رجلاه على شيء لم يعدها [٢٠] فاذا هو حيات اربع قد اطلعن رؤوسهنّ من جحرهن . ونظر الى اسفل البئر فاذا هو بتنين فاغرٍ فاه . ورفع بصره الى الغصن فاذا في اصله جُرَذَان أبيض واسود يقرضان الغصن دائبين لا يفتران . فبينا هو في النظر في ذلك والاهتمام بنفسه وابتغاء الحيلة لها ، اذ نظر فاذا قريب منه نحل قد صنعت شيئاً من العسل ، فيطعم منه فيشتغل به عن التفكر في امره وان يلتمس حيلة . ولم يذكر ان الجُرَذين دائبان [٢١] في قطع الغصن ، وانهما اذا قطعاه وقع في البئر في لهوات التنّين . وان رجليه على اربع حيات لا يدري متى تهيج به احداهن . فلم يزل لاهياً غافلاً لحلاوة العسل حتى هلك. فشَبّهت البئر بالدنيا المملوءة [٦٩] آفات. وشبّهت الحياتِ الاربعَ بالاخلاط الأربعة التي هي عمد[٢٢] الانسان ومتى هاج به شيء منها فهي [٢٣] حيّة وسمّ . وشبهت الغصن بالحياة وشبهتُ الجُرَذ الاسود بالليل والجُرَذ الأبيض بالنهار، دائبين في إفناء الاجل وهو حصن الحياة. وشبهتُ التنين بالمصير الذي لا بد منه . وشبّهت العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينالها الانسان من المطعم والمشرب والملبس والشم واللباس ، فيشغله ذلك عن نفسه ويلهيه عن شأنه ويصده عن سبيل نجاته .

٣ ـ باب الاسد والثور

وهو في السلطان والقرب منه والتصرف في خدمته وما فيها من خير وشر .

(١) قال: ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة أشياء؛ فامـا الثلاثة التي يطلبها فالسعة في المعيشة والمنزلة في الدنيا والزاد في الآخرة. وأما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من معروف وجوهه وحسنُ القيام على ما اكتُسب منه، ثم التثمير له من انفاقه فيما يصلح المعيشة ويغني الاهل والاخوان ويعود في الآخرة [٧٠] نفعه عليه. (٢) قال كليلة: من تعاطى مـا ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد الذي رأى النجار يشقّ خشبة بمنشار على وتدين، كلما اوتد وتداً نزع الآخر فوقه. وغاب النجار وكان القرد ينظر اليه فجاء القرد لما غاب يريد ان يفعل مثل فعله فركب الخشبة مستقبلاً لوتده ودلّى خصيتيه في الشق. فلمـا نزع قبل ان يناجز لـَحِجت خصيتاه بين الخشبتين. (٣) قال دمنة: انه من عاش ما عاش بخير غير خامل المنزلة ذا فضل على اصحابه فهو وان قلّ عمره طويل العمر. ومن كان عيشه في وحدة وضيق وقلة خير فهو وان طال عمره قصير العمر. فانه يقال: اشقى الناس من طال عمره في فقر[٢٤]. ويقال: ليعدّ من البهائم من لم تكن همته الا بطنه[٢٥]. (٤) قال كليلة: ان السلطان لا يتوخى بكرامته افضل من بحضرته مروءة، ولكن يؤثر بذلك من دنا منه. ويقال: مَثَل السلطان في ذلك، مَثَلُ الكَرْم الذي لا يتعلق باكرم الشجر ولكنه يتعلق بادناها منه. (٥) قال دمنة: صدقت ولكن الذين هم عند السلطان قد كانوا وليست منزلتهم قريبة منه[٢٦] بعد البعد، فانا نلتمس مثل ذلك. وقد كان يقال: لا يواظب على السلطان أحد فيطرح الانفة [٧١] ويحتمل الاذى ويكظم الغيظ ويرفُق بالناس[٢٧] الا خلص الى حاجته من السلطان. (٦) قال كليلة: ان العلماء قالوا: ان اموراً ثلاثة لا يجترىء عليها الا احمق اهوج، ولا يسلم منها الا عاقل لبيب؛ منها صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار ومنها شرب السمّ للتجربة. قـال دمنة: صدقت ولكنه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغـائب، ومن ترك الأمر الذي لعلّه يبلغ فيه حاجته هيبةً ومخـافة لعلةٍ يتوقاها[٢٨] فليس يبلغ جسيماً. (٧) وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل المروءة: انه لا ينبغي له ان يرى الا في مكانين ولا يليق بهغيرهما، إما مع الملوك مكرَّماً،

وإما مع النسّاك متبتّلاً . كالفيل الذي بهاؤه وجماله في مكانين ، إما وحشيًا في البرّية وإما مَركباً للملوك. (٨) قال كليلة: من ضبّب الياقوت واللؤلؤ بالرصاص فليس ذلك بتصغير للياقوت واللؤلؤ ، ولكنه لجهالة من فعل ذلك (٩)· ويقال: لكثرة الاعوان اذا لم يكونوا مجرّبين مضرة في العمل ، فان العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان ، ولكنه بصالح الاعوان (١٠) وقد قيل : ان الريح الشديدة لا تَحْطِمُ العشب وهي تحطم عظام الخشب والشجر [٧٢] وكذلك الصناديد انما يصيد بعضهم بعضاً (٢٩) . (١١) وقد قيل : ان الملاقي اذا لاقى عدوّه في المواطن التي يعلم انه يهلك فيها ، ان قاتل او لم يقاتل ، فهو حقيق ان يقاتل تكرُّماً ولا يستسلم للموت تذلّلاً . (١٢) قال دمنة: انه يقال، مَن كتم السلطانَ نصيحتَه او كتم الأطباء مرَضه او كتم الاخوان رأيه ، خان نفسه . (١٣) ويقال: من لم يصرع المساوي له في المنزلة فهو مصروع. (١٤) ويقال: ان الرجال ثلاثة : حازمان وعاجز ، فاحد الحازمين من اذا نزل به البلاء لم يدهشْ ولم يذهب قلبه شَعاعـاً ولم يعيَ برأيه وحيلته ومكيدته التي يرجو بهـا المخرج . واحزم من هذا المتقدّم الذي يعرف الأمر مقبلاً قبل وقوعه . وامـا العاجز ، فهو (٣٠) المتردد والمتمنّي للأمانيّ حتى يهلك. (١٥) ويقال: لو أن امرءاً افترش الحيّات وتوسّد النـّار كان احقّ ان يَهنِئَـه النوم ، منه اذا احسّ من صاحبه بعداوة يغدو بها عليه ويروح (٣١). (١٦) ويقال: من التمس الرخص من الاعوان عند المشاورة، ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطأ الرأي وزاد في المرض وجهل القضاء. (١٧) ويقال: اذا كثرت اقاويل الاشرار [٧٣] على الخير لم تلبث ان تقلبه الى الشّرارة . الا ترى ان الماء الين من القول والحجر اشد من القلب ، والماء اذا كثر انحداره على الحجر أثلم فيه. (١٨) ويقال : ليس ينبغي لأحد ان يخاطر ، فان هلك كان قد ضيّع نفسه، وان ظفر قيل من قبل القضاء. (١٩) قال كليلة لدمنة: ان اخرق الخرق من كلف صاحبه القتال وهو عنه غنيّ، وان الرجل ربما امكنته فرصة في القتال فتركها مخافة التضرع للمخاطرة والنكبة، ورجاء ان يقدر على حاجته بغير ذلك . واذا كان وزير السلطان من يأمره

بالمحاربة فيما يقدر على بغيته فيه بالمسالمة[٣٢] كان اشد عداوة لصاحبه من عدوّه. وكما ان اللسان تدركه الزمانة عند نَهكة الفؤاد، فكذلك النجدة تدركها الزمانة عند خطأ الرأي، اذا فُقد احدُهما لم يكن للآخر عند المحاربة قوة وللرأي على[٣٣] النجدة الفضل . وان أموراً كثيرة يجرّها الرأي دون البأس ، ولا يجزي البأس شيئاً تستغني فيه عن الرأي . ومن أراد المكر ولم يعلم وجـه الرأي فيه ولم يتثبّت في حيلته عليه يحيق به مكره الذي اراد بغيره . (٢٠) وقد قيل : انه ليس شيء أهلك للسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن العمل ، ولا خير في القول [٧٤] الا مع الفعل ، ولا خير في المنظر الا مع المخبر ولا خير في المـال الا مع الجود ولا خير في الصّديق الا مع الوفاء ولا خير في الفقه الا مع الورع ، ولا خير في الصّدقــة الا مع النيّة ، ولا خير في الحياة الا مع الصحة والأمن والسرور[٣٤] . (٢١) واعلم ان الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكراً ، كما ان النهار يزيد كل ذي بصر بصراً ، ويزيد الخفافيش سوء بصر . والعاقل لا يبطره منزلة اصابها ولا شرف وان عظم، كالجبل الذي لا يتزلزل وان اشتد الريح عليه . والسخيف يبطره ادنى منزلة ، كالعشب الذي يحركه ادنى ريح. اعلم ان مثل السلطان الصالح له وزراء سوء، كالماء الصافي الطيّب فيه تمساح فلا يستطاع وروده . والسلطان باصحابه كالبحر بأمواجه. (٢٢) وقد قيل: ان الحمق والخرق التماس الاخوان بغير الوفاء والأجرِ بالرياء ومودّة النساء بالغلظة والجفاء، ونفع نفسه بضرّ الناس ، والعلم والفضل بالدعة والخفض. (٢٣) وقيل: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم وتأديب من[٣٥] لا يتأدب فان الحجر الذي لا يُقطع لا تُجرّب به السيوف، والعودَ الذي لا ينحني لا يعالج انحناؤه. (٢٤) وكان [٧٥] يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليه ، واياك وفراقه ولا عليك ان تصحب العاقل وان كان غير محمود الكرم ، ولكن احترس من سيّىء أخلاقه وانتفع بعقله . ولا تدع مواصلة الكريم وان لم تحمد عقله ، ولكن انتفع بكرمه ولينتفع بعقلك . وفرّ كل الفرار من اللئيم الاحمق. (٢٥) ويقال: لا شيء أضيع من مودّةٍ تمنح من لا وفـــاء له ، وصنيعة تصطنع الى من لا شكر له ، وأدبٍ

يؤدب من لا يسمع [٣٦] وسرّ يستودع من لا حصافة له . (٢٦) ويقال : ان العاقل لا يرحم من خافه والحازم ربما ابغض الرجل وكرهه ثم تكاره عليه فقربه وولاّه بما يعلم عنده من الغَنَاء ، فِعْلَ الرجل المتكرّه على الدواء البشع رجاءَ منفعتِه . وربما أحب رجلاً وعز عليه فأقصاه وأهلكه مخافة ضرّه، فعل الرجل الذي تلدغه الحيّة في اصبعه فيقطعها مخافةَ ان يسريَ سمّها في جسده . (٢٧) ويقال : ان فساد جلّ الاشياء من ثلاث خصال : اذاعة السرّ وائتمان اهل الغدر وترك مستوجبي العقوبة [٣٧] . (٢٨) ويقال : ان عقوبة المذنب بذنبه هي لأهل الذنب مَقمعة وللملك مصلحة وللرعية تواصل وللصالحين سرور ولاهل الوفاء والتناصُح اغتباط وللأضغان نفي وللأحقاد إبعاد. [٧٦] (٢٩) ويقال: الصدق وان خلص اليك في عاجله مرارة فهو أفضل عاقبة وانفع مغبّة .

٤ — باب الحمامة المطوّقة والجرذ والظبي والغراب

وهو في تدبير النازلة اذا نزلت والحذر منها <عند> نزولها والاحكام في الحيلة والاستظهار بالمال .

(١) قالت الحمامة المطوّقة عند وقوعها في الشبكة للجرذ . ان المقادير هي التي اوقعتني في هذه الورطة وهي التي دلتني على الحبّ وأخفت عليّ الشبكة حتى لَحَجتُ [٣٨] فيها . وقديماً قيل : لا يمتنع من القدر من هو [٣٩] أقوى مني ، والقدر هو الذي به تكسف الشمس والقمر في السماء ، ويصاد السمك في الماء ويستنزل الطير من الهواء ، والسبب الذي به يدرك العاجز حاجته والذي يحول بين القادر وطلبته . (٢) قال الغراب للجرذ : قد قيل ان ذا الفضل لا يخفى فضله وان هو اخفاه جهده [٤٠] كالمسك الذي يخبأ وتسطع رائحته . ودعا الجرذ الى الاصطلاح للاستعانة به على قطع الشبكة وتخليص الحمامة . (٣) قال الجرذ للغراب : نحن متعاديان ولا تواصل بيننا لاني طعام وانت آكل ، (٤) ولا يمتنع الماء وان اطيل اسخانه من اطفاء النار [٧٧] اذا صبّ عليها. وان صاحب العدوّ المُصالَح كصاحب الحيّة يحملها في كمّه ولا يستأنس العاقل الى العدوّ الأريب

ابداً. (٥) قال الغراب: ان الكريم يودّ الكريم عن لقاءة واحدة واللئيم لا يصل احداً الا عن رغبة او رهبة. (٦) قال الجُرذ: قد[٤١] قبلت اخاءَك وما ابتدأتك بما قلت الا للإعذار لنفسي. فان انت غدرت لم تقل وجدت الجرذ ضعيف الرأي سريع الانخداع. (٧) ثم أقبل الجرذ للخروج اليه. فلما خرج شيئاً وقف وقال: ليس يمنعني من الخروج اليك سوء ظني بك، ولكنني قد عرفت لك اصحاباً جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم كرأيك، وأخشى ان يروني معك فتهلكني. قال الغراب: ان من علامة[٤٢] الصديق ان يكون لصديق صديقه صديقاً ولعدو صديقه عدوّاً، وليس لي بصاحب من لم يكن لي محباً. (٨) قال الجرذ، عند اخباره عن حاله المتقدمة: ما أرى التبع والحشم والاخوان الا مع[٤٣] المال، وما أرى المروءة يظهرها الا المال ولا يكون الرأي والقوة الا به. ووجدت من لا مال له يقعد به العُدم عما يريد، كالماء في الاودية من مطر الصيف لا ينتهي الى بحر ولا نهر ولكن يبقى مكانه حتى تنشفه الارض. ووجدت من لا مال له لا اخوان له ولا أهل له ولا ولد [٧٨] له، ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا عقل له لا دين له ومن لا دين له فلا دنيا له ولا آخرة[٤٤]، ومن لا مال له لا شيء له لان العديم يرفضه اخوانه ويقطعه ذوو قرابته وربما اضطرته المعيشة في التماس الرزق الى ان يغرّر بدينه، فاذا هو قد خسر الدنيا والآخرة. والفقر يدعو صاحبه الى مقت الناس وهو مَسْلَبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن التهمة ومجمع البلايا. ومن نزل به الفقر لم يجد بدّاً من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب سَروه، ومن ذهب سروه مقت، ومن مقت اوذي ومن اوذي حزن وفقد عقله واستنكر حفظه وفهمه، ومن اصيب في عقله وحفظه وفهمه فكان اكثر كلامه وقوله وعمله فيما يكون عليه لا له. ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وساء ظن من كان ظنه به حسناً. فان أذنب غيره ظنّوه به وكان للتهمة وسوء الظن موضعاً. وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب. ان كان شجاعاً سمي أهوج، وان كان جواداً سمي مفسداً وان كان حليماً سمي ضعيفا وان كان وقوراً سمي بليداً وان كان صموتاً سمي عَيِيّاً، وان

كان لسناً مفوّهاً [٧٩] سمي مهذاراً. والفقر يضطر الى مسألة اللئيم والى السرقة وقول الكذب. (٩) وكان يقال : الخرس خير من البيان بالكذب والعيّ خير من الهذر والضرّ والفاقة خير من السعة من أموال الناس. (١٠) وقال العقلاء : لا عقل كالقنوع [٤٥] ولا ورع كالكفّ ولا حسب كحسن الخلق ولا غناء كالرضاء واحق ما[٤٦] صبر عليه ما ليس [الى][٤٧] تغييره سبيل. (١١) وكان يقال: افضل البرّ الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقل المعرفة بما يكون مما لا يكون وطيب النفس وحُسنُ الانصراف عما لا سبيل اليه. (١٢) ويقال في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء : ظل الغمام وخلة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والمال الكثير وماء السيل[٤٨]. (١٣) قال الغراب: اغبط [الناس][٤٩] اكثرهم مستجيراً وسائلاً منجِحاً ولا يعدّ غنياً من لم يشارك في ماله ولا يعد عائشاً من كان عيشه بغضة وسوء ثناء [٥٠]. ولا يعد الغرم غرماً اذا ساق غنماً ولا الغنم غنماً اذا ساق غرماً. (١٤) وكان يقال انما يختبر ذو البأس عند القتال وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الحاجة والاخوان عند البليات.

٥ – باب البوم والغربان

[٨٠] وهو في معنى السياسة للملك والسير في العدوّ والرأي للمكيدة ولطيف ما يجري عليه الامر بين الملك والوزير.

(١) لما أصاب البوم من الغربان احضر ملك الغربان وزراءه فاستشار خمسة منهم وقال لهم : ما ترون ؟ فقال اولهم قالت العلماء ليس للعدوّ الحنق الذي لا يطاق دواء الا الهرب. وقال الثاني : لا ارى ان ننجلي عن وطننا ونذلّ لعدوّنا عند اول نكبة اصابتنا، ولكن نجمع امرنا ونستعدّ لعدوّنا ونذكي العيون فيما بيننا وبينهم ونحترس من الغرّة والعورة [٥١]، فاذا اقبل الينا العدوّ لقيناهم مستعدين وقاتلناهم قتالاً على غير مراجفة [٥٢]، ولكن نلقّي اطرافنا اطرافهم ونحترز بحرزنا وحصننا وندافع الايام حتى نصيب فرصتنا[٥٣] أو يعيينا ذلك فنهرب وقد ابلينا عذرا. وقال الثالث : أرى ان نرسل العيون والطلائع ونتحسّس ونعلم هل

يريد عدوّنا صلحاً ويقبل فدية، فان رأينا من ذلك أمراً مطمعاً مضطـّلـَعاً به لم نكره ان نصالحهم على تأدية الخراج لندفعهم عن أنفسنا ونطمئن (٥٤) في وطننا. فان من الرأي للملوك اذا اشتدت شوكة عدوّهم فخافوا الفساد والهلاك على رعيّتهم ان يجعلوا الأموال جُنـّة للملك والبلاد والرعيّة. [٨١] وقال الرابع : لا أرى الصلح رأياً بل ترك اوطاننا والاصطبار على الغربة وشدة المعيشة احبّ الي من وضع احسابنا والخضوع للعدوّ الذي نحن أشرف منه. مع اني قد عرفت انا لو عرضنا ذلك عليهم لم يرضوا فيه الا بالاشتطاط والاستئصال. وكان يقال: قارب عدوّك بعض المقاربة تنل حاجتك منه ، ولا تقاربه كل المقاربة فتجرّىء عدوك عليك وتضعف جندك وتذلّ نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس فان املتها قليلاً زاد ظلها وان جاوزت الحدّ في امالتها نقص الظل . وليس عدوّنا براضٍ منا بالدون في المقاربة . والرأي لنا المحاربة (٥٥) والصبر . وقال الخامس : لا سبيل الى قتال من لا تقوى به . وقد كان يقال : من لا يعرف نفسه وعدوّه فقاتل من لا يقوى به حمل على نفسه جهلاً (٥٦) ، مع ان العاقل لا يستضعف عدوّه، فان من فعل ذلك اغترّ ومن اغتر امكن عدوّه منحاجته. وان البوم شديد الهيبة وقد كنت اهابها قبل ايقاعها بنا. والحازم لا يأمن عدوّه على حال، وان كان بعيداً لم يأمن معاودته وان كان قريباً لم يأمن مكره، واكيس الأقوام من لم يلتمس الامور بالقتال ما وجد غير القتال [٨٢] لأن القتال انما التغرير فيه بالانفس، وسائر الاشياء انما التغرير بالمال والقوت. فلا يكونن قتال البوم من رأيكم فان من يراكل الفيل يرى حتف نفسه (٥٧) .

قال الملك : فماذا ترى ؟ قال الوزير : بما تأمر وتشاور فان الملك المؤامر يصيب في مؤامرة نصحائه من ذوي العقول من الظفر ما لا يصيبه من الجنود والزحوف وكثرة العدد. والملك الحازم يزداد برأي الوزراء او مشاورة النصحاء كما يزداد البحر بموادّه من الانهار. (٢) ومن لم يكن له رأي ولا نصحاء منالوزراء العقلاء الذين يقبل منهم لم يلبث ، وان ساق القدر اليه حظاً ، ان يضيع (٥٨) . (٣) وقد اجبتك في بعض هذا علانية وانا مجيب في بعضه سرّاً . (٤) وكان

يقال : انما يصيب الملوك الظفر بالحزم وأصالة الرأي وتحصين الاسرار (٥٩). وانما يطّلع على السرّ من قِبَل خمس جهات : من قِبَل صاحب الرأي ، ومن قبل البُرُد والرسل والمستمعين للكلام ، ومن قبل الناظرين في أثر الرأي ومواقع العمل ، ومن التشبيه والنظر (٦٠). ومن حصّن سرّه فله من تحصينه ايّاه أمران: امّا ظفر بما يريد ، واما ان اخطأه ذلك فالسلامة من ضيره وعيبه . ولا بد لصاحب السرّ من مستشار مأمون يفضي اليه به ويعاونه على [٨٣] الرأي، فان المستشير وان كان أفضل من المستشار رأياً فانه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالودك ضوءاً . وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى ، والرفق به بتبصير خطأ ان كان منه وتقليب الرأي فيما أشكل عليه حتى يستقيم لهما بتعاونهما. فاذا لم يكن المستشار كذلك فهو عليه مع عدوّه . ومثله كمثل من يَرْقي الشيطان فيهيجه على نفسه اذا لم يكن حاذقاً ماهراً برُقْيَته. (٥) وانما الفضل لاهل حسن العمل (٦١) ، فامـا اهل حسن القول فليسوا كذلك . ولذلك صار صاحب حسن العمل وان قصر به القول في بديهته عن تبيين فضله يحمد عند الخبرة عاقبة الفرصة . وصاحب القول وان هو اعجب منه ببديهته وحسن صفته لم يحمد (٦٢) غبّ أمره. (٦) ثم أشار بأن ينتف ريشه وذنبه ويُنقر ويلطّخ بالدماء ويُلقى حيث تبصره البوم . (٧) ففُعل ذلك به فأبصرته البوم وذهبت به الى ملكها . فسأله عن حاله وحال ملكه فقال : اني أشرت عليه بالخضوع والصلح وقلت له ان العدوّ الشديد لا يردّ بأسه وغضبه بمثل الخضوع له . الا ترى ان الحشيش انما يسلم من الريح العاصف بلينه وانثنائه حيث مالت. فاتهمني في ذلك وغضب عليّ .(٨) فقال ملك البوم لأحد وزرائه فيما قال الغراب . قال ليس لك في [٨٤] امره مناظرة الا المعاجلة بالقتل ، فان هذا لفضل رأيه غرّ به الغربان وهو من عُددهم (٦٣) ، وفي قتله لنا فتح وراحة من مكيدته ، وفقده على الغربان شديد . وكان يقال : من استمكن من الامر الكبير فاضاعه لم يقدر عليه ثانياً . ومن التمس فرصة فامكنته وغفل عنه فاته الامر ولم تعد اليه الفرصة . ومن وجد عدوّه صائعاً (٦٤) فلم يسترح منه أصابته الندامة حتى يقوى

العدو فلا يقدر عليه . فقال لواحد آخر من وزرائه : ما ترى في هذا الغراب ؟ فقال: أرى ان يُستبقى ويجار لأن العدو الذي لا شوكة له أهل ان يرحم. (٩) وسأل آخراً منهم فأشار بمثل ذلك وقال : أرى ان تستبقيه وتحسن اليه ، فانه خليق ان يناصحك. فان ذا العقل يرى ظفراً حسناً معاداة بعض عدوّه بعضاً(٦٥). فان في اشتغال بعضهم ببعض مانعاً لهم وسلامة منهم. (١٠) فقال الوزير الاول، الذي كان أشار بقتل الغراب: قد غرّكم هذا الغراب وخدعكم بكلامه وتضرّعه، فانتم تريدون تضييع الرأي. وذو اللب لا يغرّه كلام عدوّه ولا يقيله عن رأيه . فلا تكونوا كالعجزة الذين يغترون بما يسمعون وتلين قلوبهم لعدوّهم عند ادنى ملق وتضرع . ويكونون (٦٦) لما يسمعون اشد تصديقاً منهم بما يعلمون. (١١) وان كثيراً من [٨٥] العدو لا يستطيع ضرّ عدوّه بالمباعدة حتى يلتمسه بالمقاربة والمناصحة والمماسحة (٦٧) .

(١٢) ثم ان الغراب بعدما استُبقي واحسن اليه، جعل يتفقّد احوال البوم ومواضعها حتى اطلع على ما اراد من عورتها، ورجع الى الغربان فاخبرها بما رآه ودلّ على موضع العورة، حتى اشعلت الغربان النار في مكان (٦٨) البوم فاحترقت البوم . (١٣) فقال ملك الغربان لذلك الغراب : كيف وجدت البوم ؟ فقال : اضعف شيء رأياً ولم أر فيهم احزم من الذي أمر بقتلي فرددن نصيحته فلا هنّ عقلن ولا من العاقل قبلن، ولا حذرتني ولا حصّنّ اسرارهن عنّي. وكان يقال: ينبغي للملك ان يحصّن اموره ولا يُدْنِ المتّهم من مواضع سرّه وكتبه ولا من ماله وفرشه ودثاره ، ولا من بُرُدِه ومراكبه ولا من سلاحه وطعامه وشرابه ، ولا من دوابّه وطيبه ورياحينه . (١٤) وكان يقال : ما ظفر احد يبغي (٦٩) ، ولم يحرص على النساء احد الا افتُضح. ومن اكثر من الطعام سقم، ومن ابتلي بوزير السوء وقع في المهالك . ويقال : لا يطمعن ذو الكبر في الثناء الحسن ولا السيّىء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا [الملك](٧٠) المختال المتهاون الضعيف [٨٦] الوزراء في بقاء ملكه . (١٥) ويقال : لا يجزع العاقل من احتمال مشقة وصبر عليها اذا كان يرجو روح عاقبتها . قال الملك :

وجدت صرعة اللين اشدّ استئصالاً[٧١] للعدوّ من صرعة النار، فان النار لا تزيد بحرّها وحدّها اذا اصابت الشجرة على ان تُحرِق ما فوق الارض منها. والماء بلينه وبرده يستأصل ما تحت الأرض. وكان يقال: أربعة اشياء لا يستقل منها القليل؛ النار والمرض والعدوّ والدَّين. قال الغراب: كل ما كان من ذلك فبالملك وسعادة جده. (١٦) قال الملك: بل برأيك وعقلك (١٧) وقد منّ الله بك علينا منةً عظيمة. فدعا له الغراب واثنى عليه. (١٨) ثم قال له الملك: بأي شيء استدللت على عقل وزيره الذي امر بقتلك؟ قال: بخصلتين، احداهما الامر بقتلي والأخرى انه كان لا يكتم صاحبه نصيحة وان استثقلها. ولم يكن كلامه كلام خُرق ولكن كلام رِفق ولين حتى ربما اخبره بعيبه ولا يغضبه، انما يضرب له الأمثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف به الملك عيبه ولا يجد للغضب عليه سبيلاً.

٦ – باب السُلحفاة والقرد

[٨٧] المثل فيه انتهاز الفرصة وترك اضاعتها بعد امكانها.

قال القرد: (١) كان يقال: ليبذل ذو المال ماله في ثلاثة مواضع – في الصدقة ان اراد الآخرة وفي مصانعة السلطان او فيما يقي به بدنه ويدفع عنه الداء[٧٢]. (٢) والحديث فيها ان غيلماً في البحر صادق قرداً في البرّ ثم دعاه الى منزله فاجابه القرد. وحمله الغيلم في البحر فلما لجج قال: اني اذهب بك يعني السلحفاة لاستخرج قلبك فاداوى به من علة. فقال له القرد: فهلاّ اخبرتني بهذا حتى آخذ قلبي، فاني خلفت قلبي في الشط. قال الغيلم: فاني اردّك. فلما ردّه استعصم القرد بالبر وفات الغيلم ما كان حمله.

٧ – باب الناسك وابن عرس

المثل فيه سوء عاقبة المتقدم على الشيء بالعجلة من غير روية وتبيين.

(١) والحديث فيه ان رجلاً ناسكاً كان في جوار ملك وكان يجرى عليه من بيت الملك. وكانت له جرة يجمع فيها من السمن الذي كان يحمل له فيما اجري

عليه . فحدّث [٧٣] نفسه ليلة وقال : تمتلىء هذه فـأبيـع سمنها بكذا واشتري بثمنها كذا وابيعه بكذا حتى بلغ تقديره مالاً ذكره . ثم قـال : فأتزوج عند ذلك [٨٨] وتحبل المرأة وتلد غلاماً فأسميه مافنه [٧٤] وأؤدّبه فان يبطل ضربته بهذه العصا . وحرك عصا بقربه فضرب بها الجرة فانكسرت وانصب ما فيها . (٢) وفيه حديث آخر ، وهو ان رجلاً كان في بيته ابن عرس وله صبي . وخرج الرجل من البيت وخلفهما فيه وتعرضت في البيت حية فقصد لها ابن عرس فقتلها وخرج من البيت وقد تلطخ بالدم . فاستقبله الرجل فتوهم انه عقر ولده وان الذي رآه من الدم هو من ولده . فضربه فمات فدخل البيت فرأى ولده سليما والحية بجنبه قتيلاً فندم .

٨ – باب السنّور والجرذ

المثل فيه ايضاً الفرصة في مصالحة العدو والاخذ بالحزم والاحتراس منه والاستعداد للتخلص من محذور البلية وتأمل العاقبة .

(١) قال الفيلسوف: لا يمنع ذا [٧٥] العقل عداوةٌ كانت في نفسه من مقاربة عدوه اذا طمع منه في رفع مخوف او حرم مرغوب فيه . فـــلا يعبأ بالرأي في احداث المواصلة والمودة (٢) كالجُرذ والسنور في اصل الشجرة . رآه الجرذ قد لحج في الحبالة فسُرّ . فلما التفت رأى ابن عرس في طلبه ، ونظر الى فوق فاذا في الشجرة بومة ترقبه . فعلم انه ان [٨٩] تقدّم فالسِنـّور قاتله وان رجع فابن عرس آكله وان ذهب يمنة ويسرة فالبوم مختطفه . فقال : قد اكتنفتني الشرور ولا مفزع الا الى رأيي وحيلتي ، فلا يكونـَنّ من شأني الدّهش ولا يَذهبَنّ قلبي َشعاعا ، فان العاقل لا يتفرّق عليه رأيه ولا يعزُب عنه عقله . فرأى مصالحة السنّور ووعده قطع الحبالة عنه وبيّن له ان ترادف البلاء قد الجأه الى ذلك وهو يطلب به منفعة نفسه بما فيه المنفعة له ايضاً. فدنا كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقا. فلما فعلا ذلك ذهب ابن عرس فصادق البومة واخذ الجرذ في قطع حبالة السنّور على مهل فاستبطأه السنور فقال له في ذلك. فقال الجرذ: ان لكل شيء

حيناً ووقتاً وانا عامل ما وعدتك في حينه وقاطع وثاقك من هذا الشرك على رسل وتارك سلكاً واحداً وعقدة لا اقطعها ، ارتهنك بها فلا اقرضها الا في الساعة التي اعلم انك فيها عني مشغول ولا يهمك الا نفسك . ففعل ذلك الى ان أقبل الصياد فقال الجرذ : الآن جاء الوقت الذي قلته . وقطع ما كان بقي من حبالة الفخ فصعد السنور الشجرة وانجحر الجرذ . فلما مرّ الصياد خرج الجرذ فلم يدر اين السنور . فناداه السنور ودعاه وذكر [٩٠] المصالحة والمودة . فقال الجرذ : ربّ عداوة باطنة ظاهرها صداقة ، وهي اشد ضرراً من العداوة الظاهرة . ومن كان اصل امره عداوة ثم وقعت مصالحة ومودة لحدوث حاجة وظهور منفعة ، وعاد الأمر الى ما كان عليه قديماً ، كالماء الذي يسخن بالنار فاذا فُرّق بينه وبينها عاد الى هيئته وبرد. واذا كانت الأشياء التي حدثت لنا فأحوجتنا الى المصالحة قد بطلت وكنتُ الطعامَ وكنتَ الآكلَ وكنتُ الضعيفَ وكنتَ القويّ ، فليس لاغتراري بك والدنوّ منك وجه . والبعد لي منك أحزم الرأي. وانا اودّك من بُعد واحبّ لك اليوم[٧٦] وانت ايضاً جدير بان تكون لي كذلك ولا سبيل الى اجتماعنا .

٩ – باب الملك والطائر فنزه[٧٧]

المثل فيه هو الاخذ بالحزم في الاحتراس من العدوّ ، وترك الاغترار بالموتور .

(١) قال فنزه : ان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخراً . ولا يغتر العاقل بسكون الحقود اذا سكن ، فانما مثل الحقد في القلب ما لم يجد متحرَّكاً مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطباً . ولا يزال الحقد [٩١] يطلع الى العلل كما تبتغي النار الحطب[٧٨]. فاذا وجد [علة] اشتعل <اشتعال> النار[٧٩]. (٢) والأمر بيني وبينك واضح . قتل ابنك فرخي وفقأتُ عين ابنك[٨٠] ، فانت الآن تريد ان تقتلني بسيفي. (٣) وليس احد اعلم بما في نفس الموجع ممن قد ذاق مثل الذي به . فانا بما في نفسك عالم للذي عندي من مثل ذلك.

١٠ – باب ملك الهند وبلاد [٨١] وزيره

المثل فيه رفق الوزير بالملك وتأتّيه فيما يؤمن به مما يرى الرشد في غيره .

(١) قال الملك للفيلسوف : اخبرني بأي الأشياء اجدر ان يحفظ الملك ملكه ويثبت سلطانه ويلزم نفسه الحلم وحفاظ الخيم الصالح ومـادته من مشاورة اهل العلم والرفق بالعلم والامانة والحث للبر . (٢) ثم ان الملك حزبه أمر اهمّه فاستتر دون الناس وانحجر في المنزل واحتال بلاد وزيره عليه بامرأته ايردخت [٨٢] وكانت احبّ نسائه اليه حتى لقيته في ذلك الامر وفطنته لتخلص منه . ثم انه من بعد ذلك غضب عليها لأمر فدفعها الى بلاد وامره بقتلها . فاحتبسها عنده ووكل بها بعض ثقات الملك. (٣) وندم الملك بعد ذلك فدعا الوزير وذكر له امر ايردخت واخبره [٩٢] بغمه بهـــا . وجعل الوزير يعزّيه ويصبره ويضرب له الامثال ويعزز القول في ذلك ويبدي ويعيد حتى استيقن بذات نفسه فحينئذٍ اخبره بما فعل .

١١ – باب الاسوار واللبؤة والسفهر [٨٣]

المثل فيه اعتبار الانسان بما يصيبه وتركه ان يقصد غيره بالمضرة لما يجد من الالم في نفسه اذا غيره قصده بها واليقه بما قيل : كما تَدين تُدان .

١٢ – باب الناسك وضيفه

المثل فيه تحذير العامل لما ترك العمل يحسنه .

(١) والحديث فيه ان ضيفاً نزل بناسك فاستحسن الضيف كلام الناسك فتعاطـاه فلم يلحقه . فضرب له الناسك مثلاً بالغراب تعاطى مشي الحجل فلم يدركه، وعاود مشيه فلم يحسنه . (٢) وفي هذا ما يجب على الملك [٨٤] من تدبّر اهل مملكته في ترك سفل الطبقات والمنازل الى غير الذي وضعوا عليه . فان في ذلك مضرّة لهم وفساد الطبقة العلياء من الطبقة السفلى وايثار امورهم بمنازعة اللئيم الكريم والحذو على مثله .

١٣ – باب الملك والسفهر الضرّام

المثل فيه اصلاح الملك بينه وبين اصحابه وما يجب عليه ان جفا واحداً منهم [٩٣] من مراجعته اذا كان ممن يستعان به او يوثق برأيه وأمانته .

(١) قال الملك: لا تستطيع العمل الا بالوزراء والاعوان . ولا ينتفع بالوزراء الا مع المودة. ولا ينتفع بالمودة الا مع الرأي والعفاف. (٢) قال: يجب ان يكون الملك عالماً بما عند كل رجل من اصحابه من الغَنَاء والرأي وما فيه من العيب . فاذا كان عيبه لا يُخلُّ بالعمل الذي عنده الغَنَاء فيه لم يضر ان يستعان به فيما يغني فيه . وعليه ان يتفقدهم حتى يعرف مُسيئهم ومُحسِنَهم فلا يترك محسنا بغير جزاء ولا يقارّ مسيئاً ولا عاجزاً على العجز والاساءة، فانهما ان تُركا على ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وضاع العمل . قال السفهر : انما يستطيع صحبة السلطان رجلان لستُ بواحد منهما؛ فاجرٌ مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته، واما مَهين مغفل لا يُحسَد. فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصِّدق والنصيحة والعفاف ولا يخلط بمصانعة فقلما تستقيم له صحبته. فانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد. اما الصديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه لها ويعاديه فيها . واما عدو السلطان فيضطغن عليه بنصيحته لسلطانه وغنائه [٩٤] عنه . فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان يعرض للهلاك . قال الاسد : لا يضرك بغي أصحابي عليك وحسدهم اياك مع علمي بك وترصدي اياك بالمكافأة . (٤) قال السفهر : لا ينبغي للملوك ان يثقوا بمن عاقبوه أشد العقوبة في غير ذنب ولا بمن غرّبوه عن سلطان كان فيه واجتاحوا ماله في غير جرم ولا بمن كان مستحقاً للاكرام (٨٥) واللطف فلم يكرم ولم يلطف الا بمن كان في نظرائه اكرم عليه . ولا بالمظلوم الذي استبانت ظلامته فلم يدفعوها ولا بمن له في ضرّ السلطان منفعة او في نفعه مضرة ولا بالشره والحريص ولا بمن أجرم جرماً ينبغي فيه العفو عنه فلم يعفَ عنه . (٥) فانه ليس كل عدو السلطان يستطيع السلطان ان يرجع به الى مودته ويتخذه لنفسه . فانا وان كنت للملك على ما كنت عليه فخليق ان يقع في نفس الملك بأي حنق واي حقد عليه ما كان منه الي . (٦) قال الاسد: انت عندي

بخلاف هذه المنزلة وقد جرّبتك وانا مُنزِلكَ مَنْزِلَةَ الصالحين الابرار. والرجل الصالح يعفو عن ألف سيئة في جنب حسنة واحدة اولاها . ثم عاد السفهر الى منزله واكرم مثواه عنده .

[٩٥] ١٤ – باب النسّاج والبَبْر والقرد والصائغ

هو في نهي الملوك وغيرهم عن وضع المعروف في غير موضعه والامر باختيار من عنده وفاء وشكر وحفاظ وان لا ينظروا في ذلك الى حسب ولا هيبة .

(١) كالطبيب الذي لا يداوي المرضى بالمنظر ولكن من قبل المسّ والجسّ والنظر في الدلائل .

١٥ – باب الملك وابن الشريف وابن التاجر وابن الاكّار

هو فيغلبة القضاء علىالانسان وتصرّفه بتصريفه وان الطلب والاجتهاد وكل سبب يتعلق به فانما ذلك على القضاء .

آخر ابواب الكتاب وهي ثلاثة عشر باباً سوى بابي المترجم وبرزويه.

حواشٍ وتعليقات

١ – فقرات التلخيص ومواضع ورودها في طبعة عبد الوهاب عزام :

الباب الاول : وهو مقالة مترجم الكتاب الى العربية(ع: باب عرض الكتاب لعبد الله بن المقفع)

(١) = ع ٤
(٢) ، (٣) ، (٤) = ع ٥ .
(٥) ، (٦) = ع ٦ .
(٧) ، (٨) = ع ٧ .
(٩) = ع ٨ – ٩ .
(١٠) = ع ٩ .
(١١) ، (١٢) = ع ٩ .
(١٣) ، (١٤) = ع ١٠ .
(١٥) ، (١٦) ، (١٧) ، (١٨) = ع ١١ .

الباب الثاني : باب برزويه الطبيب

(١) = ع ٣٠ – ٣٢ .
(٢) = ع ٣٤ – ٣٥ .
(٣) = ع ٣٥ .
(٤) = ع ٣٧ – ٣٩ .
(٥) = ع ٤٠ – ٤١ .

الباب الثالث : باب الاسد والثور

(١) = ع ٤٣ – ٤٤ .
(٢) = ع ٤٦ – ٤٧ .
(٣) = ع ٤٧ .
(٤) ، (٥) = ع ٤٩ .
(٦) = ع ٥٠ .
(٧) = ع ٥١ .
(٨) = ع ٥٢ .

(٩) = ع ٥٣ .
(١٠) = ع ٥٧.
(١١) = ع ٦٥ .
(١٢) = ع ٦٨ .
(١٣) ، (١٤) = ع ٦٩ .
(١٥) = ع ٧١ .
(١٦) = ع ٧٧ .
(١٧) ، (١٨) = ع ٨٣ .
(١٩) = ع ٨٨ .
(٢٠) ، (٢١) = ع ٨٩ .
(٢٢) = ع ٩٠ .
(٢٣) = ع ٩١ .
(٢٤) = ع ٩٤ .
(٢٥) = ع ٩٥ .
(٢٦) = ع ٩٦ .
(٢٧) = ع ١٠٣ . (في باب الفحص عن أمر دمنة)
(٢٨) = ع ١١٤ . (« « « « « «)
(٢٩) لم اعثر بها .

الباب الرابع : باب الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب
(١) = ع ١٢٧ — ١٢٨ .
(٢) = ع ١٢٩.
(٣) = ع ١٢٩ .
(٤) = ع ١٣٠ .
(٥) ، (٦) = ع ١٣١ .
(٧) = ع ١٣٢ .
(٨) = ع ١٣٧ — ١٣٨ .
(٩) = ع ١٣٨ .
(١٠) = ع ١٣٩ .

(١١) = ع ١٣٩ – ١٤٠ .

(١٢) = ع ١٤١ .

(١٣) = ع ١٤٢ .

(١٤) = ع ١٤٥ .

الباب الخامس : باب البوم والغربان

(١) = ع ١٤٨ – ١٥٠ .

(٢) ، (٣) = ع ١٥١ .

(٤) = ع ١٥١ – ١٥٢ .

(٥) = ع ١٥٨ .

(٦) = ع ١٥٩ – ١٦٠ .

(٧) = ع ١٦٠ – ١٦١ .

(٨) = ع ١٦١ .

(٩) = ع ١٦٢ .

(١٠) = ع ١٦٣ – ١٦٤ .

(١١) = ع ١٦٥ .

(١٢) = ع ١٦٨ .

(١٣) = ع ١٦٩ – ١٧٠ .

(١٤) = ع ١٧٠ .

(١٥) = ع ١٧٢ .

(١٦) ، (١٧) = ع ١٧٣ .

(١٨) = ع ١٧٤ .

الباب السادس : باب السلحفاة والقرد (ع : باب القرد والغيلم)

(١) = ع ١٨٠ .

(٢) = ع ١٧٥ – ١٨١ .

الباب السابع : باب الناسك وابن عرس

(١) = ع ١٨٦ .

(٢) = ع ١٨٧ .

الباب الثامن : باب السنـّور والجرَذ

(١) = ع ٢٢٩–٢٣٠ .

(٢) = ع ٢٣٠–٢٣٥ .

الباب التاسع : باب الملك والطائر فنزه

(١) = ع ٢٤٠ .

(٢) = ع ٢٤١ .

(٣) = ع ٢٤٢ .

الباب العاشر : باب ملك الهند وبلاد وزيره

(١) = ع ١٨٩ .

(٢) = ع ١٩٩–٢٠٠ .

(٣) = ع ٢٠١–٢١٤ .

الباب الحادي عشر : باب الاسوار واللبؤة والسفهر

الباب الثاني عشر : باب الناسك وضيفه

(١) = ع ٢٧٩–٢٧٠ .

(٢) = ع ٢٨١ .

الباب الثالث عشر : باب الملك والسفهر الضرّام (ع : باب الاسد وابن آوى)

(١) = ع ٢٤٥ .

(٢) = ع ٢٤٦ .

(٣) = ع ٢٤٨ .

(٤) = ع ٢٥٧ .

(٥) = ع ٢٥٨ .

(٦) = ع ٢٥٨–٢٥٩ .

الباب الرابع عشر : باب النسّاج والبَبْر والقرد والصائغ (ع : باب السائح والصوّاغ)

(١) = ع ٢٦١–٢٦٢ .

٢ – معارضات :

(١) هذه العبارة تؤدي عكس المعنى الذي في طبعة عزام. ونصها هناك: « فإنه يقال في امرين لا ينبغي لاحدٍ ان يقصّر فيهما بل يكثر منهما: حسن العمل والتزوّد للآخرة » ، ع ٥ .

(٢) في عزام ٥ : «المال والادب» .

(٣) في الاصل بلام واحدة .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) في عزام ٩ : « فإنه من اجرى الى غير غاية اوشك ان يكون فيه فناؤه وتقوم دابته» .

(٦) في عزام ٩ : « يحملان » .

(٧) في عزام ١١ : « ويقال في ثلاثة اشياء يحقّ على صاحب الدنيا اصلاحها وان يتدارك لنفسه فيها: امر دنياه وامر معيشته وامر ما بينه وبين الناس ». وعبارة «الغرة» في الاول اشبه بالمعنى .

(٨) في عزام ١١ : « يستيقن » .

(٩) القصة في عزام محكية عن جماعة لصوص ، وهي كذلك في الترجمة السريانية .

(١٠) في تلخيص « الغرّة » للقصة بعض الغموض .

(١١) في الأصل « ينقله » والتصحيح من عزام ٣٧ .

(١٢) زيادة من عزّام ٣٨ . وهي ليست في الترجمة السريانية .

(١٣) في عزام ٣٨ : « التحريك ».

(١٤) في عزام ٣٨ : « ما يجد »

(١٥) في عزام ٣٨ : « الحمية ».

(١٦) في عزام ٣٨ : « وتعب ».

(١٧) في عزام ٣٨ : « من المِرة والبلغم والدم والريح». وفي الترجمة السريانية: «السوداء والمرة والدم والبلغم » (ص 263) وهي اقرب الى نص « الغرّة».

(١٨) في عزام ٤٠ : « من المشرب والمطعم والشم والنظر والسمع واللمّس ». وهي في الترجمة السريانية : « الشم والمطعم ... والنظر ... والسمع » (ص 266-265) .

(١٩) في عزام ٤١ : « بغصنين نابتين ». وفي الترجمة السريانية(ص266) غصن واحد .

(٢٠) في عزام ٤١ : «على شيء عمدهما».

(٢١) في الاصل : « دائبتين ».

(٢٢) في الاصل : « عهد »، وفي عزام ٤١ : « التي تعمّدت» .

(٢٣) في الاصل : « وهي » .

(٢٤) في عزام ٤٧ : « ضر » .

(٢٥) في عزام ٤٧ : « بطنه وفرجه » وهي كذلك في الترجمة السريانية(ص 5).

(٢٦) في الاصل : « منهم » .

(٢٧) في عزام ٤٩ : « ويرفق في نفسه ».

(٢٨) في عزام ٥٠ : « لما لعلّته يتوقاه » .

(٢٩) في عزام ٥٧ : «انما يصمِد بعضها لبعض».

(٣٠) في الاصل : « وهو » .

(٣١) في عزام ٧١ : «... من صاحبه الذي يغدو عليه ويروح بعداوة يريد بها نفسه » .

(٣٢) في الاصل : « فيما يعدّه عليه من المسائلة »، والتصحيح من عزام ٨٨ .

(٣٣) في الاصل : « عند » .

(٣٤) في عزام ٨٩ : « ولا خير في الكلام الا مع الفعل ولا في الفقه الا مع الورع ولا في الصدقة الا مع النيّة ولا في المنظر الا مع المخبر ولا في المال الا مع الجود ولا في الحياة الا مع الصحة والسرور والأمن ».

(٣٥) في الاصل : « ما ».

(٣٦) في عزام ٩٥ : « وأدب يستودع من لا يفهمه » .

(٣٧) في عزام ١٠٣ : « ... من قبل خلّتين : اذاعة السرّ وائتمان اهل الفجور » .

(٣٨) في عزام ١٢٧ : « لجحت » .

(٣٩) في الاصل : « وهو » . والتصحيح من عزام .

(٤٠) في الاصل : « أخفى جهره » . والتصحيح من عزام .

(٤١) في الاصل : « وقد » .

(٤٢) في الاصل : « عامة » . والتصحيح من عزام .

(٤٣) في الاصل : « على مع » .

(٤٤) نصها في عزام ١٣٧ : « ووجدت من لا اخوان له فلا أهل له، ومن لا ولد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا عقل له ».

(٤٥) في عزام ١٣٩ : « كالتدبير ».

(٤٦) في الاصل : « من » والتصحيح من عزام .

(٤٧) اضيفت من عزام .

(٤٨) « ماء السيل» : ليست في عزام ١٤١ . وفي الترجمة السريانية (ص 123) : «والبناء الكاذب» .

(٤٩) اضيفت من عزام .

(٥٠) في عزام ١٤٢ : « من كان عيشه من فضله موئِساً » . ووضع عليها رقم التعليق (٥) وتركه في التعليقات .

(٥١) في عزام ١٤٩ : « والعودة ». وما جاء في « الغرة » اعلق بالمعنى .

(٥٢) في عزام ١٤٩ : « مزاحفة » . والمعنيان جائزان .

(٥٣) الكلام في اصل عزام (ص ١٤٩) مضطرب ، وقد استعان على تصحيحه بطبعة شيخو (انظر تعليقاته ٢٩٥) . ونثبت فيما يلي نصّ « الغرّة »، لعله يفيد في تصحيح الكلام:

« فاذا اقبل الينا عدونا لقيناهم مستعدّين وقاتلناهم قتالاً على غير مراجفة . ولكن نلقّي اطرافنا اطرافهم ونحترز بحرزنا وحصننا وندافع الأيام حتى نصيب فرصتنا » .

(٥٤) في عزام ١٤٩ : « نأمن » .

(٥٥) في الاصل « المقاربة» ، والتصحيح من عزام .

(٥٦) «وقد ... جهلاً» : ليست في عزام .

(٥٧) في الاصل :« فان من رأى كل القتال يرى حتف نفسه ». وقد كانت في اصل عزام «من يرا كل الفيل يرا كل الحيف » وعند شيخو « من يرى كل القتل يرى الخير » . وقد حرفها عزام اعتماداً على الترجمتين السريانيةوالفارسية وعلى ما نظمه ابن الهبارية في«الصادح والباغم». وقد رأيت بدوري ان احرفها على هذه الصورة التي هي اقرب الى الاصول ، لأن«يرا كل» هنا اقرب الى المعنى من يوا كل ، اذ لا معنى لمؤاكلة الفيل . وهي في الترجمة السريانية بما معناه : « ان من يقترب من الفيل يهرب لاول نفخة من فمه » (ص 132).

(٥٨) في عزام ١٥٠ : « يضيع أمره».

(٥٩) نصها في الأصل : « انما نصيب الملوك الفطن بالحزم واحالة الرأي وتحسين الأسرار » . والتصحيح من عزام ١٥١ .

(٦٠) نصها في عزام ١٥١ : « وانما يطلع على السّر من قبل خمسة : من قبل صاحب الرأي ، ومن قبل مشاوره ، ومن قبل الرسل والبرد ، ومن قبل المستمعين الكلام ، ومن قبل الناظرين في اثر الرأي ومواقع العمل بالتشبيه والتظني » .

(٦١) في الاصل : « لأحسن » ، والتصحيح من عزام ١٥٨ .

(٦٢) العبارة في الاصل « وصاحب القول وان هو اعجب منه بديهته وحسن صفة لم يجد عب أمره » والتصحيح من عزام ١٥٨ .

(٦٣) نصها في عزام ١٦١ : « فان هذا من أفضل عُدَد الغربان » .

(٦٤) في عزام ١٦١ : « ضعيفاً » .

(٦٥) في الاصل : « عدوّاً » .

(٦٦) في الاصل : «ويكونوا » .

(٦٧) في عزام ١٦٥ : « والمسامحة » .

(٦٨) في الاصل « ملوك » . وقد صححناها بما هو اقرب الى المعنى مما يستدل عليه من الرسم .

(٦٩) في الاصل : « الا بغى » . والتصحيح من عزام ١٦٨.

(٧٠) زيادة من عزام ١٧٠ يقتضيها السياق .

(٧١) في الاصل « استنصاراً » والتصحيح من عزام .

(٧٢) نصها في عزام ١٨٠ : « في الصدقة ان اراد الآخرة ، وفي مصانعة السلطان ان اراد المنزلة في الدنيا وفي النساء ان اراد خفض العيش » . وهذا النص اقرب الى نص الترجمة السريانية (ص 163) .

(٧٣) في الاصل : فحدّث .

(٧٤) فيعزام ١٨٦ : «مامه». وقد ذكر في«الغرة» ص ٣٦ انه بلوفنه ، وهو مناسماء الفرس.

(٧٥) في الاصل : ذو .

(٧٦) كذا في الاصل .

(٧٧) الطائر فنزه : اسمه في الغرة « فنزه » وهو في الترجمة السريانية الحديثة بنزه Pinzīh ، وفي الترجمة القديمة بيزوه، وفي الترجمة العبرية بيزه. واصل الكلمة فيالاصل السنسكريتي بوزاني . ووردت « قبّره » في الصادح والباغم وعند عزام . وقد ذكر عزام انه ابقاها على ما هي عليه على الرغم من الشواهد الكثيرة التي تؤيد انها « فنزه » وهي قريبة منالرسم العربي . (انظر عزام ٢٩٩ وترجمة فلكونر للسريانية الحديثة 297) .

(٧٨) في الاصل : كما ينبغي لنار الحطب . والتصحيح من عزام ٢٤٠ .

(٧٩) نص العبارة في عزام ٢٤٠ :« فاذا وجد علة استعر استعار النار». وقد طبقنا تصحيحنا على معناه .

(٨٠) في الاصل : قتل ابوك فرخي وفقت عين ابيك . والتصحيح من عزام ٢٤١ .

(٨١) في عزام ١٨٩ : إبلاد ، وفي الترجمة السريانية بيلار .

(٨٢) في عزام ايراخت وفي الترجمة السريانية ايلار . راجع تعليقات الترجمة السريـــانية (ص 305–302) .

(٨٣) في عزام ٢٧٥ : الشعهر . وفي طبعة طبارة الشغبر (عزام ٣٠١) وهو كما قال ، نقلا عن كتب اللغة، ضرب من بنات آوى. وقد استعمل صاحب الغرة «سفهر» في مواضع عدة.

(٨٤) في الاصل : « الملك ».

(٨٥) في الاصل : « الكلام » . وقد صححناها بما يتفق والسياق في ما ولي من الكلام .

النموّ الحضري السّريع في الدّول العربيّة
وما يتضمّنه من مشكلات اجتماعيّة واقتصاديّة ماديّة وادارّية

هيوبرت مورسنك*

الفصل الثاني
تاثير الهجرة في المناطق الحضرية

مقدمة

٢٩ – ان تيار الهجرة المستمر في المدن العربية وما نتج عنه من نمو سريع (اذا ما قورن بالنمو الطبيعي) لهذه المدن قد خلق مشكلات كثيرة مادية واقتصادية واجتماعية .

أ – **المادية** – قد يؤدي تيار الهجرة الى ارتفاع نسب السكان في اقسام متعددة من مناطق المدن الكبيرة حيث يميل الاشخاص من اصل ريفي او مجموعات من طبقة الاقلية الى الاستقرار فيها . هذه الظاهرة – الى جانب تغيرات اخرى في نظام استعمال الاراضي قد تحدث لاسباب متعددة – تساعد على تدهور المناطق المجاورة وبخاصة تلك التي كانت عرضة للانحطاط لقدم العهد بها .

ب – **الاقتصادية** – ان اقبال المهاجرين قد يلقي على كواهل المدن اعباءً

* راجع القسم الاول من الدراسة ، الابحاث ، عدد حزيران ١٩٦٥ ص ١٧٧ – ٢٠٠ .

اضافية لتوفير قدر من الرفـاهية والتثقيف والامن في الوقت الذي يكون اساس مواردها آخذاً في التقلص .

جـ - **الاجتماعية** - ان حالات عدم استقرار الامن، والضغط والضغط المضاد، تتمثل في ازدياد ملحوظ للمشاكل الاجتماعية. وبالاضافة الى ذلك فان المخاطر ضد الصحة وسوء التغذية والاجهاد الذهني قد تؤثر تأثيراً خطيراً في حياة الفرد وقدرتـه وانتاجه وفي بعض الاحيان في المجموعة كلّها .

د - هذه المشاكل المادية والاقتصادية والاجتماعية وآثارها المتباينة تؤدي الى زيادة تعقيد **المشاكل الادارية** للتخطيط والنمو الحضري .

٣٠ - يتناول هذا الفصل اهم هذه المشاكل في المدن العربية والبرامج الموضوعـة لمعالجتها واهم الحلول المقترحة لها .

ا - المرافق الاساسية والمواصلات

حركة المرور والنقل العام

ا - تصوير الحالة

٣١ - ان ازدحام حركة المرور لهو اكثر النتائج وضوحا للنمو السريع للمدن حتى في تلك المنـاطق الفقيرة المكونة من اكواخ رثة التي لا تذكر المرءَ بحدوث زيادة سريعة في عدد السكان في السنين الاخيرة .

٣٢ - ان مدينة بيروت بشوارعها الضيقة تظهر وكأن فيها عدداً كبيراً من السيارات . فتعطل السير كثير الوقوع ومضيعة للوقت . نعم لقد ادى نظام الشوارع ذات الاتجـاه الواحد للسير الى تخفيف حدة المشكلة بعض الشيء ، ولكن المشكلة الرئيسية للشوارع التي لم تكد مُعـدّة لسير السيارات بقيت كما هي . ففي لبنان في الفترة بين ١٩٥٣ و ١٩٥٩ زاد

عدد السيارات الخاصة المسجلة ثلاثة اضعاف تقريباً ومعظم هذه السيارات في مدينة بيروت ، تسعة اعشارهـا خصوصية والباقي سيارات عمومية وسيارات نقل البضائع والركاب . امـا سيارات الاجرة لنقل الركاب فعددها محدد بمعرفة السلطات. هذا وقد ازداد عدد السيارات الخصوصية لنقل البضائع والاشخاص وكذلك الدراجات البخارية والآلية . (١٤)

٣٣ – اما في عمان فان رسم المدينة ادى الى نشوء مشكلة نقل غريبة في نوعها . فاغلب التلال تصل اليهـا طرق تبدأ من وسط المدينة حيث ساحة الملك فيصل . وقد نتج عن ذلك انه حتى يتمكن الانسان من الانتقال من تل الى آخر يجب عليه ان يعود الى ساحة الملك فيصل ثم يتجه من جديد الى التل المقصود . وقد ادى هذا الاختناق في السير الى جعل وسط المدينة اعظم شأناً منه في اي مدينة عربية اخرى بالرغم من انه يوجد حاليا بعض الطرق الجانبية في بعض الجبال .

٣٤ – ان منطقة مركز الاعمال بالقاهرة تضاهي المراكز التجارية في كثير من العواصم الاخرى (١٥) ولذلك فان المشكلة الرئيسية هي تجنب تدهور هذه المنطقة الجميلة للتجارة والاعمال عن طريق الازدحام الذي ادى الى تدهور مدن عظيمة كثيرة .

ب – الاعتبارات الاساسية

٣٥ – اهم الامور التي من شأنها تحسين حركة السير وتسهيل النقل هي :

(١) التنسيق الفعـال بين مختلف انواع تحركات السير اي المركبات الكهربائية والسيارات الخـاصة وسيارات نقل الركاب والبضائع . ولا ريب في ان التنظيم الاداري والوظـائفي لخدمات النقل العـام الرئيسية والطريقة التي ترتبط هذه الخدمات بعضها ببعض ، لهُ من خطر الشأن ما لتوفير التسهيلات المادية كالطرق والجسور (الكباري)

الجديدة . ومن الامثلة التي تصور خطورة تدفق حركة السير، مدينة دمشق ، ففيهـــا مثلاً اكثر من ٤٥٠٠٠٠ راكب ينتقلون كلّ يوم بالحافلات الكهربائية على خمسة خطوط مختلفة . وبالاضافة الى ذلك يوجد اكثر من ١٢٠ سيارة خصوصية لنقل الركاب (اوتوبيس) تحمل حوالي ٢٠٠٠٠٠ راكب يوميا . والرسم المحصل من الركاب زهيد يبلغ عشرة قروش سورية. ونظام النقل الداخلي في بغداد من الدرجة الاولى . فخدمة النقل بسيارات نقل الركاب تديرها المديرية العامـــة لقسم نقل الركاب وتخدم المدينة وضواحيها ، بسيارات حديثة، جيدةالصيانة ومنظمة المواعيد . وقد كان لهذه المديريةسنة ١٩٥٧ سيّارات نقل على ثلاثين خطا يبلغ عددها ٣٢٦. ويوجد بالاضافة الى ذلك سيارات صغيرة ذات هياكل خشبية مصنوعة في ايران تستخدم لنقل الاشخاص والامتعة وحتى الحيوانات .

(٢) والضرورة الثانية هي ان يتذكر ذوو الحلّ والربط دائمـا الغرض الرئيسي لمختلف حركات السير قبل ان تؤخذ اي قرارات بشأن انشاء طرق جديدة او خطوط السكك الحديدية وبالتالي : من اين ينتقل الاشخاص وتنقل البضائع والى اين ؟

(٣) – يجب الا يقتصر نظام التخطيط على توفير مـا يلزم لمواجهة سيل دائم الزيادة من حركات السير المختلفة بل يستحسن تنظيم العلاقة بين مختلف نظم استعمال الاراضي للحد من الحاجة الى حركات السير .

٣٦ – ان انشاء طرق جديدة للنقل يشجع في حد ذاتـه على زيادة حركة المرور لاستعمالها ولكن هذه الحركة سواءً أعلى الطرق ام على السكك الحديدية كانت، هي عملية غير منتجة اذ تستهلك مقادير كبيرة من الوقود المكلف وأهم من ذلك ستؤدي الى ضياع مجموع هـائل من ساعات العمل او الترفيه في حياة كل شخص . ولا يمكن تحسين حركة السير ووسائل النقل تحسينا

مجديا الا بتكاليف باهظة لذلك فيجب ان يهدف كل مخطط بهذا الخصوص الى التنسيق بين اماكن السكن والعمل والترفيه والمناطق التجارية حتى يخفض الى ادنى حد تلك المسافات التي يجبر الناس على قطعها كل يوم من منازلهم الى عملهم او الى المحلات التجارية، او لاي غرض آخر .

٣٧ – لهذه الاسباب وغيرها فمن أهمّ الامور ان يعرف بالتفصيل عدد العمال في في كل نوع من انواع العمل الذين يجب اسكانهم في الاماكن السكنية المختلفة – الجديد منها والقديم – قبل البت في المقترحات المتعلقة بتحديد امكنة المناطق الرئيسية التي ستخصص للصناعة والتجارة والترفيه ومساحاتها. ويمكن القول بوجه عام ان الصناعة والسكن يميلان الى الانتقال خارج مركز المدينة الى اماكن انسب في ضواحيها ، وتلحق بحركة ابتعاد الصناعة والسكن عن وسط المدينة ، حركة اخرى مماثلة لمحلات البيع بالمفرق وللتجارة والاعمال عموماً .

٣٨ – يجب تشجيع هذه الاتجاهات الطبيعية لانها الطريقة الوحيدة للتخفيف من الازدحام والاختناق على مقربة من مركز المدينة، كما يجب تنسيق حركة الابتعاد هذه تنسيقاً يجعل المناطق الصناعية والتجارية على مسافة معقولة من جميع الضواحي السكنية الرئيسية. وبهذا تنخفض الىادنى حد ممكن حركة السير الزاخرة والمسافات الطويلة ، مجيئاً الى مركزاً المدينة وعودة منها كل يوم، مما يترتب عليه اقتصاد في الوقت والمال والمصاريف التي تصرف على اعمال البناء الكبيرة التي تحتاج اليها هذه الطرق والجسور.

ج – خطط العمل

٣٩ – يمكن الاخذ بنظام مراقبة حركة السير على اساس «معدل الفراغ المكاني» كالمتبع في انكلترا واميركا وغيرهما . فمع التزايد المستمر لعدد السيارات وما في حكمها لا شك ان استمرار هذا النوع من التطور المتزايد (كما حدث مؤخرا في بعض المدن مثل القاهرة وبيروت) سيؤثر تأثيرا كبيرا

في نظافة معظم مناطق العمل الهامة في هذه المدن ومرافقها ومنافعها .

٤٠ – امـا الخطة الثانية الضرورية فهي أن تُبعد السلطـات عن مركز المدينة ابعاداً متدرجاً جميع المباني والمنشآت التي يمكنها ان تؤدى وظيفتها تأدية معقولة بعيدة عن هذا المركز . ويجب ان يصطحب هذا العمل بناء مراكز تجارية محلية واقليمية يكون لهـا وظيفة مزدوجة في تخفيف الضغط عن المراكز الرئيسية مع ادخال نشاط جديد على أحياء اخرى من المدينة ، وزيادة التسهيلات لسكان المناطق السكنية البعيدة عن مركز المدينة .

٤١ – يوجد حاليـا في مدن مثل القاهرة وبيروت مشكلة مواقف السيارات ، ومرائبها ، وتدل الاستعمالات المختلفة للمناطق المركزية في هذه المدن ان المشكلة تزداد كبرا بكل تأكيد ، في الوقت الذي تزداد هذه المشكلة تعقيدا وكلفة مع كل تطور جديد لحركة البناء. لذلك يمكن رسم مخططات تفصيلية لتوفير اماكن لوقوف السيارات تضمن لمراكز الاعمال المشار اليها استمرار نفعها وازدهارها. ويجب اجبار كل مالك بناء خاص جديد – اذا اقتضى الحال – ان يخصص جزءا من الارض المحيطة بالبناء او طابق واحد واكثر ليستعمل كموقف للسيارات أو مرأب لها

٤٢ – ومع ذلك فليس في المستطاع تنفيذ المقترحات الكبيرة الخاصة بالنقل في المدن الرئيسية دفعة واحدة ولكن هذا لا يمنع من البدء حـالا في وضع برنامج يحقق التحسين بوسائل مختلفة لا تقتضي عمليات بناءّ على نطـاق واسع . من هذه الوسائل تطبيق نظام الاتجاه الواحد في بعض الشوارع، وتزويد الشوارع بمواقع مبينة يلجـأ اليهـا المشاة واشارات ضوئية ودوّارات ، ومنع مرور السيارات في بعض الى الشوارع والتقليل من المنعطفات المؤدية الى الشوارع الرئيسية وغيرها من الاجراءات المشابهة التي اذا درست ونسقت بعناية تؤدي الى تحسين حركة السير تحسنا ملموسا

وخاصة في المناطق المركزية . ومن وسائل تخفيف عوائق السير توسيع بعض الشوارع على مسافات قصيرة نسبيا .

٤٣ – من المشاكل الرئيسية المتعلقة بحركة السير في بعض المدن العربية ، كثرة استعمال الدواب لعمليات النقل وكذلك عادة تسيير قوافل من الجمال ودواب الحمل وقطعان من الخراف والماعز عبر شوارع المدينة. ان حركة سير الحيوانات مهمة حالياً وستظل هكذا زمنا ما. لذلك يجب عمل بعض الدروب على جوانب الشوارع تخصص لسير هذه الحيوانات اينما سمحت الظروف بذلك ، بالاضافة الى مراقبة عدد الحيوانات واتجاه حركة السير بواسطة تحديد تنظيم الجهات المقصودة : مثل المسالخ والاسواق المختلفة . ويمكن ايضا وضع الاسواق الخاصة بالحيوانات وامكنة التجمع بقرب المداخل الرئيسية للمدن بغية استبعاد الحاجة الى تسيير الحيوانات داخل المناطق المبنية .

٤٤ – ومن اهم مصادر اختناق حركة السير في كل مكان ، عملية تحميل البضائع وتفريغها على ارصفة الشوارع . لذلك فان جميع المشاريع الجديدة للبناء التي ستتعرض لمشاكل التعامل بالبضائع ينبغي أن يفرض عليها توفير طرق جانبية لتحميل البضائع وتفريغها .

الميـــاه

ا – المصادر المتوفرة

٤٥ – تزداد بسرعة حاجة المدن العربية الى الميـاه اللازمة للصناعة والاستعمال المنزلي والبلدي . وحيث تشح موارد المياه تضطر المدن الى جلب الميـاه من امكنة بعيدة او اقامة منشآت مكلفة . فالمدن العربية تواجه في سبيل تلبية حاجاتها المتزايدة، اوضاعا مختلفة فيما يتعلق بمصادر المياه المتوفرة لديها . ففي بعض المدن يتدفق الماء بغزارة وفي البعض الاخر تعدّ شحة

المياه من اصعب مشاكل التطور وتتطلب من الحكومة العمل السريع .

٤٦ – ان الماء في عمان مشكلة رئيسية . فقد أُخذت مقادير اضافية من مكان يقع على بعد ١٢ ميلا من العاصمة يعرف باسم وادي السير ، تبلغ ٣٠٠ متر مكعب في الساعة وتصل الى المدينة في انابيب . تختلف هذه المقادير اختلافا كبيرا بين الصيف والشتاء وفي سنة الجفاف يفضي هذا التباين في مقدار الماء الى مشكلات خطيرة للغاية . وباستثناء المياه المأخوذة من وادي السير فان كل مصادر المياه تقع في المدينة نفسها وتعالج مياه الشرب بمادة الكلور . وقد استهلكت المدينة خلال عام ١٩٥٧ ثلاثة ملايين من الامتار المكعبة .

٤٧ – تزداد مشكلة المياه تعقيدا بسبب العدد الكبير من اللاجئين الذين يعيشون في الخيام او في اكواخ مما يجعل الصحة العامة عرضة للخطر .

٤٨ – اما في القدس فان تاريخ المنبع الرئيسي للماء يرجع الى العصور القديمة . كانت المياه تخزن في آبار فردية تسيل فيها في الفصول الممطرة وتحفظ للسنة كلها . وقد كانت هذه العملية ذات شأن في حالة حصار المدينة وفي سني الجفاف. وغني عن القول ان هذا النظام معيب خصوصا فيما يتعلق بتوريد المياه العذبة النقية .

٤٩ – وبالعكس فان دمشق في مركز ممتاز فيما يتعلق بتزويدها بالمياه التي لا تكاد تنضب، من بردى وروافده، ورسوم استهلاك المياه فيها منخفضة نسبيا .

٥٠ – اما بغداد فان نظام تزويدها بالمياه يلبي الحاجة ويفيض . فمن شهر تموز الى كانون الاول – الاشهر الجافة – يتدفق من نهر الدجلة ٥٥٩ متر مكعب في الثانية ، ويمكن مقارنة هذا الرقم بالكمية التي تبلغ ذروتها في الربيع اذ يتدفق من النهر المذكور ٢٥٧٢ متر مكعب .

ب – نظم التوزيع وتكلفته [١٧]

٥١ – تتنوع نظم التوزيع من احدثها الى نظم تعجز الذاكرة عن تذكر مدى قدمها ، كما يتضح ذلك من الحالات الاتية :

٥٢ – جميع مدن العراق مزودة بنظم حديثة لتوزيع المياه . تستخدم بغداد نظام ضخ المياه الى خزانات الترسيب ثم الى مرشحات رملية . بعد عملية الترشيح تعالج المياه بالكلور وترفع الى خزانات مرتفعة مائجة . وتكفي المياه المخزنة لتزويد ١٥ جالون للشحن في اليوم الواحد . هذا وتسمح المخططات بزيادة قدرها ٥ر١٪ في السنة للخمس وعشرين السنة القادمة .

٥٣ – تتوقف تكلفة استهلاك المياه على المستهلك نفسه بحسب كمية الاستهلاك . يدفع المستهلك الكبير من ١٠ – ٥٠ فلساً للمتر المكعب ، اما المستهلك الصغير فيدفع فئة ثابتة في الشهر تتراوح بين ١٠٠–٢٠٠ فلس .

٥٤ – اما في حلب – بسوريا – فيوجد نظام جديد لتوزيع المياه متصل بنهر الفرات . وهو مستقل ماليا عن الميزانية ويعتبر نظاما ملائما ومأمونا. وتبلغ رسوم استهلاك المياه ٢٥ غرشا للمتر المكعب لمن يستهلك اقل من عشرة امتار . اما الذين يستهلكون اكثر من عشرة امتار فالرسوم ٣٠ غرشا للعشرة امتار الاولى ثم ٣٥ غرشا للمتر المكعب حتى ١٠٠ متر و ٤٠ غرشا للمتر المكعب ، لما فوق المائة متر . وتدفع مكاتب الحكومة رسما خاصا يتفاوت بين ٣٠–٤٠ غرشا . اما الجيش والكنائس والمعابد والمساجد فتدفع ٢٠ غرشا فقط. وارخص ما يكون عليه استهلاك المياه هو في الحمامات العمومية التي لا تدفع سوى ١٥ غرشا فقط .

٥٥ – وفي عمان زوّد ثلثا المنشآت الدائمة بالمياه عن طريق المضخات في عام ١٩٥٢، واكبر فئة تلي المنشآت الدائمة هي فئة الاشخاص الذين يتزودون بالماء من جيرانهم او، كما هي الحال في كثير من المدن العربية، عن طريق

انابيب عامة مزودة بحنفيات او صنابير متوفرة في الشوارع للذين لا تصل المياه المضخوخة الى منازلهم .

٥٦ – وفي عام ١٩٦٠ زادت النسبة المئوية للوحدات السكنية الدائمة التي تصلها المياه المضخوخة الى ٧٠٪ . ولا يزال ١٢٪ من السكان يشترون الماء على ابواب منازلهم واما البقية فتتزود بالماء من الانابيب العامة . هذا ولا يمكن للمرافق ان تساير نمو السكان دون توفير مصدر جديد للمياه .

٥٧ – ولا تزال بعض المدن في الاقاليم الداخلية في بعض الدول العربية ، تعاني عدم وجود انظمة ملائمة لتوزيع الماء. فمثلا [١٨] حساتكة (Hassetche) بالرغم من كونها عاصمة الجزيرة كانت لا تزال في عام ١٩٥٥ تعتمد على المياه المأخوذة رأسا من نهر الخابور والموزعة بواسطة عربات جر في الشوارع .

ب – الحاجة الى العمل

٥٨ – لما كانت الحاجة الى الماء كبيرة فالاموال المرصدة لتزويد المدن بالمياه يجب توخي الاقتصاد في صرفها. ففي الحالات التي تشح فيها المياه يمكن مثلا ضخها الى عدد محدود من الصنابير العامة ومنها يأخذ السكان حاجتهم من الماء للاستعمال المنزلي .

٥٩ – ان الواجب الرئيسي الواقع على عاتق السلطات العامة في هذا الميدان هو ان تساعد المدن وبخاصة تلك التي تنمو نمواً سريعاً في الحصول على مقادير وافية من الماء للاستعمال المنزلي والصناعي والعام .

المجاري

(ا) وصف الحالة [١٩]

٦٠ – ان المشكلة الوثيقة الاتصال بتوريد المياه هي مشكلة المجاري لان تصريف

الاوساخ الناتجة عن الاستعمال البشري والصناعي تتطلب الاحتفاظ بسيل كاف من المياه لجرف الاوساخ وتسهيل عمليات التخلص منها منعا لانتشار الاوبئة .

٦١ – ان وجود المجاري امر هام وبخاصة من ناحية الصحة العامة . وقد حلت البلاد العربية هذه المشكلة حلولاً متفاوتة الدرجات كما هو موضح في الحالات الاتية :

٦٢ – لمدينة بيروت نظام للمجاري أنشىء بالتدرج الطبيعي . ففي بعض انحاء المدينة تختلط مصارف مياه الامطار مع المجاري وتوجد في انحاء اخرى مصارف مستقلة لمياه الامطار . وثمة احياء قليلة من المدينة بدون نظام للمجاري اطلاقا مما يشكل بالطبع خطرا على الصحة العامة فيها . ان مجاري مياه الامطار لا تكفي وبخاصة في جزء من الموسم الممطر عندما يكون تدفق الماء عند ذروته ويفيض قليلا في الشوارع . وتجري الان تكملة المخططات لانشاء نظام جديد للمجاري سيمتد الى ضواحي المدينة . وفي الوقت الحالي تصب المجاري في البحر مما يؤدي الى تلوث المياه القريبة من المدينة . كما ان النقص في امدادات كافية للمياه يسبب العدوى في بعض ايام من السنة وذلك لان أنابيب الماء ممدودة الى جوار انابيب المجاري فعندما ينقطع الماء يخلق ذلك فراغا يؤدي الى امتصاص انابيب الماء للشوائب الملوثة خلال شقوق فيها لا يمكن تفاديها في كل نظم المياه في العالم.

٦٣ – اما بغداد فليس فيها نظام للمجاري الا في جزء صغير من المدينة. والحاجة ماسة الى انشاء نظام للمجاري لان مستوى المياه الجوفية في ارتفاع مما يزيد من حدة هذه الضرورة . ففي عام ١٩٤٧ قدرت شركة انكليزية تكاليف انشاء نظام المجاري بمبلغ ٤ر٦٠٠ر٠٠٠ دينار عراقي للضفة الشرقية وبمبلغ ٤ر٣٠٠ر٠٠٠ دينار عراقي للضفة الغربية. وقد تم التعاقد على انشاء نظام جديد وهو الان قيد التنفيذ .

٦٤ – ليس لعمان نظام للمجاري الا في مناطق قليلة حيث توجد مصارف لمياه الامطار .

٦٥ – مازالت القدس تستعمل نظام المجاري الذي اقـــامه الرومان في المدينة القديمة وهو عبارة عن خنادق تحت الارض كبيرة الاتساع. وقد تم توصيلها الان بالنظام الجديد للمدينة الذي يفرغ ميـاهه في وادي سلوان جنوب المدينة القديمة .

٦٦ – يوجد في دمشق نظام ملائم للمجاري يخدم ٩٠٪ من المدينة ويفرغ مياهه في الصحراء . ولا شك ان هذا تقدم كبير لو قورن بالحالة في عام ١٩٥٥ حيث ورد في تقرير ُوضع في ذلك الوقت : « يتم تفريـغ المجـاري في نهر بردى الذي تستعمل مياهه لا للري فحسب بل وللشرب ايضا » (٢٠) .

٦٧ – امتد نظام المجـاري في حلب الى المدينة كلها . وتبدأ خطوطهـا في حي الحج وتصب في نهر الكويك . ويستعمل الفلاحون هذه الميـاه الوسخة كسماد لحقولهم .

(ب) – التخطيط

٦٨ – فيما يتعلق بمستلزمات التخطيط المتصلة بتوريد المياه والمجاري فقد انتهت لجنة الخبراء لمنظمة الصحة العالمية، فيما انتهت اليه، الى الآتي : –

(١) « متى خصصت منطقة نامية لأغراض السكن بكثافات منخفضة او معتدلة فيمكن تحقيق وفر كبير في رأس المال المستثمر لانشاء نظم المجاري وتوريد المياه اذا صممت هذه النظم تصميماً يتسع للاستخدام الصناعي ولاغراض اخرى كثيرة غير سكنية يمكن ان تنشأ في هذه المناطق في وقت ما في المستقبل او على مقربة منها .

(٢) وفي المناطق التي ينتظر ان تستهلك مقادير كبيرة من الماء لاستعمالات

لا علاقة لها بحاجات السكان مباشرة تجب مراعاة وجهي الاستعمال عند تخطيط نظم المجاري وتوريد المياه .

(٣) ولما كان مدى استهلاك الصناعات للمياه يختلف كثيرا من صناعة لاخرى كما يختلف مقدار المتخلفات و طبيعتها فقد يصبح ضرورياً في بعض الاحيان تحديد الصناعات التي تستهلك مقادير كبيرة من الماء مثل انتاج الورق وصناعة الفولاذ او الغاؤها .

(٤) ان اختيار مواقع احياء السكن المجاورة او المناطق الصغيرة يجب أن يُراعى فيه أن لا يحدّ من جدوى مصارف مياه الامطار وبخاصة التي تسقط في اثناء العواصف الممطرة الا اذا امكن تزويدها بمصارف بديلة بكلفة قليلة [٢١] .

الكهربــــاء [٢٢]

٦٩ — ان الكهرباء في معظم البلاد العربية كثيرة التكاليف ولا تورد بكميات ملائمة الا للاستهلاك العام والاستهلاك المنزلي . وتضطر مصانع كثيرة الى تأمين حاجتها من الكهرباء بواسطة مولدات ديزل خاصة بها .

٧٠ — فقوة الكهرباء في دمشق غير كافية ولذلك فان معظم الصناعات (من الطراز الغربي) تقوم بتوليد حاجتها من الكهرباء. وتتفاوت رسوم الاستهلاك من ١٥ الى ١٧ غرشا للكيلوات ساعة لكن كبار المستهلكين يدفعون فئات اقل من صغار المستهلكين . وكان مجمل الرسم المحصّل في عام ١٩٥٣ هو ١٣٫٦ غرشا للكيلوات ساعة .

٧١ — يولد ثلث القوة الكهربائية بواسطة محطات توليد مائية كهربائية والباقي عن طريق مولدات الديزل . وتحتاج دمشق اليوم وفي نموها في المستقبل الى زيادة محسوسة في القوة المولدة للكهرباء . هذا وان رسوم الاستهلاك الحالية غير مشجعة للمستهلكين من اصحاب المصانع .

٧٢ – وفي حلب، بدأ تشييد محطة بخارية لتوليد الكهرباء بقوة تقدّر بـ٥٠٠ر١٢ كيلو فولت امبير وسيؤدي هذا الى رفع القدرة الاجمالية الى ٥٠٠ر٢٧ كيلو فولت امبير مقابل حاجة الاستهلاك لعام ١٩٦٠ المقدرة بـ٩٠٠ر٤٢ كيلو فولت امبير. ان كلفة التوليد المقارنة في حلب ودمشق تبلغ ٥٥ر٥ غرش و ٢٥ر٧غرش على التوالي لكل كيلوات ساعة . هذا وقد اوصت البعثة المرسلة من قبل المصرف الدولي للتعمير والانماء IBRD، بزيادة قدرة التوليد على مرحلتين اضافيتين، فالمرحلة الثانية بزيادة٥٠٠ر١٢ كيلوفولت امبير والثالثة بزيادة ٢٥٠ر٦ كيلو فولت امبير بتكلفة اجمالية قدرها تسع ملايين ليرة سورية .

٧٣ – وفي بغداد وصلت الكهرباء الى نصف عدد المنازل تقريبا . لذلك فقد اتخذت بعض الخطوات الضرورية لتأمين رفع القوة الكهربائية المولدة في العراق[٢٣] من٠٠٠ر٤٣٠ كيلوات في عام ١٩٦١ الى ٠٠٠ر٦٤٠ كيلوات في عام ١٩٦٦ وذلك في القطاع العام فقط . وتمثل هذه الزيادة حوالي ٥٩٪ . واذا اخذنا بعين الاعتبار الزيادة المنتظرة في بقية القطاعات اي قطاع شركات النفط التي تعمل في العراق والقطاع الخاص فان مجموع زيادة الكهرباء المولدة سيرتفع الى ٠٠٠ر٧١٩ كيلوات اي بنسبة ٩٧٪ .

٧٤ – أما في بعض المدن الاخرى فثمة نقص كبير في القوة الكهربائية نتيجة لسوء تخطيط نظام الكهرباء . وقد لا توجد في بعض الاحيان قوة احتياطية من الكهرباء وينتج عن ذلك اشكال في مواجهة الحمولات القصوى او زيادة اضافية على بعض الحمولات مما يجعل الكهرباء التي تولّد باشراف المجلس البلدي بالغة من الكلفة مبلغا يغري المصانع بتوليد الكهرباء الخاصة بهم . وينتج عن ذلك ان الحمولة القصوى تخصص للاضاءة ولا يقابلها استهلاك كهربائي اثناء النهار للمصانع حتى يحدث التوازن وتخفض تكاليف وحدة الانتاج .

٧٥ – ان العمل المجدي لمعالجة هذا النقص يتطلب تقدير القوة اللازمة والتكلفة المترتبة على ذلك لمواجهة حاجات الفئات المختلفة من المستهلكين ، الخاصة والعامة، والصناعات. والاعتبارات التي يجب ان يعمل حسابها لجعل هذه التقديرات متصلة اتصالا وثيقا بمسائل التطور الصناعي والتطور الشامل للمدن ، عرضنا لها فيما يلي وفي الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(ب) النواحي الاقتصادية

٧٦ – ان عدم تناسب معدلات التوظيف والعمل بالنسبة الى السكان الموجودين عموما له شأنه والخطير في مناطق المدن الكبيرة التي يعتريها نمو سريع . فبسبب توافد اعداد كبيرة من الشبان الى المراكز الحضرية الكبيرة بحثا عن العمل ، تميل نسبة السكان في مجموعات هؤلاء الشباب الذين يعملون عملاً مربحاً (يرتزقون) في هذه المراكز، نحو الارتفاع ارتفاعاً متبايناً. وبالرغم من ان نسبة البطالة في مناطق المدن الكبيرة قد تكون اعلى من المتوسط فان نسبة سكانها المستخدمين في اعمال مربحة اكبر كذلك من النسب الموجودة في المناطق الحضرية الصغيرة والمناطق الريفية. وفي الوقت ذاته، فان حجم القوى العاملة ومميزاتها وقدرتها الانتاجية في المناطق الحضرية الصغيرة والريفية تكون محدودة، مما يؤدي الى انخفاض نسبة الدخل للفرد بل وفي بعض الحالات القصوى الى اعتماد – يفوق المتوسط – على الاعانات العامة والخاصة. وينتج عن ذلك ان دخل الفرد في مناطق المدن الكبيرة اكبر من اي مكان اخر وهذه الحقيقة تفعل فعل مغناطيس في تشجيع زيادة الهجرة اليها [٢٤] .

٧٧ – اما ان يكون المهاجر القادم حديثا الى المدينة قد أصبح بغير عمل فواقعة لا تثبت انه انتقل من فئة « اصحاب الأعمال المربحة » الى فئة العاطلين عن العمل. فمن المحتمل جدا انه لو بقي في منطقته الريفية لاصبح من فئة « البطالة الخفية » او فئة « سوء التوظيف ». وفي هذه الحالة فان الهجرة

الى المدينة لم تفعل اكثر من تحويل مشكلة قائمة ورفع ستار الخفية عنها. هذا بالاضافة الى ان احتياج المهاجر الى شراء غذائه في المدينة ، اي أن انتقاله من اقتصاد الريف الى اقتصاد قائم على استعمال النقد يشعره بمشكلته شعوراً اقوى .

٧٨ – من الاهمية القصوى للسياسات او البرامج الحضرية الخاصة بالمرافق الاساسية والاسكان والخدمات ، تقسيم سكان المدن – وخاصة المهاجرين منهم – بحسب الدخل لامكان تحديد اي التسهيلات يمكن لاشخاص من كل فئة ان ينفقوا عليها وللتحقق من عدد كل فئة .

٧٩ – وقد وضعت دراسات ممتازة ومفصلة عن ميزانيات العائلات في فئات مختلفة من السكان (وخاصة الذين يعيشون في الاحيـاء الفقيرة في اكواخ رثة) في مدن المغرب والجزائر وتونس والجمهورية العربية المتحدة والعراق . ولا شك ان هـذه الدراسات لا تعدو ان تكون بداية لرسم المخططـات وخاصة فيما يتعلق بالاسكان المنخفض التكاليف .

٨٠ – وتزودنا هذه الدراسات نفسها ببيانات عن مستويات المعيشة ونماذج للتغذية والاستهلاك بين فئات مختلفة من سكان المدينة .

٨١ – وهنالك طريقة اخرى لتحديد الفئات الاقتصادية المختلفة بين السكان وهي دراسة معدلات الاجور . فقد لوحظ في بغداد مثلا خلال الدارسة التي قامت بها جماعة المصرف الدولي ان معدلات الاجور تتباين من ٢٠٠ الى ٢٥٠ فلس في اليوم للعامل العرضي اي ٧٥ دينـاراً في السنة ولكنه لوحظ ايضا حالات من سوء التوظيف وما يترتب عليها من اجر مخفض يقل عن ٥٠ دينـاراً في السنة . ومن جهة اخرى فالعمال الفنيون مثـل السباكين والكهربائيين يندر وجودهم ويحصلون على اجور مرتفعة نسبيا لدرجة ان العامل على الآلة يستطيع ان يحصل على دينار او اكثر في اليوم الواحد . وكانت نقطة الارتكاز الاخرى تتناول الخدمة المدنية، فاقل

اجر للرجل المتزوج الذي له ولد واحد ، هو ١٣ ديناراً عراقياً في الشهر.

٨٢ – ان الفرص الاقتصادية وظروف العمل في المدن هي من اهم العوامل التي تؤثر في تعود المهاجرين حياة الاستقرار في المدينة . وعلى اثر استقصاء اجري في بيروت [٢٥] تبين ان ٧٦٪ من المأجورين راضون عن أعمالهم والخمس الباقي غير راضٍ عنها . كما اتضح ان ٤١٪ من الفئة الاولى راضون عن عملهم لاسباب اقتصادية بينما الربع الباقي من هذه الفئة يتطلعون الى رفع اجورهم عن طريق زيادة التدريب. اما السبب الرئيسي لعدم الرضى عن الوظائف فيرجع الى اسباب اقتصادية .

٨٣ – ان الغالبية الكبرى (٨٠٪) من سكان بيروت الذين تم سؤالهم ابدوا الرغبة في العمل في المدينة بينما وجدت نسبة بسيطة منهم (٣٪) تريد الرجوع الى العمل في الريف. ولا شك ان لجاذبية المدينة دورا رئيسيا في هذا التفضيل كما هو الحال في جميع مدن العالم .

٨٤ – اتضح ايضا من الاستقصاء نفسه ان الميل الى تغيير الوظيفة محدود. فاكثر من ٨٠٪ من الموظفين استمروا في وظائفهم منذ خمس سنوات او اكثر كما ان اكثر من ٤٠٪ لم يشغلوا اية وظيفة اخرى من قبل .

٨٥ – من اكبر التحديات – ان لم يكن اكبرها – التي تواجه البلاد العربية مسألة توفير فرص اقتصادية للعدد المتزايد من السكان بما في ذلك اولئك الذين تركزوا في المدن . ولما كان حل هذه المشكلة هو اساسا جزءً من سياسة التنمية القومية ، فلذلك سنناقشها في الفصل الرابع من هذه الدراسة .

ج – النواحي الاجتماعية :

الاسكان

ا) الوضع الراهن [٢٦]

٨٦ – ادت سرعة تزايد سكان البلاد العربية الى زيادة في بناء المساكن .

٨٧ – ففي العراق ، دلّ عدد رخص البناء الممنوحة في لواء (محافظة) بغداد على اتجاه عــام نحو الصعود . ففي عام ١٩٥٤ منحت ٢٥٣٠ رخصة بناء وارتفعت عام ١٩٥٧ الى ٤٥٩٥ رخصة وفي عام ١٩٦٠ ارتفع المجموع الى ٦٥٦٣ رخصة . واذا مـــا اضفنا الى ذلك رخص ادخال الاصلاحات والتجديدات فيكون المجموع ٧٩٧٣ ، ٦٧٦٠، ٩٦٢١ على التوالي. وتمثل هذه الارقــام اكثر من ١/٣ عدد رخص البناء في العراق كله، مما يوضح ما للمدن الرئيسية في العالم العربي من الشأن العظيم .

٨٨ – وفي عمان ، وصل عدد المباني الى ٤٣٣ بناء جديدا سنة ١٩٥٤ ثم ارتفع الى ٤٨٦ في سنة ١٩٥٥ الى ان استقر في سنة ١٩٦٠ على مستوى ٣٣١ بناء . ومما يسترعي الانتباه ان جميع المباني شيدت بالاسمنت او الاسمنت المخلوط بالحصى (الأبرق) مقابل المباني الطينية او من الطين المخلوط بالحصى التي شيدت في انحاء اخرى من البلاد . وقد وصلت حركة البناء في عمان الى ٥٤٪ من المباني الحديثة التي شيدت في الاردن كلة في سنة ١٩٥٤ والى ٤٩٪ من مباني سنة ١٩٥٥ ولكنها انخفضت في عام ١٩٦٠ الى ١١٪ . وبالرغم من ان عدد الوحدات السكنية المبنية في المدينة حتى عام ١٩٦٠ قد ازدادت ازدياداً سريعاً حتى وصلت الى ٣٤ر٣٧٠ فان ازمة المساكن ما زالت منتشرة فيها .

ب) الازدحام والاحياء الفقيرة

٨٩ – ان انظمة البناء في المدن المـأخوذة من انظمة بلاد اوروبا الغربية تفرض عادة مواصفات تجعل تكلفة الاسكان مرتفعة اكثر مـا تسمح به وسائل غالبية الشعب . وقد كان نتيجة ذلك بالنسبة للطبقات الفقيرة اما ان تستقر في الاحياء القديمة للمدينة حيث السكن رديء ومزدحم، واما ان تنتقل الى خارج حدود المدينة حيث اعمال البناء غير مقيدة بنظام معين. وبذلك كثرت بسرعة الاحياء الريفية الفقيرة المحرومة الخدمات الجماعية

كما ظهرت بصورة ملموسة احوال النصب في فرض الاجور واشكال اخرى من الاستغلال .

٩٠ - وهكذا فان عملية المسح الاجتماعي لعمان تكشف عن ان الوحدات السكنية في هذه المدينة صغيرة لدرجة غير اعتيادية بمعدل حجرتين لكل عائلة ، هذا فيما عدا المخيمات . كما ان معدل عدد الاشخاص في الحجرة الواحدة يبلغ ٢ر٣ ، ويسكن ثلاثة ارباع السكان في وحدات سكنية مكونة من حجرة او اثنتين لكل عائلة. اما نسبة الاسكان الملائم في المدينة فلا يتعدى ٦٪ للمساكن التي تحوي خمس غرف او اكثر [٢٧] .

ج) البرامج [٢٨]

٩١ - بدأت حكومات الدول العربية تساعد بمجهودات ومصروفات كبيرة على مواجهة النقص في الاسكان الحضري . ففي المغرب بنيت حوالي ٠٠٠ر٤٠ وحدة خلال عام ١٩٥٠ . وفي الجزائر ينتظر بحسب مخطط مدينة قسطنطينة ان تشيد ٠٠٠ر٢٠٠ وحدة، اما في القاهرة فبعد خبرة ملموسة في مجال المشروعات الصغيرة في عام ١٩٥٠ خصّص في برنامج السنوات الخمس الحالي ١٣٠ مليون دولار اميركي لانشاء ٠٠٠ر٢٠ وحدة يحوي اكثر من نصفها على اكثر من حجرة واحدة ، وبهذا ينتظر ان يزداد عدد المساكن العائلية الى اكثر من ٠٠٠ر١٠٠ وحدة خلال هذه الفترة. وفي العراق قامت وزارة الشؤون الاجتماعية ببناء ٥٠٠ر٨ مسكن خلال الفترة بين ١٩٥٠ – ١٩٦٠ وتقوم الآن وزارة الاسكان بتهيئة ٠٠٠ر١٠ مسكن آخر لبيعها الى اصحاب المرتبات الثابتة من موظفي الحكومة والى الاشخاص الآخرين القادرين على دفع ثمنها على فترة سنوات . اما الطبقة المتوسطة في العراق فقد منحت تسهيلات سكنية بواسطة توفير قطع ارض من الاملاك العامة باسعار مخفضة وقروض مؤمنة برهونات منخفضة الفائدة بينما ابتدأت حركة ازالة الاحياء الفقيرة في بغداد، ذلك

بمنح ٢٥٫٠٠٠ قطعة ارض مجانا وجميع التسهيلات اللازمة لسكان الصريفة الراغبين في اعادة بناءمساكنهم في « مدينة الثورة » . أما المغرب وتونس فقد رؤي ان احسن الطرق الاقتصادية لمعالجة هذه المشكلة ان تأخذ الحكومة على عاتقها عمليات التخطيط وتوفير الخدمات الاساسية تاركة عمليات البناءالفعلية لسكانها في المستقبل وبشرط ان تتوافر لديهم النصيحة الفنية وطريقة الحصول على مواد البناء باسعار رخيصة والحصول على اعتمادات بشروط هينة والالتزام بمراعاة القيود المفروضة .

٩٢ — ومع ذلك فلم تحاول بعض المدن العربية محاولةجدية معالجة مشكلة الاحياء الفقيرة . ومن المستحسن في هذه الحالات ان يعاد توجيه برامج الاسكان نحو اعادة اسكان الاشخاص الذين تجمعوا في الاحياء الفقيرة القديمة للمدن. ويمكن ان تأخذ هذه البرامح شكل منح الاراضي اللازمة للبناء بشروط معقولة مع السماح لهؤلاء الاشخاص ان يقوموا ببناء مساكنهم وفقا لمواصفات معتمدة . كما يمكن تقديم المساعدة لهم على شكل المواد اللازمة وبعض عناصر البناء على أن يشترك هؤلاءالاشخاص في تنفيذ معظم الاعمال المطلوبة . امـــا عن انواع المساكن المطلوب بناؤها فيمكن دراستها في مراكز ابحاث خاصة بالتعمير . كما يستلزم الامر اصدار تشريعات اضافية لتمكين البلديات من الحصول على المساحات اللازمة لهذا الغرض ، باسعار معقولة حتى لا ترتفع اسعـار هذه الاراضي الى ثلاثة اضعاف ثمنها لمجرد احتمال نزع ملكيتها .

د) الاسكان بتكاليف منخفضة .

٩٣ — لما كانت مشكلة اسكان العمال ذوي الاجور المنخفضة مشكلة عالمية منذ حقبة طويلة من الزمن فقد تجمعت معلومات كثيرة بهذا الخصوص كما ان هنالك موافقة عامة على الطرق اللازم اتباعهـا لمعالجـة هذه المشكلة . للوصول الى حل موفق للمشكلة التي ثارت بسبب الظروف القائمة في اي

بلد بالذات ، يجب اتباع مراحل معينة من التحري تليهـا مراحل اخرى محددة من تصميم الانتاج وتنظيمه . وهذه المراحل هي : [٢٩]

(١) تحديد الحاجة الى المساكن من حيث :
- العدد
- الموقع

(٢) تصميم المساكن من حيث :
- الحجم
- تخطيط الحجَر وما اليها
- الصحة والراحة

(٣) تخطيط للمدينة من حيث :
- تحديد مواقع البناء
- تخطيط هذه المواقع
- العلاقة مع المجتمع المدني الكبير وتوفير التسهيلات الجماعية .

(٤) عملية البناء من حيث :
- المصادر المتوفرة للمواد واليد العاملة
- اختيار المواد والنظم
- رقابة حسن الاختيار
- مراقبة التكاليف

(٥) الادارة من حيث :
- صيانة المباني والخدمات
- العوامل الانسانية

(٦) التمويل :
– قصير المدة لمعالجة المشكلة الحالية .
– لسياسة طويلة المدى

ه) الاهداف المستقبلة

٩٤ – بالاضافة الى مشكلة الاسكان الحالية توجد حاجة مستمرة الى معالجة قدم المساكن والزيادة في عدد السكان . ويمكن بحق افتراض ان هذه الاخيرة ستزداد خطر شأن بتحسين الخدمات الصحيةولا سيما اذا وضع حد للنسبة المرتفعة من الوفيات بين الاطفال .

٩٥ – توجد حاليا في القاهرة حاجة ملحة الى عدد ضخم من المساكن [٣٠] ولا يقل العدد المطلوب عن٢٥٠٠٠٠ مسكنوقد تسفر الابحاثالتفصيلية عن الحاجة الى عدد اكبر من المساكن اذ دلت الابحاث الحالية على ان الكثافات السكنية التي تتراوح بين ٥٠٠و١٠٠٠شخص للفدان(ايكر) ليست بظاهرة غريبة(ان العدد الأقصى الموصى به في مخطط مدينة لندن هو ٢٠٠ شخص للفدان ومثل هذه الكثافات اعتبرت استثنائية) . يقيم ثلثا السكان تقريبا في ثلث مسطّح مدينة القاهرة. وهذا الجزء من المدينة في حالة عامة سيئة .

٩٦ – بالنظر الى هذه الحقائق فان برامج الاسكان في البلاد العربية للسنين القليلة القادمة يجب ان يكون لها ثلاثة اهداف رئيسية . اولا – يجب زيادة عدد المساكن زيادة ملموسة . ثانيا – يجب تحسين اساليب البناء التقنية وتشجيع الاعتماد على النفس . كما يجب – عن طريق التشريع او بطريق آخر – تمكين اصحاب الدخول المنخفضة من تملك الاراضي اللازمة للبناء باسعار تبعد عن كل مضاربة. والهدف الثالث يجب ان يكونوضع مخطط حكومي مناسب لزمنه ، بل والى حد معقول تمويل عمليات الاسكانفي المناطق التي تنمو بسرعة وتزداد كثافة سكانها ازدياداً سريعاً .

٩٧ – ان الحد الادنى لاجور العمال شديد الانخفاض ويبدو واضحا انه بمثل هذا الاجر لا يمكن تزويد العمال حتى بالحد الادني لمستوى المساكن الوافية وحسب وتأجيرها باجرة في استطاعة شاغليها أن يدفعوها. ومعنى هذا ان التمويل الخاص وحده استبعد من ميدان توفير المساكن لذوي الدخل المنخفض. ويستتبع ذلك حتما ان العبء المالي الاساسي يقع على عاتق الحكومة، اما الحكومة المركزية وحدها، واما باشتراك السلطات المحلية معها.

و) الترتيبات الادارية

٩٨ – تصبح الطرق العادية قليلة الفائدة في معالجة مشكلة اسكان تبلغ هذا المبلغ من الضخامة. انما الامر يحتاج الى منظمة خاصة لديها الموارد المالية الملائمة والسلطات اللازمة لشراء الارض والمباني ومزودة بعدد كبير من المستخدمين ذوي خبرة فنية واسعة تحت قيادة قوية وشجاعة. وبحسب الدور الذي تريد الحكومة ان تلعبه في مجـــال الاسكان، يمكن تحديد مهمة وكالة مستقلة مؤسسة لهذا الغرض على الوجه الآتي :

(١) تخطيط وتنسيق العمل في مجال الاسكان والمستقرات.
ويجب ان يكون هذا التخطيط على مستويين :

– على نطاق وطني واقليمي مع مراعاة ميول السكان والتداخل بين التطور الاقتصادي والتوزيع الجغرافي للسكان.

– على نطاق محلي اكثر تفصيلا متناولا مشاريع المستقرات الخاصة.

(٢) تزويد البلديات بالمعونة الفنية في ميدان الاسكان وميادين التخطيط الحضري المتصلة به.

٩٩ – فيما يتعلق ببرامج بناء المساكن للمدن الرئيسية، يمكن ان يعهد بهـا الى مصالح بلدية للاسكان مدعمة تدعيما كافيـــا. مع الانتبـاه الى ان

برامج الاسكان متصلة اتصالا وثيقا ببرامج البناء الاخرى وبتوفير الخدمات العامة وبالتخطيط العام وتطور المدينة . لذلك يجب عند اعداد برنامج للاسكان ان يعمل حساب الاعتبارات المتعلقة بالميادين الاخرى .

النظافة والصحة العامة

١٠٠ – من بين المستلزمات الرئيسية لتحسين الأحوال الصحية في المدن ، تزويد كل مسكن بامدادات وافية من الماء وبنظام فعال للمجاري وبالوعات للمياه السطحية في كل انحاء المدينة ونظام لتصريف القاذورات والمتخلفات يشتمل على طريقة مجدية لجمعها وتصريفها وبرنامج واسع لتمهيد الشوارع لتسهيل عمليات الكنس والتنظيف .

١٠١ – ان مثل هذه الخدمات العامة ضرورية على وجه الاطلاق للمعيشة الحضرية والنمو الحضري ، وبالفعل فان مستلزمات نظام المجاري مثلا قد يفرض على المناطق الحضرية شكلها ومدى توسعها النهائي .

١٠٢ – وفي هذا الصدد فقد عرفت بعد الحقائق عن المدن العربية من نتائج التعدادات . ففي عمان مثلاً (٣١) حيث عمل في عام ١٩٦٠ تعداد تفصيلي للمساكن ، نجد ان هذا التعداد يدل على ان ثلث المساكن لها حمامات خاصة منفصلة (ورد تعريفها « مكان مستقل لغسل الشخص ») ، وان حوالي ثلاثة ارباع المساكن مزودة بمطابخ مستقلة (ورد تعريفها « مكان مستقل مستعمل للطهي ») . وأن الربع الباقي من السكان يؤدي جميع وظائف المعيشة الاساسية في حجرة واحدة .

١٠٣ – اما المراحيض فان ٤٠٪ منها داخل المسكن وهي مزودة بسيفون . لكن في النشرة المخصصة للتعداد ادخل المستشارون الفنيون في عمان المراحيض العربية – التي لا تتدفق فيها المياه بوسيلة تقنية آلية – في فئة « المراحيض الاخرى » بالرغم من انها تعادل المراحيض من النوع الاول . كما ان

النشرة لم توضح المقصود بكلمة « اخرى » ولعلّ المقصود بها هو استعمال الحقول لهذا الغرض . وعلى كل فان ١٧٪ من مراحيض عمان تدخل في الفئة « الاخرى » .

١٠٤ – ان اكثر من ٩٠٪ من افراد المساكن العائلية تستعمل مراحيض خاصة على الأكثر وفي قليل من الحالات مشتركة (٢٪) . وعلى كل مهما تباينت المستويات بين جالسي القرفصاء فوق حفرة و المنازل المزودة بالمراحيض الحديثة فإن النقص الدائم في الماء يجعل من عملية تدفق الماة في السيفون مشكلة . حتى احسن الفنادق قد تمكث اياما بغير ماء . لكن الجمعية الدولية للانماء منحت الاردن حديثا مليوني دولار لتحسين نظام توريد المياه في عمان .

١٠٥ – لما كان من غير الممكن في الدول العربية او غيرها امداد جميع المساكن والمباني الاخرى في المدن السريعة النمو، بنظام الحمامات او المراحيض لعدة سنين مقبلة ، فمن المناسب ان يوضع للمستقبل القريب برنامج اوسع من الصنابير والحمامات والمغاطس العامة [٣٢] . وهذه العادة متبعة منذ زمن طويل في البلاد العربية حيث توجد هذه التسهيلات بجانب الجوامع كما ان الحمامات العامة انشئت في البلاد العربية قبل ان تعرفها بلاد اوروبا الغربية . فيجب وضع الصنابير الحديثة والمغاطس المنظمة المراقبة للرجال وللسيدات ، على مسافات متكررة في المناطق التي لا تصل فيها المياه الجارية الى المساكن الخاصة . ولا شك ان هذه الخدمات تحتاج الى تنظيم واشراف دقيقين .

١٠٦ – كما ان الرقابة اللازمة على امكنة حفظ المواشي والسير بها وبيعها في الاسواق وذبحها في المناطق الحضرية تساعد كثيرا على تحسين الأحوال الصحية في المدن الكبيرة .

١٠٧ – واخيرا فانه توجد مشكلة صحية عامة متصلة بالنمو السريع للمدن وهي

ان المهاجرين من المناطق الريفية معرضون لاوبئة جديدة عند اتصالهم بجموع الحضريين لاول مرةفي حياتهم كما ان المهاجرين انفسهم يساعدون على انتشار هذه الامراض كالبلهارزيا والفيلاريا الى الاحياء التي لم تعرف هذه الامراض من قبل (٣٣) . وحيثما وجدت هذه الظروف فانها تتطلب من السلطات العامة اتخاد اجراءات وقائية خاصة .

الخدمات الاجتماعية

١٠٨ - ان المشاكل الاجتماعية الناتجة عن النمو الحضري -في جميع الدول العربية- تلقي حملا ثقيلا على القائمين بانواع الخدمات الاجتماعية كافة. ويساعد على حل هذه المشكلة الى حد كبير الحاجة الى تطوير الخدمات الجماعية التي تهدف الى الرفاهية المادية والتكامل الاجتماعي بواسطة تحسين احوال المعيشة والعلاقات الاجتماعية وذلك بمساعدة الشعب نفسه .

١٠٩ - وقد ناقشت الدول العربية المشاكل المشتركة المتصلة مباشرة او بطريق غير مباشر بهذا الميدان في الحلقات الدراسية التي نظمتها دائرة الانعاش الاجتماعي التابعة للامم المتحدة . واهتمت احدى هذه الحلقات اهتماما خاصا بالمشاكل المتصلة بالمناطق الحضرية واوصت فيما اوصت به ، بما يلي :

(١) تأسيس خدمات اجتماعيه معينة لبعض فئات العمال .

(٢) تنفيذ مشروعات التصنيع وفق سياسة مرسومة بواسطة اتخاذ بعض الاجراءات بما في ذلك اصدار تشريعات الهجرة وتنظيمها .

(٣) توجيه اهتمام خاص الى العناية بصحة العمال : وذلك باتخاذ تدابير معينة بما في ذلك اصدار التشريعات ومحاوله رفع مستوى الاجور (٣٤) . وفي حدود الموارد المتوفرة يجب ان تكون البرامج والوكالات او الهيئات - الخاصة منها والعامة - مجهزة تجهيزا كافيا

لمعالجة مشاكل التوافق الاجتماعي مع الحياة الجديدة وهي سمة من سمات النمو الحضري السريع . والمشكلة الرئيسية في هذه الحالة هي كيفية مواجهة المشاكل الانسانية التي تنشأ في هذه الأحوال ، وفي الوقت نفسه استعمال الموارد المحدودة لخلق توازن مناسب بين ما ينفق على الاستثمارات الاقتصادية وما ينفق على الخدمات الاجتماعية . ولتحقيق ذلك يجب تصميم (٣٥) برامج للتطور تهدف الى :

(١) تدعيم الخدمات الاجتماعية القائمة .

(٢) مساعدة المهاجرين الوافدين وعائلاتهم على اندماجهم في الحياة الحضرية .

(٣) تهيئة المدينة لاستقبال تيار المهاجرين الدائم التزايد القادمين من المناطق الريفية والمدن الصغيرة والا سيضطر هؤلاء الى البحث عن مأوى لهم في الاحياء الفقيرة ومدن الأكواخ الرثة .

التربية

١١٠ – ان المشاكل الناجمة عن النمو الحضري السريع والتي تواجهها المدن في ميدان التعليم تنقسم الى فئتين .

(١) مشكلة توفير التسهيلات التربوية لعدد كبير متزايد من الاشخاص من جميع الاعمار .

(٢) مشكلة توافق مدلول التربية مع :

– احتياجات التنمية للمدن وللامة ككل .

– المميزات الخاصة للمهاجرين الوافدين .

١١١ – من السهل تحديد مقدار الحاجة الى التسهيلات التربوية مادام القائمون على

الأمر يعرفون مجموع اعداد سكان المدينة المستمر الازدياد ، وكذلك توزيعهم من حيث الجنس والسن . وتبين الدراسات الحسابية — التي اجريت بالطريقة المذكورة — المجهودات الجبارة اللازمة لمواجهة حاجات هؤلاء السكان . كما تبين الدراسات التي استطلعت مدى تقدم الدول العربية خلال السنين الاخيرة ، النتائج المدهشة التي وصلت اليها في سبيل مواجهة هذه الحاجات .

١١٢ — وبالفعل[٣٦] فقد انتشرت التربية في فتره عشر سنوات انتشاراً أدى الى مضاعفة عدد المقيدين في جميع المستويات — للبنين والبنات — بالرغم من وجود بعض التفاوت بين الفئتين في بلاد معينة . ان ارقام القيد تضاعفت في كثير من الاحوال كل سنتين خلال العشرين السنة الماضية متخطية بذلك معدل ازدياد السكان الوطنيين . وقد بلغ القيد في بعض البلاد ١٠٪ من من مجموع عدد سكانها ، وتقل النسبة في المغرب العربي (المغرب ، الجزائر ، تونس) . وتنخفض كثيرا في المملكة السعودية والسودان واليمن .

١١٣ — في بعض البلاد النامية ، ادى النقص في التسهيلات اللازمة لاستيعاب موجة التلاميذ ، الى الضغط الشديد على هيئة التدريس والمعدات المادية . ويتضح ذلك في فقرة من تصريح عن احدى المدن العربية الرئيسية : « ان المدرسة الابتدائية الحضرية النموذجية لا تقبل الا تلاميذ الجنس الواحد وتتسع الصفوف لعدد يتراوح بين ٣٠—٦٠ تلميذاً ويقل هذا العدد في الصفوف العليا عما هو متوقع . مدة الدراسة ست سنوات . والصفوف في اغلب الاحيان مزدحمة فيجلس ثلاثة اطفال على مكتب مخصص لاثنين . وتجري الدراسة فيها على نوبتين . وتضطر بعض المدارس الى تقسيم العمل على فترتين احداهما في الصباح والثانية بعد الظهر . اما ترتيبات الاضاءة والنظافة ففي حالة يرثى لها والاثاثات رديئة الصنع وتفتقر الى الصيانة[٣٧] .

١١٤ — وهناك مشكلة رئيسية ثانية ألا وهي الحاجة الى الملاءمة بين مدلول التربية وحاجات التنمية الاقتصادية للامة وخاصة في المدن التي تتركز فيها نسبة كبيرة من سكان البلد وبالتالي يصبح من السهل الوصول اليهم . وفي هذا الصدد يبدو أن توجيه الاهتمام الكامل الى التدريب المهني امر لا غنى عنه .

ويمكن تلخيص حالة التدريب المهني في الدول العربية بالآتي :[٣٨]

(ا) التدريب الطويل المدة

باستثناء الجمهورية العربية المتحدة وسوريا، يبدو ان التدريب المهني الطويل المدة المنظم للشبان في الدول العربية يقتصر على التعليم المهني المقترن في بعض الاحيان بفترات قصيرة نسبيا وغير منسقة تنسيقا كاملاً من التدريب العملي والاختبارات العملية . يميل التعليم المهني — باستثناء الدولتين المذكورتين — الى الاخذ بالشكل التقليدي للتعليم دون اية اصول موضوعة، واهمال التعليم النظري المتصل به الذي يؤمن الاعداد الكامل للعمل

(ب) التدريب القصير المدة

وضعت بعض الدول العربية في السنين الاخيرة برامج سريعة للتدريب (المغرب، تونس، لبنان ، السودان ، سوريا ، والجمهورية العربية المتحدة) . اما المملكة العربية السعودية والعراق فمزمعتان على وضع برامج تدريب سريعة، وفي ليبيا ما زال الامر تحت الدراسة . وقد كان الاهتمام حتى الان موجهاً نحو التدريب في المهن الصناعية .

(ج) التدريب للترفيع

في الدول العربية جميعاً اتجاه نحو تدريب العمال لأجل ترفيعهم وهو يأخذ عادة شكل الدروس المسائية، وفي بعض البلاد مثل السودان

والجمهورية العربية المتحدة ولبنان تنظم دروس نهارية لهذا الضرب من التدريب

١١٥ – قد يكون من المفيد في تهيئة المهاجر لحياة المدينة والانتفاع الكامل بمقدرته الانتاجية ، أن توضع بين مختلف فئات التربية والتدريب (العام والمهني) برامج تعليمية تتفق مع الخبرة السابقة للمهاجر ومستقبل عمله ودوره في المدينة . وترتبط هذه المسألة ارتباطاً وثيقاً بالاعتبارات التي نوقشت في القسم الخاص بتنمية المجتمع المحلي وقسم الخدمات الاجتماعية من هذه الدراسة .

الترفيه

١١٦ – توجد في معظم المدن العربية[٣٩] وسائل ترفيه من النوعين الغربي والشرقي . فالطبقة الفقيرة ترفه عن نفسها بطرق تختلف بحسب جنس الشخص . فالمقاهي منتشرة في جميع انحاء المدن حيث يجلس الرجال حول قدح من القهوة يتسامرون ويتحدثون . ومن المناظر المألوفة لعبة النرد (الطاولة) فالرجال من جميع الطبقات يجيدون لعبها ويعشقونها لدرجة انهم يقضون ساعات باسرها في اللعب دون ملل . وحتى بعض نساء الطبقات الراقية يلعبون هذه اللعبة . ومن العادات الاخرى المنتشرة تدخين النارجيلة (الارجيلة) فالرجال يصطحبون معهم « الفم » الخاص بهم الى المقاهي حيث يطلبون الارجيلة ويدخنون بها وكأنهم يشربون قدحاً من القهوة . اما المناقشات السياسية او الاستماع الى نغمات الموسيقى او نشرات الاخبار المنبعثة من مذياع المقهى فهي امور مألوفة بينهم .

١١٧ – والتنزه سيراً على الاقدام هو صورة اخرى من صور الترفيه . ففي الامسيات اللطيفة وفي ايام الجمعة او الاحاد يخرج الآلاف للتنزه . ويبدو ان هذه الرياضة هي الوسيلة الرئيسية لرياضة الجسم .

١١٨ – امـا بالنسبة للعائلات فان تبادل الزيارات وخاصة بين الاقارب، طريقة منتشرة للترفيـه ، وهي تتفـاوت بين زيارات رسمية قصيرة وزيارات ترفيهية تستغرق اليوم بكامله . واخيرا فان وسائل الترفيه التجارية متوفرة للذين تسمح لهم وسائلهم المالية باستخدامها .

١١٩ – ان ميل السكان الى التنزه مقترناً – في معظم الاوقات – بالجو الجـاف والحار السائد في الدول العربية يجعل من وجود الحدائق والمنتزهـات ضرورة لا غنى عنها. ولكن نظرا للمناخ السائد في هذه المنطقة من العالم فمن المستحيـل الاستمرار في زراعـة مساحـات كبيرة متزايدة من السندس الاخضر واحواض الزهور وسقيها ومع ذلك فـان الحاجة الى هذه الحدائق العامة ملحة في الوقت الحاضر وسوف تزداد الحاجة اليها في المستقبل . ولاسباب اقتصـادية وعملية ولتشجيـع التقـاليد الثقافية للدول العربية فمن المستحسن اتبـاع صورة منقحة حديثة من الحدائق العامة والمتنزهـات التاريخية في عهد الاسلام والتي يكثر وجودهـا من العراق الى اسبانيا بدلا من تقليد التصميمات الاوروبية التي ستكون حتما اقل جودة بسبب اختلاف المناخ .

١٢٠ – تضم المدارس التربوية كذلك العاباً رياضية وغيرها ولكن هذه النشاطات لا يمكن ممـارستها الاحيث توجد مساحات ملائمـة وقريبة من المناطق السكنية .

١٢١ – بالنظر ان مشكلة الترفيه ككل نجدها مشكلة غاية في التعقيد . فيجب اولا ان نفرق بين الترفيه الايجابي والترفيه السلبي (مثلا الرياضة والتنزه « ايجابي » او حضور الحفلات السينمائية « سلبي »). والخطوة الثانية في تحليل انواع الترفيه المطلوبـة هي تقسيم السكان بحسب اعمـارهم واجناسهم . والخطوة الثالثة هي تحديد انواع الترفيه التي تحتاج اليها كل مجموعة من هذه المجموعات . وايضا ، يجب تحديد فحوى الترفيه بالنسبة

لكل نوع من انواع الترفيه ثم الربط ربطاً وثيقاً بينها وبين الاهداف التربوية والاجتماعية التي تهدف اليها السلطات القائمة بتنظيم هذه التسهيلات الترفيهية . واذن فكل سياسة تهدف الى اقامة وسائل ترفيه مناسبة في المدن يجب ان تدخل في حسابها الاعتبارات الواردة في هذه الدراسة في الفقرات الخاصة بالتربية والخدمات الاجتماعية وتنمية المجتمع الحضري .

تنمية المجتمع المحلي

١٢٢ — لمعظم الدول العربية برامج لتنمية المجتمع الريفي المحلي [٤٠] . وقد شرع بعضها في تطبيق مشاريع لتنمية المجتمع في المناطق الريفية أو في دراستها

١٢٣ — ان المبادىء العامة لتنمية المجتمع المحلي متشابهة في اطارها الحضري والريفي . ومع ذلك فان المشاكل الخاصة بكل منها مختلفة وتتطلب — في بعض المجالات — موظفين مختلفين .

١٢٤ — يمكن تطبيق مشروع لتنمية المجتمع الحضري المحلي في منطقة او حيّ من احياء المدينة او مدينة للعمال او في حدود برنامج لتطهير الاحياء الفقيرة. وتتطلب هذه الحالة الاخيرة تعاونا وثيقا من جميع المختصين بمشاكل الاسكان ، والتخطيط الحضري والخدمات الاجتماعية والصحة والتربية الرسمية او غير الرسمية. كما يمكن تطبيق مشروع لتنمية المجتمع الحضري في نطاق النشاطات المهنية كالجمعيات التعاونية ونقابات العمال او منظمات اصحاب الحرف اليدوية، وبالمقابل يستطيع المشروع مساعدة النشاطات المذكورة . وهذا يقتضي التعاون من جانب القائمين بتنظيم صناعات جديدة وبخاصة فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية . وفي جميع الاحوال يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار السياسة القومية الاجتماعية والاقتصادية في هذه الميادين والحصول على معاونة البلديات . [٤١]

١٢٥ – واذن فان الاهداف الاساسية لتنمية المجتمع الحضري المحلي قد تتكون من بعض العناصر التالية :

(١) تشجيع التعاضد الاجتماعي او الشعور بالمشاركة الجماعية في المناطق الحضرية غير المتجانسة .

(٢) تشجيع الأشتراك المنظم للمواطنين مع السلطات المحلية .

(٢) تشجيع النشاط الجماعي المنظم على اساس الاعتماد على النفس وتبادل المساعدة .

(٤) بث مبادىء الكرامة المدنية وشعور الاعتزاز بتبعية الشخص للمدينة .

(٥) تدريب الافراد واعدادهم لزعامة حمل المسؤولية الاجتماعية .

(٦) تشجيع بث الرفاهية الاقتصادية في الاقيام الضعيفة من المجتمع عن طريق تنمية الكفاءات والخدمات والنشاط الجماعي .

(٧) تغيير طرق المعيشة التي لا تلائم الحياة الحضرية الحديثة .

١٢٦ -- لكن تنمية المجتمع المحلي لا يغني – باي حال – عن التغيرات الأساسية الواجب ادخالها على مستوى المعيشة والفرص الاقتصادية والاسكان وتطهير الاحياء الفقيرة والتحسينات الاخرى مثل التخطيط الحضري والريفي الخ .. ولا بد من جهود قومية واسعة لتحقيق كل ذلك. لذلك فان برامج تنمية المجتمع المحلي مقصورة على المناطق التي يوجد فيها فرص تتيح الاعتماد على النفس مع حد ادنى من المساعدة خارجية [٤٢] .

١٢٧ – اعترافا بالحاجة الى الكشف عن نواحي الطاقة على تنمية المجتمع الحضري المحلي، اوصت بعثة المصرف الدولي للتعمير والانماء حكومة سوريا ببرنامج تجريبي يهدف الى تأسيس – خلال مدة ست سنوات – حوالي ثمانية

او عشرة مراكز لتنمية المجتمع المحلي تتركز فيه النشاطات الطوعية للجماعة. وعلى هذه المراكز ان تقدم التسهيلات اللازمة للقراء والاستماع الى المذياع ولعقد للاجتماعات، وان تنظم دروساً لتربية الشبـــاب وحتى الحمامات العامة اذا اقتضى الامر .

١٢٨ – كما اوصت البعثة المذكورة ان يكون مقر اجتماعات المجتمع المحلي – بقدر الامكان – على طراز المباني التقليدية للمدارس ، واوصت كذلك بان تبنى المدارس الجديدة بحيث يمكن استعمال المبنى لاغراض مختلفة فيصلح للاطفال نهاراً والبالغين مساء ويمكن وضع هذه المراكز في عهدة معلمين مختارين بعد تدريبهم هناك في مجال الاعمال الاجتماعية (٤٣) .

١٢٩ – تم في المملكة السعودية عرض مخطط ميزانيـــة لخمسة مشاريع لتنمية المجتمع الحضري المحلي . وقد ورد في كل مشروع ضرورة قيـــام مجلس الضاحية بالتعاون الوثيق مع فرقة من فرق تنمية المجتمع الحضري المحلي لاجل :

(١) تحديد اسماء العـــاجزين والمتقدمين في السن من اعضاء المجتمع المحلي والذين في حاجة الى مساعدة .

(٢) تطبيق برامج للتدريب المهني للاطفال والبالغين .

(٣) تدبير المواد للمساكن الرخيصة . هذه المواد يجب ان تصنع محليا .

(٤) تشجيع العمال على شراء المساكن عن طريق منحهم قروضاً لآجال طويلة .

(٥) تشجيع تأسيس جمعيات تعاونية ، واندية وصناعـــات صغيرة من اجل معالجة بعض مشاكل المجتمع المحلي .

(٦) تأليف لجنة تكون مهمتها صيانة الشوارع والميادين الخ ..

(٧) وضع خطة توظيف للانتفاع بفائض القوة العاملة وتنفيذها

(٨) (تنفيذ برنامج تعليمي لمحو الامية في المجتمع المحلي .

١٣٠ – ان اختيار المناطق التي تنفذ فيها مشاريع تنمية المجتمع الحضري المحلي قد اسس على القواعد الآتية :

(١) يجب الا يزيد عدد السكان عن ٢٠٠٠٠

(٢) يجب ان تكون المنطقة مفتقرة الى الخدمات العامة الاساسية.

(٣) يجب ان يكون المجتمع المحلي متحداً ومتكاتفاً وان تكون المشاكل العائلية والجماعية لافراد هذا المجتمع أقل ما يمكن أن تكون

(٤) يجب ان تتوافر زعامة اجتماعية ملائمة لهذا المجتمع المحلي .

١٣١ – ان قيمة الزعامة الاجتماعية الملائمة لمجتمع محلي وما لها شأن؟ والمساعدة المناسبة من جانب البلديات في مثل هذه المشاريع تنعكس بوضوح في تقرير عن خطة لاعادة الاسكان في ليبيا :

« لوحظ ان المستقر في غاية النظافة وخال من القاذورات وقد لوحظ الشيء نفسه في الاحياء الفقيرة التي بالرغم من انخفاض مستوى مساكنها فان الممرات المؤدية اليها تحفظ بحالة نظيفة ومرتبة ٠ عهد في ادارة المستقر الى البلدية وعين «شيخ» ليكون رئيساً للمجتمع المحلي. وخصصت البلدية رجلين -- يتقاضيان اجورهما من البلدية – لتنظيف الطرقات وترميمها وللاعتناء بالمراحيض العامة. ان الاجرة المفروضة اجرة اسمية عبارة عن عشرة قروش في الشهر لكل منزل. ومن الطبيعي ان تتكاثر الطلبات على هذه المنازل وان تشغل حالا فور اتمام بنائها (٤٤) .

د – التخطيط المادي

البناء المادي

١٣٢ – ان البناء المادي الحالي للمدن يظهر اختلافات واسعة بينها . فمواد البناء

متنوعة من الاسمنت المسلح لمباني بيروت المرتفعة الى الحجر في دمشق الى القوالب الرملية في بغداد . فبيروت تبنى بالارتفاع وبغداد بالاتساع . ان المدن العربية مجهزة تجهيزا حسنا بالتسهيلات الحديثة فيما عدا التدفئة – وهي غير ضرورية بسبب المناخ – ونظام المجاري، وقد لوحظ نقص المياه في بيروت وعمان والقدس. وقد ازداد عدد السكان ازدياداً متفاقماً (متفجراً) في الاحياء ذات المباني القديمة التي لا يحدث فيها تغيير ملحوظ فأدى الازدياد الى زوال الاحياء القديمة للمدن تدريجيا، وسنة بعد سنة، في كل من عمان وبغداد ودمشق وحلب وبيروت. ولا يزال الاستثمار المفضل في معظم المدن هو البناء ونسبة تشييد المباني مرتفعة ارتفاعا خياليا .

التنمية الحقيقية

١٣٣ – اعترفت معظم الدول العربية بان التخطيط المنظم للتنمية في المستقبل لبلد ما ولمدنه اصبح من العوامل الخطيرة في تقدم السكان وازدهارهم وصحتهم .

١٣٤ – كان معظم التخطيط الحضري في الدول العربية حتى الخمس السنوات الاخيرة تقريبا على مستوى محلي . ففي الجمهورية العربية المتحدة مثلا كان اساس كل تخطيط حضري مبنيّا على قانون التنظيم وقانون نزع الملكية الذي ادخل الى البلد لاول مرة في سنة ١٨٨١ ، ويعتبر قانون التقسيم الذي ادخل في سنة ١٩٤٠ اول محاولة لتنظيم التخطيط في المناطق السكنية للمدن .

١٣٥ – بالرغم من المظهر الخلاب الذي تبدو به الاحياء الجديدة في عدة مدن فانها لم تخطط تخطيطا لائقا . فقد صممت الطرق ودورات المرور وفقا لنماذج هندسية مدروسة دون اعارة الانتباه الى وظائفها او الى خلق مناطق سكنية متكاملة تشتمل على مساكن ملائمة لمختلف مجموعات

اصحاب الدخل وتزويد المنطقة بالمدارس والدكاكين والمستشفيات او العيادات. كما اهملت فئة كثيرة من المدن الكبيرة، ما لتحديد مناطق الاحياء والضواحي من الشأن الكبير. ففي الواقع جاء نمو المدن متقطعا بدلا من ان يكون منسقا ونظاميا وفي بعض الاحوال قدم الاهتمام بالتزيين على المفيد. فدورات المرور مثلا تكون في بعض الاحيان غير ضرورية بل وتشكل احيانا خطرا على الامن. واحيانا اخرى شقت الطرق او وسعت بقساوة وسط منطقة مبنية دون تفكير في العواقب المترتبة على ذلك، ويمكن برؤية بواقي المباني التي بُترت بعض اجزائها بتراً غريب الزوايا.

المخططــــات

١٣٦ – ان المدن التي لديها مخططات ملائمة لا تزال قليلة. ففي سوريا تعتبر دمشق صاحبة خبرة طويلة في هذا المضمار وتطور المدينة الحديثة في نواح متعددة يثير الدهشة ويشهد بفائدة التخطيط. ومن الامور الجديرة بالذكر انه في السنين الاخيرة اعيد تعمير الجزء الغربي من المدينة بما في ذلك المدخل الغربي لدمشق. وزودت بشوارع متسعة ونقلت المدابغ من المدينة القديمة الى منطقة صناعية خاصة خارج حدود المدينة. لكن لمخطط مدينة دمشق عيب واحد مشترك مع المدن الاخرى، اذ انه لم يراع فيه انشاء مساكن داخل حدود المدينة لاصحاب الدخول القليلة.

١٣٧ – بين مدن سوريا التي تلي المدن الكبيرة يمكن القول ان لمدينة اللاذقية احسن مخطط اذ انه اخذ بعين الاعتبار ليس فقط اصلاح المدينة القديمة بل وايضا تنمية الضواحي لتكون صالحة لمجتمعها المحلي. وتوجد مخططات لبضع مدن اخرى مثل دير الزور وحماه وحمص ولكن معظم هذه المخططات تهدف اساسا الى تحسين المواصلات.

عيوب المخططات

١٣٨ – بصفة عامة اهتمت معظم المخططات في الدول العربية اهتماما مبالغا

بمستلزمات النقـــل ولم توجه اهتمامها الكافي نحو تحسين احوال المعيشة الحضرية . فيجب الاعتنـاء بمسألة تحديد المنـــاطق للاسكان والصناعة والحوانيت والاسواق، وكذلك بالعلاقة بين مركز السكن ومركز العمل وتحديد مواقع الحدائق والمدارس والمستشفيات والابنية العامة الاخرى بطريقة يسهل معها للمجتمع المحلي الذي خصصت لخدمته الوصول اليها . وفي المدن الكبيرة يجب الاهتمام بتخطيط حياة جماعية للمراكز المجاورة والتي يمكن في حدود معينة ان تكفي بذاتها وتساعد بالتالي على تخفيف الضغط عن المدينة .

١٣٩ – وقد لوحظ عملا ان تفصيلات مهمة عديدة للتنمية – مثل المراكز المدنية والاسواق وما شابهها – اما انها لم تبيّن في المخططات الاساسية واما انها كانت مخالفة للمخططات الموضوعة . ويحدث في بعض الاحيان ان يطرأ تغيير على المشاريع المخططة او التي بدأ بناؤها او تتوقف فجأة .

١٤٠ – وفي كثير من الاحيان نجد ايضاً في الوقت الحاضر ان المعلومات المتاحة عن انواع العمل ومواقعه ومداه الان وفي المستقبل ناقصة فلا يمكن التقدم بمقترحات تخطيطية مفصلة عن تحديد مواقع للصناعة والاسكان .

١٤١ – وفي حالات اخرى يعالج كل مشروع للاسكان وكأنه مشروع مستقل وبينما يعمل المستطاع بالنسبة لكل حالة على حدة فليس ثمة تنسيق بينها وبين المخطط الطويل المدى للناحية بكاملها .

مراحل التخطيط المادي [٤٥]

١٤٢ – يستحسن غالبا ان يكون للتخطيط المادي للمدينة عدة مراحـــل من التخطيط. اما المرحلة الاولى فوضع مخطط مختصر شامل لمدة في المستقبل طويلة نسبيا ، ويجب ان يكون هـذا المخطط مؤسسا على مخططـــات اقتصادية او تخطيطـــات تنبؤية للمستقبل ، وديموغرافية لمناطق المدن

الكبيرة . ويجب ان يوجد الى جانب المخطط بيان موضح عن الاهداف ويتضمن السياسة المتصلة بتحقيق هذه الاهداف . واخيرا يجب ان يوضح في المخطط مسطحات الارض اللازمة للاغراض السكنية والنشاطات المتصلة بها وكذلك النظم الرئيسية للنقل التي ستعمم في المستقبل .

١٤٣ – اما المرحلة الثانية فيجب ان يوضع مخطط عام اكثر وضوحا لتلك الاجزاء من المدن الهامة التي يقصد تنميتها (تعميرها) في خلال فترة قصيرة من الزمن ولتكن عشر سنوات . وفي هذه المرحلة يمكن وضع تفصيلات اكثر عن استعمال الارض بما في ذلك التسهيلات الجماعية مثل الحدائق ، والملاعب والمدارس والمكتبات والمستشفيات والمراكز الصحية . كما يجب ان يرافق هذا التخطيط برنامج لاستثمار رأس المال يوضح الموارد المحتملة للاستثمار العام اللازم . هذه المخططات العامة وبرامج الاستثمار المرفقة بها يجب ان تراجع مراجعة دورية على ضوء تغير الاحوال .

١٤٤ – يحتاج الامر الى مخططات اكثر تفصيلا لتكملة المخططات العامة . على ان تشمل مخططات لتقسيمات المناطق او الضواحي ومخططات المواقع التي قد تكون ايضا مخططات تجديد حضرية . واخيرا يستلزم الامر ايضا مخططات اكثر تفصيلا للطرق العامة والتسهيلات والخدمات .

تحديد المناطق

١٤٥ – ان وضع هذه المخططات المفصّلة يقتضي توجيه العناية الى مسائل تحديد المناطق وتنمية مناطق المدن او المناطق المجاورة لها .

١٤٦ – لكل من الفئات المختلفة لاستعمال الاراضي في المدن الهامة مواقع مخصصة ومستلزمات تختص بالاماكن المختلفة يجب تحقيقها اذا اريد القيام بمختلف الوظائف المدنية قياماً فعّالا لا يستتبع عرقلة القيام بوظائف اخرى .

١٤٧ – فالصناعات مثلا يجب ان تجد امكنة ملائمة مستوية فيها مساحة كافية لاعمالها الانتاجية . والى جانب المكان اللازم لتوريدات العمال

يجب ان تكون الصناعـــات قادرة على تجميـــع المواد الخام او التي لم يستكمل صنعها لتتمكن من السير في عملها ونقل منتجاتها باقصر وقت واقل تكاليف ممكنة . ويجب ان يضمن لها مرافق كافية ومستمرّة . وكذلك الحال بالنسبة للتجارة بالجملة وبالقطعة فيجب ان يتمكن اهلها من الحصول على امكنة ملائمة وقريبة من اسواقهم . امـــا التسهيلات الجماعية كمراكز الصحة والمستشفيات ومعاهد التعليم والحدائق والملاعب وكذلك الخدمات مثل قوات الامن والمطافىء فيجب ان تكون في مواقع قريبة من الناس والمناطق التي خصصت لخدمتهم .

١٤٨ — اما فيما يتعلق بسوريا فقد اوصت بعثة المصرف الدولي للتعمير والانماء ، بما يلي :

« ان تأسيس مصانع جديدة ونقل المصانع الموجودة من المناطق الحضرية المزدحمة قد يسهل تحقيقه عن طريق خلق مناطق صنـاعية على حدود المدن الكبيرة . ومن المستحسن تنمية عدد من هذه المناطق في امكنة ملائمة للعمال الذين يقطنون المدينة والقـــادمين من الريف على السواء . ويكفي عادة تزويدهم بالارض والمنافع العامة في هذه المناطق بشروط معقولة . ولاجتذاب الاعمال الصغيرة نقترح ان ينشأ في منطقة واحدة على الاقل ، مجموعات صغيرة من المباني تخصص لورشهم وتعرض عليهـــم للايجار او البيع . وهذا الامر لن يشجع نقل المصانع اليدوية والاعمال الصغيرة من مركز المدينة وحسب بل وسيشجع ايضـــا على استثمارات جديدة لشراء معدات حديثة . وجدير بالذكر ان نقـل المدابغ من وسط دمشق الى منطقه صناعية خاصة ادى الى تركيب عدد كبير من الالات الحديثة » .

المنـــاطق

١٤٩ — في كل من المدن الكبيرة في الدول العربية مناطق لها ميزاتها الخـــاصة

محددة وواضحة حيث تكون الاحيــاء على درجة عالية من التماسك الاجتماعي ، فيجب تشجيع قيام مثل هذه الاحياء وزيادة عددهـا اينما كان ذلك ممكنا. ففي القاهرة يلاحظ مثالان مختلفان تمام الاختلاف لهذه الاحياء : حي جاردن سيتي وحي مدينة الفاطميين حيث يقع خان الخليل في وسطه . وفي بعض الاحوال يمكن تحديد معالم مناطق اصغر من هذه الاحياء الكبيرة ، تمكن مقارنتها بالحارات التقليدية للقــاهرة التاريخية مع ما لها من ادارة محلية مبسطة . ان الخبرة في مجال تخطيط المدن الكبيرة تشير الى خطر شأن التقسيم الى وحدات اقرب الى المستوى الانساني واوثق صـلة به واكثر تشجيعا للنشاط الاجتماعي وادنى الى تخفيف ازدحام حركة السير [٤٦] .

قيمة الارض

(ا) الحالة الحقيقية

١٥٠ ـ ان شراء الارض من اكثر العنـاصر تكلفة عند تنفيذ مشروع تنمية حضرية او اقليمية . فتكلفة مشروعٍ ما ترتفع ارتفـاعا ملموسا نتيجة للمضاربة على الاراضي . ويمكن تصوير الحـالة في بعض الدول العربيـة بالحقائق الاتية :

في عمـان : « ان اثمان العقارات اخذت ترتفع ارتفاعـا ثابتا . تتبـاين الاثمان بين نصف دينار اردني في المنـاطق الجبلية التي يقيم فيها فقراء الطبقة المتوسطة ، وديناربن اردنيين بجوار قصر الملك وثلاثة دنانير في احسن المناطق السكنية الجبلية و٢٠ ديناراً اردنياً في وسط المدينة ، وذلك للمتر المربـع » .

في حلب : « ازدادت اسعار العقارات كلـما تقدم التوسع الحضري . فاليوم (١٩٥٩) تتراوح اثمان العقارات بين ٣٠ ليرة سورية

للمتر المربع في الاقسام البعيدة و ١٠٠٠ ليرة سورية للمتر المربع عند « الخندق » . ويتفاوت ثمن مبنى تجاري مكون من خمسة طوابق على قطعة ارض مساحتها ١٠٠ متر مربع بين ٤٥٫٠٠٠ و ٧٥٫٠٠٠ ليرة سورية بحسب نوع المواد المستعملة » .

في بيروت : « حدث تضخم كبير في اثمان العقارات منذ الحرب العالمية الثانية . فاكثر العقارات قيمة هي تلك الواقعة في منطقة الاعمال بالمدينة وتليها غلاءً منطقة رأس بيروت وعين المريسة وقد حدث فيها اكبر تضخم عرفته المدينة اذ ان معظم المباني السكنية الحديثة تشيد في هذه المنطقة وتوجد الدكاكين التجارية في الطابق الارضي منها [٤٧] .

١٥١ — ان اعادة التنمية الحضرية في بيروت مشكلة باهظة التكاليف. خلال سنة ١٩٥٠ انفق نحو ٩٧٪ من مصاريف البلدية المخصصة للتحسين على نزع الملكية . اما الاشغال العامة فلم تنل سوى ٣٪ من هذه المصاريف .ففي خلال المدة المذكورة صرف حوالي ٢٠٠ مليون دولار منها ٦ ملايين من البلدية والباقي من التمويل الخاص . كما ان هناك مشكلة اخرى نتجت عن امتناع المحاكم عن اصدار احكام بطرد واضعي اليد المقيمين [٤٨] .

(ب) الدور الذي تقوم به السلطات العامة

١٥٢ — ان مشكلة ارتفاع قيمة الاراضي جعلت بعثة المصرف الدولي للتعمير والانماء الى احد الدول العربية تصرح بالآتي :[٤٩]

« للبلديات دور مباشر اكبر في تشجيع بناء المساكن . فيجب عليها بالاضافة الى توفير امداد المياه وشبكات المجاري ان تقوم بتنمية الاراضي الملائمة للمناطق الحضرية الجديدة (شوارع جديدة ، اضاءة الشوارع الخ ..) . فهي تستطيع بتملك المناطق الموجودة خارج حدود المدن

الرئيسية وتنميتها ان تشجع بناء المساكن الخاصة . فالنقص في اراضي البناء ذات السعر المعقول والمزودة بالمياه وبشوارع ممهـــدة هو السبب الرئيسي للاحجام عن البنـــاء في الوقت الحالي . فاذا اشترت البلديات الاراضي غير النامية ثم قامت بتنميتها مرة واحدة اصبح بامكانهـا ان تبيع او تؤجر اراضي للبناء باسعار تقل بكثير عن تلك الاسعـار التي تدفع الان اثناء زيارة البعثة » .

(١) ان سياسة تكوين احتياطات من الاراضي لتنميتها في وقت لاحق قد تبنتها بعض الدول . وهكذا ففي بعض المدن الهامة اصبحت جميع الاراضي الفضاء تقريبا في المناطق النـامية او التي ستجري تنميتها سواء داخل الحدود البلدية او خارجها، ملكا للبلدية .(ان المضاربة على اراضي في كوبنهاجن تخضع لرقابة جزئية عن طريق سياسة المدينة في ان تعرض ارضها باسعار تنافس الاسعـــار التي يعرضها الملاك عندما ترى ان هذه الاسعار الاخيرة صارت فاحشة . وفي هولندا اصبح لكل مدينة يزيد سكانهـا عن ٢٠٫٠٠٠ نسمة سياسة لتكوين احتياطات عقارية)وتؤدي هذه السياسة الى تسهيل الاستعمال المجدى للارض والحد من المضاربات والمساعدة على تخفيض تكاليف التنمية .

(٢) عوضا عن تكوين احتياطات عقارية عمدت بعض الدول الى اصدار تشريعات لمحاولة فرض حدود معقولة على اسعار الاراضي . وهذه تشمل مراقبة اسعار الاراضي و تحديد المنـاطق و مراقبة التقسيم واكتساب حقوق تحسين الاراضي ، وكذلك فرض ضرائب على الارباح الناتجة عن بيع الاراضي المعدة للبناء ، وتحديد الشروط اللازمـة للحصول على ترخيص بالبنـــاء، **وبناء مدن جديدة** وطرق اخرى للمراقبة التي قد تتخذ اشكالا مختلفة من طرق التمويل والاقنـاع

كالضرائب المفروضة على الاراضي الغير المستغلة والاعفاءات الضريبية على المباني الجديدة .

(٣) ان فرض الضرائب على العقارات بحسب قيمتها الفعلية اثبتت انها طريقة فعالة لضبط الاسعار خاصة وان التقديرات السنوية والضرائب المحصلة تتمشى مع الارتفاع في القيمة . وكذلك فان فرض ضرائب على التحسين يمكن من استرداد بعض الزيادة الناتجة عن هذا التحسين . وجدير بالذكر في هذا الصدد ان حكومة الاردن تجبي ضرائب من جميع الملاك في المناطق البلدية تعادل ١٥٪ من القيمة السنوية لكل ملك (بحد ادنى قدره دينار اردني واحد في السنة). وتحتفظ الحكومة بثلثي الضريبة والباقي يعاد الى المجلس البلدي المختص لتمويل الخدمات الحضرية[٥٠] .

(٤) بين اقوى الاجراءات المباشرة المتخذة في سبيل تأمين ما يلزم من الاراضي لتنفيذ المشاريع الاقليمية ، نجد الشراء الجبري للارض سواء اكان ذلك لتكوين الاحتياطي ام لتنفيذ المقترحات الواردة في التخطيط الاقليمي . ففي كثير من الدول العربية قلما تستعمل سلطات نزع الملكية وتعتمد الوكالات العامة في تملك الارض على البيوع الطوعية وهذه الطريقة غالباً ما تجبر الوكالات العامة للبحث عن مالك يرغب في بيع ارضه عوضاً عن انها تختار اكثر المواقع ملاءمة للغرض الذي تهدف اليه . فيجب في مثل هذه البلاد وضع اسس تشريعية قوية للشراء الجبري. « **على الحكومات ان تفكر في وضع سياسات عقارية ملائمة لتسهيل تنفيذ مخططات التنمية الحضرية والاقليمية ويشمل ذلك الاجراءات الضرورية لتكوين احتياطات عقارية والاسراع في تملك العقارات الخاصة ومنع المضاربات فيها** »[٥١] . وحيث لا تتخذ هذه الاجراءات تغدو حلول لمشاكل الاقتصادية للتوسع الحضري أشق وأغلى .

(ح) التشريع

١٥٣ — لا يمكن تنفيذ مخطط ما بغير تشريع ملائم وجهاز اداري مناسب لهذا الغرض. فمن الواجبات العاجلة للحكومات وضع تشريع يمكن من تنفيذ المقترحات الواردة في المخططات . وتوجد حاليا خبرة واسعة في ميدان التشريعات التخطيطية .

١٥٤ — ومع ذلك فقبل وضع التشريعات الشاملة من المستحسن ان توضع تشريعات عاجلة لفرض رقابة مؤقتة تمنع بناء المشاريع الكبيرة المخالفة للنصوص الهامة الواردة في المخطط . ويمكن وضع هذه الرقابة المؤقتة في يد لجنة تخطيط او اي هيئة مشابهة لها [٥٢] .

(د) الترتيبات الادارية

١٥٥ — يمكن القيام بالتخطيط المادي — كعملية مستمرة — على احسن وجه بواسطة هيئة مناسبة تجمع بين الخبرة المطلوبة والسلطة التشريعية والمالية اللازمة لهذا الغرض . وتعهد الهيئة في هذا العمل لمجموعة من خبراء التخطيط في جميع الميادين .

١٥٦ — بمجرد الموافقة على المخطط يبقى هنالك واجبان رئيسيان :

(١) العمل على تنسيق مؤسسات البناء الاساسية —الحكومية والخاصة— حتى توضع الخطة المرسومة على الورق موضع التنفيذ في الواقع . وهذه المهمة اصعب من مهمة وضع المخططات الاصلية . فالامر يحتاج الى قوة وسلطان لتنسيق العمل بين المصالح والهيئات المتعددة العامة منها والخاصة .

(٢) العمل على ادخال تعديلات مفيدة اينما لزم الامر . ومن الضروري في هذا الصدد ان تستبقى الهيئة التي اعدت المخططات .

وكلتا الوظيفتين: تنسيق تنفيذ المخطط والسهر على جعله مطابقاً للاحوال

المتغيرة تستلزم ترتيبـات ادارية ملائمـة حتى يمكن القيام بهما على اتم وجه .

(هـ) التكامل

١٥٧ – ان دمج التخطيط المادي في تخطيط اوسع متكامل لتنمية المدينة وضمان استمرار بقائه لهو عملية ذات خطورة حيوية سواء في المستوى المحلي او المستوى القومي ، كما هو واجب لكل قيادة سياسية وادارية . فمن غير الملائم اطلاقاً ان يرسم مخطط رئيسي تفصيلي من غير تأمين مساعدة مستمرة من هيئة تخطيط متصلة اتصـالاً وثيقاً بوحدات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الحكومة الوطنية ، وهيئات تملك حق اخذ القرارات في كل المستويات .

وتجدر الاشارة في هذا المقام الى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة ألفت – على سبيل المثال – لجنة خاصة سنة ١٩٥٩ حتى تتمكن من تحديد المستلزمات الاساسية للخدمات الاجتماعية المتصلة بالتخطيط الحضري ، وكان واجبها الرئيسي وضع السياسة العامة للخدمات العامة البلدية التي تشتد الحاجة اليها .

هـ – التخطيط المتكامل للتنمية الحضرية

تعريف[٥٣]

١٥٨ – يتضمن التخطيط الشامل لتنمية المدن ناحيتين مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً وهما

(ا) التخطيط الاقتصادي والاجتماعي (ب) التخطيط المادي .

(ا) **التخطيط الاقتصـادي والاجتماعي** ويشمل توازن عدة عوامل اقتصاديـة واجتماعية للتنمية للحصول على حاصل انتاج مرتفع وارتفاع مقابل في مستويات المعيشة ويخلق في الوقت نفسه حالة

يمكن بواسطتهـــا التعبير عن قيم المجتمع وعـاداته خير تعبير . ويتوقف تحقيق هذين الهدفين العـامين بدورهمـا على تحديد سليم ومتزن لدفع مختلف وسائل الانتاج والاستهلاك والخدمة . لذلك فان تخطيطاً اقتصادياً واجتماعياً – كتخطيط موقعي – يشتمل على تخطيط المواقع المناسبة لهذه الوظائف المختلفة داخل اقليم المدن الكبيرة . فـالتخطيط الشامل للمدن الكبيرة يعني حتما تخطيط متزن لتنمية النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكذلك دمج هذه النشاطـات للحصول على انتاج اكبر ورفع مستويات المعيشة .

فيما يتعلق بالنشاطات الاقتصادية للمدن تجب الاشارة الى وجود بعض الاعتبارات الاقتصاديـة المشتركة تتخلل ظاهرة التوسع الحضري والتي يجب ان تؤخـذ في الاعتبار المتكامل عند تناول مشكلات التخطيط للمدن الكبيرة وتنميتها. ان قوة دافعة كبيرة لنمو المدن الهامة تأتي اصلا من تلك القطاعات الاقتصادية الموجهة توجيهاً خارجياً التي تشبع غالباً حاجات الاقليم والامة .
وفي الوقت ذاته فان نمو الدخل في المنطقة يخلق اشكالاً جديدة من المطالب ربما تصل الى درجة تغيير نسب التوظيف فتتجه اولا من الصناعات الموجهة توجيهاً خارجيـاً الى صناعات توفر الخدمات ثم تعود بها الى الصناعات الموجهة توجيهاً خارجياً مرة ثانية فتعيد الوضع الى اصله الاول.. وبالاختصار فـــان نمو المدن الكبيرة وتطورها هو نتيجة مباشرة للتطور الاقتصادي .

(ب) **التخطيط المادي** يشتمل على تنمية المحيط المادي وتغييره وفقـاً لترتيب وتعيين مرسومين للاراضي والموارد المتوفرة حتى يمكن تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المقترحـة . كما تشتمل دائماً

على تخطيط استعمال الاراضي، مبينة تخصيص المناطق المبنية لمختلف الوظائف والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، ومناطق المنشآت والتركيبات المتنوعة لمختلف اشكال استثمار الموارد الطبيعية واستغلالها .

النطاق

١٥٩ – بين العوامل الرئيسية التي يجب اعتبارها في نمو منطقة المدن الكبيرة والتخطيط لتنميتها نجد أربعة هي : (١) الحجم والشكل الكامل للمنطقة المعنية و(٢) حدود الارض والموارد فيها و(٣) الاستعمال المخصص لها و(٤) التعريف – بالتعبير المادي – بمختلف العناصر التي تتكون منها برامج التنمية .ويشمل هذا العمل تقدير وتخصيص مناطق للاستعمال الزراعي والصناعي والتجاري والاسكاني والاجتماعي والثقافي ولوضع نموذج للنقل والمواصلات ولتوليد وتوزيع الماء والطاقة المحركة اللازمة لشبكات المنافع الاخرى.

التنسيق

١٦٠ – ان الهدف الرئيسي لتقرير هذه الامور والمشكلات المشابهة لها هو ترك المصالح – القائمة – بمسؤولياتها الحالية عن التنمية، وتنظيم الجهاز المركزي تنظيما يكفل قبل كل شيء وجود تخطيط حقيقي ودمج متكامل للسياسة العليا يحول دون القيام بمحاولة يائسة – كما هي الحال غالباً بالنسبة للوزارة المسؤولة عن الشؤون البلدية والقروية – لتنسيق مجموعة من البرامج المفككة للمصالح المختلفة والمتناقضة في اساسها بعضها مع البعض الآخر . فلاجل تحقيق ذلك يجب على المصالح المختصة ان تعترف ببعض المفاهيم الاساسية .

١٦١ – ان الصعوبة الرئيسية لمعالجة نمو المدن الكبيرة وتغييرها هي ان الوكالات الحكومية المحلية والقومية لم تتصور – حتى الآن وفي معظم البلاد – ان

منطقة المدن الكبيرة ، بوصفها هذا ، هي مشكلة تقع في نطاق الاختصاص الشرعي للحكومة وان الادارة عادة ، في المستوى المحلي ، مقسمة على عدة بلديات داخل منطقة المدن الكبيرة (٥٤) .

١٦٢ – كما لوحظ نقص في التعاون بين الحكومة المركزية والسلطات المحلية . ففي بعض الحالات تقوم وزارة التربية – دون استشارة الرسميين المحليين – باعداد مخططات للمدارس لا توضح فيها تفاصيل بنيانها فقط بل وايضا موقعها وتوزيعها . وكذلك فان وزارة الشؤون الاجتماعية – دون الرجوع الى الادارة المحلية – تعد مخططات للمستشفيات والعيادات والمراكز الاجتماعية ، وخطط الاسكان التي تكون اجزاء محددة من المجتمع المحلي . وعلى هذا الغرار تعد وزارة المواصلات والاشغال العامة مخططات الاشغال العامة مثل الجسور ، والطرق الرئيسية العامة والشوارع ومباني الحكومة مبينة تفاصيل المباني و اتجاهها وموقعها . وكثيراً ما تكون هذه النشاطات التخطيطية المتخصصة دون تنسيق بينها على الاطلاق أو بقليل منه لا يغني

الوكالة (الهيئة)

١٦٣ – ان التنمية الشاملة لمنطقة المدن الكبيرة قد توالي سيرها من الوجهة المثالية بطريقة فعالة تحت اشراف حكومة موحدة – لمنطقة ما ، او لمدينة كبيرة – لها سلطات التقدير والتنفيذ (٥٥) . وفي هذه الحالات فان اختصاص المدن الهامة يمتد – بجانب التخطيط واستعمال الارض – الى بعض المسائل مثل توريد المياه وانشاء المجاري على نطاق واسع وكذلك شرايين المرور الرئيسية والنقل العام والتنمية الصناعية والسياحية ، ومراقبة انبعاث الادخنة والدفاع المدني وتقدير الاراضي ، كما يمتد ايضاً الى بعض نواحي التعليم والصحة والرعاية والاسكان وتطهير الاحياء الفقيرة وتوفير الحدائق والمناطق الترفيهية . اما الاختصاص المحلي فيحتفظ

ببعض الوظائف مثل التوزيع المحلي للمياه والمجاري وجمع القمامات والشوارع المحلية وجباية الضرائب وحفظ الامن والحماية ضد الحرائق والمكتبات العامة وكذلك بعض النواحي المحلية للتعليم والصحة والرعاية والاسكان والمناطق الترفيهية وتطهير الاحياء الفقيرة .

المراجع

(١٤) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه ، يراجع كذلك : « التنمية الاقليمية لدلتا النيل ومقترحات تخطيط للمدن الرئيسية » لمؤلفه دنيس ونستون (TAA/EGY/12)، ١٥ آذار سنة ١٩٥٧ .

(١٥) دنيس ونستون ، المؤلف المذكور اعلاه .

(١٦) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(١٧) شرحه .

(١٨) « التنمية الاقتصادية لسوريا » – تقرير I B R D – ١٩٥٥ .

(١٩) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٢٠) « التنمية الاقتصادية لسوريا » – تقرير I B R D – ١٩٥٥ .
ملحوظة : لمناقشة المياه واتصالها بالنظافة والصحة العامة ،تراجع الاقسام المتعلقة بالموضوع من هذه الدراسة .

(٢١) يراجع تقرير WHO من اجتماع لجنة الخبراء عن النواحي الصحية للتوسع الحضري .

(٢٢) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٢٣) يراجع « الثورة العراقية في عامها الرابع » – ١٩٦٢ صفحة ٣٨،٣٦ .

(٢٤) تقرير جماعة الخبراء عن تخطيط وتنمية المدن الهامة (عقد في ستوكهولم من ١٤ الى ٣٠ ايلول ١٩٦١) صفحة ٢٢،٢١ .

(٢٥) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٢٦) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٢٧) « دراسة اجتماعية عن عمان » — ١٩٦٠ ، وزارة الشؤون الاجتماعية .

(٢٨) المعلومات المؤقتة وردتنا من سكريتارية هيئة الامم المتحدة بنيويورك .

(٢٩) يراجع : « دراسة مختصرة عن الاسكان لاصحاب الدخول الصغيرة في ليبيا » لمؤلفه ر. فيتزموريس (TAA/LIB/3) ، ١٤ كانون الثاني ١٩٥٧ .

(٣٠) دنيس وينستون (TAA/EGY/12) ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٣١) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٣٢) دنيس وينستون (TAA/EGY/12) ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٣٣) جماعة الخبراء عن تخطيط وتنمية المدن الهامة ، المؤلف المذكور اعلاه صفحة ٢٦ .

(٣٤) هيئة الامم المتحدة - الحلقة الدراسية الرابعة للرعاية الاجتماعية للدول العربية في الشرق الاوسط ، بغداد من ٦ - ٢١ آذار ١٩٥٤ (ST/TAA/SER .C/21) ١٠ آب ١٩٥٥ .

(٣٥) جماعة الخبراء عن تخطيط المدن الكبيرة وتنميتها ، المؤلف المذكور اعلاه. صفحة ٢٨.

(٣٦) المعلومات المؤقتة وردتنا من سكرتارية هيئة الامم المتحدة بنيويورك .

(٣٧) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٣٨) « تقرير عن التدريب المهني » — الدورة السابعة للحلقة الدراسية عن الرعاية الصحية في البلاد العربية ، تونس ١٩٦٢ .

(٣٩) تشرشل ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٤٠) يراجع : « تقرير عن مؤتمر الدول العربية عن ادارة برامج تنمية المجتمع المحلي » .

(٤١) يراجع : « اعداد برنامج لتنمية المجتمع المحلي في المغرب » لمؤلفه جان ب. ريشاردو (TAA/HOR/1) ، ٣١ كانون الثاني ١٩٥٩ .

(٤٢) يراجع : ECAFE « تقرير المجموعة التحضيرية عن التنمية الحضرية للمجتمع المحلي في آسيا » (E/CN .11/UCD/L .2) ، ١٦ تشرين الاول ١٩٦٢ .

(٤٣) I B R D ، سوريا ، المرجع المذكور اعلاه .

(٤٤) ر. فيتزموريس (TAA/LIB/3) ، المؤلف المذكور اعلاه .

(٤٥) مجموعة الخبراء عن تخطيط المدن الكبيرة وتنميتها ، المرجع المذكور اعلاه .

(٤٦) دينس وينستون (TAA/EGY/12) ، المرجع الذكور اعلاه .

(٤٧) تشرشل ، المرجع المذكور اعلاه .

(٤٨) شرحه .

(٤٩) I B R D – سوريا ، المرجع المذكور اعلاه .

(٥٠) يراجع تقرير المملكة الاردنية الهاشمية .

(٥١) يراجع : « الاسكان وبرامج التنمية الحضرية في علاقتها مع التنمية الاقليميـة » البحث رقم ٥، ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٢ : مجموعة الخبراء عن الاسكان والتنمية الحضرية – من ٧ الى ٢١ شباط ١٩٦٢ ، صفحة ١٤ .

(٥٢) دنيس ونستون (TAA/EGY/12) ، المرجع المذكور اعلاه .

(٥٣) مجموعة الخبراء عن تخطيط المدن الكبيرة وتنميتها ، المرجع المذكور اعلاه . صفحة ٣٥–٣٦ .

(٥٤) شرحه صفحة ٢٨ .

الدولة الأيوبيّة في رسائل ابن الأثير

انيس المقدسي

توطئة

للصاحب ضياء الدين ابن الأثير رسائل كثيرة لم تنشر كلها بعد ، وعلى رواية ابن خلكان أن له ديوان ترسل في عدة مجلدات [1] ، والمنشور منها حتى الآن مخطوطة موجودة في جامع أحمد الثالث باستنبول ، تحت رقم ٢٦٣٠ تضم ١٦٩ رسالة ، وفي معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية صورة عنها وهي التي أتيح لنا تحقيقها ونشرها سنة ١٩٥٩ والمعروف لدينا من آثاره الباقية مخطوطة أخرى في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت بعنوان « الجزء الثاني من ترسل الصاحب ضياء الدين » .

ولما نشرنا مخطوطة استنبول المذكورة اعلاه ، وردتنا عدة رسائل ممن يهمهم هذا الامر احداها من احد علماء السوربون ، الاستاذ Claude Cahen كلود كاهين، يصحبها نسخة عن فصل له كان قد نشره بالفرنسية في مجلة معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن .The School of Oriental and African Studies تناول فيه « ابن الأثير » واشار الى بحث للمستشرق مرغوليوث عن هذا الكتاب العربي كان قد ألقاه في مؤتمر المستشرقين العاشر (Congrés des Orientalistes) معتمدا فيه مخطوطة في مكتبة « Bodleinne Pocke » رقم ٣٢٢. ويقول الاستاذ كاهين ان مرغوليوث لم يعرف سواها ، وانه هو (كاهين) رأى في المكتبة

الوطنية (La Bibliothéque Nationale) مخطوطـة تضم نحو ٢١٥ رسالة لابن الأثير ، ولكنه لم يتمكن من درسها كما يجب ، لأن صاحبها وهو عراقي لم يتركها في تلك المكتبة الا مدة وجيزة ، على انه استطاع في هذه المدة ان يطلـع على محتوياتها ولو بصورة محدودة وسنشير الى بعض ما اطلع عليه .

هذا كل ما عرفناه من ترسل ضياء الدين ابن الاثير فضلا عما نجده في كتـابه (المثل السائر) طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ ، فجل اعتمادنا في دراستنا هذه هو على ما وصلنا مخطوطا او مطبوعا من ترسل ابن الأثير ومـا رواه المؤرخون من اخباره وحوادث عصره ، وخصوصا معاصروه امثال ابن خلـكان وعز الدين بن الأثير والعماد الاصفهاني ، ثم من جـاء بعدهم كابن الشحنة ، وابي شامة وابن كثير والنويري ، والمقريزي وسواهم .

واذا استثنينا ما ورد في المثل السائر فكل الرسائل التي بين ايدينا مما صنفه ابن الاثير تحويها مخطوطةجامع احمد الثالث ومخطوطة الجامعة الاميركية الآنفتا الذكر ، وسنشير اليهما بمخطوطـة استنبول ومخطوطة بيروت [٢] . وهـاتان المخطوطتان ترجعان الى ما يقرب جدا من عهد الكاتب نفسه ، فالاولى تم نسخها في رمضان سنة ٦٥٥ هـ اي بعد وفاته بنحو ١٨ سنة فقط ، والثانية في غرةصفر سنة ٦٥٦ هـ ، ومجموع ما تحويان من آثار قلمه ٢٢٤ رسالة ، منها ستون تختص بالاسرة الايوبية وست عشرة بديوان الخـلافة ببغداد واكثر من اربعين بـأمراء وعظماء مختلفين ، وما بقي فمن قبيل الاخوانيات ، والملاهي ، والمباسطـات ، وماشاكل .

ومعلوم ان كاتبنا قضى معظم حياته في خدمة الدولة الايوبية ورجالهـا ، وغايتنا هنا من مراجعة ماكتبه ان نستخلص منه احوال هذه الدولة معـارضين ذلك بما ذكره اصحاب التاريخ ، فيساعدنا الادب على فهم التـاريخ كما يساعدنا التاريخ على فهم الادب .

وسيتناول بحثنا الاحوال السياسية والاحوال الاجتماعية في الدولة الايوبيـة

كما تعكسها لنا رسائل ابن الاثير ، وقد نلم بشيء من الاحوال العلمية وان كنا لا نجد شيئا كثيرا من ذلك في الرسائل .

الاحوال السياسية

المنازعات الداخلية في عهد الايوبي :

يتحدث ابن خلكان في الجزء الثالث من وفياته عن ابن الاثير فيقول : « لما كملت له الادوات، قصد الملك الناصر صلاح الدين الايوبي، وذلك سنة ٥٨٧ هـ فأعانه كاتب الدولة المشهور ، القاضي الفاضل ، على الاتصال بخدمة صلاح الدين » . ولكننا نجد له في المثل السائر [٣] وفي مخطوطة استنبول [٤] رسالة يزعم انه بعثها عن السلطان المذكور الى ديوان الخلافة يبشره بفتح القدس . وذلك سنة ٥٨٣ . امام هذا الامر، وقفنا متسائلين : ايهما اصوب، قول ابن خلكان ان اول اتصال ابن الاثير بصلاح الدين كان سنة ٥٨٧، او زعم ابن الاثير انه كان متصلا بالسلطان قبل ذلك بأربع سنوات؟ وبعد تدقيق النظر تبين لنا ان المصيب هو ابن خلكان، وان ابن الاثير لم يكتب عن صلاح الدين الى الخليفة كتابا بفتح القدس وانتزاعها من ايدي الصليبيين، وانما كتبه لنفسه على سبيل المعارضة الانشائية للكتاب الذي كتبه الى الخليفة رئيس ديوان الانشاء عن صلاح الدين القاضي الفاضل وهو يشير الى ذلك في المثل السائر ، اذ يقول : « وذلك في معارضة كتاب عبد الرحيم البيساني » . ويقول ابن خلكان عنه : « انه كان يعارض القاضي الفاضل في رسائله ، فاذا انشأ رسالة انشأ مثلها » وفي المثل السائر نجد له تقاليد يعارض بها تقاليد من انشاء الصابي [٥] وكان القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين الاول ، بل كان حاكما على جميع كتابه ، فهو المشار اليه بالسبق والعلم، لا يصدر السلطان الا عن رأيه [٦] . وكان في الديوان كتاب آخرون كعماد الدين الاصفهاني الذي اصبح على رأسهم ، بعد القاضي الفاضل ، فانه بعد ان فتح صلاح الدين دمشق ، ارسل القاضي الفاضل الى مصر ، ليدبر الامور هناك ، ويجهز للسلطان ما يحتاج اليه من الاموال . واعتمد على العماد الاصفهاني كاتبا نائبا عن القاضي الفاضل [٧] .

اما ابن الاثير فلم يلبث في ديوان صلاح الدين الا بضعة اشهر انتقل بعدها الى خدمة الملك الافضل ابن صلاح الدين ونائبه في دمشق ، وتحسنت حاله عنده حتى صار يلقب بالصاحب والوزير ، ولما توفي صلاح الدين (٥٨٩)، اصبحت سلطنته الواسعة الممتدة من اعالي الفرات الى اليمن مقسمة بين اولاده الكبار ، فاستقل اكبرهم « الافضل » بمملكة الشام ، واخوه الملك الظاهر بمملكة حلب ، واخوه العزيز عثمان بمصر ، وكانت الكرك وما يليها اقطاعاً للعادل ، اخي صلاح الدين وكان لاخيه ظهير الدين طغتكين ، ملك اليمن ، وغيرها لغيرهم من الامراء .

في هذه السنة ، نجد لابن الاثير نص تقليد لاحدهم بولاية دمشق كتبه عن الملك الافضل يقول في مطلعه [٨] : « كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذي شان ، ولا يجتنى من افنان ، ولا يوضع في ميزان ، وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان الى فلان ، وتلك فاتحة لم تكن جديدة فتخلق بتطاول الايام ، ولا حسنة النظم فتضاهى بمثلها من النظام » . وبعد ان يحمد الله ويصلي على النبي وآله ، يقول : « اما بعد ، فان الامرة ، وان درت اخلافها ، وطاب مرتعها ومصطافها ، فانها مرة الفطام ، كثيرة الآثام ، تصبح غدا وهي لصاحبها خصيمة ، واليه ذميمة ، والسعيد من اذا جاءته اتخذ التقوى عليها ظهيرا ، وقال بالقول النبوي : افلحت ياقديم ان لم تكن اميرا » . ويطيل ما شاء في هذا الضرب من الكلام ، ثم يلتفت الى الذي كتب له التقليد ، فيوجه اليه من الوصايا والحكم والنصائح ما يملأ نحو ١٤ صفحة كبيرة .

والذي يبدو لنا من مطالعة الرسائل ان ابناء صلاح الدين لم يعيشوا بعد وفاة والدهم عيشة السلام والتعاون الاخوي ، فالملك الضخم الذي توارثوه كان سببا في تحاسد ووقائع كثيرة ، خصوصا ما كان في صدر عمهم الملك العادل من مطامع في رئاسة البيت الايوبي واحتلال المقام الذي كان لاخيه قبلا . قال ابن خلكان - وما احسن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب كتبه في اثناء هذه الوقائع : « اما هذا البيت فان الآباء منه اتفقوا فملكوا ، والابناء اختلفوا فهلكوا ، فاذا غرب

نجم فما الحيلة في تشريقه ، واذا بدا خرق ثوب فما يليه غير تمزيقه ،، [٩] . وقد صدق ، فانه لم تكد تمضي سنة على وفاة صلاح الدين حتى هبّ ابنه العزيز عثمان من مصر باغراء بعض الامراء الذين حسنوا له الاستبداد بالملك ، قاصدا الاستيلاء على ملك اخيه الافضل في دمشق [١٠] ، فحاصرها وكاد يبلغ مرامه ، لولا ان استنجد الافضل بعمه العادل ، وباخيه الملك الظاهر ، وغيرهما من الامراء ، فحضروا واصلحوا ما بينهما على شروط قبلها الجميع [١١]. ولكن هذا الصلح لم يطل ، فان العزيز عثمان عاد في السنة التالية الى مهاجمة دمشق ، فعاد الملك الافضل يستنجد عمه العادل فصدّاه وهزماه حتى تراجع امامهما الى مصر ، ولما بلغا بلبيس ، اراد الافضل ان يستمر في مطاردته ويدخل مصر . ولكن عمه — لحاجة في نفسه — منعه من ذلك ، ثم ارسل الى العزيز عثمان سرا يطلب منه ايفاد القاضي الفاضل ، لما له من المنزلة عند الجميع ، فيعقد الصلح على يديه . وهكذا كان ، فرجع الافضل الى دمشق ، اما الملك العادل فبقي في مصر عند العزيز (وكان قد زوّجه ابنته)[١٢] مع محافظته على اقطاعه الذي تُرك له ، بعد وفاة صلاح الدين ، وفي نفسه ما فيها من الطمع بملك مصر .

ولما رجع العزيز الى مصر ووقف الافضل بعسكره في بلبيس ، كما ذكرنا ، ارسل ابن الاثير رسالة الى الافضل ، وقد لقيته هذه الرسالة في الطريق ، وهو عائد الى دمشق ، ومن قوله فيها : « وقد زاد مقدم مولانا حسننا انه آب ظافرا ، وقالت له المعاني نم وادعا ، فطالما بت ساهرا ، وكل ما صحبه في مضيّه من رقاب امواله وصدور نصاله ، فان يمينه افنت هذه في معارك السماح ، وافنت هذه في معارك الكفاح. وقد كانت دمشق شكت الى المملوك عدم اصطبارها ، وظنت ان مولانا اختار الديار المصرية على ديارها ، فسكّن المملوك من اضطراب حشاها ، ووعدها ان قدمه الشريفة ستغشاها » — الى ان يقول : « وهذا الكتاب اصدره المملوك وقد لبس للهناء ملبسا ، وجلس له مجلسا ؛ ولولا ادخار الناس الحياة لرؤية مولانا ، لنشروا على المبشر به قلوبا وخلعوا انفسا» . وهكذا الى آخر الرسالة [١٣] .

وهنا لنلق نظرة على موقف الملك العادل وما كان له من مطامع ، فهو كبير الاسرة الايوبية ، بعد اخيه صـــلاح الدين ، وكان اخوه يعزه ويثق به ويعتمد عليه ، حتى ولاه في حياته قسما كبيرا من ممالكه ، كما نرى في كتاب كتبه له سنة ٥٨٠ وقد ورد فيه قوله : « وقد امرنا بتجديد العارفة لاخينا الملك العادل الاجل السيد الكبير سيف الدين ناصر الاسلام ابي بكر ، ابقاه الله . ولو لم نفعل ذلك قضاء لحق اخائه الذي ترفّ عليه حواني الاضالع ، لجعلناه جزاءً لذائـع خدمه التي هي نعم الذرائع » . وبعد الاسهاب بتعداد مزاياه يقول : « وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقتسم من الديار المصرية والشامية وبلاد الجزيرة وديار بكر ليكون له من كل منها حظ تفيض يده في امواله ، ويركب في حشد من رجاله ، ويصبح وهو في كل جانب من جوانب ملكنا كالطليعة في تقدم مكانهـا ، وكالربيئة في اسهار اجفانها » . ثم يتقدم اليه بوصايا ادارية وسياسية وعسكرية ، وهي طويلة وحرية بالمراجعة (١٤) .

والذي يقرأ مثل هذا الكتاب لا يستغرب ان يرى ، بعد وفاة صلاح الدين وتوارث ابنائه الملك بعده ، ما يراه من طموح الملك العادل الى الحلول محل اخيه ، والقيام بدور السلطان الاعلى في الدلة الايوبية ، وسنرى كيف تم له ذلك .

تركناه مع ابن اخيه العزيز عثمان في مصر ، ورأينا كيف كان قبلا يتظاهر بحماية الملك الافضل من تعدي اخيه العزيز عثمان ، اما الآن فقد تغير الحـال ، واذا هو — ولم تمض سنة على صلـح الاخوين — يحضّ العزيز على اخذ دمشق ، وها هما (العزيز وعمه العادل) يهاجمان دمشق ويخرجان الافضل منها ويرغمانه على التخلي عنها والاكتفاء بقلعة صَرْخد قرب حَوْران ، فذهب اليها مكرهـا وبعث الى الخليفة في بغداد يشكو عمه واخاه (١٥) ، وكان من ذلك ان دخلت المملكة الشامية في حوزة الملك العادل ، واستقر الملك العزيز في مصر ، وهكذا ، خطا الملك العادل الخطوة الاولى في سبيل استيلائه على السلطة العليا في الدولة .

وهنا يختلف ابن خلكان وابن الشحنة عن صاحب الكامـل (عز الدين بن

الاثير) في تعليل هذه الحادثة ، فيذكر الاولان ان الذي ادّى الى استيلاء الملك العادل على دمشق هو سوء سياسة الافضل ووزيره ضياء الدين ابن الاثير ، «حتى عمت شكايات الناس منهما وعم البلاء بسببهما » . ويزكّي ذلك شهادة العماد الاصفهاني ، اذ يقول : « ولماانفصلت العساكر عن دمشق (اي بعد غزوة الملك العزيز الاولى ، شرع الافضل في اللهو واللعب ، واحتجب عن الرعية ، وانقطع الى لذاته ، فسمِّي (الملك النوّام) وفوّض الامر الى وزيره الجَزَرِي (اي صاحبنا ابن الاثير) وحاجبه الجمال محاسن بن العجمي فافسدا عليه الاحوال» . وكان سببا لنزول دولته [١٦] . وفي موضع آخر يقول . « ولما عاد الافضل الى دمشق ازداد وزيره الجزري (اي ابن الاثير) من الافعال القبيحة ، وآذى الاكابر من الدولة، والافضل يسمع منه. فارسل بعضهم الى الملك العادل يشكونه فارسل العادل الى الافضل يقول : ارفع يد هذا الاحمق ، السيء التدبير، القليل التوفيق ، فلم يصغ لقوله » ، فاتفق هو والعزيز على دخول الشام ، ولما دخلاه اتاه الافضل نادما فامره (اخوه) العزيز بالانتقال الى صرخد. واما ابن الاثير فهرب في صندوق الخ [١٧]. وفي هذه الحادثة ما يدلك على ضعف الأفضل حتى إن أخاه العزيز ، وهو أصغر منه ، يستبد به ويتحكم فيه .

أما صاحب الكامل (وهو أخو الوزير الكاتب ضياء الدين) فيرجع السبب إلى دهاء الملك العادل ، ووثوق الملك الأفضل به ، مع أن أخا الأفضل الملك الظاهر صاحب حلب كان قد حذره من عمه وقال له: « اخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء منه خير وأنا أعرف به منك ، ولو علمت أنه يريد لنا خيرا لكنت أنا أولى به منك [١٨] » . فيجيبه الملك الأفضل : « أنت سيء الظن في كل أحد ، أي مصلحة لعمنا في أن يؤذينا ؟ » . ويعقب المؤرخ على ذلك بقوله « وكان هذا أبلغ الأسباب ولا يعلمها كل أحد [١٩] ». وليس بغريب أن يغض صاحب الكامل النظر عن سيئات السياسة التي كان يتبعها أخوه الكاتب ضياء الدين في أثناء وزارته للملك الأفضل ، وأن يحصر السبب في دهاء الملك العادل ومطامعه ووثوق الأفضل به ، ولكن من يتابع الحوادث بتدقيق ويراجع سيرة كل من

الاشخاص المعنيين لا يسعه الا ان يقول ان السبب الحقيقي لم يكن هذا وحده ولا ذاك وحده بل كان اجتماع الامرين معا. فالملك العادل ، وهو الرجل الطموح وجد فرصة مناسبة في ضعف الافضل وقلة حزمه الاداري ، وفي شكوى الناس من سياسته وسياسة وزيره فاغتنمها لمصلحته الخاصة . ويظهر ان النقمة كانت عامة على الوزير ضياء الدين ابن الاثير ، فانه لما أخذت دمشق من سيده وانتقل الى صرخد هم بعضهم بقتل ابن الاثير اذ كان – كما يقول ابن خلكان– « قد اساء العشرة مع اهلها فاخرجه الحاجب مستخفيا في صندوق مقفل عليه »[٢٠] والتجأ الى الموصل ومثل ذلك ما حدث له في مصر كما سنرى .

وفي سنة ٥٩٥ توفي العزيز عثمان ملك مصر وكان ابنه لا يزال طفلا ، فاجتمع امراء البيت الايوبي الذين كانوا في مصر وقرروا المناداة بهذا الابن ملكا باسم الملك المنصور، على أن يتولى الحكم عنه عمه الملك الافضل. فاستدعوه من صرخد ، فخرج منها متنكرا خوفا من عمه العادل ، ولما استقرّ بمصر كتب لعمه العادل يخبره بوصوله الى مصر حفظا لدولة ابن أخيه ولا يخرج عما يأمره به[٢١] . وهكذا أصبح الافضل ملك مصر الفعلي ، ومن الطبيعي ان يملأ ذلك قلب ابن الاثير سرورا، وكان في الموصل فارسل اليه من هناك رسالة تهنئة يقول فيها : « المملوك يهنيء مولانا بنعمة الله المؤذنة باستخلاصه واجتبائه ، وتمكينه حتى بلغ اشده واستخرج كنز آبائه ، ولو أنصف لهنأ الارض بوابلها ، والامة بكافلها ، وخصوصا ارض مصر التي خصت بشرف سكناه ، وغدت بين بحرين من فيض البحر (اي النيل) وفيض يمناه »[٢٢] .

وكتب اليه ايضا كتابا عن لسان الامير ارسلان بن مسعود صاحب الموصل يهنئه بالملك ويعزيه عن وفاة اخيه العزيز عثمان يقول فيه : « لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية ام بلسان التهنئة، لكنه جمعهما جميعا فاتى بهما على حكم التثنية ، وفي مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا ، وقد وقف موقف السخط والرضا ، فسخط اولا ثم رضى آخرا . وهذا البيت الناصري يتداول درجات العلى فما تمضي الا

واليه ترجع ، وشموسه واقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب الا واخر يطلع ، والناس ان فجعوا بما جد ، ردفه من بعده ما جد ، وان قيل ان الماضي كان واحدا قيل بل الآتي هو الواحد »[٢٣] .

ولما استقر الملك الافضل في مصر قصده ابن الاثير وعاد الى خدمته ، وها هو ذا يكتب من مصر كتابا عن لسان سيده الى اخيه الملك الظاهر في حلب ، يتقدم فيه بواجب العزاء ويعلن له في الوقت نفسه تسلمه زمام الحكم في مصر فيقول : « من التعازي ما يأتي ضمنه تهنئة تخفف من خطبه ، وتخلط أجاجه بعذبه ، كهذه التعزية التي فقد الخادم (اي الملك الافضل) معها أخا واستفاد ملكا ، وجمع الحزن والسرور في صفقة واحدة فنظمها سلكا ، غير أن الاولى به أن يغلب حزنه في هذا المقام على السرور ، وألا تشغله أسرّة الملك عن اخيه الذي انتقل الى اهل القبور » .

وبعد ان يجري شوطا في مثل هذا الكلام يجد التعزية عن هذا الخطب الجلل ببقاء اخيه الملك الظاهر فيقول: « والامل فيه وهو الباقي كفاء للناس من الماضي ، ولئن اصبح القلب كل الساخط فقد أمسى بالآخر كل الراضي ، وسدُّ البيت باق وان ذهبت زبرة من الزبر ، وليس المعنى بذلك الا المجلس السامي فما سلم فبنيان قومه سالم ، وما اقامت فيهم ايامهم فالدهر في خدمة جدودهم قائم[٢٤] .

ويشير كاهين الى كتاب ارسله الافضل الى الخليفة يطلب تشريفا له بملك مصر (ليس له ذكر في الرسائل التي بين أيدينا) على ان ملك الافضل في مصر لم يطل ، ففي السنة التالية عـــاد الملك العادل الى الاعتداء عليه فانتزع مصر من يديه وارغمه على الرجوع الى صرخد. ففر كاتبه ووزيره ضياء الدين ابن الاثير ملتجئا الى الموصل حيث اقام مدة غير قليلة بعيدا عن سيده ، ومن الموصل يكتب اليه كتابا يقول فيه : « يقبل الارض بين يدي المواقف المقدسة المولوية السلطانية الملكية الافضلية ، وينهي ولاءه وان كان لا تنتهي اليه المفاوضات ، ولا يمحوه التعويض بصحبة غيره فان الولاء لا تدخله المعاوضات ، ويعتذر عن تأخر كتبه ،

اعتذار مذنب مقر بذنبه ، ولولا وثوقه بمعرفـــة مولانا انه الولي المخلص الذي لا تزيده الايام الا ودّا ، وليس بالمحب الذي اصاره البعد حرّا ، وكان في القرب عبدا ، لمـــا سامح نفسه في أجمام اللسان واقلامه ، والقعود عن مواصلة شمله بانعامه » . الى ان يقول : « واذا انزل الله بلاء انزل معه صبرا ، واذا اتى بعسر جعل الى جانبه يسراً ، وهو المسئول في اعادة اوقات اللقاء التي تعدل كل ساعة منها دهرا ». الخ. وهكذا يعبر عن دوام ولائه لمولاه ويرجو التوفيق للعودة الى خدمتة والتمتع بنعمته ، فيجيبه الافضل بكتاب يظهر فيه تقديره لابن الاثير ، ويكثر من اطرائه ومدحه [٢٥]. ولم يقف الملك العادل عن التعدي على ابن اخيه الملك الافضل فراح ينتزع منه ملكا بعد ملك حتى لم يبق له الا جزء من المملكة الفراتية، والافضل يسترضيه ويحاول رده بالحسنى. ولدينا ثلاث رسائل كتبها ابن الاثير عن الملك الافضل ووجهها الى الملك العادل نثبت هنا بعض مـــا جاء في احداها [٢٦] قوله : « رب وثوق يقود الى الندم ، وتودد يدعو الى التهم ، وقد يدل الحلم على صاحبه ، ويطمع في جانبه ، ولولا ذلك لما استلين عودى فعُجم ، واستضعف ركني فهدم، ولا أشكو ما اشكوه الا الى عمي وصنو ابي الذي نفره نفري ، وهو الذي قلب فـُوقي على وتري، وعلمني التظلم من الايام ، واراني ضوء النهار بعين الاظلام » . وعلى هذا النمط يستمر في معاتبته واسترضائه ، فيذكر ان الناس كانوا يحذرونه منه ولكنه لم يصغ الى قولهم بل عقد قلبه على موالاته ، «وقلت : هذا العضد وهو الساعد، وهذا العم الذي اذا ذهب الولد فهو الوالد». ومع ذلك فقد قابل احسانه بالاساءة وكافأه – على حد قوله – مكافأة التمساح للطائر . وهو يرجو متفائلا ان يتغلب الاحسان على الاساءة ، فان للاحسان جنوداً ترمي من غير سهام ، وتقاتل في كل معترك بحسام » . وفي هذه الرسالة يذكّر عمه بعبر الدهر وان الايام « طالما اعجزت قديراً ، وزعزعت سريراً » ويقدم له الامثلة من اخبار الاولين « الذين مشت الايام على دولهم فعفت آثارها، » ثم يقول مظهرا التجلد وحب المسالمة : « ولئن هزتني منه هذه النبوة التي طاشت لها الاحلام ، وزلزلت فيها الاقدام ، فما خف لها جبلي ، ولا تصرفت فيها بحولي

ولا حيلي ، ولكني قد مددت الحبل معه الى آخره، وارتقبت ما تصير اليه عقبى مصايره ؛ وانا ادعوه الى كلمة سواء بيني وبينه ان لا يبغي احد على صاحبه ولا يذهب غير مذاهبه .... والتجربة تنصحك ان لا توقظ شراً قد استدام مكانه ومنامه ، وكره الله والناس ان تستعاد أيامه » :

ولكن هذه الرسالة لم تجد نفعا ، فذهب استرضاء الملك الافضل وتذلله لعمه ادراج الرياح ، ولما خرج الافضل من مصر قبض على زمام الامور فيها عمه العادل ، وكان ابن الملك العزيز (الملك المنصور) لا يزال بالاسم ملك مصر ، فجمع الملك العادل الامراء الايوبيين وقال لهم : « انه قبيح ان اكون اتابك صبي (اي نائبا عن ملك صغير) مع الشيخوخة والتقدم . والملك ليس بالارث ، وانما هو لمن غلب ، وقد كان يجب ان اكون بعد اخي الملك الناصر صلاح الدين (اي ان اكون السلطان بعده) ، غير اني تركت ذلك اكراما لاخي ورعاية لحقه ، فلما كان الاختلاف ، كما علمتم (اي بين اولاد صلاح الدين) ، خفت ان يخرج الملك عن يدي ويد اولاد اخي ، فما رأيت الحال ينصلح الا بقيامي به ونهوضي باعبائه [٢٧] » ثم طلب من الامراء اسناد الملك اليه (بدل الملك الصغير ابن العزيز) فوافقوا على ذلك ، وهكذا اصبح السلطان الاكبر ، وخُطب له بديار مصر والشام والجزيرة الفراتية وضربت السكة باسمه، ولما تم له ذلك اخرج ابن العزيز (الملقب بالملك المنصور) مع اخوته واخواته فسيرهم الى الشام فالرها ، ولكن المنصور هرب من هناك الى حلب واقام عند عمه الملك الظاهر . وبسبب استبداد العادل بمصر حصلت وحشة بينه وبين الملك الظاهر ، مما ادى الى اتفاق الظاهر مع اخيه الملك الافضل على مهاجمة دمشق ، ولكنهما لم ينجحا ، وصار الصلح بينهم على ان يبقى ملك حلب للظاهر ويكون للعادل مصر وسائر البلاد الشرقية والساحلية ، وينكمش الافضل الى حصن سميساط قرب الفرات . وفي كتاب كتبه الى عمه بعد ان انتزع منه البلاد الفراتية سنة ٥٩٩ يقول « وكان العادل قد زعم ان الافضل نقض عهده وباطن عليه جنده فانتزع ما كان بيده من البلاد الفراتية ، وكان جرى بينهما قبل ذلك وقائع وزعازع، والكتاب كله استعطاف

وخفض جناح من قبل الافضل . اسمعه يخاطب عمه بمثل قوله : « وحاشا كرم مولانا ان يحور عن خلائقه ، وتتبدل مرجوّات غيوثه بمحرّقات صواعقه ، فان زعم اني كفرته احسانا ، او جحدته ايمانا ، فانا ادعو الى الحكم بالحق ، الذي هو شعار كل عادل، قبل الحكم في غد بين يدي الله الذي يخرس عنده لسان كل قائل». الى قوله : « انا اقسم بالله قسما لا يستراب في مصدقــه ، ولا يستزاد على موثقه ، اني ما احدثت امرا ، ولا اتيت شيئا نكرا . ويتهم عمه بانه انما يخلق الاعذار لمهاجمته وانتزاع املاكه . «وقد فهم من ذلك ان غرضه اظهار عذره في ارتكاب غدره ... وهب ان الناس راقبوا امره واقاموا عذره، فمن يعذره عند الله تعالى الذي لا يقبل لظالم عذرا . »

وكتب اليه كتابا ثانيا ، لكن العادل لم يرجع عن تنفيذ خطته . ولما استقر الافضل في سميساط عاد ابن الاثير الى خدمته، ففي سنة ٦٠٠ نقرأ له في مخطوطة الجامعة الأميركية في بيروت كتابا كتبه عن الملك الافضل في سميساط الى ارسلان شاه صاحب الموصل « يسليه عن هزيمة هزمها في مصافـّة صافها [٢٨]» . ولكن مخطوطة استنبول تذكر انه في ٦٠٢ كتب عن الملك الظاهر الى الخليفة كتابا الخ ... فكيف نوفق بين التاريخين وفي اي سنة قصد سميساط [٢٩] .

في سميساط اقام مدة ، ثم فارقها على رواية ابن خلكان سنة ٦٠٧ قــاصدا حلب ، فله رسالة استملاها منه مظفر الدين سنقر امير الحج العراقي وذلــك انه لقيه في حلب في السنة المذكورة [٣٠] وفي حلب كتب كتابا عن الملك الظاهر الى الخليفة في بغداد يبشره باستسلام الاسماعلية ٦٠٨ [٣١]، على ان اقامته في حلب لم تطل فرحل عنها الى الموصل ثم الى اربل فسنجار ولكنه لم يستقم امره هنــاك فعاد الى الموصل وجعلها دار اقامته .

وهنا نجد اختلافا قليلا في سنة تركه سميساط بين المؤرخ وناسخ المخطوطة . فابن خلكان يجعل تاريخ مغادرته هذا الحصن سنة ٦٠٧ وناسخ مخطوطة بيروت يقول انه ذهب من سميساط الى الروم سنة ٦٠٨ رسولا من قبــل الملــك الافضل

فكتب اليه من بعض الطريق وكان الزمان شتاء يصف البرد وغيره، وفي مخطوطة استنبول انه كتب كتابا عن عز الدين ابن ارسلان شاه صاحب الموصل الى ديوان الخليفة سنة ٦٠٧ (٣٢) وذلك يزكي قول ابن خلكان ، والمهم انه فارق سيده في ذلك الوقت ، والغريب انه في رسالة له من الموصل الى بعض اصدقائه من اصحاب الملك الافضل يشير الى مفارقته سميساط ويعتذر عن ترك خدمة سيده ، ويذكر ان بعضهم قد استجهله لذلك فاجابه بلسان ابي نواس :

لا اذود الطير عن شجر   قد بلوت المر من ثمره

ويردف ذلك بقوله : « والغبن كل الغبن ما مضى من الخسارة ، وعلى كل حال فانا الملوم اذ طمعت ان استثمر حنظله ، واستجدي جندله ، واستولد امــــلا لم احصل من المأمول فيه الا على مبخله » (٣٣) . فما الذي حمل صاحبنا على مفارقة مخدومه الذي طالما صحبه ومدحه ، والذي كان قبلا يغمره بعطفه وعطـــاياه ، ولماذا فضل بعد هذه الصحبة الطويلة ان يخدم سواه من الامراء ؟ ان الرسائل واخبار المؤرخين لا تعطينا جوابا واضحا عن هذا السؤال ، والذي نستنتجه من اقواله انه ترك سميساط خائب الآمال ، وانه فضل الاقامة بقية ايامه في الموصل حيث خــدم الامير عز الدين بن مسعود بن ارسلان ، ثم الامير بدر الدين لؤلؤ وكتب لهما .

وفي هذا العهد كانت فتوحات ملك العجم خوارزم شاه في فارس وتركستان، ثم هجوم ابنه جلال الدين على بلاد العراق والمملكة الايوبية ووقائعه مــع جند الخليفة والجنود الايوبية . ولابن الاثير في ذلك عدة رسائل يذكر فيها الخوارزمي، كما سنرى بعد .

وظل كاتبنا مقيما في الموصل، كما ذكرنا، ولكنه لم يمت فيها فقد ارسله صاحب الموصل بمهمة الى بغداد فقضى فيها نحبه سنة ٦٣٧ وفيها دفن .

وهكذا قضى ابن الاثير حياته السياسية في خدمة امراء الدولــة وكبار رجالها . ويبدو لنا انه كان اقدر في الصناعة الكتــــابية منه في معالجة الامور

السياسية ، فهو من كبار المنشئين في عهده ومن كبار النقاد البيانيين، كما يدل عليه كتابه « المثل السائر » . لكنه كوزير لم يكن ناجحا . فاضطر، كما راينا، ان يهرب من دمشق ، ثم اضطر ان يهرب من مصر خوفا على حياته . وآخر الامر اضطر ان يترك مخدومه الملك الافضل وان يلتجيء الى الموصل ويقنع بصناعة القلم .

الغارات الخارجية على الدولة الايوبية :

رأينا كيف آلت رئاسة البيت الايوبي بعد صلاح الدين الى اخيه الملك العادل، وذلك بسبب المنازعات التي نشأت بين ابناء صلاح الدين . فلم تمض بضع عشرة سنة على موت هذا السلطان العظيم حتى اصبح اخوه العادل اكبر الملوك الايوبيين واعظمهم شأنا ، وقد وزع مسئوليات ملكه بين اولاده فكان للكامل الديار المصرية ، وللمعظم البلاد الشامية ، وللاشرف البلاد المشرقية، وللاوحد الجزيرة الفراتية ، ولابن ابنه الملك مسعود البلاد اليمنية . ولما توفي في سنة ٦١٥ ثبت كل منهم في المملكة التي خصه ابوه بها . جاء في حوادث تلك السنة من كتاب الكامل لابن الاثير ان اولاد العادل « اتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة ان يجري بين اولاد الملوك بعد آبائهم. بل كانوا كالنفس الواحدة، كل منهم يثق الى الاخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ، فلا جرم زاد ملكهم ورأوا من نفاذ الحكم ما لم يره ابوهم » . وفي هذا الكلام ما فيه ، غير اننا لا نستطيع قبوله بدون تحفظ . فان حياتهم لم تخل احيانا من نزاع وتحاسد وابن الاثير نفسه صاحب الكامل يذكر في حوادث سنة ٦٢١ ما كان من نزاع هؤلاء الاخوة حتى ان احدهم ، وهو الملك المعظم صاحب دمشق ، اتفق مع خوارزم شاه ملك العجم على اخيه الملك الاشرف .

ومهما يكن من امر فسلطان الايوبيين توحد وعظم شأنه في عهد صلاح الدين، وبموته تقسم بين اولاده ، ثم عاد وتوحد على يد الملك العادل وبموته صار الى اولاده . وحافظ الاولاد عليه مدة ، ثم ضعف امرهم لاسباب داخلية وخارجية،

وما زال يضعف حتى ذهبوا وقام مقامهم مماليكهم ، كما هو معروف في التاريخ .

وقد حاولنا ان نبين كيف تعكس لنا رسائل ابن الاثير ما كان بين الايوبيين من منازعات داخلية ادت مع الزمن الى ضعفهم وذهاب الملك من ايديهم . وسنحاول ان نتبين ما تعكسه لنا هذه الرسائل من غارات خارجية كان لها اثر فعال في دولتهم واحوالهم السياسية .

حصلت الغارات الخارجية على الدولة الايوبية من ناحيتين، شرقية وغربية . فمن الشرق تقدمت نحوهم حملة قوية من جهة العجم بقيادة خورزام شاه وابنه جلال الدين ودخلت العراق من الشرق والشمال ، وتقدمت نحو املاك الايوبيين في الجزيرة الفراتية وارمينية .

والذي يؤخذ من الرسائل واخبار المؤرخين ان الحملة الخورزامية على الطرق والمملكة الايوبية انما بدأت بعد موت صلاح الدين واخيه العادل . ففي سنة ٦٢٢ غزا ابن خوارزم شاه جلال الدين العراق حتى وصل الى بعقوبا قرب بغداد . ولابن الاثير رسالة يذكر فيها هذه الحملة ويستهلها بالآية : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » . ثم يقول : « وهذه آية لرسول الله في رد العدو الكافر ، وبمثلها رد عن خليفته الآن كيد العدو الفاجر » . وفي هذه الرسالة يحض المسلمين على التشمير لنصرة الخليفة ويعقب على ذلك بقوله : « والعبد (اي الكاتب نفسه) لا يخاف على الديوان العزيز عدوا ، ولو ركب في جيش لا يلتقي جناحاه . وامسى واصبح والليل والنهار سلاحاه ، فانه لا يلبث ان تصير سهوله اوعاثا، وتنتقض به امانيه انكاثا ... وقد دلت التجربة على ذلك ولا شيء ادل من تجربة . واذا اعتبرت الايام السالفة وجدتها معربة مغربة ، فاين الطوائف المتكاثرة من البويهية والسامانية والسلجوقية وما تخللها من اولى المناقب ، وذوي المناكب ، ومن ناعق من اهل المحاشد والمخاطب ، عصفت بهم الدعوة النبوية لهذا البيت العباسي الذي أسس الله قواعد بنيانه وابقاه حجة في هلاك قيصر وقصره ، وكسرى وايوانه » — الى آخر الرسالة وهي طويلة (٣٤) .

وله في حملات الجنود الخوارزمية رسائل اخرى يذكر فيهـــا هجومهم على مدينة خلاط ومـــا اليها من بلاد الجزيرة وارمينية ، وهي تابعة يومئذ للملك الاشرف ابن الملك العادل ، وفي احداها يوجه تحذيرا الى الملك الاشرف يقول فيه : « وهذه البلاد لو أنها الجار من جيران مولانا لوجب عليه حفظ الجار وحماية الذمار . فكيف وهي له ويده عليها قابضة ، وقوسه من دونهـا نابضة ، وهي طرف مملكته الذي يتعدى منه الى اوساطها. واذا طوي من بساط الدار شيء، فلا يؤمن ان يشمل الطي جميع بساطها » . وهكذا الى آخر الرسالة [٣٥] . وفي رسالة اخرى يهيب بـه الى البدار لصد العدو ، والا فليس امـــامه الا الهزيمة والفرار. ويقول: « والعدو اليوم على مدينة خلاط قد حوم عليها عقابه وطنبت من حولها اطنابه ، لا يرحل عنها الا بمن يزحمه زحمة تصدع حبة فؤاده ، وتوهن من جلده وجلاده [٣٦] » .

وفي هذه الاثناء ، نلاحظ نزاعا بين اولاد الملك العـادل ، حتى ان احدهم ، الملك المعظم ، دخل في اتفاق مع الخوارزمي على اخويه ، الكامل والاشرف . وقد اشرنا الى ذلك سابقا .

ولكن فتنة حدثت في مملكة الخوارزمي اضطرته الى التراجع عن خلاط وما اليها الى قاعدة ملكه في بلاد العجم ، فـــاحدث تراجعه هزة سرور في البلاد الايوبية دفعت ابن الاثير ان يكتب سنة ٦٢٣ كتاب تهنئة الى الملـك الاشرف اوله : « ورد كتاب البشرى بالادالة من نابغة العجم الذي نبغ وبلـــغ بعتوه واستكباره ما بلغ »، رالكتاب طويل ، ومن قوله فيه : « ولمـــا رأى العدو نباله غير محمودة الاثر ، وانها كانابيب الرماح في القصر ، انتهز فرصة الفرار قبل ان لم يجد منهزا ، ورأى البعد عن طرف الدائرة اسلم من ان يقف على ان يصير لها مركزا . وما فر الا وهو عاض على ابهامه ، معاتب نفسه على اقدامه [٣٧] » الخ . وبعث بكتاب آخر الى قـــائد جيش الاشرف حسام الدين يقول فيــه : « وولى العدو وقد اسلمه طمعه ، وخذلته شيعه ، وكان باسطا من كفه وساعده،

فحالت من دونهما اضلعه ، وارته الحرب مالم يكن رآه من قبلها ، وعلم انهـــا الجد المحض وما عداها فانه من هزلها » . الى قوله « ولو نصحته نفسه من قبل، لطأطأ من راسه ، وكف من شماسه ، وابقى للصلح موضعـا ، ولم يتخذ المرتع الوخيم مرتعا » . ويعتذر عن تأخر اولي الامر بمناجزة هذا العدو فيقول: «ولربما تحدث قوم في تأخر مناجزته عن ميقاتها واهمال امره حتى رقى من غلوائهـا الى اقصى مرقاتها ، وقيل هلا بودر وجمره خلل رماده ، ودفع عن مدينة خـلاط قبل امكان صعبها من قياده . ولم يعلموا ان للرأي جولة قبل الحرب وجولتهـا وان من خفية الهامه يستمد اجلاب صولتها . ولهذا لا ينظر الى المبادىء ، وانما ينظر الى الاعقاب . وعندها يتمثل بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » (٣٨) .

على ان هذه الحرب لم تنته ، فلم يكن تراجع العدو الا الى حين ، وها هو في سنة ٦٢٦ يعيد الهجوم فيحاصر خلاط (في ارمينية) ثم يفتحها ويعمل فيهـا النهب والقتل . ورأى الايوبيون خطورة الموقف فاتفقوا مع علاء الدين صاحب الروم على مقاتلة الخوارزمي وزده على اعقابه . ولمـا اشتدوا عليه ، ترك خلاط وقبل صلحا رجع بموجبه الى بلاده ، وذلك سنة ٦٢٧. فكتب ابن الاثير كتابا الى الاشرف جوابا عن كتاب يبشره فيه بالنصر يصف هذه الواقعة وينوه بفوائد الاتفاق مع علاء الدين فيقول بعد الدعاء : « المملوك يتبع دعـاءه هذا بحمد الله الذي ابرز لمولانا آية النصر من حجابها ، ورد اليه ضالة الملك بعد ان تمكنت يد العدو من رقابها ...ولولا سعادته المألوفة ، لمـا بذلت ارض الروم لارضه صفقة الوفاق ، ولا اشتملت رجال هذه على رجال هذه اشتمال الجفون على الاحداق ». الى قوله: « وصبر له مولانا حتى قاتله بَغْيُه قبل قتاله، وحكم بارغامه واذلاله». والكتاب طويل ، فليراجع (٣٩) .

الافرنج (الصليبيون) والدولة الايوبية :

كان الافرنج في عهد ابن الاثير يحتلون قسما كبيرا من بلاد الشام ، وخصوصا

السواحل البحرية منهـــا . فمن الطبيعي ان يكون احتكاكهم بممالك الايوبيين شديدا، وان تجري بينهم حروب متواصلة ولا يخفى ما كان للسلطان العظيم صلاح الدين من وقائع مشهورة معهم. ويكفي ان نذكر موقعة حطين التي مهدت السبيل لفتح القدس ٥٨٣ . وكان لهذا الفتح وسواه من الفتوح الشامية تأثير عظيم في النفوس فممت المسلمين نشوة سرور رقصت لها القلوب ، كما عمت الصليبيين الاحزان والكروب . فلا بدع ان يتبارى كتـــاب الدولة في تدبيج الفصول استبشارا بما احرزوه من ظفر ، واطنابا ببطولة سلطانهـــم صلاح الدين ، وفي مقدمتهم القاضي الفاضل الذي ارسل عن صلاح الدين كتابا الى دار الخلافة يبشرها بهذا الفتح المبين [٤٠] ، وكذلك فعل الكاتب الاصفهاني عماد الدين. وقد مر معنا ان صاحبنا ابن الاثير كتب في ذلك عن صلاح الدين كتـــابا يعارض فيه كتاب القاضي الفاضل ، استهله بقوله : « خلد الله سلطان الديوان العزيز النبوي وجعل ايام الدولة اترابا ، ومناقب مجدها هضابا ، وزادها على مرور الايام شبابا » ، الى قوله : « لو جمعت العصور في صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا ، وفاز بسبق اوائلها وان جاء اخرا ، وليس ذلك الا لحظوته بالدولة الناصرية التي كسته حبرا ، وقلدته دررا ، ودونت له من المحاميد سيرا ... » ، الى قوله : « وقيض لها من الخادم (اي السلطان صلاح الدين) وليا يصل يومه في طاعتها بامسه ، ولا يرى الا ومن نفسه في خدمتها رقيب على نفسه » . وبعد ديباجة طويلة على هذا النمط ينتقـــل الى وصف الفتح بنحو سبـــع صفحات كبيرة . وقد اثبت هذا الكتاب في « المثل السائر » شاهدا على بلاغة الأطناب ، فليراجعه المولعون بهذا النوع من البلاغة [٤١] .

وفي كتاب آخر يذكر ان صلاح الدين امر سنة ٥٨٧ بقتـــل احد الزنادقة وهو السهروردي وكان قبلاً قد هزم الفرنج وقتل عظيما من عظمائهم: «فجمع بذلك بين الجهادين اذ قتل اولا طاغية الكفرة الذي كان كبش كتائبهـــا ، ثم ثنـــاه بطاغوت الزنادقة الذي كان امام مذاهبها [٤٢] .

ولا شك ان صلاح الدين كان موفقاً في جهاده ضد الصليبيين ، فقد فتح كثيرا

من المدن التي كانت بأيديهم ، واسترجع القدس التي كانت كعبة آمالهم . على انه لم يقض عليهم او يحرر جميع البلدان الشرقية منهم .فلما توفي وتقسمت سلطنته بين ابنائه حدث ما حدث من التنازع بينهم واخذ عمهم الملك العادل يسعى لحصر السلطة في يديه.فكان في ذلك فرصة اغتنمها الافرنج لاسترداد بعض ما فقدوه . على ان العادل استطاع بعد ان اصبح صاحب السلطة العليا في الايوبيين ان يقف زمنا في وجوههم ويمنع تقدمهم. وعقب موته سنة٦١٥ قويت شوكة الافرنج حتى انهم هاجموا مصر واحتلوا دمياط واشرف ملك مصر والشام ان يقع في ايديهم، فخافهم الناس كافة ، وصاروا يتوقعون البلاء ، حتى اراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو (٤٣) .

وكان لابن المشطوب وهو احد امراء الاكراد التابعين لبني ايوب يد في مساعدة الافرنج على دخول ثغر دمياط . وقد اشار الى ذلك ابن الاثير في رسالة كتبها عن امير الموصل بدر الدين لؤلؤ الى الملك الاشرف ابن الملك العادل اذ قال : « علم من حال ابن المشطوب انه ابدى صفحته ، واورى قدحته، وتوثب في دولة مولانا توثب ذي الضغينة ، وعاث عيث رَعْل وذَكْوان في سَرْح المدينة ». « والرجل لم يزل يحدث نفسه بايلاد ملك من غير ميلاد . ويروم ان ينقل سلطان التابعة من العرب الى الاكراد (٤٤) » الى قوله : « ويكفي من محنة هذا الرجل انه سعى في خروج ثغر دمياط الى ايدي الكفار ، وقصد بذلك اضرار البيت العادلي فدخل الاسلام باجمعه في ضمن ذلك الاضرار . وازاء هذا الخطر الشديد رأى ابناء الملك العادل حكام مصر والشام والجزيرة الفراتية ضرورة توحيد كلمتهم وقواتهم فاستطاعوا ان يمنعوا العدو من التقدم واستمروا على ذلك نحو ثلاث سنوات .

ويظهر ان ضغط العدو على مصر عاد فاشتد حتى ان الايوبيين قبلوا منهم المفاوضة على صلح كاد يؤدي الى تسليمهم القدس ، ولكن حدث ما حمل الافرنج على التراجع من مصر وسلمت البلاد للمسلمين .

على ان ذلك لم يكن الا الى حين ، فالخطر لم يزل قائماً يهدد المسلمين . ففي سنة ٦٢٥ جاءتهم (اي الصليبين) نجدات من البحر فعظمت شوكتهم ، وقويت اطماعهم ، وتمكنوا من استرجاع بعض ما فقدوه من مدن الشام حتى خيف ان يستردوا بيت المقدس . وحاول الايوبيون وقف تقدمهم ولكنهم اضطروا سنة (٦٢٦) ان يقبلوا صلحاً يسلمون بموجبه بيت المقدس للافرنج على ان يبقى لبني ايوب اكثر فلسطين . وظلت القدس بأيدي الافرنج الى سنة ٦٣٧ وهي السنة التي توفي فيها صاحبنا ضياء الدين ابن الاثير . والمتأمل يرى ان الضغط على الايوبيين سواء من الشرق او من الغرب كان على اشده بين سنة ٦٢٢ – ٦٢٩ فكان عليهم ان يحاربوا في جبهتين الخوارزميين ثم التتر من الشرق والافرنج من الغرب، وهذا ما اوهنهم وساعد العدو على غزو ممالكهم واحتلال بعض بلادهم .

الحياة الاجتماعية

الحال الاقتصادية :

تبين لنا مما اوردناه سابقا ان الدولة الايوبية كانت تشمل رقعة واسعة جدا من الشرق العربي تمتد من اعالي الفرات حتى جنوبي الجزيرة العربية، وتدخل فيها مصر والشام وفلسطين والجزيرة الفراتية واليمن وسواها. على انها لم تكن موحدة الادارة بالمعنى الذي نفهمه بل كانت عبارة عن مجموعة من الاقطاعات يحكم كل منها نائب (اتابك) يعينه السلطان الاكبر يلقب غالبا بالملك . وهو مستقل بادارة مملكته. وانما يطلب منه ان يقدم للسلطان مبلغا معينا من المال وان يمده بالعسكر اذا دارت بينه وبين اعدائه رحى القتال . وفي هذا العهد الذي نتحدث عنه والذي كتبت فيه رسائل ابن الاثير كان نواب السلطان في شتى الممالك عادة من ابنائه او من يعتمد عليهم من امرائه . وكان الامراء الايوبيون : اذا اقتضت الحاجة يجتمعون في مجلس خاص يتشاورون فيه ويقررون ما يلزم من امور الدولة (كما رأيناهم مثلا يفعلون لما توفي العزيز عثمان صاحب مصر سنة ٥٩٥) ولم تكن الاحوال في العهد مستقرة او هادئة ، فالمنازعات الداخلية ، والحروب المتواصلة

بينهم وبين الاعداء الخـــارجيين كالصليبيين من جهة ، والعجم والتتر من جهة اخرى ، كانت تقتضي كثيراً من المال والرجال ، وللحصول على ذلك كان لا بد من ارهاق الشعب بالضرائب والمكوس والمصادرة . ولم يكن الشعب قادراً على التمرد او الثورة حتى ولا على المطالبة بحقوقه . فالحكام في شتى الاقطـــاعات (او الممالك) ، مطلقو الايدى يسنون ما يروق لهم من قوانين لجباية المال وجمع العسكر . ويتصرفون كما يشاؤون بشؤون العباد ونفوسهم . وقد يكون الحكام من ذوي الحزم والرغبة في الخير وحسن الرعاية فتصلح حال رعاياهم ، ولكن كثيراً ما يكونون عكس ذلك فيصح فيهم ما ورد في رسالة بعث بها ابن الاثير الى بعض اصحابه اذ قـــال يشكو اهل زمانه : « ولم اشجَ الا لعفاء الهمم التي مضت اربابها ، وذهبت آرابها . وقد اضحى النـــاس وملوكهم طغام لم ترضهم فطرة سليمه ولا هذبتهم عقول كريمة . بكم الاديان ، عجم الالسنة والاذهان . كأنهم يرعون من الناس غنما ، ويعبدون من عوائدهم صنما . ومن محاسنهم انهم يعتدّون الامارة تجارة ، ويرون فضيلة الجود خسارة » (٤٥)

ولا نعرف تاريخ هذه الرسالة، ويظهر انه كتبها في عهد ضيقه، فرام التنفيس عن صدره، بالكتابة الى صديقه. على اننا لا نستغرب ماذكره عن عصر اقطاعي كالذي شهده وعاش فيه . وقد بلغ الجشع ببعض الحكام انهم لم يكتفوا بمـــا يحصلونه عن طريق الجباية القـانونية ، بل عمدوا الى جمعه بطرق غير شرعية . قال المقريزي بعدما وصف اختلال الاحوال في مصر والشام سنة ٥٩٢ وانتشار الاوبئة والمجاعات : « وافضى الى ان يؤخذ من الاسواق ما لا يوزن له ثمن ومـــا يغصب من اربابه ، وافضى هذا الى غلاء اسعار المأكولات فان ارباب الدكاكين يزيدون في الاسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان ، واقتضى ذلك النظر في المكاسب الخبيثة. وضمّن باب المزر (نبيذ الذرة) والخمر باثني عشر الف دينار وفسح باظهاره وبيعه في القاعات والحوانيت . وصار ما يؤخذ من هذا السحت ينفق في طعام السلطان وما يحتاج اليه. وصار مال الثغور والجوالي الى من لا يبالي من اين اخذ المال » (٤٦) .

ويعني ان الحاجة الى المال كانت تدفع الحكام احيانا الى التسامح ببيع المحرمات ، بل والى اكثر من ذلك فقد ذكر صاحب الروضتين ابو شامة انهم سمحوا باستجلاب « الخواطيء » (اي النساء العموميات) وفرضوا على ذلك رسوماً باهظة كانت تبلغ الالوف من الدنانير [٤٧] وفي سنة ٦١٢ رأى الملك العادل تفاقم هذا الشر فابطله . ولكن لما مات قام ابنه المعظم فرد المكوس وضمانة الخمور وما كان قد ابطله ابوه واعتذر عن ذلك بقلة المال وحاجته اليه لمحاربة الافرنج [٤٨] . والظاهر ان هذه المكاسب الخبيثة (على حد قول المقريزي) لم تقف عند حد، فظلت جارية يرثها حاكم عن حاكم وقد تفاقمت مع الايام. ففي سنة ٦٨٠ يقول ابن كثير : «ضمن الزنى والخمر بدمشق وجعل عليه ديوان سمي الجهة المفردة » وضمنت كل سنة بسبعمائة الف درهم . وتزايد فيه الضمان حتى بلغ الفي الف درهم في كل سنة . فضجَّ العلماء والصلحاء من ذلك وقاموا بابطاله [٤٩] .

ولو اردنا ان ننقل جميع ما اثبته المؤرخون في هذا الباب لنقلنا شيئا كثيرا. يكفي ان نذكر ان العماد الاصفهاني في كتابه « الفتح القسّي » عقب على ذكر الزلزلة العامة التي حدثت سنة ٥٩٧ فدمرت كثيراً من الاماكن بقوله: « ان ذلك من كثرة شرور الناس وعكوفهم على الشهوات والخمور » . وبديهي ان الزلزلة لم تحدث لكثرة الشرور ، والعكوف على الخمور ، بل لاسباب طبيعية في داخل الارض . ولكن قوله يشعرك بما كان فاشيا في عهده من موبقات . (راجع مرآة الزمان حوادث ٥٩٧) .

اجل كانت شهوة الامراء وحاجتهم الى المال تدفعهم الى فرض المكوس الباهظة وارهاق الناس بالمظالم . وقد يقوم من الامراء من يكون بطبيعته ذا رفق ولين مثل الملك الافضل ابن صلاح الدين فيرى ان يخفف اثقال الضرائب عن الناس . وهكذا يأمر كاتبه ابن الاثير سنة ٥٩٧ ، بكتابة توقيع (اي مرسوم) بذلك . واليك بعض ما ورد في ذلك التوقيع : « لما عرضت علينا المكوس بدمشق المحروسة وجدناها تخفف موازين الاعمال ، وان كانت تثقل

موازين الاموال (اي انها تضر بالاعمال والتجارة وان درت على الحاكم بالمـــال الكثير) وعلمنا انها لا تربو عند الله وان ربت عند الناس ، وصاحبها ان اثرت منها يده فهو في عدم ذوي الافلاس ... وقد امرنا بمحو اسمه ، وان يبدل عرفه بالانكار ويتوفى ذكره توفي الاعمار » [٥٠]

فالملك الافضل صاحب دمشق ادرك ان إثقال الناس بالضرائب يؤدي الى البطالة والفقر كما ادرك ان فشو الرشوة في الدولة اثم كبير وضرر عظيم . فاصدر بقلم كاتبه تقليداً (مرسوما) يشدد على ابطالها فيقول فيه : « وهذه كبيرة من الكبائر ، ولكنها قد فشت في الناس حتى صارت صغيرة من الصغائر ، وذلك لان ولاة السوء قد الفوا تناول الرشوة التي تغير حكما وتختم على القلوب ختما ، وسماها الله سحتا واثما » [٥١] .

وفي مرسوم آخر له يشير الى ما كان يجري من احتكار لبعض السلع ومـا كان ينتج عنه من ضرر عام . فيذمه وينهى عنه ويقول : « ومن الناس من آتاه الله مالا فبث في الاسواق جنود ذهبه وورقه (اي فضته) ، واحتكر ما حمله الميزان من ذوات رطله وما وسعه الكيل من ذوات وسعه ، فاصبح فقراء بلده في ضيق من عدم الرفق ومدد الرزق. فليمنع هؤلاء ان يجعلوا رزق الله محتكراً ، وان يأخذ الغني منهم بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يعينه على الاستعفاف »[٥٢]
وممن يذكر بتخفيف الضرائب الباهظة عن الناس في ذلك العهد الامـــام الظاهر الخليفة العباسي (راجع الكامل ، حوادث ٦٢٢) .

فمن قراءة اخبار المؤرخين ومعارضتهـا بكتابات المترسلين يجوز لنا ان نحكم على ان الشعب عموما ابان العهد الايوبي كثيراً ما كانت تنتابه ازمات اقتصادية .
وزاد الطين بلة مـا كانت تنتابه من الاوبئة الجارفة فتذهب بالالوف منه في مدى قصير . فاذا راجعنا مثلا مـــا رووه من اخبار السنوات ٥٧٤ — ٥٧٥ — ٥٩٢ — ٥٩٧ — ٦٠٤ — ٦٢٢ — ٦٢٢ — ٦٢٣ — ٦٢٨ وسواها ادركنا ما دهم بلاد مصر والشام من بلايا الاوبئة الفتاكة ،حتى كان الناس يموتون بالمئات يوميا،

ولا يوجد من يكفنهم . فابن كثير يقول ان اكثر الناس كان سنة ٥٩٢ يموت جوعا(٥٣) . ويصف المقريزي الحالة سنة ٥٩٧ بقوله : غلاء وجوع في مصر حتى اكل الناس الميتات، واكلوا بعضهم بعضا وتبع ذلك فناء عظيم، واكلت الكلاب وخلق كثير من الاطفال ، وخلت القاهرة ومصر من اكثر اهلها وصار من مات لا يجد من يواريه (٥٤) .

ويصف المؤرخ عزالدين بن الاثير الحالة العامة سنة ٦٢٢ وصفا مسهبا . ومن قوله : « ان الغلاء اشتد بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير » ، ثم يقول « وما زالت الاشياء هكذا الى اول الصيف، واشتد الوباء وكثر الموت والمرض في الناس فكان يحمل على النعش الواحد عدة من الموتى (٥٥)

هذه - لاشك - صور قاتمة يعكسها لنا التاريخ عن حياة الشعب ، ولكن ذلك لا يعني انه لم تمر عليهم ايام سلام ورخاء كانوا يتمتعون بها في حياتهم . على ان المتعة المادية لم تكن من نصيبهم، وانما كانت من نصيب ملوكهم وامرائهم ومن كان يتصل بهم من رجال الدولة .

الحال الاجتماعية عند ارباب الدولة

مع كل ما ذكرناه من سوء حال الشعب عموما ، كان ارباب الدولة يجدون وقتاً كافياً للهو والترويح عن النفس . ومن الملاهي التي كانوا يقبلون عليها الصيد بالكلاب والفهود وبعض الجوارح كالبزاة والصقور والشواهين وسواها . وقد خصص اسامة بن منقذ (الباب الثالث) من كتابه « الاعتبار » للصيد وما عرفه من احواله في ذلك العهد. وهو حرى بأن يراجع . ولابن الاثير صاحبنا عدد من الرسائل يصف فيها منازه الصيد واحواله (٥٦) . ومن ملاهيهم رمى البندق ، وهو كرات صغيرة من متحجر الطين او الرصاص يستعملونها لرمي الطير ويتبارون في ذلك باهتمام شديد . ففي سنة ٦٢٢ لما افضت الخلافة الى الناصر لدين الله جعل لرمي البندق شأنا ، بل جعله بمثابة فن لا يتعاطاه الا طائفة خاصة يعينهم الخليفة فيلبسون سراويل خاصة تسمى سراويل الفتوة ، ويشربون كأساً

خاصة تسمى كأس الفتوة. واصبحت هذه السراويل علامة شرف يخلعها الخليفة على من يرغب في تكريمه من الامراء [٥٧] .

وفي رسائل ابن الاثير اشارات الى هذه الخلعة والى اهتمام الامراء بالحصول عليها . ومن امثلة ذلك كتاب كتبه عن الملك الظاهر الى ديوان الخلافة ، وضمنه السؤال في ارسال سروال الفتوة جاء فيه : « واشرف من ذلك كله ان امير المؤمنين جعله (اي السروال) سببا بينه وبين اوليائه الذين هم شيعته وانصاره . وليس العبد (اي الملك الظاهر) بأدنى منهم مقاما ، ولا ابعد ذماما ولا اقل عدداً ، ولا اقصر لسانا ويداً . فاذا ارسل اليه شد به عقدة إضماره ، كما يشد به عقد ازاره . واصبح يدعى ذا النطاقين ... ولئن تقدم العبد في هذا المقام فان الاستحقاق يقضى له بالتقديم [٥٨] . الخ ... ويعني ذلك ان غيره وان كان اقدم منه عهداً فـــانه لا يتقدم بالمزية التي تقتضي تكريم الخليفة له بمثل هذه الخلعة . فترى من ذلك مزيد اهتمام الملك الظاهر بالحصول على سروال الفتوة وعده اياه تكريما له ورفعا لشأنه .

ولــا اجاب الخليفة طلبه بعث اليه بكتاب من انشاء ابن الاثير مع رسول خاص يشكره ويقبل الاعتاب الخليفية المقدسة [٥٩] . فقد كان لمقام الخلافة من علو الشأن ما يحمل الملوك والامراء على تعظيمه والتواضع لديه، حتى كان الواحد منهم اذا خاطب الخليفة لقب نفسه بالعبد او المملوك او الخادم . على ان ذلك لا يتعدى « الرسميات الخارجية ». فان الخليفة – خارج مقامه الديني كأمير المؤمنين – لم يكن له من سلطة على الملوك وخصوصــا اذا بلغوا من سعة الملك والسلطان ما بلغه امثال صلاح الدين من اصحاب الدول . فكان اذا عظم شأن امير او ملك يطلب من الخليفة ان يرسل له تشريفا (او تقليداً) وخلعة اعترافا منه بملكيته ، فلا يسع الخليفة الا ان يرسل له ذلك مع رسول خــاص ، ومن عاداتهم انه اذا جاء الرسول بالخلعة يحتفل الملك باستقباله في يوم مشهود يحضر النـــاس فيه بزينتهم كأنهم في عيد من الاعياد العظيمة فتدق البشائر وتزين

الاسواق . ثم يقوم الرسول فيقرأ كتاب الخليفة على الملأ ، وهاك مثلا ما ورد في رسالة كتبها ابن الاثير عن مخدومه الى ديوان الخلافة جوابا عن كتاب ورد من الخليفة مع رسولين وعلى ايديهما تشريف الخلعة .

« وكتاب امير المؤمنين وخلعته عيدان يصام لهما وفاء لنذر الناذر ، وتنحر فيها رقاب الحساد بمدية الحسد التي هي أمضى من مدية الجازر . ولا يروم الفائز بتلك الخلعة مزيداً من دنياه ولا من اخراه ، وهي اخت البردة النبوية في فيض بركتها لمن يصافحه ، ووقار مهابتها لمن يراه » . وبعد ان يسهب ما شاء في مثل هذه الديباجة يتقدم الى وصف الاحتفال باستقبال الرسولين فيقول: « ولما شارفا هذه الارض خرج للقائهما فاهتبل نهزة البدار ، واوسع لخطواته في الاكثار ، ولم ينتظر بهما قرب المكان فيضيع من خدمته في ذلك الانتظار . ونادى في اهل بلده بأن يخرجوا في حفلهم ويأتوا بفرضهم ونفلهم . وامرهم ان يتواردوا على مورد ، ويتواعدوا على موعد ، وان يأخذوا من زينتهم التي امر الله بأخذها عند كل مسجد » ، الى آخر الرسالة [٦٠]

وفي رسالة اخرى بهذا المعنى يقول (وكان الخليفة قد ارسل سراويل الفتوة مع رسول اسمه بدر الدين) : « وحضر السيد بدر الدين) : فتشابه هو وسميه في اشراق الانوار غير ان ذلك يضيء ليلا وهذا يضيء في الليل والنهار » ، الى قوله : « ثم احتفل للقائه احتفال من جاءته البشرى على يده ، وامر الناس ان يأخذوا له زينتهم كما يأخذها المرء المسلم عند مسجده . وكان المقام مشهوراً . واثره عند الله مأثوراً ... وحضر عند ذلك الشعراء وانشدوا مدائح امير المؤمنين التي علت قدراً، وكانت ذكراً، واوردوها نظما كما اوردوها نثراً » ، الخ [٦١] .

ولنقل على سبيل الاستطراد ما أشبه العهود الاقطاعية بعضها ببعض في كل عصر ، ففي لبنان مثلا كان امير الجبل في القرنين الماضيين يثبت بخلعة ترده من الوالي العام المقيم في عكا . وكان الامير يلبس هذه الخلعة في احتفال عام ينشد

فيها الشعراء المدائح والتهاني . (راجع تاريخ الامير حيدر ص ٩٣٦ — ٩٥٣) .

وكان اذا ظهرمن الخليفة تباطؤ او اهمال في ارسال الخلع الى احد الملوك يعد ذلك تقصيرا في حقه فلا يتورع اذا كان ذا سطوة وسلطان عن مراجعة الخليفة ومطالبته بهذا الحق ، كما فعل صلاح الدين وقد استبطأ ورود الانعام من الخليفة فكتب اليه كتابا يقول فيه مقدمته : « واذا كان ولي الدولة في طاعتها واحدا ، فينبغي ان يكون احسانها المكافىء ، له يضا واحدا ، وطريق الاحسان هو الطاعة ولن يرى احدهما عن الآخر حائدا . فما بال « الخادم » يشكو اعراضها عنه ومساعيه لديها مشكورة، ويرى حظه من عنايتها قاصرا وخدمه على ابوابها، مقصورة ، امن العدل ان يجعل الميزان الثقيل كالميزان الخفيف ؟ » ، الى قوله : « ونتيجة هذا القول ان الخادم الف من الانعام عادة تماسيه وتصابحه ، وتحييه وتصافحه ، وقد اوحشه انقطاع مزارها ، وضل بامله اختفاء منارها . وحدثته ظنونه بما يثقل على لسانه الافاضة في ذكره، والظن ولوع بما يسوء المرء من امره. وقد وقف الان بين ان يسرّها عنده فيحمل منها ثقلا، وبين ان يعلن بها فيسدد فيها نصلا » ، الخ [٦٢] . ومثل ذلك ما فعله الملك العادل سنة ٦٠٤ اذ بعث الى الخليفة يطلب التشريف والتقليد فأرسل له الخليفة ذلك وارسل الخلع لوزيره ابن شكر ولاولاد العادل . وكانت الخلعة جبّة اطلس اسود واسعة الكم بطراز مذهب ، وعمامة سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب بجوهر ثقيل ، واحتفاء بذلك اقيمت الزينات . ثمانية ايام (المقريزي ، السلوك — ١—١—١٦٨) .

ولقد يبلغ بهم الامر احيانا الى معاتبة الخليفة اذا كانت الخلعة ترسل مع رسول غير لائق بالمقام . ففي كتاب ارسله الملك الظاهر الى ديوان الخلافة ترى تعريضا منه برسول الخليفة اذ يقول : « وقد ورد منها الان وارد على يدي فلان الا انه لم يماثل بين مكان الحامل ، والمحمول ، بل جاء الفاضل على يد المفضول . وقد وجد المشار اليه مبهما ، وليس الاغر كالبهيم ، وقيل فيه « لولا القي هذا الكتاب الى رجل من القريتين عظيم » ولا شك ان الديوان العزيز ياخذ الوهاد

فيجعلها اطوادا ، وخدمته هي النسب الذي لا يحتاج صاحبه ان ينسب اباً ولا اجدادا . ولكنه اذا عرف المعروف كان ذلك احسن في مناسبة الاشكال والاضراب ، والطوق في جيد الحمامة احسن منه في جيد الغراب . وفي وجاهة الرسول ما يرفع المرسل اليه قدرا ، ويشرح له صدرا ، ومراتب الدرجات تتفاوت في نزولها وصعودها .. وقد كان الخادم يفخر على غيره من الاولياء ،بانه مميز في كتبه ورسله وانه لا يقال له ما قيل لاحد من قبله . وهو الان واقف بين ان يغضي فيكون ذلك قدحاً في مكانه،وبين ان يقول فيبسط عن عذبة لسانه »، الى آخر الرسالة (٦٣) .

وكان لهم العاب للتسلية وتمضية الوقت اهمها الشطرنج وكانوا يتنافسون في ذلك ويتبارون ، ولابن الاثير رسالة في ذلك ، راجعها في مخطوطة بيروت ص ١٣٠ .

المعاملات العامة :

كان للمعاملات العامة من تجارات وصناعات وما اليها ديوان يرأسه موظف يسمى « المحتسب »وهو منصب عالٍ ذو مسؤوليات خطيرة يتولاه صاحبه بتقليد خاص من السلطان.ومن صلاحياته مراقبة المبيعات والاسعار والمكاييل والموازين وحال الطرق وتنظيم السير وكذلك مراقبة المراكب فيلزم اصحابها ان لا يحملوا اكثر من « وسق السلامة »، ومنها مراقبة المدارس فيحذر من سوء معاملة المعلمين للصبيان والتغرير باولاد الناس ، وغير ذلك من المعاملات . وعليه ان يحافظ على ما يقتضيه الشرع . ولاهمية وظيفته لم يكن يحال بينه وبين مصلحة اذا رآها . والحكام تشد ازره عند الحاجة . وكان يدفع له شهريا ثلاثون دينارا (٦٤) .

وفي رسائل ابن الاثير تقليد من قبل الحاكم بمنصب الحسبة لاحدهم يقع في عدة صفحات نقتطف منه للتمثيل ما يلي :

« اما بعد فقد جعل الله جزاء التمكين في ارضه ، ان يقام بحدود فرضه ..

ومن اهم ما يقرر بناؤه ، ويقدم غناؤه ويصلح به الزمن وابنـاؤه ، ان تمضي احكام الشريعة المطهرة على ما قررته في تعريف ما عرفته ، وتنكير مانكرته، ومدار ذلـك على النظر في امر الحسبة التي تتنزل منه منزلة السلك في العقـد ، والكف من الزند » .

ثم يوصي الذي سيتقلد هذا المنصب بما يطلب منه القيام به ومن ذلك قوله :

« ونحن نامرك ان تتصفح احوال الناس في امر دينهم الذي هو عصمة مالهم، وامر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم ، فابدأ اولا بالنظر في العقائد ، واهد فيها الى سبيـــل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد » (اي سنة السلف الصالح) . ومن وصاياه : وها هنا عظيمة عضيهة ، وفاحشة تفقه لها من ليست نفسه بفقيهة ، وهي الربا فانه قد كثر آكله ، وتظاهر به فاعله ، وقـال فساق الفقهاء بتأويله، وتوسلوا الى شبه تحليله ».« وقد كثر في الاسواق الخلابة والنجش (رفع ثمن السلعة) وتلقي الركبان وبيع الحاضر للبادي ، وتنفيق السلعة باليمين الكاذبة ، وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها والنهي عن تورد مكانها » ثم يتناول شر الاحتكار وينهى عنه. ويطلب منه الاهتمام بابطال بعض العوائد كلبس الحرير والتحلي بالذهب ، والابتذال في الملابس غير اللائقـة وخصوصا النساء فقد «احدثن الان من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب». ومما خولفت فيه السنة عقد المجالس للتعازي ، واظهار شعار الاسود والازرق من اللباس والتشبه بالجاهلية في النوح والندب .. وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور ، وجعل الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور ، فصارت المآتم بينهم ولائم ، والمنادب عندهم مآدب . » وفيما عرف الناس منكره إثارة التحرش بين الحيوانات والمواظبة على اضرام شحنائها ولربما نشأ عن ذلك فتنة تؤول الى ضراب وشق ثياب . » الى غير ذلك من الوصايا التي كان على المحتسب العمل بها [٦٥] .

ومن المناصب التي كان يصدر بها تقليد سلطـاني منصب التدريس . ويختص ذلك بالمعاهد التي يعظم خطرها كالمدرسة الصلاحية والمنصورية والجامع الطولوني.

وكذلك منصب الخطابة وهو من اجل المناصب . والتقليد السلطاني لا يصدر لخطابة كل جامع بل الى القليل النادر ذي الحظوة والشأن كجامع القلعة في مصر وما كان مثله من الجوامع الهامة (٦٦) . واليك مقتطفات من تقليد بخطابة المسجد الجامع من انشاء ابن الاثير – قال بعد المقدمة : « اما بعد فان ذؤابة المنبر رتبة طامحة وخطة نازحة ، وهي غصن من الاغصان لا يزينه الا حمامة صادحة . ولا شك انها بالمرقى البعيد والجانب الشديد . ولذلك قرنت بروعتها بقعقعة لجام البريد (٦٧) . وكثيرا ما تعاطاها الفصحاء فالقمهم العي حجرا ، ولم يعل احدهم اليها مرتقيا الا وانزله الخجل منحدرا . وقد كانت في الزمن القديم مرصدة لما يتجدد من الخطوب الرائعة وكلما حدث منها حادث نودي بالصلاة جامعة . وهي اليوم مقصورة على يوم الجمعة وحده ، ولا يزيد صاحبها على ان يذكر موقف القيامة ووردة ، واهوال الموت وما بعده . ومع ذلك فلا ترى فيها الا لسانا كليلا ، واذا نظر الى المحسنين وجدوا قليلا . » وهنا يتخلص الى القول ان الزمان سمح لها بواحد ممتاز وهو « انت ايها الخطيب وقد وليناك الخطابة في مدينة هي وجه من وجوه البلاد » .. « وقد وصيناك والوصايا اليك كثيرة ، ولكن ملاكها ان تكون الصلاة طويلة والخطبة قصيرة . » ومن الوصايا : – « واذا استويت في محرابك فرتل القرآن بالصوت الرخيم . واقرأ كما انزله على الرسول الكريم » . ومنها – « وكذلك نوصيك بالاحتفال لمصليات الاعياد التي هي مواسم الاعوام ، والناس في مواظبتها اشد حرصا من الجمعة التي هي موسم الايام ، ولا يخرج اليها احد الا وقد مس طيبا ، ولبس ثوبا قشيبا » ، الى آخر هذه الوصايا .

وعلى ذكر الاعياد نذكر انهم كانوا في مصر يحتفلون جميعا مسلمين واقباطا بعيد النوروز القبطي وهو رأس السنة عند الاقباط . ويشترك في ذلك الحكومة والشعب على اختلاف طبقاتهم فتعطل الاسواق ، وتوزع الهدايا لرجال الدولة وذويهم . ومن عاداتهم انهم كانوا يتراجمون بالبيض ، ويتراشون بالماء والخمر . فكانت تكثر فيه المنكرات كشرب الخمر وسواها (٦٨) . وليس في رسائل ابن الاثير ذكر لهذا العيد ، على ان له رسالة تهنئة بالمهرجان والنوروز الفارسي ،

والاول يقع في الخريف ، والثاني في الاعتــدال الربيعي ، وهو رأس السنة عند العجم ، يقول فيها : « الهناء كما يحسن بنوروز السنة فكذلك يحسن بمهرجانها ، وليس ذلك الا لاعتدال الشمس في برج حَمَلها وبرج ميزانها. وبين هذين الفصلين مناسبة في محاسن الآثار . فهذا من حظ الافواه (يشير الى ثمـــار الخريف) ، وهذا من حظ الابصار (يقصد جمال الربيع) . وبعد ان يجعلهما يتنـاظران متفاخرين كل بمحاسنه– يتقدم الى الذي يهنئه قائلا: « فليستجل من هذاالكتاب حسنا ليس بحائل ، وسحرا لم يات بمثله الملكان ببابل، وليتَـهَنَّ بهذا المهرجان ويستسلف هناء للنوروز القابل » ، الخ [٦٩] .. اما الاعياد الاسلامية كالاضحى والفطر وغيرهما فترد مرات في الرسائل ولا تختلف قديما عما هي الان .

هذه نظرة عامة القيها على رسائل ابن الاثير محاولا ان اتبين فيها ما للادب من فائدة في دراسة التاريخ ، ولعمري ان كلا المؤرخ والاديب يحتاج احدهما الى الآخر . فهذا يتحرى احوال العمران وحوادث الايام ، وذاك يعكس اثرهـا في النفوس بما تنفثه على الاقلام . هذا يستخدم العقل المتبصر، وذاك يستخدم القلب المتأثر . ولا ينكر ، كم في الرواية التاريخية من اخطاء واضاليل ، وكم في النفثات الادبية من اوهام واباطيل . ولكن قلما اتفق الادب والتاريخ في امر متّـــا الا وبان على حقيقته ، وكان في اتفاقهما برهان للآخر على صحة شهادته .

المراجع

(١) راجع وفيات الاعيان (تحت ترجمة ابن الاثير) ج ٣ ص ٦٤

(٢) اما النسخة التي حققناها عن مخطوطة استنبول وطبعناهـــا سنة ١٩٥٩ فسيشار اليهـــا للاختصار بحرف (م) .

(٣) المثل السائر ٣٤٠ .

(٤) (م) ١٤٩ .

(٥) المثل السائر ١٢٢ – ١٤١ .

(٦) مرآة الزمان .

(٧) ابن كثير : حوادث ٥٧١ .

(٨) مخ بيروت ١٥٣ .

(٩) الوفيات ج ٢ في ترجمة الملك الافضل .

(١٠) وكان الافضل قد وهبه القدس ثم رجع عن ذلك المقريزي ج ١ ق ٢ ص ١١٥ .

(١١) راجع ابن الشحنة على هامش الكامل لابن الاثير في حوادث (٥٩٠) وكذلك الكامل ، للسنة نفسها .

(١٢) مرآة الزمان ٢٨٠ .

(١٣) راجعها في (م) ص ٢٩٧ .

(١٤) صبح الاعشى ج ١٣ ص ١٤٤ .

(١٥) ابن خلكان في ترجمة ضياء الدين ابن الاثير ، وابن الشحنة والكامل ، حوادث ٥٩٢.

(١٦) مرآة الزهال ٢٨٠ .

(١٧) مرآة الزمان ٢٨٣ .

(١٨) الكامل ، حوادث ٥٩٢ .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) ابن خلكان ٣ — ٦٥ .

(٢١) المقريزي ١ — ١ حوادث ٥٩٥ .

(٢٢) المثل السائر ١٧٤ ويشير كاهين الى هذه الرسالة في المجموعة التي اطلع عليها .

(٢٣) المثل السائر ٤١٥ .

(٢٤) (م) ٢٩١ .

(٢٥) راجع الكابين في مخطوطة الجامعة الامريكية في بيروت ص ٢٢٥و٢٢٨ .

(٢٦) مخطوطة الجامعة الامريكية ٤٠ .

(٢٧) راجع السلوك للمقريزي ، حوادث ٥٩٦ و٥٩٧ و٥٩٨ .

(٢٨) مخطوطة بيروت ، ٥٤ .

(٢٩) (م) ، ص ٢٣٥ .

(٣٠) مخ بيروت ص ١٢٥ .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) م ، ص ٢٤٢ .

(٣٣) م ، ص ٢٤١ .

(٣٤) (م) ص ١٧ .

(٣٥) (م) ص ٢٥ .

(٣٦) (م) ص ٢٨ .

(٣٧) (م) ص ٥٧ .

(٣٨) (م) ص ٣٦ .

(٣٩) (م) ٥٤ — ٥٧ .

(٤٠) راجعه في صبح الاعشى (المطبعة الاميرية بالقاهرة) ٦ - ٤٩٩ .

(٤١) المثل السائر ٣٤٠ - ٣٤٦ .

(٤٢) (م) ٢٨٠ .

(٤٣) راجع كامل ابن الاثير ، حوادث سنة ٦١٥ الى سنة ٦١٨ وكتاب ابن الاثير عنه في (م) ٦٣ .

(٤٤) (م) ٦٣ — ٦٦ .

(٤٥) مخطوطة بيروت ، ص ٢١ و ٢٢ .

(٤٦) السلوك ج ١ قسم ١ ص ١٢٤ ، والخطط (مصر ١٣٢٤) ١٦٩ .

(٤٧) راجع ما نقله حبيب الزيات عن الروضتين في مجلة المشرق (بيروت) ٣٧ - ٤٦٤ .

(٤٨) المصدر السابق .

(٤٩) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٨٥ .

(٥٠) مخطوطة بيروت ٢٤ و ٢٥ .

(٥١) مخطوطة بيروت ١٥٣ .

(٥٢) (م) ١٤٤ .

(٥٣) البداية والنهاية ، حوادث ٥٩٢ .

(٥٤) السلوك ١ ق ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ .

(٥٥) الكامل ، حوادث ٦٢٢ .

(٥٦) راجع (م) ص ٩٧ و ١٠٠ و١٠٣ و ١٠٥ و١٠٦ .

(٥٧) راجع وصف زيدان لها في التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٥٣ .

(٥٨) راجع نص الكتاب في (م) ٢٣٥ .

(٥٩) راجعه في مخطوطة بيروت ١٠٦ .

(٦٠) (م) ص ١٧٣ .

(٦١) مخطوطة بيروت ١٠٨ .

(٦٢) راجع الكتاب في (م) ص ٣١٠ ، راجع ايضاً ص ٢٤٢ كتاب صاحب المرصل الى الخليفة .

(٦٣) (م) ص ٢٠١ .

(٦٤) راجع المواعظ والاعتبار للمقريزي ج ١ ص ٤٦٣ ، وكذلك صبح الاعشى ٤ - ٣٧ .

(٦٥) راجع هذا التقليد في الرسائل (م) ١٣٩ - ١٤٨ .

(٦٦) راجع صبح الاعشى مج ٣ - ٣٩ .

(٦٧) كان لخيل البريد قديما روعة عند وصولها .

(٦٨) راجع المقريزي، المواعظ والاعتبار ١ - ٤٩٣، والسلوك ٢٥١ من ١٣٦ (ج ١ق٢).

(٦٩) م -- ٨٩ .

الاسلام عند قبيلة التِمْني

فؤاد اسحق الخوري

المقدمة

تحتل قبيلة التمني التي يقرب عددها من النصف مليون نسمة ، حوالي ١٠٥٠٠ ميل مربع في المحافظة الشمالية من سيراليون في افريقية الغربية . فهي تكاد تفصل بين الغابات الاستوائية الكثة والبطائح العشبية في الشمال (سفانا) التي تتصف بقلة الاشجار . وقد ترك هذا الواقع الجغرافي اثراً ملحوظاً في مدى انتشار الاسلام بين اهل التمني . ليس هذا فقط، بل ان جغرافية افريقية الغربية عامةً كانت من الاسباب المهمة التي أثّرت في انتشار الاسلام في هذه المنطقة .

ان تتبّع انتشار الاسلام في البلدان الاستوائية - كغانا وشاطيء العاج وليبيريا وجنوبي نيجيريا - يبيّن أنه كان بطيئاً وقليلاً جداً بالنسبة لانتشاره في البلدان الواقعة خارج الغابات الاستوائية كالسنيغال ومالي والنيجر وشمالي نيجيريا . ويعود هذا الفرق في انتشار الاسلام بين البلدان الاستوائية وغيرها من بلدان افريقية الغربية الواقعة في الشمال الى امرين اساسيين : اولاً ، كيفية انتشار الاسلام في افريقية الغربية، والحوادث التاريخية التي رافقت هذا الانتشار ؛ وثانياً، المنظمات الدينية السرية التي حاربت الدين الجديد وصمدت في وجهه . وبالفعل ما تزال هذه المنظمات تحارب الاسلام حتى يومنا هذا في كثيرٍ من البلدان الاستوائية في افريقية .

كيفية انتشار الاسلام

انتشر الاسلام في افريقية الغربية عن طريق التجار المسلمين من جهة ، وعن طريق الجهـاد من الجهة الاخرى . وقد سبق تأثير التجار تاريخيا الجهاد في نشر الاسلام . فقد بدأت حروب الجهاد في سنة ١٠٢٢ م ، بيد ان التبادل التجاري بين شمالي افريقية وبلاد السودان يعود الى ما قبل هذا التاريخ بكثير — حتى الى العصور الرومانية — ولم يتوقف هذا التبادل في العهود العربية ، بل ازداد خلال الفتح العربي لشمالي افريقية بسبب استعمال النوق لهذه الغاية . فقد كان التجار المسلمون من الشمال يأتون السودان ببضائع البحر الابيض المتوسط ويعودون بالذهب والرق والعـاج ، وغيرهـا من السلع التجارية المتوفرة في بلاد السودان آنذاك . وكان لهؤلاء التجار مكانة اجتماعية خاصة عند الزعماء الافريقيين لما لهذه البضائع من شأن كبير. وبذلك بدأ هؤلاء الزعماء يكتسبون الاسلام قدوةً بالتجار ، حتى غدا الاسلام الى زمن طويل دين الزعامـات الافريقية وبقيت جمهرة الشعب على دينها المحلي (Trimingham ١٩٥٩ : صفحة ١٩٠ — ١٩٥) ففي القرن العاشر الميلادي ، اصبحت بعض المراكز التجارية في السودان مثل « **اوداغات** » و « **اوغام** » ذات صبغة اسلامية اصيلة لما فيها من جوامع ومآذن ومآثر اسلامية اخرى . وباختصار ، لقد دخل الاسلام افريقية الغربية — اول ما دخل — عن طريق التجار المسلمين وبطرق سلمية .

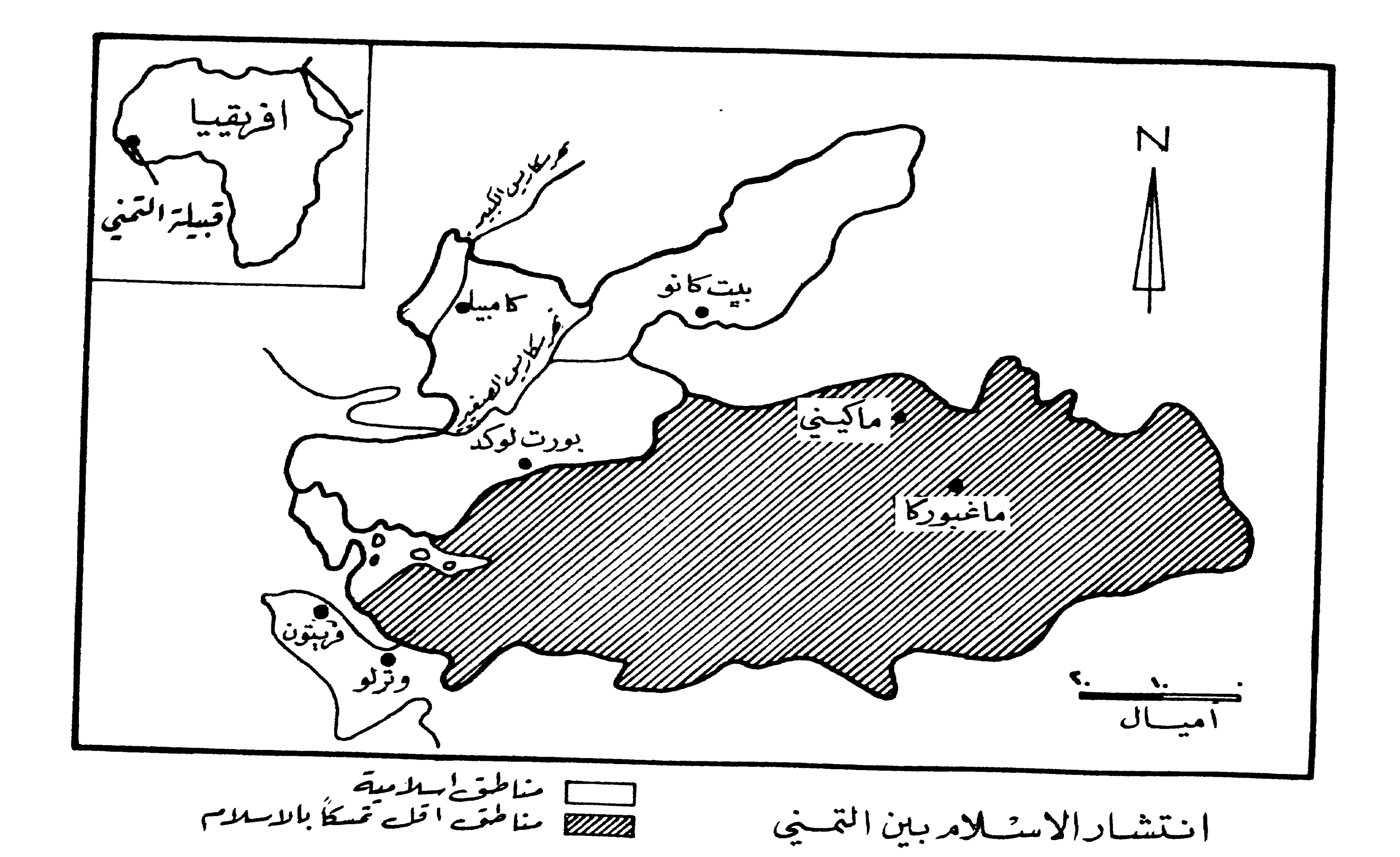
وعندما رسخ الاسلام في نفوس بعض الزعماء الافريقيين بدأ هؤلاء برحلاتهم المشهورة الى مكة للحج . ومن هنا تشرَّب البعض منهم فكرة الجهاد المقدس . وكانت اول حادثة من سلسلة حروب الجهاد سنة ١٠٢٢ م ، وذلك عندما جاء الحج زعيم افريقي اسمه « **تارسينا** » من قبيلة « **سانحاجي** ». وماأن عاد إلى بلاده حتى باشر بتطبيق فكرة الجهاد المقدس . غير انه لم يتمكن من تطبيق مخططه كاملاً اذ وافته المنون سنة ١٠٢٣ م ، ولكنه نجح في زرع بذرة الجهاد المقدس في هذه الديار (Tornberg عن ابن ابي زرع ١٨٣٩ : صفحة ٤٤) . وبدأت منذ

ذلك الحين سلسلة متعاقبة من الحروب التي استمرت حتى اواسط القرن التاسع عشر عندما استتبّ الامر للاوروبي في افريقية الغربية . والجدير بالذكر ان هذه الحروب كانت تأتي في أعقاب اداء فريضة الحج الى مكة ، ولعلّ مردّها إلى مسْدّة الحماسة الدينية التي يؤججها الحج في النفوس .

المهم في الامر هو أنانتشار الاسلام في افريقية الغربية — ان كان عن طريق التجارة او الجهاد — قد توقف عند حدود منطقته الغابات الاستوائية . والسبب في ذلك صعوبة المواصلات لا بل انقطاعها بين المنطقة السودانية والبلدان الاستوائية ، وذلك بداعي كثافة الاشجار وكثرة الامطار طوال السنة في هذه المنطقة .

المنظمات الدينية :

إن المنظمات الدينيةالسرية ووفرة انتشارها بينعدد كبير منالقبائل الاستوائية قد أخّر في انتشار الاسلام بين هذه الاقوام . ونذكر على سبيل المثال جمعية « **البورو** » للذكور ،المنتشرة في سيرّاليون وفي جمهورية غينيا (Little ١٩٤٨ ؛ Dorjahn ١٩٦١) ، وجمعية « **نداكو غبويا** » المنتشرة بين قبيلة « **النوبي** » في نيجيريا وغيرها من القبائل المجاورة (Nadel ١٩٦١ : صفحه ١٤١ — ١٤٢). وتتصف هذه المنظمات بسريتها وعمق تغلغلها في كثير من النواحي الحضارية لهذه الشعوب . فهي تلعب دوراً مهمّاً في الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية . كما ان لها شأنها الكبير في اعداد الناشئة اعداداً تربويا يؤهلهم فيما بعد لدخول المجتمع كاعضاء عاملين كاملين . ويقول اهل**التمني** في هذا المضمار ان جمعية **البورو** تجعل الصبيّ رجلاً . ولكل من هذه الجمعيات تنظيم دقيق يسبغ عليها من المتانة ما يؤهلها للوقوف في وجه اي تيار ديني معاكس . يضاف الى هذا كله الاعتقاد السائد ان هذه الجمعيات ليست من صنع الانسان بل هي من صنع الآلهة . فكل من خالف نظامها يتلقّى جزاءه عند ربّه الذي يعرف بـ « **كرومسايا** » عند اهل التمني .وتتعدّى هذه الجمعيات نطاق القبيلة الواحدة ، فاعضاؤها اخوة رغم انتمائهم الى قبائل مختلفة .وهذا نفسه ما يدعو اليه الاسلام:



انتشار الاسلام بين التمني

الاخوة العالمية. فلو اقتصرت عضوية هذه الجمعيات على افراد قبيلة ما لهان الامر، ولاستطاع المسلمون عندئذ ان يعلنوا شيئا جديداً يتعلق بالاخوة الاسلامية .

هذه الاسباب وغيرها قد أقامت من الجمعيات السرية في افريقية الغربية حائلاً قويّاً ضد انتشار الاسلام في البلدان الاستوائية . لذلك نرى – والحق يقال – ان الاسلام قد بدأ يدخل هذ البلدان بعد ان استقرّ الاوروبي هناك ، وعبث في الجمعيات السرية فأضعفها، وبذلك اسهم في انتشار الاسلام ولو تدريجياً. زد الى ذلك انه قد أمّن طرق المواصلات التجارية ووسّع شبكتها، وبذلك ازداد عدد التجار المسلمين في البلدان الاستوائية وازداد معهم عدد المسلمين المحليين . وبالرغم من كل هذا فما زال الاسلام اضعف في المناطق الاستوائية منه في منطقة السودان بكثير .

يستنتج من هذا العرض السريع للعوامل التي اثرت في انتشار الاسلام في افريقية الغربية ان موقع قبيلة التمني الجغرافي وتبنيهم لجمعيات سرية **كالبورو** للذكور **والبندو** للاناث قد البس الاسلام بينهم ثوباً دينياً خاصاً. فالاسلام اقوى انتشاراً بين شعب التمني الذي يسكن المنطقة الشمالية منه في الشعب الذي يسكن المناطق الاخرى . ومردّ هذا الامر الى كون الشعب الشمالي اكثر احتكاكا – بسبب سهولة المواصلات – مع السودانيين المسلمين . ان المراسم الدينية المتبعة بين اهل التمني لتتويج شيخ المقاطعة ودفنه لهي اصدق مثالا على هذا القول . فالشمال يطبّق العبادات الاسلامية حيث تطبق المناطق الاخرى التقاليد الدينية المحلية . (Dojahn ١٩٥٩ : صفحة ١٥٩) . فان نحن اعتبرنا شعب التمني ككل ، رأينا ان دخول الاسلام اليه كدين لعامة الشعب هو دخول حديث العهد . ولذلك يصنف ترمنغهام الذي كتب الكثير عن الاسلام في افريقية – يصنّف قبيلة التمني بين القبائل التي تمر بمرحلة انتقالية بالنسبة للاسلام (Trimingham ١٩٥٩ : صفحة ١٠٤ – ١٠٦) والاسلام في هذه المرحلة ، ككل دين جديد، يطمح الى احلال نفسه كاملا محل الاديان

المحلية . ولكن مـا من دين جديد يكسب هذه المعركة على اتمها . اذ اننا نرى دائما ان بعض العناصر المتمثلة في الاديان المحلية قد استمرت رغم انتشار الدين الجديد . بل انها قد استمرت في الدين الجديد. وعلى اساس هذ الاستمرار يمكن التفريق بين مسيحية الشرق ومسيحية الغرب ، وبين الاسلام في البلدان العربية والاسلام في افريقية. وتعرف عملية الدمج هذه – دمج القديم بالحديث – في علم الانسان (الانثرو بولوجيا) الحضاري بعملية Syncretism . ففي بلاد المكسيك مثلاً اصبحت مريم العذراء آلهة الذرة الصفراء بالنسبة للوطنيين هناك. واصبحت الملائكة – كجبريل وغيره – من **سكنى** رؤوس التلال عند قبيلة التمني تشبيها بالارواح الخيّرة . وبذلك بات على كل فرد من هذه القبيلة ان يتجنّب هذه الروؤس والا ّ عوقب لدخوله امكنة ليس ملكه .

ان استمرار القديم في الحديث ودمج عناصرهما – **يكون** بمجموعهـا وحدة دينية متنـاسقة ، كالمسيحيـة التي تبنـّت الكثير من التعـاليم اليهودية ، والتعاليم اليهودية التي تبنت الكثير من اساطير مـا بين النهرين كقصة نوح مثلاً (Chiera ١٩٦٠). كما وان الاسلام قد تبنى بعض تعاليم المسيحية واليهودية وبعض التعاليم الدينية التي سادت في العصر الجاهلي . وبمـا أن شعب التمني يمرُّ بمرحلة انتقالية بالنسبة للاسلام فإننا نتوقع ان نرى – بين من يجاهر بالاسلام من التمني – كثيراً من المعتقدات والطقوس الدينية التمنية . زد الى ذلك كون الاسلام في افريقية لا يشترط في المسلمين الجدد اعترافـاً كاملاً بتعاليمه . ان الاسلام في افريقية يقارب الوطنيين تدريجياً في شؤون الدين. وتجدر بنا الاشارة هنا الى ان هذا الامر هو احد الاسباب التي جعلت الاسلام اكثر تقبلا للافريقي من المسيحية الاوروبية التي تفرض في معتنقيها الجدد انفصالا تاما ومفاجئاً عن تعاليم اديانهم السابقة .

وعسى ان تكون هذه المقدمة العامة قد مهّدت لما يلي من القول في الاسلام عند قبيلة التمني ، ويجب ان نؤكد هنا ان ما يهمنا من امر المعتقدات والعبادات

الاسلامية عند قبيلة التمني ليس صحتهـــا او عدم صحتها بالنسبة الى التعاليم الاسلامية الحقة ، انما يهمنا معتقدات اهل التمني بالذات بغض النظر عن صحتها او خطئها . هذا الفرق بين الموقف الاول والموقف الثاني هو الفرق بين الدعاة من جهة والمعنيين بشؤون علم الاجتماع من الجهة الاخرى .

المعتقدات الدينية الاسلامية عند التمني[1]

يعالج هذا الفصل المعتقدات الاسلامية عند اهل التمني مع اشارة تفصيلية الى قصة دخول الاسلام بلاد التمني ، وقصة النبي ابراهيم ، وقصة خلق الانسان التمني ، وتُبْحَثُ هذه القصص جميعها بشكلها الاسطوري ومدى علاقة هذه الأساطير بالحياة العامة عند اهل التمني . ويعالج هذا الفصل ايضاً نظرة التمني الى الكون ، ومكانة الانسان فيه ؛ كما وانه يعالج القوى المتنوعة التي تتنازع هذه الكينونة .

ان طريقة البحث تتناول عرض القصة – الاسطورة بنصها الاصلي ثم يليها التعليق على النص .

دخول الاسلام بلاد التمني

النص

في الزمن القديم
في الايام الاولى

---

١) لقد جمعت المعلومات عن الاسلام عند قبيلة التمني خلال تسعة اشهر – ما بين سنة ١٩٦٢ وسنة ١٩٦٣ – عندمـــا كنت اقوم بدراسة بعض النواحـي الاجتماعية والاقتصادية في سيرّا ليون ، وقد اعتمدت عندئذٍ اسلوبي المقابلة والمشاهدة لجمع هذه المعلومات . كما انني قد اعتمدت على قراءة بعض المخطوطات المتوفرة لدى بعض فقهاء التمني . وقد اجريت المقابلات مع عدد من علماء الدين الذين يلقبون بـ « الفا » عند التمني . وقد تكون كلمة الفا مشتقة من كلمة الفاني العربية .

كان العالم [شعب التمني] صائما في الظلام[٢] .

الأخ يقاتل أخاه
ورجل التمني يقاتل رجل التمني
كانت الكراهية والعداوة منتشرتين
وكان العالم صائماً !

* * *

ثم جاءنا ثمانية تجار عرب من المشرق
رأى التجار كل مساوىء البلاد
رأوا قسماً منّا في الغابة
ورأوا قسماً منّا يأكل اطعمة فجة[٣]

لم تكن هناك نار
ولم تكن هناك قدرٌ للطبخ
ولم يكن هناك زرع
رأى العرب الثمانية كل هذا
ولم يوافقوا عليه
ولم يشتر احدٌ بضائعهم
فتصدّقوا بها علينا

* * *

٢) يصوم رجل التمني عندما تتكاثر عليه مشاكل الحياة املاً منه ان الصوم يساعد على حلّها . فالصوم يدل على وجود المشاكل. « العالم الصائم » هو العالم الذي تحيط به المشاكل من كل جهة.

٣) لا يأكل شعب التمني شيئاً فجاً سوى الفاكهة . لذلك يشبهون اللبناني بالارنب عندما يرونه يأكل الخس .

عاد العرب الى بلادهم
واخبروا شعبهم بأمرنا
فطلب شعبهم من التجار ان يعودوا الينا
محملين بالذرة ، والارز ، والبطاطا ، والمانغو ، والباباي ،
والبرتقال ، والليمون ، والبندورة ، والماعز ، والاغنام
واشياء عديدة غيرها

جاؤا وباتوا ليلتهم في « فوتاجالون »[٤]
وصلوّا مساءً
فصلىّ معهم عدد من قبائل « السوسو » و « والفلاه » و « الماندينغو »

ثم انقسم العرب الى قسمين
قسم بقي في فوتاجالون وعلـّم القبائل هناك
علـّمهم وسائل الزرع والمعيشة
وعلمهم الاسلام
وقسم جاء الينا وعلمنا وسائل الزرع والمعيشة
تعلم السوسو والفلاة والماندينغو الاسلام
وأهمل التمني التعاليم الاسلامية
فغضب العرب التجار
وعادوا الى فوتاجالون

وبعد زمن
جاء « السوسو » و « الفلاة » و « الماندينغو » الى بلادنا

---

٤) «فوتا جالون» منطقة جبلية في جمهورية غينيا انطلقت منها دعوات متعددة للجهاد.

وعلموا التمني الاسلام .[٥]

* * *

لقد نسجت هذه الاسطورة القصصية من عدة مصادر . فالفوضى التي كانت تسود البلاد قبل قدوم العرب الثمانية هي الفوضى نفسها التي عمّت البلاد قبل مجيء « البطل الحضاري » (culture hero) الذي تصوره حضارة التمني قبل الاسلام بالرجل الذي جاءهم بكل ما صنعه البشر من حيوان ونبات ومعرفة . ويدل هذا القول على ان مسلمي التمني قد استبدلوا « البطل الحضاري » الاسطوري بالعرب الثمانية ؛ غير انهم قد ابقوا على الحالة التي استدعت وجود الاثنين — الا وهي الفوضى التي سادت البلاد .

وتبنّت هذه القصة — الاسطورة الدور الفعال الذي لعبه التاجر في نشر الاسلام بين شعب التمني . فقد كان العرب الثمانية تجاراً . وفي هذا القول كثير من الصحة كما اشرنا الى ذلك في المقدمة . كما وانها تثبّت الدور الذي لعبه شعب « السوسو » و « الفلاة » و « الماندينغو » في هذا المضمار . وهناك كثير من المصادر الاولية التي تقرّ دخول الاسلام الى بلاد التمني عن طريق هذه القبائل ان كان هذا بواسطة التجار او الجهاد (Fyfe ١٩٦٤ : صفحة ٧٨ — ٨٨) .[٦]

---

٥) هناك من التمني من يقول ان الاسلام قد جاء اليهم مباشرة من العرب . بل يذهبون الى ابعد من ذلك فيرجعون أصلهم الى اصل عربي من الشرق . يشكّ كثيراً في صحة هذا القول اذ ان التاريخ لا يثبت اي اتصال حضاري او عرقي مباشر . غير ان الرجوع الى الاصل العربي يقوي من اهمية الفرد الاجتماعية اذ ان المسلمين في افريقية الغربية يفاخرون بذلك .

٦) يشير هذا المصدر الى المصادر الاولية التالية :

أ) *Sierra Leone Studies* (old Series) vol. xxxi (1939) pp. 40-44.
يشير هذا المصدر الى حياة واعمال المرحوم الإمام «جامبوريا» ، زعيم قبيلة الفلاة في فريتون ،

ثم ان عبارة – « وصلـّوا مساءً فصلـّى معهم قبائل السوسو وغيرهم » – هي اشارة دقيقة الى اعتناق الافريقي الاسلام. فهو يصلـّي اولا ثم يتعلـّم اصول الدين .

النبي ابراهيم (٧)

في أيّام ابراهيم القديمة
كان في الغابة مكان يدعى « سام »
وكان يسكن ارض سام جنيّ سيىء

كلـّم الله ابراهيم
قال الله لابراهيم ان يبني مكة
فبنى ابراهيم مكة

قال الله لابراهيم ان ينظف الارض في سام
فنظفها واعدها للزرع

وقد كتبه ابنه « محمد سليمان جالو » .

ب) A. C. Laing, *Travels in the Timance, Kooranko, and Soolima Countries*. London, 1825 pp. 400-412.
يشير هذا المصدر الى الرحلة التي قام بها العقيد « لاينغ » الى بر التمني ، ويتحدث بهـا عن طبيعة الحروب المقدسة هناك .

ج) T. Winterbottom, *An Account of the Native Africans in the Neighbourhood of Sierra Leone*. London, 1803 pp. 230-33.
يشير هذا المصدر الىالزيارة التي قام بها الرحّالتان Winternhottom و Watt الى بـلدة « تمبو » عاصمة « فوتا جالون » في سنة ١٧٩٤ ، والتي يصفان فيها بعض المشاهد من حياة المسلمين هناك .

٧) يعرف النبي ابراهيم « بالفا برايما » عند التمني .

ولمّا أحرقها[٨] هرب الجنيّ السيء من سام
ولم يكن مسلماً
هرب الجني الى فريتون
واختبأ هناك في البحر
وكل من يراه اليوم يموت
فلا يراه الأحياء

هرب الجنيُّ السيىء من النار
لم يبق لهُ مكان في سام
لقد اضرم ابراهيم النار في سام
طلب الله من ابراهيم أن يدعو اسمه اربع مرات قبل اضرام النار ففعل
دعا ابراهيم اسم الله اربع مرات الى الجنوب
ودعا ابراهيم اسم الله اربع مّرات الى الشمال
ودعا ابراهيم اسم الله اربع مّرات الى الشرق
ودعا ابراهيم اسم الله اربع مّرات الى الغرب

وكان في « سام » ثعبان يدعى « أنغراق »
واحترق الثعبان بالنار
ورأى النبي ابراهيم الثعبان المحروق
وتضرّع الى الله ان يعيد الثعبان الى الحياة
وفي الحال عاد الثعبان الى الحياة

فقال ابراهيم مخاطباً الثعبان :
أوَلم تسمعني انادي باسم الله الى الجهات الاربع

٨) يحضر الافريقي الارض بقطع الاشجار والاعشاب التي فيها ، ثم يحرق هذه النباتات ليعد الارض للزرع .

فأجاب الثعبان : نعم سمعتك ! ثم اردف :
لقد فرّ الرجال من ارض سام عندما احترقت
هؤلاء لا يملكون الارض
هؤلاء غرباء عن ارض سام
لا يملك احد ارض سام
انها ملك اجدادي
لقد احترقت في ارض اجدادي
لا يفرّ المرءُ من الأرض التي يملكها .

فقال ابراهيم : هذا عمل مفضال
وترك ابراهيم الثعبان في أرضه
وزرع ابراهيم الارض ارزّاً
وبعد مضي ثلاثة أشهر
عاد ابراهيم الى الارض التي زرعها
وحصد الارزّ

وخاطب ابراهيم الله قائلاً :
يا الله ! ماذا تريدني أن افعل
فقال الله لابراهيم :
أعطي « يكـّا » الى الثعبان [٩]
فقال ابراهيم :
يا الله ! إن الثعبان لا يأكل الارزّ

٩) « اليَلـّكَ » هو الجزء من الموسم (العشر) الذي يعطيه زارع الارض الى مالكها. وتشيرلفظة « يك » الى ما يقدمه المزارع من المحاصيل الى ارواح اجداده الاموات . وذلك بترك المحصول في مكان ما من الحقل مع اجراء المراسم الدينية المناسبة .

فقال الله :
أعطي يا ابراهيم الثعبان يكتّا
فأطاع النبي ابراهيم الله

ثم ذهب النبيّ ابراهيم الى مكة
وبقي ثلاثة ايام في مكة
ثم عاد الى الحقلة
عاد ابراهيم ليرى ما حلّ بأمر الارزّ .
هل أكل الثعبان الارزّ ؟
رأى ابراهيم الطيور
طيور متنوعة تحاول أكل الارزّ
وكلّما اقترب طيرٌ من الارزّ وأكل حبة أكله الثعبان

ورأى ابراهيم الفئران
فئراناً متنوعة تحاول أكل الارزّ
وكلّما اقترب فئر من الارز وأكل حبة أكله الثعبان
عندئذ قال ابراهيم :
الحمد لله رب العالمين
لقد أكل الثعبان الارز مداورة
أكل الثعبان ماله .

* * *

تتضمّن قصة ابراهيم الاسطورية عدة اشارات – كالجهات الاربع والثعبان– من المعتقدات التمنية قبل الاسلام. كما انها تتضمن عدة اشارات من صميم حياة التمني العامة . فهي ترمز الى كيفية الزرع وتوزيع الانتاج عند التمني ، والى ملكية الارض وعلاقتها بمؤسس المحلة القائمة في تلك الارض .

إن فكرة « التأسيس » عند التمني هي عينها حق الملكية . فكل من اسّس محلة ما ملكها ؛ وكل من اعد ارضاً جديدة للزرع ملكها ايضاً . وبذلك تصبح المحلة والارض التي تحيط بها ملكاً للمؤسس الاول . ولا تزول هذه الملكية بوفاته، امّا احفاده من بعده فلا يملكون سوى حق استعمال هذه الارض . وكل من لا يمت بصلة القرابة الى المؤسس الاول فهو غريب عن المحلة ولا يجوز له حق استعمال الارض . وكل من ملك ارضاً حلّ فيها .

نرى مما تقدم ان فكرة « بناء مكة » وتحضير « ارض سام » للزرع في قصة ابراهيم تشير الى فكرة « التأسيس » عند التمني . وترمز « مكة » الى المحلة، كما ترمز ارض « سام » الى الارض الزراعية التي تحيط بالمحلة .

ثم ان كيفية الزرع بقطع الاشجار وحرقها – ثم زرع الارض ارزّاً .. ثم حصد الارز بعد ثلاثة اشهر – كل هذه تدل دلالة واضحة على الطرق الزراعية المتبعة عند التمني . وتدل الاشارة الى الثعبان على توزيع الموسم وعلاقته بملكية الارض . فالارض عند التمني هي ملك للبدنة [١٠] (lineage) التي ينتمي اليها المزارع . ويملك المزارع الحق في استعمال ارض بَدَنته . وتتألف البدنة من ثلاثة الى اربعة اجيال من الاصول الاموات – الذين يرمز اليهم جميعاً بالثعبان في قصة ابراهيم . اما ابراهيم فيرمز الى المزارع الذي يحضر الارض . ويرمز « اليك » الذي يعطيه ابراهيم الى الثعبان الى ما يتوجب على المزارع دفعه الى رئيس البدنة المنتخب، الذي ينظم الاراضي الزراعية ويوزعها على افراد بدنته مرة في كل سنة .

ولا بد من التنويه هنا بأن قصة النبي ابراهيم تدل دلالة واضحة على ارتباط الاسطورة الوثيق بالتنظيم الاجتماعي عند التمني . فهي – اي القصة الاسطورة – بمثابة تشريع سماوي يوجه تفاعل الفرد مع الآخر في مرافق الحياة العامة .

---

١٠) اخذت لفظة بَدَنَةُ من كتاب الانتروبولوجيا الاجتماعية لمؤلفه إ. إ. إفانز بريتشارد . ترجمة احمد ابو زيد . انظر الثبت باهم المصطلحات الواردة في الكتاب .

خلق الانسان ـــ التمني

خلق الله آدم
ووضع الله آدم في الجنينة
وقال الله لآدم :
يا آدم ! لا تأكل ثمرة الحياة

ثم جاء الشيطان وكلم حواء
وكان آدم بعيداً في الغابة
قال الشيطان لحواء
يا حواء ! ان زوجك آدم قد زنى
جامع آدم عدة نساءٍ في الجنينة
وجاء الشيطان بمرآة وقال لحواء .
انظري !
هذه هي النسوة التي يجامعها آدم
فنظرت حواء في المرآة
وصدّقت قول الشيطان
ثم قال الشيطان لحواء
يا حواء ! انظري هذه الاثمار
إن آدم يأخذ هذه الأثمار الى من يجامعه من النسوة
كلي ثمرة واحدة وستنظرين كل ما يحدث في الجنينة

قدّمي الى زوجك ثمرة عندما يعود
فإن رفض أكلها فقد كان يجامع نساءً غيرك
وإن اكلها كان بريئاً من هذه التهمة

أراد الشيطان ان يوقع بآدم وحواء

وكاد آدم ان يأكل الثمرة !
فجاء الملاك المرسل
وأمر آدم الا ّ يأكل الثمرة
وفيما كان آدم يبتلع الثمرة علقت في عنقه (١١)

أكلت حواء الثمرة
فاكتسبت النساء الطمث
لم يبتلع آدم الثموة
ولم تكتسب الرجال الطمث

أكلت حواء الثمرة فوقعت في الخطيئة
وزنى آدم فوقع في الخطيئة
ثم طرد الله آدم وحواء من الجنينة
فحلاّ في عالمنا
وأخذا يتكاثران

كانت حواء بيضاء اللون
وكان آدم ابيض اللون
حبلت حواء
وانجبت توأمين : ابناً وابنة
تزوج الصبي الإبنة
وانجبا عشرين توأماً
وكل توأم اخ واخت

---

(١١) تعرف « تفاحة آدم » عند التمني « بثمرة السماء » .

امر آدم الا ّ يتزوج الاخ اخته
فرفض الاولاد اوامر آدم
ونشب بينهم قتال مرير
فقتل « هالوت » أخاه ولم يدفنه
ولم يعرف احد منهم مراسم الدفن

جاء غراب اسود
وحفر الغراب حفرة صغيرة في الارض
ووضع فيها غصناً صغيراً
وطمر الغصن بالتراب
وفي الحال عرف « هالوت » كيف يدفن اخاه
فدفنه واصبحت مراسيم الدفن معروفة
أنجب اولا آدم اولاداً كثراً
ونشأت بذلك قبائل عديدة
نشأت قبيلة الانجليز
ونشأت قبيلة الاميركان
ونشأت قبيلة التمني
ونشأت قبيلة اللبنانيين
ونشأت كل القبائل من اولاد آدم
وأخذ هذا الخلق وقتاً طويلاً
وكانت خطة الله ان يكون لهذه القبائل ألوان مختلفة
فاختلفت هذه القبائل
اختلف فيهم الدم
كتنوع الدم في اولاد آدم
واختلف فيهم اللون : اللون الابيض واللون الاسود
كتنوع اللون في اولاد آدم

فكل من جامع امرأته في الليل انجب ولداً اسود

ولا يجامع الاسود امرأته الا" في الليل

وكل من جامع امرأته في النهار انجب ولداً ابيض

ولا يجامع الابيض امرأته الا" في النهار

هذه خطة الله

وكان « باي فارما تامي »[١٢] من اولاد آدم

عاش فرما في الشرق

وكان رجل محارباً

حارب جميع المدن

وحفر الخنادق

وانتصر

انتصر على اعدائه

وترك في كل مدينة بضعة جنود من جنوده

وبنى هؤلاء الجنود المدينة

ومَلِكَ المدينة اقوى الجنود

وعرفت كل مدينة باسم مالكها

---

١٢) تعني لفظة « باي » بلغة التمني ملك ، وتعني « تامي » محارب ، و « فارمـــا » اسم علم . وبذلك تعني اللفظة كلها « الملك فارما المحارب » . وتتضارب الآراء فيمن هو « باي فارما تامي » الحقيقي . انظر G. F. Schlenber في كتـــابه A Collection of Temne Traditions, Fables and Proverbs الذي طبع في لندن سنة١٨٦١ ؛فهو يقول في صفحة ٣-- ٥ ان التمني يرجعون اصلهم الى « فارما الذي عاش منذ ثلاثمئة جيل . وفي نفس الوقت يقول اهل التمنى ان « فارما » قد حارب «الهارون » عندمـــا حلـّوا في سيراليون حوالي سنة ١٨٠٠ .

تعرف « ماغبوركا » بالنسبة الى المحارب « روم بوركا »
وهو اقوى الجنود
وتعرف « مابوم » بالنسبة الى المحارب « بابومو »
وهو اقوى الجنود
وتعرف « كيامب » [فريتون اليوم] بالنسبة الى المحارب « كيامب »
وهو اقوى الجنود

جاء الملك « فارما » من الشرق
جاء الملك من حيث تشرق الشمس
جاء بجنوده البسّل
جاء الى هنا
ونحن التمني احفاده
فالتمني شعب قديم
عاش منذ الازل (١٣)

* * *

تقتصر العناصر الاسلامية في اسطورة خلق الانسان في قبيلة التمني على آدم وحواء . وما تبقّى من الاسطورة فهو مأخوذ من حضارة التمني الام . حتى ان مفهـومهم لآدم وحواء قد تأثر بمعتقداتهم التقليدية الى حد بعيد . ونضرب مثلاً على ذلك الخطيئة التي اقترفها آدم :

يعتقد مسلمو التمني ان آدم قد وقع بالخطيئة لا لأنه جامع إحدى النسوة في « الجنينة » بل لأن التي جامعها ابنته. وهذا الفرق بالنسبة لحضارة التمني الام فرق اساسي وجو هري : اذ ان الزنى (adultery) عندهم هو معـاشرة النساء اللواتي لا ينتسبون الى رجل. اما معاشرة النسيبات فهو عمل محرّم (Incest taboo)

١٣) ان لفظة « تمني » تدل على ازلية شعبها . (تم) تعني قديم و (ني) تعني رجـــل . وتعني (تمني) الرجل القديم .

والزنى جريمة اجتماعية يغرّم مرتكبها ست ليرات استرلينية، بيد ان معاشرة المحارم خطيئة «دينية»، ويلقى مرتكبها جزاءَه عند ربه. لذلك لقي آدم جزاءَه من ربّه الذي طرده من الجنينة.

ثم ان تنوع ابناء آدم بالدم واللون والاسباب التي أدت الى هذا التنوع – كلها مستوحاة من المعتقدات التمنية الاصلية. وكذلك هي الحال في استدراجهم للأصل الذي اتوا منه: اي في انتسابهم الى «ياي فارما تامي» احد ابناء آدم فهو المحارب الذي ينتسب اليه التمني كما انهم ينتسبون الى جنوده الاشداء. امّا اعتقادهم بأنهم شعب مشرقي الاصل فقد يعود الى تأثير الاسلام فيهم، والمكانة التي يحتلها متكلّم العربية بينهم.

نظرة التمني الى الكون

يؤمن مسلمو التمني بأن الله قد خلق الكون في سبع درجات علوية وسبع درجات سفلية. ويؤمنون ايضاً ان الدرجات العلوية هي عالم الملائكة والدرجات السفلية هي عالم الجن، وانعالم الانسان يقع بين العالمين السفلي والعلوي. ثم انهم يؤمنون ان الله يترأس عالم الملائكة كما يترأس الشيطان عالم الجن.

إن الله بمفهوم التمني بعيد جداً لا يكلّم البشر مباشرة بل يرسل رسله الملائكة كجبريل ومكاييل ليكلّموا الانبياء الذين بدورهم يكلّمون البشر. والملائكة متعددة وكثيرة، فهي مسؤولة عن كل شيء في الكون. فبعضها مسؤول عن القمر وبعضها عن الشمس والبعض الآخر مسؤول عن البشر. ويفوق عدد الملائكة عدد البشر بكثير، اذ ان لكل انسان ملاكين ملاكاً عن يمينه وملاكاً عن يساره. ويسجل الملاك عن اليمين كل ما يقوم به المرء من اعمال محمودة، ويسجل الملاك عن اليسار الاعمال الشائنة ليحتفظ بها حتى يوم الحساب. ولكنه – اي الملاك عن اليسار – ينتظر خمسة وعشرين دقيقة قبل تسجيل العمل السيء.

فاذا استغفر المرء الله قبل مضي هذا الوقت تخلّص الملاك عن تسجيل ماهو سيىء من فعله . وذلك لأن الله لا يريد ان يقتص من البشر .

إن الملائكة لا تكلّم الانسان مباشرة بل تكلّمه مداورة عن طريق الانبياء . غير ان الانسان يستطيع ان يكلّم الملائكة مباشرة . « فهي تصغي اليه ولا تجيب » كما قال احد التمني . امّا الجن فهي تكلّم الانسان مباشرة وتخبره بالأحداث المرتقبة في البلاد ، ولا تخبره شيئاً عن عالم الملائكة .

ويرأس عالم الجن الشيطان الذى هو ملاك في الأصل ، ولكنه طرد من السماء عندما عصى اوامر الله . وبذلك نزل الشيطان الى العالم السفلي وتزعمه . ومنذ ذلك الحين بات الصراع بين الشيطان والخير صراعاً ازلياً. ويعتقد مسلمو التمني ان الشيطان قد رفض عبادة آدم، وعصى بذلك تعاليم الله كما يظهر فيمايلي:

قال الله للشيطان :
اعبد النبي آدم
فقال الشيطان لله
ادفع لي ثمن اتعابي
فقال الله للشيطان :
وما هو ثمن اتعابك ؟
فقال الشيطان :
قلت لي ان اعبد آدم
ولكني لن اعبد آدم
قال الله :
انت مطرود من مملكتي
فقال الشيطان :
سأحل في الارض ، في العالم السفلي
سأؤسس لنفسي مملكة كبيرة

سيكون بيني وبين ابناء آدم قتال ابدي
سأغري من استطعت منهم بأن يأتوا الى محلتي
ان يعودوا الى جهنم .

وهكذا طرد الله الشيطان من الجنة – من عالم الملائكة . فنزل الشيطان الى الارض ودخل قلوب الناس يشدهم الى محلته، ويقنعهم بان يقوموا باعمال غير مرضية . ولكن الانسان لا يفعل شرّاً لمجرد كون الشيطان في قلبه . « إن الشيطان يشجع الانسان على ارتكاب السوء » تشجيعاً فقط . الشيطان في الماء فكل من شربه ادخل الشيطان الى قلبه . الشيطان يعرف كل شيىء . يعرف القرآن جيداً ، ويعرف جميع الكتب ويفهمها . ولكنه يعلم الناس عكس تعاليم الكتب . فهو يعلمهم السكر ، والزنى ، والكراهية ، والاعيب السحر الهدّامة التي تزرع المرض والحقد في نفوس الناس . كما وانه يعلمهم التبجح بالنفس وجميع المساوىء الاخرى .

الشيطان يرأس الجن . والجن كثيرة بمفهوم مسلمي التمني . فهي تملأ الكون بأكمله ، وتنفذ في الجماد والكائنات كلها . الجن في كل شيىء . فهي تحرك الكون وتزيده « ديناكية ». انها كثيرة غير ان عددها محدود ، اذ لو سمح الله للجن ان تتكاثر على مشيئتها لعاثت في الكون خرابا . وللجن مزايا كثيرة ومتعددة .فهي قوية وتفوق قوتها قوة الانسان . ولذلك تعمّر ما يقرب من الالف سنة او اكثر ولكنها لا تعمّر اقل من ذلك . ولها معرفة وثيقة بصنيع الله ، فهي تصغي الى ما يدور بينه وبين الملائكة من احاديث وتتعلمها وقد تنقلها فيما بعد الى عامة البشر . وتحادث الجن الانسان في شؤونه وليس في شؤون الله والملائكة . لأن كل من عرف سر الله مات في الحال . فسر الله عظيم لا يعرفه احد . ولا يمكن معرفة سر من يحيي الانسان ويميته ساعة ما يشاء . ان الله يحتفظ بسره ولذا يرسل الشهب لطرد الجن إن قربت دياره . فهي – اي الجن – تطير الى عالم الملائكة لتصغي الى اقوال الله ، وتسجلها لتتعرف الى سرها .

ويؤمن مسلمو التمني ان للجن تنظيماً اجتماعياً يشبه التنظيم الاجتماعي المتبع عندهم . فلكل مشيخة شيخها الحاكم ولكل شيخ من شيوخ الجن اعوانه ورسله ، وجنده الجن التي تسير وتحمي المشيخة ، ثم ان لكل شيخ من شيوخ الجن اسماً خاصاً. وتعرف هذه الشيوخ بمجموعها باسم « سارما رَنْك » التي تعني بلغة التمني الحجر الذي يشبه الفيل . والجن على نوعين نوع خيّر ونوع شرير . ويعرف النوع الخيّر بـ « سوكي » (Soki) والنوع الشرير بـ « أنجليس » (Anglis). النوع الخيّر من الجن يتوّج شيوخ القبيلة ويكرّم الغرباء ويدعو الناس للإسلام ويعمل لخير بلدة « ماغبوركا » . فقد استطاع هذا النوع من الجن بالنسبة لنفوذه في الدولة ان يجلب المدارس ، والمستشفى ، والمياه وغيرها من مظاهر المدينة ووسائل الراحة الى بلدة « ماغبوركا ».

وتعيش الجن في باطن الارض . فهي تعرف مواضع الماس والذهب والحديد وانواع المعادن كافة . ليس هذا فقط بل إن لها الماماً بكيفية استخراج هذه المعادن وسبكها . ويؤمن اهل التمني ان تفوق الانجليز العلمي يعود الى تمكنهم من التقاط شيوخ الجن وأخذها الى انجلترا حيث ما تزال تعلّم الانجليز اصول العلوم الحديثة .

وقد اورد محدثي في هذا الصدد القصة التالية :

« حدث مرة أن امر ملك الجن احد جنوده ان يترقّب تحركات الرجل الابيض (الرجل الانجليزي) في البلاد . ولمّا عاد الملك رأى جنديه الجن نائماً ، فايقظه وتوعده بقصاص شديد . فخاف الجندي وتضرّع الى الرجل الابيض طالباً حمايته من ملك الجن . فوافق الرجل الابيض على طلب الجندي الجني بشرط ان يرشده هذا الأخير الى موضع ملكه . ففعل. وعندئذ نصب الرجل الابيض شركاً لملك الجن فلقطه وقال له :

إني قادم لزيارتك ، فأنت صديق لي .

فأجابه ملك الجن :

ولكن ماذا بامكانك ان تفعل ؟

فقال الرجل الابيض :

إن باستطاعتي ان ادخل القنينة وارقص في داخلها !

فأجابه ملك الجن .

افعل هذا أمامي .

وللحال وضع الرجل الابيض القنينة تحت الطاولة ، ودخـــل فيها وأخذ يرقص ويغني حتى اكتفى . وبعد ذلك خرج منها . فلما رآه ملك الجن قال له :

اذا كنت انت فعلت ذلك ، فإن باستطاعتي ان افعل الشيء ذاته .

فأجابه الرجل الابيض :

دعني ارى ذلك .

وما كاد ملك الجن يدخل في القنينة حتى سدّها عليه الرجل الابيض وصدّره الى انجلترا .

وهكذا استطاع الانجليز ان يطبقوا على عدد كبير من شيوخ الجـــن الخيرة وشحنها الى انجلترا . والسبب في ذلك هو ان الانجليز قادرون على رؤية الجن لأن لهم الاعين الضرورية لذلك . وتظهر الجن لكل من تحبه من البشر . وكثيرا مـا تظهر في الاحلام . وهي تحدث الناس وهم نيام . وتحدثهم إمـا باللغة التمنية او باللغة العربية . ولكن الجن لا تظهر نفسها للبشر كثيراً في هذه الأيام لأن البشر باتوا لا يحتفظون بسر . وهذا بطبيعته يغيظ الجن . غير ان عدم وجودها لايعني ابداً انها غير موجودة. فهي تستطيع ان تتخذ اشكالاً متعددة من جماد وحيوان وانسان . انها تتوج شيوخ القبائل كما انها تتوج ملوك بريطانيا العظمى وملكاتها . ولهذا السبب – تابـع محدثي قائلاً : « لا يستطيع احـد ان يعرف سر الشعب الانجليزي » .

إن باستطاعة الانسان ان يحادث الجن ، ولكنه لا يستطيع ان يلم بكـــل شؤونها. لأن معرفة الانسان لا تذهب الى هذا الحد . ويعبّر عن هذه بلغة التمني بالجملة الآتية «kaeim kämi ka beheni» . ويتميّز النوع السيىء من الجـــن [أنجليس] بنفس الخصائص التي تتمثّل بـــالجن الخيّرة. ولكنها – اي الجن السيئة – تجلب الى البشر الويلات والمصائب . فهي تقتل وتأكل قتلاها وتسبب الجنون وتزرع الخلاف بين الرجل وزوجته والاخ وأخيه ، وبين جميع الفئات في

في البلاد ويظهر هذا النوع من الجن في عورات البشر. فالافصع والاكتع والاعور والكسيح وكاسر رجله او يده—جميعهم يدلون على مكامن الجن السيئة. وقد ذكر محدثي في هذا الصدد القصة الآتية :

« كان في « بوني بانا » – وهي احدى مشيخات قبيلة التمني – امرأة عاقر . فأخذت تتضرّع الى الله ان يرزقها مولوداً . وكان في تلك المحلة مجموعة من الجن السيئة التي سمعت تضرّع المرأة . فقرّر احدها واسمه « سايدو » ان يدخل بطن المرأة . ففعل . وحبلت المرأة وأنجبت طفلاً كسيحاً . وكان هذا الطفل يأكل كثيراً ولا يشبع . كان يأكل ولا يكبر . وكان لا يمشي ولا يزحف رغم بلوغ سنه . فقرّرت امه ان تذهب به الى الغابة وتحضّر له الدواء الشافي . وبينما كانت تفتش عن الدواء سمعت ولدها يتحدث مع الجن :

قالت الجن :

اين كنت يا « سايدو » ؟ لقد طالت غيبتك . عد الينا .

فأجابهم « سايدو » :

لقد حظيت برجل وامرأة مخبولين . فهم يعملان ليلاً ونهاراً لاطعامي ولا يدرون حقيقة أمري .

وسمعت المرأة هذا القول فعادت بطفلها الى البيت ، ووضعته في غرفة مظلمة . ثم اقفلت باب الغرفة وأخذت تمعن ضرباً بالطفل . ولمّا سمع زوجها الضوضاء سألها عن حقيقة الامر ، فاخبرته بما جرى لها في الغابة وقالت له :

انتظر وسترى انه عندما نغلق الباب سيعود طفلنا الكسيح الى اهله الجن .

وهكذا كان . وعاد الطفل الجن الى اهله .

والجن السيئة على انواع. فمنها ما هو خطر ومنها ما هو أشد خطراً. وتعرف الجن التي هي اكثر خطراً من غيرها بـ « رونسو » [Runso] . ويتميّز هذا النوع عن غيره بحمله مفتاحين وصفّارة صغيرة. وهو يستعمل الصفّارة الصغيرة ليرعب الناس في الليل لأنه يسير وراء المرء في الغابة ويصفّر باستمرار . اما المفتاحان فواحد من ذهب والآخر من الحديد الصَدِيء . فكل من صادف احد « الرونسو » يستحم بالماء عليه ان يأخذ ثياب هذا الجن . واذا تقدم بنفسه لاخذها فعلى المرء ان يرفض اعطاءه اياها . وعندئذ يأخذ « الرونسو » من

جيبه مفتاحين ويقول للمرء الذي اخذ ثيابه :

اختر المفتاح الذي تريده .

فـاذا وقع اختيار المرء على المفتاح المذهب امتلأ عنبره ارزاً ، واذا اختار المفتاح الحديدي امتلأت جيبه مـالاً . فهو – اي الرونسو – يسرق الارز من المزارع والمـال من المصارف ليعطيها لمن رآه بدون ثياب . وكل من يأخذ هذه الاشياء من « الرونسو » عليه بعد ثلاثة اشهر ان يهجر بيته تاركاً كل شيء فيه « للرونسو » الذي يحرقه ساعة ما يشاء . ولكن اذا حدث ان رأى «الرونسو» الرجل اولاً لتعذّر على الرجل اخذ الثياب . وفي هذه الحال يستطيع اذا شاء الرونسو ان يزرع المرض في قلب الرجل . ولا يمكن شفاء الرجل الا بواسطة التعاويذ التي يحضرهـا « الالفا » . [وتعني المفتي] والتي تتضمن قراءة سورة الجن مراراً عديدة على رأس المريض .

* * *

يستدل مما تقدم ان مسلمي التمني يقسمون الكون الى ثلاثة عوالم : عالم الملائكة وعالم الانسان وعالم الجن . ولكل واحدٍ من هذه العوالم تركيب يشابه بتنظيمه تركيب العالم الآخر . فكما يرأس الشيخ مشيخته ويسوس شؤونها كذلك يفعل الله بالنسبة لعالم الملائكة ، والشيطان بالنسبة لعالم الجن . اذن فقد تتشابه هذه العوالم من حيث التركيب **والتنظيم** ولكنها تختلف من حيث المـادة وطبيعة الكائنات التي تسكنها . وتختلف ايضاً من حيث علاقتها بالانسان ومدى تأثيرها عليه . فعالم الملائكة يرمز – بالنسبة للانسان طبعا – الى الرحمة والعقاب . ويرمز عالم الجن الى الخير والشر . ان الرحمة والعقاب بالنسبة لمسلمي التمني مرتبطـان بالآخرة . فعالم الله والملائكة عندهم هو عالم الآخرة والحساب . والى هذا الاساس يعود ايمانهم – كما ذكرنا سابقاً – ان الله يعاقب ولا يسيء [الجن وحدها تسيء] . فقد عاقب الله آدم بان طرده من الجنينة ، وعاقب الشيطان بان طرده من السماء . ولكنه – اي الله – لم « يسيء » لا الى آدم ولا الى الشيطان . ان الله حكم . وككل حكم فهو يجمع بين

الرحمة والعقاب . وككل حكم فهو يعمل بوحي الادلة المتوفرة . ولهذا السبب فهو يرسل رسله الملائكة لتسجل افعال واقوال الانسان في الحياة الدنيا. حتى اذا ما مات هذا الانسان اصبح من الممكن محاسبته باعماله .

ان الله حكم في دنيا الآخرة . فهو يحاكم الاموات من البشر ، الذين وحدهم يستطيعون محاورة الله في يوم الحساب . ولهذا السبب يؤمن اهل التمني بأن مكالمة الله لا تكون الا عن سبيل الاموات . فهم يعتقدون ان الله بعيد جداً ولا يمكن للانسان مقاربته بطريقة مباشرة بل مداورة عن طريق الاجداد الاموات . وهذا ما يفسّر لنا شيوع ما يسمّى «عبادة الأسلاف» [Ancestor Worship] بين مسلمي التمني . ومثلا على ذلك الصلاة على الميت التي تبدأ بذكر الجيل الاول من الاموات ثم الجيل الثاني فالثالث . ومن بعد ذلك يذكرون اسم الله . ويؤمن اهل التمني ان ارواح الاموات تزور الاحياء من الاحفاد باستمرار وتتفقد شؤونهم . وتعرف هذه الارواح بمجموعها بلفظة « كريفي » [Kerifi] . نرى هنا ان هذا المفهوم لارواح الاجداد مرتبطة ارتباطاً وثيقا بمفهومهم للبدنة السلالية وكيفية ملكية الارض . فالاجيال الثلاثة الاولى من الاموات لا تغيب عن ارض المحلة فهي حاضرة ابداً ولذلك فهي تملك الارض ، ولا يملك الاحياء سوى حق استعمال الارض .

وعلاوة على ذلك فان اهل التمني يؤمنون ان روح الميت تستطيع اذا شاءَت ايذاء الاحياء او مساعدتهم . ولهذا يتوجب على الاحياء استشارة روح الميت قبل الاتيان بعمل هام ليطمئنوا الى موقفها منهم . وتجري هذه الاستشارة بواسطة عدة تمارين دينية كـ « صحون السبعة » او كـ « بمبا كريفي » [bempa kerifi] . وغيرها من التمارين المتنوعة . ونورد على سبيل المثال الطريقة التالية :

« يؤتى بفرخ من الدجاج ويذبح امام صخرة او شجرة ترمز الى ارواح الاجداد . ثم يحتفظ بدم الفرخ ويُرش على الشجرة او الصخرة . وبعد ذلك يأتي رجل – يعرف عند التمني بـ « آمن » (Omen) – ليقدم الذبيحة الى الارواح . ويبدأ هذا الرجل بترديد كلمات سرية لا

معنى لها. وتعرف هذه الكلمات بمجموعها بلفظة « لونغثا » (Longtha) . ان هذه الكلمات تثير انتباه الارواح فتأتي لتستمع الى ما يقوله الرجل الساحر ،Omen وبعد ذلك يأخذ الرجل الساحر قليلاً من الارز المطحون ويقدمه رمزياً الى هذه الارواح . ثم يأخذ أهـل القرية هذا الارز وبطبخونه . ويعودون في اليوم الثـاني الى نفس المكان حيث ذبحوا الفرخ ، عندئذ يـأخذ الساحر الارز المطبوخ والفرخ ويقدمها الى الارواح ثانية ، ويبدأ بعد ذلـك بترديد مطلبه . فيطلب مـا يشاء من ارواح الاجداد الاموات . وبعد ان ينتهي الساحر من صلواته وطلباته ، يأكل جميع الحضور ما اعد من الطبخ . وهكذا يشارك الاحياء ارواح الاموات باستهلاك الطعام « المقدس » فتستجاب تضرُّعاتهم .

ويظهر تمسُّك مسلمي التمني « بعبادة الاسلاف » في مناسبات اسلاميـة الطابع . ففي شهر رمضـان مثلاً يأتي المسلمون ارض « سِلْكَنْدَه » كل يوم للصلاة . وتشير لفظة سلكنده الى الرقعة التي يدفن مسلمو التمني فيها امواتهم . ويقول بعض الفقهاء من مسلمي التمني انهم يأتون هذه المحلة لأنها بالنسبة لقريتهم كجبل عرفات بالنسبة لمكة المكرمة .

نستخلص ممـا تقدَّم ان عـالم الله والملائكة هو عالم الآخرة – وبالنسبة للبشر – هو عالم الاموات الذين اقرب الى الله من البشر الاحياء . ولهذا السبب فهم – اي الاموات – حلقة الوصل بين البشر الاحياء والله. ويختلف عالم الجن عن عالم الملائكة من حيث طبيعة الكائنات التي تسكنه ومن حيث علاقته بالبشر الاحياء. فالجن قريبة من الاحياء . فهي ترى الانسان وتكلّمه. كما ان باستطاعة الانسان ان يرى الجن ويكلّمها مباشرة . ويجمع بين الجن والانسان امورٌ كثيرة على عكس البشر والملائكة ، فلا يجمع بينهم شيء : فالجن كالانسان تأكل وتشرب وتضحك وتجامع وتتمرّد ، وبالامكان مسكها وحبسها . ويؤمن مسلمو التمني ان الجن في نوعيهـا الخيّر والسيء تمثّل الصراع الدائم بين الخير والشر . فكل مـا يصيب الانسان من اذى او مكروه كان مصدره الجن السيء . وكل ما يصيب الانسان من خير كان مصدره الجن الخيّر . هذا يعني ان الاساءة والخير هي من صفات الجن . اما المحبة والرحمة والعقاب فهي من صفات الله والملائكة . غير ان الله والملائكة – كما اشرنا الى ذلك سابقاً – يريدون الخير للبشر ايضاً .

فالفرق اذن بين خير الله والملائكة من جهة وبين خير الجن من الجهة الاخرى هو ان خير الله والملائكة خيرٌ ازلي وبعيد ، واهدافه بعيدة المرمى لا تؤثر في الناس مباشرة. امّا خير الجن فدنيوي وتفصيلي ومؤقت ويخدم اهدافاً معينة. ومعرفة الجن دنيوية في الاصل كالصناعة مثلاً. ولها علاقة مباشرة بحياة الانسان اليومية. ليس هذا فقط بل انها تتعدّى عالم الانسان الى كل ما في الكون. فهي تؤثر وتنفذ في الشيء وفي الحيوان وفي النبات. فالجن مصدر كل عمل او حركة خارجة عن نطاق معرفة الانسان.

ان مفهوم التمني للجن مشابه لمفهومهم لعالم الارواح قبل اعتناقهم الدين الاسلامي. فالارواح ايضا تحرك كل شيء وتنفذ في كل شيء. فهي تملأ الكون باجمعه. كما انها تتصف بصفات الجن جميعها. ولذلك يمكن القول ان مسلمي التمني قد استبدلوا الارواح بالجن لفظاً ، ونعتوا الجن بصفات الارواح.

اما الانسان فهو يتوسط عالم الجن السفلي من جهة وعالم الملائكة العلوي من الجهة الاخرى. ان هذا التوسط توسط طبيعي ووظائفي. فالانسان يؤثر ويتأثر بالملائكة ، ويؤثر ويتأثر بالجن ايضاً. ان باستطاعة الانسان ان يضبط القوى الخفية التي تؤثر فيه. وذلك باللجوء الى قوى خفية مضادة [الارواح الخيرة] واستعطافها واستمالتها الى جهته. ان باستطاعته ان يعمل **لضبط** او **ابعاد** هذه القوى ولكنه لن يتمكن من **فهمها**. اذ ان اسرارها تفوق مقدرة الانسان على الفهم.

وقد ذهب اهل التمني الى أبعد من ذلك. فهم ينظرون إلى الشيء—كل شيء— وكأن له ذاتين: ذات معروفة وذات سرية. وتعرف الذات السرية عندهم بكلمة مَسّمْ [messem]. فالانسان والحيوان والشيء والجن والملائكة كلها مكوّنة من ذاتين. ولا يجوز التساؤل عن الذات السرية. فاذا اراد احد التمني الا يجيب عن سؤال ما قال : هذا سري.[١٤] وبنفس المنطق ، يؤمن المسلم التمني

١٤) من اسرار الفرد عند التمني اسمه. ولذلك يغيرون اسماءهم مراراً بداعي التمويه. واذا نودي احدهم باسمه الحقيقي جاز لهذا الأخير ان يقاضي المنادي. ان هذا الامر يفسر لنا شيوع النداء باستعمال اسم العشيرة بدلاً من الاسماء العلم الشخصية.

بأن جوهر الله هو سرّه . فلا يجوز التساؤل عنه .

فالفرق اذن بين الانسان من جهة وبين الملائكة والجن من الجهة الاخرى هو ان الانسان لا يستطيع فهم اسرار الملائكة ولا فهم اسرار الجن . بيد ان الملائكة والجن تستطيع ان تفهم اسرار الانسان . ان معرفة الانسان محدودة اما معرفة الملائكة والجن فهي مطلقة . ولكن هذا لا يعني ان الانسان والجن والملائكة لا تلتقي ابداً . فانها تلتقي على صعيد سرية الجوهر . وهذا ما يوحد الكون في مادة واحدة . وبذلك يصبح استبدال الشيء بآخر كالانسان بالروح ، والروح بالانسان ، والانسان بالجن والجن بالانسان امراً معقولا .

ويجدر بنا التأكيد ان تفوق الملائكة والجن على الانسان بالمعرفة والمقدرة لا يعني ان الانسان ومصيره متوقفان على قوى خارجية تتحكم بها كما تشاء . فالانسان قادرٌ على ضبط [control] هذه القوى وابعادها [expulsion] اما بسلوكه الاجتماعي واما باستعطافه الارواح الخيرة الى جهته ، وذلك بممارسته لقواعد السحر المتنوعة . هذه المقدرة على الضبط والردع تجعل الانسان ، نهائيا، سيد نفسه ؛ ولا تجعله عرضة لقوى خفية لا حول له عليها كما تصوره لنا عدة من الدراسات التي عنت بشؤون الدين عند الشعوب البدائية . ونذكر على سبيل المثال الدراسات المشهورة التي قام بها عالمان مشهوران من علماءِ الإنسان (الانثرولوجيا) تيلور [Tylor] وفريزر [Frazer] عن طبيعة الاديان البدائية . ونذكر ايضاً الدراسة التي قام بها فرنكفورت [Frankfort] عن الدين السومري القديم والدراسة التي قام بها ولسن [Wilson] عن الدين الفرعوني القديم .

* * *

الخلاصة

بعد هذا العرض لمعتقدات التمني الاسلامية يمكن استخلاص النقطتين التاليتين :

اولاً : ان الاسلام كدين دخيل على حضارة التمني قد انصهر في نظام تفكيرهم

الديني . ونتج عن هذا الانصهار ان تكوّن نظـــام ديني جديد بمعتقداته وطقوسه . فلا هو اسلامي أصيل ولا هو تمنيّ خالص . وتشهد على صحة هذا القول عدة امثلة وردت في الصفحات السابقة – كاستبدال « البطل الحضاري » بالعرب التجار الثمانية ، او كاستبدال الارواح بالجن ، والابقاء على الحـــالات الكيانية التي استوجبت وجودهم . ثم ان قصة ابراهيم وما ترمز اليه من وقـائع حياتية – كلها مأخوذة من صميم حضارة التمني . كما ان الاتجاه الى الجهـــات الاربعة في قصة ابراهيم بدلا من الاتجاه نحو الشرق اثناء الصلاة تدل على انصهار الاسلام محلياً. وكذلك هى الحال في مفهومهم للخطيئة التي وقع فيها آدم – وهي مجـــامعة من حرّم عليه مجامعتها وهي ابنته . فارتكب آدم بذلك خطيئة زواج المحارم [Incest]لا خطيئة الزنى [Adultery] كما اثبتنا ذلك سابقاً .

ثانيا :يلاحظ القاريء اننا قد تجنبنا عمداً استعمال الصفات التي ينعت بها اسم الله واسماء الانبياء . وذلك لان مسلمي التمني لا يستعملون هذه النعوت . فهم يقربون جميع الكائنات الغير المنظورة كالجن والملائكة وكأنها قـــائمة امامهم ، تستمتع الى كل ما يقولونه . فهم يحادثونها بحرية تامة لا تعرف التكلف او الحذر. ويعود هذا الامر الى فقدان مسلمي التمني مقدرة التمييز بـين الحلم والحقيقة . فكل ما يظهر للانسان في الحلم هو حقيقه واقعة لا تقبل الجدل . ومـا البرهان القاطع على صحة وجود الجن وغيرها من الكائنات الغير المنظورة سوى ظهورها في الاحلام .

ان هذه الظـــاهرة – ظاهرة الخلط بين الحلم والحقيقة والخلط بين العلة والمصادفة– هي ظاهرة بدائية قد رافقت جميع الشعوب في نشأتها . ومـــا زال العالم « المتمدن » اليوم يؤمن بصحتها دون ان يمارسها بنفسه . وهذا مـــا يفسر لنا قبول الانسان في القرن العشرين عـــامل **الوحي** كعنصر اساسي في الاديان السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام .

مراجع المقالة

Chiera, Edward

1938 *They Wrote on Clay.* Chicago: The University of Chicago Press.

Dorjahn, R. Vernon

1959 "The Organization and Functions of the Regbenle Society of the Temne", *Africa* XXIX (April).

1960 "The Changing Political System of the Temne," *Africa* XXX (April).

1961 "The Initiation of Temne Poro Officials". *Man* 27.

Fyfe, Christopher

1961 *Sierra Leone Inheritance.* London: Oxford University Press.

Laing, A. Gordon

1825 *Travels in the Timannee, Kooronko, and Soolima Countries.* London.

Little, L.K.

1918 "The Poro Society as an Arbiter of Culture", *African Studies* 7 (March).

Nadel, F. S.

1961 *A Black Byzantium.* London: Oxford University Press.

Schlenker, F. C.

1861 *A Collection of Temne Traditions, Fables and Proverbs.* London.

Sierra Leone Studies

1919 *Omar Jamburia: The Story of the Gehad or Holy War of the Foulahs.* (old Series) No. 3.

Trimingham, J. Spencer
1959 *Islam in West Africa*. Oxford: Clarendon Press.

1962 *A History of Islam in West Africa*. London: Oxford University Press.

Winterbottom, T.
1803 *An Account of the Native Africans in the Neighbourhood of Sierra Leone*. London.

ابن ابي زرع الفاسي
١٨٤٦ الانيس المطرب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .
دار الطباعة المدرسية . اعتنى بتصحيحه كارل يوحن تورنبرغ .

يزيد بن معاوية
الملك الشاعر

جبرائيل جبور

لعله ليس بين الملوك والخلفاء في الاسلام من تناولته اقـــلام المؤرخين بالنقد والطعن كما تناولت يزيد ابن* معاوية – ثاني خلفاء بني امية في الشام – ذلك ان الحسين حفيد النبي ثار عليه فقتله جند بني امية ، وقتلوا جماعة من اهله ، ثم ثارت الحجاز فاخمد ثورتهـــا . لقد قمع يزيد ثورة الحسين وثورة عبد الله ابن الزبير ، وحمل جنده اليه رأس الحسين ، واستباح قواده المدينة ، وحـــاصروا مكة ، ونصبوا المجانيق على الكعبة ، واحرقوها ، فسودت صحيفته في التاريخ ولم ينج من ألسنة المؤرخين[1] ولكن المؤرخين انفسهم – رغم كل ما قيل فيه – لم يفتهم ان يذكروا عنه انه كان بطلاً عظيماً وفارساً شجاعـاً وشاعراً كبيراً ، بـل قد نسب اليـه بعضهم وقائع من البطولة ندر ان نسب مثلها الى اشهر الابطـال في الاسلام .

هو ابن معاوية احد عظماء رجال الاسلام ، وامه ميسون بنت بحْدل الكلبي وكان ابوها من شيوخ قبيلة كلب اليمنية . ذكروا ان معـاوية في ولايته رأى ان يوطد حكمه في الشام فصاهر الى قبيلة كلب ، وزوّج من ميسون هذه وكانت نصرانيه على مذهب اليعاقبة فانجبت له يزيد .[2] وبعث به ابوه الى البادية حول تدمر فنشأ في اخـــواله نشأة بدوية . وكانت امه تعتني به وتزينه وترجّـــل جمته[3] . وتعلّم الصيد والفروسية والف اللهو والشراب والشعر بحيث كان بحق اول ملك من الملوك الشعراء في الاسلام .

كان لنشأته هذه عند اخواله ، ومعاشرته بعدها لنفر من اصحاب اللهو الشاميين والحجازيين ، اثر في مجرى حياته بحيث شبّ يحب اللهو على ضروبه من صيد وسباق وغناء وشراب ونساء . ولم يكن ابوه فيما يظهر من بعض اخباره يمنعه عن الاستماع الى الغناء . فقد رُوي انه استمع عليه ذات ليلة في قصره فسمع عنده غناء فاعجبه ، فلما اصبح قال له من كان ملهيك البارحة ؟ قال : سائب خاثر . قال : فاكثر له من العطاء (٤) .

ووفد عليه نافع الخير مع عبد الله ابن جعفر في خلافة معاوية وغناه فاهدى الى ابن جعفر هدايا كثيرة وارسل وراء نافع وأخّره ليستمع الى غنائه في شعر جميل :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما　　　قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

فاسمعه الغناء واجازه (٥)

كان يتأنق في هندامه وهيئته فلا يلبس القميص الاّ لبسة واحدة الا ان يكون نادرا معجبا غريبا (٦) . وكان يقتني كلاب الصيد ويلبسها جلالا ثمينة واطواقا من ذهب ، ويقيم على كل كلب منها عبدا يتعهده (٧) ، ويقتني الجياد من الخيل للصيد والسباق وكان يزينها باحسن السروج ، بل زعموا انه ربّى اتانا وحشية وقردا سماه ابا قيس كان يحمله عليها ، وقد ريضت وذللت له ، فيلبسه رداءً من الحرير الاحمر والاصفر وقلنسوة من الحرير ذات الوان فيلجمها ويسرجها بسرج منقوش ملمع بانواع الالوان ، ثم يجريها مع الخيل في السباق ، وعليها ابو قيس ، فتسبق الخيل (٨) . وقد قال في سبقه بعض شعراء الشام :

تمسك ابا قيس بفضل عنانها　　　فليس عليها ان سقطت ضمان
الا من رأى القرد الذي سبقت به　　　جياد امير المؤمنين اتان (٩)

بل زعموا انه علّم الفهود الركوب على اكفال الجياد (١٠) .

وكانت له مجالس شراب ومجالس غناء يستدعي اليها جماعة من الندماء والمغنين

ويلهو ما شاء له ان يلهو، فاذا سمع بمغنية في الحجاز طلبها [١١]. بل قال الجاحظ عنه : انه كان لا يمشي الا سكران ولا يصبح الا مخمورا [١٢] . وقد كان من ندمائه في شبابه الاخطل الشاعر التغلبي المشهور، ويوحنا الدمشقي حفيد منصور ابن سرجون وكان ابو يوحنا سرجون ابن منصور ابن سرجون كاتبا ليزيد في خلافته ونديماً له ، واصبح يوحنا هذا من اشهر الرجال ولقب بدفاق الذهب لفصاحته وتسلّم الادارة المالية فيما بعد حتى خلافة هشام. اما ابوه سرجون فقد ظل كاتبا لخلفاء بني امية حتى زمن عبد الملك [١٣] .

اما وقائع البطولة التي نسبت الى يزيد فتكاد تكون من الاساطير . وكان والده يعلم شجاعته وبأسه ويحاول ان يمكّن له الامر بعده بحيث لا ينازعه احد على الخلافة ، فوجهه مع الجيوش العربية الى بلاد الروم في حملة بحرية في غزوات الصوائف . وكان يزيد فيما يزعمون عند ظن والده فقد ابلى في حملته بلاءً حسناً. ويحدثنا الرواة عن فروسيته وشجاعته انه غزا الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . وكان جنده اول جند في الاسلام بلغ اسوارها . فلما نشبت المعارك قربها نظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج. قالوا : فاذا كانت الحملة للعرب ارتفعت من احداهما اصوات الدفوف والطبول والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفعت الاصوات من الاخرى . فسأل يزيد عنهما فقيل: هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جبلة ابن الايهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها ، فقال : اما والله لاسرنها ، ثم كفّ العسكر وحمل بنفسه حتى هزم الروم ، فاحجزهم في المدينة، وضرب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق [١٤]. ومهما يكن شأن هذه الرواية وما فيها من مبالغة وشطط فانها لتشير الى بأسه وشجاعته . وكان قد اصطحب في غزوته هذه الصحابي ابا ايوب الانصاري ، الذي كان يحمل راية النبي محمد في المعارك ، تبرّكاً بوجوده معه، فمرض ابو ايوب في تلك الغزوة ومات في بلاد الروم ودفن فيما يذكرون عند اسوار القسطنطينية وبني على قبره قبة [١٥] ، واصبح وليّا فيما بعد عند العرب والروم والترك [١٦]. زعموا في امره ان قيصر ارسل الى يزيد مستغربا كيف يدفنه عند اسوار مدينتهم،

اذ قد يخرجون جثته للكلاب حين يعود العرب عنها ، فبعث يزيد يتهدده بقتل النصارى ان هو فعل فحافظ عليه واخذ يوقد السرج على قبره [١٧] . ويزعم بعض المؤرخين ان يزيد ابن معاوية كان اول من اكتسب لقب فتى العرب في الاسلام [١٨] . فكأنه كان بهذا رائد الفتوة والبطولة. ولكن عليّا ابن ابي طالب كان دون شك احق باللقب واسبق .

لاسيف الا ذو الفقار (م)　　　ولا فتى الا علي

وحين استخلف وثارت المدينة عليه واخرجت بني امية منها سمع بالخبر وبانسحاب اهل عشيرته منها فنقم عليهم انهم جبنوا ولم يقاتلوا ولو ساعة من نهار [١٩] .

وكان يزيد كذلك مولعاً بالاعمال العمرانية ملمّاً ببعض امور الهندسة وقد ظهر اثر ذلك في القناة التي شقها في دمشق في خلافته واجرى فرعا من بردى فيها ، وتعرف بقناة يزيد او نهر يزيد الى اليوم . وكان هذا النهر يسقي ما لا يصل اليه بردى [٢٠] .

وكان سياسياً لبقاً ذا دهاءٍ وعقل برغم ما وصم به من ظلم وتفظيع . رآه ابوه مرة يضرب غلاما له فنهاه وقال له : اتفسد ادبك في ادبه ؟ فلم ير ضاربا غلاما له بعد ذلك [٢١] . وقد اراد وهو امير ان يعرف اثر ترشيحه للخلافة بعد ابيه في نفوس الناس من اقربائه فاوعز الى الشاعر مسكين الدارمي ان يشير الى هذا الامر في مجلس معاوية ، فقال مسكين ابياته المشهورة التي اولها :

اذا المنبر الغربي خلاه ربه　　　فان امير المؤمنين يزيد

فلم يتكلم احد من بني امية ، وقال معاوية لمسكين : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله [٢٢] .

اما الضحاك ابن قيس الفهري الذي قارع المروانيين فيما بعد ومال مع ابن الزبير فانه قد قال عن يزيد مخاطبا اباه معاوية : يا امير المؤمنين انه لا بد للناس

من والٍ بعدك والانفس يُغدى عليها ويُراح ... ويزيد ابـــن امير المؤمنين في حسن معدنه وقصد سيرته من افضلنا حلما واحكمنا علما فولّه عهدك واجعـله علماً بعدك، وانا قد بلونا الجماعة والالفة فوجدناه احقن للدماء وآمن للسبل وخيرا في العاجلة والآجلة [٢٣] .

وقال فيه عمرو بن سعيد وهو من رجالات بني امية المعدودين يخاطب قومه : ان يزيد ابن معاوية امل تأملونه واجل تأمنونه ان استضفتم الى حلمه وسعكم وان احتجتم الى رأيه رشدكم وان افتقرتم الى ذات يده اغناكم [٢٤] . وقـال فيه عبد الله ابن عباس : اذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس [٢٥] . وقـد اشار الى حلمه هو نفسه حين ثار عليه اهل المدينة وتمثل بقول بعضهم :

لعـلّ الحـلم دلّ عليّ قومي ... وقد يستضعف الرجل الحليم

وكان يزيد صاحب نجدة ونخوة وجوار يحمي من يلجأ اليه ويغيث من يستجير به وينصف المظلوم تبعا للتقاليد العربية العريقة المعروفة بالبادية فقد دافـع عن ابن ارطأة حين لجأ اليه وأعطاه مالا [٢٦] . وجاءه الاخطل مستجيرا من غضب النعمان بن بشير الانصاري حين هجا الاخطل الانصار وشكوه الى معاوية وحكم لهم بقطع لسانه فحماه وردّ اباه عنه ونقض حكمه [٢٧] . وهناك من يزعم انه قصد النعمان فاستوهبه الاخطل فوهبه له [٢٨] . وقد قال الاخطل في مدحه :

واني غداة استعبرت ام مالك ... لراضٍ من السلطان ان يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيه ... تجللت حدباراً من الشر انكدا
فكم انقذتني من خطوب حباله ... وخرساء لو يرمى بها الفيل بلدا [٢٩]

واستجار به فضالة ابن شريك فارّاً من عاصم ابن عمر ابن الخطاب فأجاره [٣٠] وعاذ به الشاعر عبد الله ابن الزبير الاسدي فاعاذه وقام بأمره [٣١] . ولاذ بـه محتميا المتوكل الليثي فحماه [٣٢] . وقد ذكر له هذه المزايا كل هؤلاء الشعراء فمدحه الاخطل بقصائد معروفة يقول في واحدة منها :

ابا خالد دافعت عني عظيمة وادركت لحمي قبل ان يتبددا
واطفأت عني نار نعمان بعدما اغذّ لامر عـــاجز وتجــردا
ولما رأى النعمان دوني ابن حرة طوى الكشح اذ لم يستطعني وعردّا (٢٣)

وقال فيه فضالة :

اذا ما قريش فاخرت بقديمهـــا فخرت بمجـد يا يزيد تليـــد
فمن ذا الذي ان عدد الناس مجدهم يجيء بمجد مثل مجد يزيد (٢٤)

وقال فيه المتوكل الليثي :

ابا خـالد حنت اليك مطيتي على بعد منتاب وهول جنان
تناهت قلوصي بعد اسآدي السرى الى ملك جزل العطاء هجان
ترى الناس افواجا ينوبون بابه لبكر من الحاجات او لعوان (٣٥)

وقال ابن الزبير الاسدي يمدحه ويصف جيشه :

ففي رجب او غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنـايا وسودهـــا
ثمانون الفـــا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها (٣٦)

وكان يزيد كريما صاحب اريحية قال فيه بعض طالبي رفده : « ما رأيت فتى اشرف اريحية من يزيد والله لا لقى عليّ من الكساءِ والخز والوشي ما لم استطع حمله ثم امر لي بخمسمائة دينار (٣٧) . وكان يفد عليه اشراف الحجاز فيغنيهم عن السؤال ويأتيه عبد الله ابن جعفر ابن ابي طالب ، وهو في جوده ونبله وكرم محتده ، فيسأله يزيد كم كان عطاؤك ؟ « قال عبد الله : الف الف » . قـــال : « اضعفناها لك » قال : « فداك ابي وامي وما قلتها لاحد قبلك » ، قال : «قد اضعفناها لك ثانية » ! « فقيل ليزيد اتعطي رجلا واحدا اربعة الاف الف » ؟ فقال : « ويحكم ! انما اعطيتها اهل المدينة اجمعين فما يده فيها الا عارية » (٣٨) .

ويحكى عنه اخبار هي اقرب الى الحكايات منها الى الحقيقة ، ولكنها تدل دون شك على حب للمساعدة وشعور رقيق . قالوا ، كان بالمدينة جارية يحبهـا

كل من عبد الرحمن ابن حسان والاحوص ابن محمد، وكانت تحب الشعر وتنظمه، وكانا يختلفان اليها فيرويانها الشعر ويناشدانها اياه ، فعلقت الاحوص وصدت عن عبد الرحمن ، فعاتبها هذا ، فلما رأى اصرارها على حب الاحوص اضرب عنها وتركها وهو ناقم يحاول ان يدبر مكيدة تفصل بينها وبين الاحوص . قالوا : فخرج ممتدحاً ليزيد ابن معاوية ، فأكرمه واعطاه ، فلما اراد الانصراف ذكر ليزيد جارية خلفها بالمدينة من اجمل الناس واكملهم واعقلهم ولا تصلح الا ان تكون لامير المؤمنين ، فارسل يزيد فاشتراها من سيدتها القرشية ، وحملت له فوقعت منه موقعا عظيما وفضلها على جميع من عنده من جواريه . وعاد عبد الرحمن الى المدينة ومر بالاحوص وهو قاعد على باب داره مهموم ، فاراد ان يزيد همه ، فقال ابياتا ذكر فيها ان الجارية اصبحت الان عند الخليفة وليس للاحوص الا ان يسلو الهوى ويعزي قلبه المجروح. فامسك الاحوص عن جوابه. ثم غلبه الجزع فخرج الى يزيد ممتدحا فاكرمه . وعلمت الجارية بقدومه فعمدت الى رسول من خدمها واعطته مالا واوعزت اليه ان يتصل بالاحوص ويأتي به لمقابلتها ، فاخبر الرسول يزيد ، فقال له يزيد امض برسالتها ! ففعل ما امر به وادخل الأحوص، وجلس يزيد بحيث يسمعهما ويراهما ، فتناجيا وتباكيا وجعل كل منهما يشكو الى صاحبه شوقه وحبه ولم يزالا يتحدثان الى السحر ويزيد يسمع كلامهما من غير ان تكون بينهما ريبة ثم ودعها وخرج . فاخذه يزيد ودعا به وبها وقال : اخبراني عما كان جرى بينكما . فاخبراه واصدقاه فتأكد يزيد من حبهما الواحد للآخر وقال للاحوص خذها يا احوض فهي لك ووصله بصلة سنية فانصرف بها الى الحجاز وهو من اقر الناس عينا (٣٩) .

وزعموا ان قيس ابن ذريح لما اهدر دمه معاوية اتى الى يزيد مستغيثا شاكيا فرق له وقال: ان تشأ انأكتبَ الىزوج لبنىفاحتمعليه ان يطلقها فعلت. قال: لا اريد ذلك ولكن احب ان اقيم بحيث تقيم من البلاد اتعرف اخبارها واقنع بذلك من غير ان يهدر دمي . قال : لو سألت هذا من غير ان ترحل الينا فيه لما وجب ان تمنعه فأقم حيث شئت. واخذ كتاب ابيهله بأن يقيم حيث شاءواحب

ولا يعترض عليه احد ، وزال ما كان كتب به في اهدار دمه [٤٠] .

وكان يزيد فوق هذا كله اديبا شاعرا ولم تعقه نشأته في قبيلة كلب اليمنية عن النظم الجيد ، بل لعل الامر يشير الى ان الشعر لم يكن وقفا على القبائل المضرية او من ينشأ في حماها ، فقد كان لبعض القبائل اليمنية من الشعر والفصاحة حظ كبير . وكان يزيد فيما نرى اول امير اموي في الشام ارسله اهله الى البادية لينشأ فيها ، ثم اصبح الامر سنّة عند اكثر الخلفاء الامويين ، فكانوا يرسلون ابناءهم الى البادية يتعلمون فيها العربية الخالصة من الرطانة الارامية وينجون من اوبئة المدن والارياف [٤١] . وذكروا عن عبد الملك ابن مروان انه ندم ، حين رأى ابنه الوليد شابا ، لانه لم يرسله الى البادية لينشأ فيها وقال : اضرّ بنا حبنا له فلم نلزمه البادية [٤٢]. ومما يشير الى ان الشعر عرف في قبيلة كلب ما نسب الى ام يزيد ميسون بنت بجدل نفسها حين نقلها معاوية من حياة الخباء الى العيش في القصور ، وقالت الابيات المشهورة التي فيها :

لبيت تخفق الارياح فيه	احب اليّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني	احب اليّ من لبس الشفوف [٤٣]

ولما مات معاوية كان يزيد غائبا عن دمشق فلما اتاه نعي والده قال يرثيه :

جاء البريد بقرطاس يخب به	فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم	قالوا الخليفة امسى مثبتا وجعا
فمادت الارض او كادت تميد بنا	كأن اغبر من اركانها انقلعا
ثم انبعثنا الى خوص [٤٤] مزممّه	نرمي العجاج بها ما نأتلي سرعا
فما نبالي اذا بلغن ارحلنا	ما مات منهن بالموماة او ظلعا
لما وردت وباب القصر منطبق	لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا
اودى ابن هند واودى المجد يتبعه	كذاك كنا جميعا قاطنين معا
اغر ابلج يستسقي الغمام به	لو قارع الناس عن اخلاقهم قرعا
لا يرقع الناس ما اوهى ولو جهدوا	ان يرقعوه ولا يوهون ما رقعا [٤٥]

حتى اذا قدم الشام وعزاه وجوه القوم صمت واجما ، وجاء الضحاك ابن قيس الفهري فخاف عليه الحصر ، ولكن يزيد اراد ان يذكر الضحاك انه اموي يحسن الكلام ، فقال: « يا ضحاك اجئت تعلّم بني عبد شمس الكلام؟» ثم قام خطيبا ، فقال : « الحمد لله الذي ما شاء صنع . من شاء اعطى وما شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . ان امير المؤمنين كان حبلا من حبال الله مده ما شاء ان يمده ثم قطعه حين اراد ان يقطعه . وكان دون من قبله ، وخيرا ممن يأتي بعده ، ولا ازكيه عند ربه وقد صار اليه ، فان يعف عنه فبرحمته وان يعاقبه فبذنبه ، وقد وليت بعده الامر ولست اعتذر من جهل ولا أني عن طلب وعلى رسلكم اذا كره الله شيئا غيّره واذا اراد شيئا يسره » (٤٦) .

وله وصية ، قالها ببيانه النثري الرائع لسلم ابن زياد حين ولاه على خراسان: « ان اباك كفى اخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك . واياك مني قبل ان اقول اياي منك . فان الظن اذا اخلف مني فيك اخلف منك فيّ . وانت في ادنى حظك فاطلب اقصاه . وقد اتعبك ابوك فلا تريحنّ نفسك وكن لنفسك تكن لك . واذكر في يومك احاديث غدك ترشد ان شاء الله » (٤٧) .

وكان يزيد في جماعة من وجوه بني امية حين وفد على معاوية عبيد الله ابن زياد بعد هلاك زياد وكان عبيد الله قد امتنع عن بيعة يزيد فخطب امام معاوية فلم يهشّ معاوية له واظهر له زهده فيه وندمه على استلحاقه زياداً فما كان من يزيد الا ان ردّ على ابيه وقال : « يا امير المؤمنين ، ان للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك زياد وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظني ، ولا تغيرها التهم ، واهلوه اهلوك ، التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فسافرت به الركبان ، وسمعت به اهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا تتحجر يا امير المؤمنين ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، واعانك عليه قوم آخرون » . قالوا فانحرف معاوية الى من معه فقال : هذا ، وقد نفس عليه ببيعته وطعن في

امرته .. يا للرجال من آل ابي سفيان لقد حكموا وبذهم يزيد وحده » [٤٨] .

وله خطبةٌ طويلة ذكرها صاحب العقد وهي تدل على بلاغته وحسن بيانه ويظهر فيها انه قد درس القرآن وحفظ الكثير من آياته فقد اقتبس فيها آيات انزلها في منزلتها من الكلام وختمها بسورة كاملة [٤٩] .

بدأ قرض الشعر صغيرا وكان في حياة والده يتقاول الشعر مع عبد الرحمن ابن حسان ابن ثابت [٥٠]. وكان يحفظ اشعار القدماء والمعاصرين ولا يسمح بوفادة شاعر عليه لم يسمع بشعره من قبل [٥١] . وقد بدأ بانتحال الشعر من غيره فاخذ عن الاعشى وجرير [٥٢] . والمّ بشعر ابن ابي ربيعة وقد زعموا انه لما عرض جيشه في الشام قبل تسييره الى المدينة مر به رجل من اهل الشام معه ترس خلق سمج فنظر اليه يزيد وضحك وقال له : « ويحك مجنّ عمر ابن ابي ربيعة كان احسن من مجنتك هذا » يريد قول عمر :

فكان مِجنّي دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر [٥٣]

ولم يكن مكثرا في شعره شأن الملوك ولكنه قال شعرا جمع المرزباني منه ديوانا في ثلاث كراريس واعتنى به ثم جمعه آخرون وزادوا فيه . ورآه بعدهم ابن خلكان فاعجب به وعرف صحيحه من المنسوب اليه وحفظه لشدة غرامه به قال : « وهو في نهاية الحسن » . وروى منه هذه الابيات وهي بحق من اجمل الشعر :

اذا رمت من ليلى على البعد نظرة تطفّي جوى بين الحشا والاضالع
تقول نساء الحي تطمع ان ترى محاسن ليلى مُتْ بداءِ المطامع
وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها سواها وما طَهّرْتَهَا بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى حديث سواها في خروق المسامع
احبك يا ليلى عن العين انما اراك بقلب خاشع لك خاضع [٥٤]

ولعلّه اسبق شعراء الغزل في العربية الى هذا المعنى في التدليل على مكانة الحبيبة والندم على حب غيرها من النساء .

وينسبون اليه :

عرفت الربع بالاكليل	(م)	عفته سوافيه [55]
بجو ناعم الحوذان [56]	(م)	ملتف روابيه
اذا ما ام عبد الله	(م)	لم تحلل بواديه
ولم تمس قريبا	(م)	هيج الحزن دواعيه
غزال راعه القناص	(م)	تحميه صياصيه [57]
وما ذكرى حبيب	(م)	وقليل ما اواتيه
كدنّ الخمر يمناها		وقد انزف ساقيه [58]

وله من مقطوعة من الشعر الذي نظم ليُغنّى :

الا يا صاح للعجب		دعوتك ثم لم تجب
الى القينات واللذات	(م)	والصهباء والطرب
وباطية مكللة		عليها سادة العرب
ومنهن التي تبلت		فؤادك ثم لم تتب [59]

وله :

امن رسم دار بوادي غدر	لجارية من جواري مضر
خدلجة الساق ممكورة	سلوس الوشاح كمثل القمر
تزين النساء اذا ما بدت	ويبهت في وجهها من نظر [60]

واذا كان صحيحا انه صاحب قصيدة :

نالت على يدها ما لم تنله يدي	نقشا على معصم اوهت به جلدي [61]

فانه من المجيدين حقا .

وقد ذكر له ياقوت في معجمه مقطوعتين الواحدة مطلعها :

آب هذا الهم فاكتنعا [62]	واتر [63] النوم فامتنعا
جالسا للنجم ارقبها	فاذا ما كوكب طلعا [64]

واخرى مطلعها :

طرقتك زينب والركاب مناخة ... بجنوب خبت والندى يتصبب
بثنيّة العلمين وهنا بعد ما ... خفق السماك وجاوزته العقرب [٦٥]

ويقول في خاتمتها :

وزعمت اهلك يمنعونك رغبة ... عني واهلي بي اضنُّ [٦٦] وارغب

وله رجز قصير زعموا انه ارتجزه حين استعرض جنده قبل واقعة الحرة يقول فيه :

ابلغ ابا بكر اذا الليل سرى ... وهبط القوم على وادي القرى
عشرون الفا بين كهل وفتى ... اجمع سكران من القوم ترى
ام جمع يقظان نفى عنه الكرى
يا عجبا من ملحد يا عجبا ... مخادع في الدين يقفو بالعرى [٦٧]

ويتميز شعره القليل الذي بين ايدينا بسهولته وعذوبته وجمال ديباجته ولطف معانيه وليس قليلا ان يقول ملك شاعر في مثل ذلك العصر :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع

اما ديوانه الذي جمعه المرزباني واطلع عليه ابن خلكان [٦٨] فلم نعثر بعد على ذكر لنسخة خطية منه في المكتبات المختلفة. فاذا كان من طبقة الشعر القليل الذي حفظ لنا في كتب الادب والتاريخ فان يزيد هو بحق رائد مدرسة الشعر الغزلي في الشام [٦٩] . ومهما يكن من امر فهو اول ملك شاعر في الاسلام ومن اعظم الملوك الشعراء . ولم تدم خلافة يزيد اكثر من اربع سنين وبضعة ايام ومات في حوّارين [٧٠] قرب القريتين وعلى الطريق بينها وبين حمص وهو في الثامنة والثلاثين من عمره [٧١] . ولم ينقطع الشعر والادب في هذا البيت بموت يزيد فكان ابنه خالد بعده شاعرا وكانت ابنته عاتكة اديبة وهي اعرق الناس في الخلافة فقد كان ابوها يزيد خليفة وجدها معاوية خليفة واخوها معاوية خليفة وزوجها عبد الملك خليفة وابنها يزيد ابن عبد الملك خليفة وارباؤها [٧٢] الوليد وسليمان وهشام خلفاء وكانت فوق ذلك كله جدة لخليفة شاعر هو الوليد ابن يزيد الذي سبق اباها في هذا الميدان .

المراجع

* اثبتنا همزة ابن في كل المواضع متبعين القاعدة الاصلية في الكتابة العربية وهي ان ترسم باعتبار انها مبدوء بها موقوف عليها .

١) على سبيل التمثيل راجع كتاب خلافة يزيد الاول بالفرنسية للاب هنري لامنس (بيروت ، ١٩٢١) ص ٣٢٥ حيث ينقل عن كتاب الانبياء في تاريخ الخلفـــاء للعمراني . وانظر مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ص ١١٩ حيث يقول ابو الفرج، وهو اموي النسب شيعي المذهب ، عند ذكر يزيد ووفود الاسرى من اقرباء الحسين عليه : «لما ادخلوا على يزيد – لعنه الله – اقبل قاتل الحسين » الخ . « ووضع الرأس بـين يدي يزيد – لعنه الله – في طست فجعـل ينكث » الخ . وص ١٢٠ « ثم دعـا يزيد – لعنه الله – بعلي ابن الحسين » وليس غريبا ان يكون بعض السبـاب في الكتب القديمة من اقلام النساخ لا من اقلام المؤلفين .

٢) العقد (الفريد) لابن عبد ربه طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القـاهرة ١٩٤٠ – ١٩٥٣) ج ٤ : ص ٣٧٥ .

٣) الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (بولاق ، ١٢٨٥) ج ١٦ : ص ٣٣ ولا تزال هذه العادة مألوفة بين شباب البدو في سورية حيث نرى الكثيرين منهم يطيلون جممهم ويرجلونها. وكان معاوية اذا رأى يزيد مزينا يقول :

فان مات لم تفلح مزينة بعده   فنوطي عليه يا مزين التمائما .

٤) العقد ٦ : ٤٩

٥) العقد ٢ : ٧٠ – ٧١

٦) التاج في اخلاق الملوك للجاحظ (القاهرة ، ١٣٣٢) ص ١٥٤

٧) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن الطقطقى (غريفزولد ، ١٨٥٨)ص ٦٧ ، ١٣٧ .

٨) مروج الذهب للمسعودي (باريس ١٨٦١ – ٧٦) ج ٥ : ص ١٥٧ – ١٥٨ . وفي أنساب الاشراف للبلاذري . القسم الثاني من الجزء الرابـع (القدس ، ١٩٣٨) ص ٢ . ان قائل الشعر هو يزيد نفسه وقد ذكرت روايات مختلفة فيه وقراآت مختلفة له .

٩) المصدران نفسها وعمر ابن أبي ربيعة لجبرائيل جبور (بيروت، ١٩٣٥ و ١٩٣٩) ج ١: ص ١١٦ – ١١٧ .

١٠) مروج الذهب ٥ : ١٥٦ .

١١) العقد ٦ : ٥٦ بل ذكر المسعودي ان في ايام يزيد ظهر الغناء بمكة والمدينة ج٥ ص١٥٧ .

١٢) التاج : ١٥١

١٣) العقد ٤ : ١٦٤ ، ١٦٩ ، ٣٦٧ وانساب الاشراف ج ٤ قسم ٢ ص ٢ وتاريخ العرب، بقلم فيليب حتي وادوارد جرجي وجبرائيل جبور (بيروت : ١٩٦٥) ج ١ ص٢٨٥ .

١٤) الاغاني ١٦ : ٣٣ .

١٥) انظر تاريخ الامم والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ليدن ١٨٧٩–١٩٠١) ج ٣ : ٢٣٢٤ والعقد ٤ : ٣٦٨

١٦) تاريخ العرب ١ : ٢٦٥

١٧) العقد ٤ : ٣٦٧–٣٦٨

١٨) تاريخ العرب ١ : ٢٦٥

١٩) الاغاني ١ : ١٤ .

٢٠) معجم البلدان لياقوت الرومي (ليبزك ، ١٨٦٦–٧٠) ج ٤ ص ١٠١٨

٢١) عيون الاخبار لابن قتيبة (مصر، ١٩٢٥–١٩٣٠) ج ١ : ٢٨٤

٢٢) الاغاني ١٨ : ٧١–٧٢

٢٣) العقد ٤ : ٣٦٩–٣٧٠

٢٤) العقد ٤ : ٣٧٠

٢٥) العقد ٤ : ٣٦٢

٢٦) الاغاني ٢ : ٨٣

٢٧) الاغاني ١٣ : ١٤٧ ، ١٥٤

٢٨) العقد ٤ : ٣٢١

٢٩) ديوان الاخطل نشر صالحاني (بيروت ، ١٨٩١) ص ٩٢–٩٣

٣٠) الاغاني ١٠ : ١٧٢

٣١) الاغاني ١٣ : ٣٣

٣٢) الاغاني ١١ : ٤٠

٣٣) ديوان الاخطل ص ٩٤ وانظر ص ١٤٦و١٦٧و٢٣٦ ، الاغاني ٣ : ١٤٨–١٤٩ .

٣٤) الاغاني ١٠ : ١٧٢

٣٥) الاغاني ١١ : ٤٢

٣٦) الاغاني ١٣ : ٣٨

٣٧) الاغاني ٧ : ١٠٤ وطبعة دار الكتب المصرية مصر ، ١٩٢٦ — ج ٨ : ١٤٢

٣٨) العقد ٢ : ٧٠ وانظر ص ٤٣٧ حيث ترى ان يزيد اعطى الاحنف بن قيس مئة الف درهم ومئتي ثوب

٣٩) الاغاني ٨ : ٨٩—٩١ وطبعة دار الكتب ٩ : ١٣٤—١٣٦

٤٠) الاغاني ٨ : ١٣٠ وطبعة دار الكتب ٩ : ٢١١—٢١٢

٤١) العقد ١ : ٢٩٣

٤٢) العقد ٢ : ٤٨٠

٤٣) مختصر تاريخ البشر لابي الفداء (الاستانة ، ١٢٨٦) ج ١ : ٢٠٣

٤٤) خوص = نياق غائرة العيون

٤٥) الاغاني ١٦ : ٣٣—٣٤ والعقد ٤ : ٣٧٣

٤٦) العقد ٤ : ٨٩ و ٣٧٤—٣٧٥

٤٧) عيون الاخبار ١ : ١١٠ والعقد ١ : ١٥، ١٦ والتاج ص ١٩١

٤٨) العقد ٤ : ٨٦—٨٧

٤٩) العقد ٤ : ٨٩—٩٠

٥٠) طبقات الشعراء لمحمد ابن سلام الجمحي (ليدن ، ١٩١٣) ص ٨ ١

٥١) الاغاني ٧ : ٥٢ وطبعة دار الكتب ٨ : ٣٦

٥٢) العقد ٤ : ٣٧٣ والاغاني ٧ : ٥٢

٥٣) الاغاني ١ : ٣٩ وطبعة دار الكتب ١ : ٨٣ والعقد ٥ : ٤٠٣

٥٤) وفيات الاعيان لابن خلكان (مصر ، ١٢٩٩) ١ : ٦٢٤ وذكر في ترجمة حياة المرزباني في معجم الشعراء (القاهرة ، ١٣٥٤) ان للمرزباني كتابا هو ديوان يزيد ابن معاوية .

٥٥) اي محت معالمه الرياح

٥٦) نبت من نبات البادية له زهرة حمراء في اسفلها صفرة

٥٧) الصياصي هي الحصون او ما يمتنع به

٥٨) الاغاني ١٤ : ١١٨ – ١١٩ وقد غيرنا ترتيب الابيات

٥٩) الاغاني ١٤ : ٦٣

٦٠) الاغاني ١ : ١٠٤ وطبعة دار الكتاب ١ : ٢٦٦

٦١) تاريخ آداب اللغة العربية ، لجرجي زيدان (مصر ، ١٩١١ – ١٤) ١ : ٢٣٨

٦٢) اكتنع اي حضر ودنا

٦٣) اي انقطع وابعد

٦٤) معجم البلدان ٤ : ٣٩٥

٦٥) معجم البلدان ٤ : ٥٠٠

٦٦) في الاصل اظن وهو خطأ

٦٧) تاريخ الامم والملوك للطبري – طبعة مصرية ج ٧ :٦

٦٨) وفيات الاعيان ١ : ٦٢٤ ٦٢٥

٦٩) يذكر البلاذري ترجمة مطوّلة ليزيد في كتابه « انساب الاشراف » ج ٤ قسم٢ ص١ - ١١ وفيها ابيات من شعره في زوجه ام خالد .

٧٠) بتشديد الواو لا بتخفيفها كما توهم ناشرو العقد (لجنة الترجمة والتأليف والنشر) في تحقيق الاسم ج ٤ ص ٣٧٥ هامش رقم ٢ وص ٣٩١ السطر السابع وهي قرية لا تزال عامرة الى اليوم قرب بلدة القريتين وعلى الطريق بين الاخيرة وحمص وقد ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٢ : ٣٥٥ بالضم وتشديد الواو وذكر قول احدهم فيها :

يا ليـــلة لي بحـوارين ساهرة   حتى تكلم في الصبح العصافير

وهناك اثار بناء فيها يزعم اهل البلدة انه قصر يزيد . وقد قـــال الاخطل في ثواء يزيد بحوّارين (الديوان ص٢٨٩)

مقـيم بحـــوارين ليس يريمهـــا   سقته الغوادي من ثويّ ومن قبر

وفي ايرادها ما يدل على ان الحاء مشددة .

٧١) العقد ٤ : ٣٧٥

٧٢) العقد ٤ : ٣٧٦ ولقد اخطأ الناشرن هنا ايضا فشرحوا كلمة ارباؤها بقولهم اولادهـــا والربيب هو ابن امرأة الرجل من غيره وهم ليسوا في الواقع اولادها ولكنهم اولاد زوجها عبد الملك ومن الغريب ايضا ان ابن عبد ربه نفسه قد فاته ان يذكر ان يزيد ابنهـا كان خليفة ايضا .

كرنيليوس فان ديك : مؤلفاته العلمية العربية

[دخلت الجامعة الاميركية في بيروت فترة عيدها المئوي الذي تقرر الاحتفال به خلال السنة الممتدة من حزيران ١٩٦٦ الى حزيران ١٩٦٧ . وقد كان كرنيليوس فان ديك من اركانها في عهدها الاول ، وله في العربية مؤلفات دواسية وجامعية كثيرة ، رأينا ـ لعظم اثرها في النهضة ـ ان نقدم بياناً وافياً عنها في المقال التالي ، مرتبة بحسب تاريخ صدورها ، غير ملتفتين الآن الى الوجه الآخر من نشاطه في التأليف العربي ، كترجمة الكتاب المقدس وتحرير النشرة ووضع كتب دينية متعددة او ترجمتها. وهذا المقال هو جزء من دراسة واسعةعن كرنيليوس فانديك اعدها السيد يوسف قزما الخوري وقدمها اطروحة الى دائرة التاريخ لنيل درجة الماجستير من الجامعة الاميركية في بيروت وقد نالها بامتياز في دورة تشرين الاول ١٩٦٥ – المحرر]

١ – كتاب المرآة الوضية في الكرة الارضية

بيروت مطبعة الاميركان ، ١٨٥١ ، ٥٠٢ ص .

الف الدكتور فان ديك كتاب **المرآة الوضية في الكرة الارضية** اثناء تدريسه لمادة الجغرافيا في مدرسة عبيه . ويذكر انه وضع هذا الكتاب « في علم رسم الارض » الذي يبحث فيه عن هيئة الارض واقسام سطحها وانواع اهلها وحواصلها « تنويرا للبصائر وتنزيها للخواطر » [1] ، وانه ينقسم الى قسمين « الاول – جغرافية طبيعية . والثاني – جغرافية وصفية . اما الاول فمداره

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، المرآة الوضية في الكرة الارضية ، بيروت ، ١٨٥١ ،ص٢ .

سطح الارض وما عليه وكرة الهواء المحيطة به بدون التفات الى اقسام الارض السياسية . اما الثاني فيعتبر البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض » . [١] ويعود فينبه القاريء الى انه في كتابه هذا لا يفصل بين هذين القسمين فصلا تاما بل انه يذكر « بعض متعلقات الجغرافية الطبيعية اولا والبعض الآخر يذكر مع متعلقات الجغرافية الوصفية » . [٢]

ان قسم الجغرافية الطبيعية يحتوي على سبعة فصول : في حقيقة هذا العلم وبعض اصطلاحاته ، واليابسة واقسامها ، والهواء والرياح ، والاقاليم وتفريق الحيون والنبات حسب الاقاليم ، والاحكام [انواع الحكم] والاديان ، وانواع البشر ولغاتهم . ويتبع في هذا القسم طريقة تحديد او بالاحرى تعريف الاصطلاحات التي سترد في الكتاب ، كخطوط الطول والعرض ، والقارة ، والاقليم ، والرأس [٣] واللسان [٤] ، والبرزخ والجبل والسهل ، وجبل النار او البركان ، والبحر المحيط او الاوقيانوس ، والبحيرة والترعة ، والبوغاز ، والخليج ، والنهر ، والبحر ... الخ . فيقول مثلا في تعريف الاقليم : « الاقليم لفظة يونانية معربة معناها حرارة الهواء في اقسام الارض المختلفة . وفي الاصطلاح [اي الاصطلاح الجغرافي] هي عبارة عن كل ما يتعلق بهواء محل مما تتأثر به الحواس او الصحة كالحرارة والرطوبة وضغط الهواء ونقاوته ومخالطته بابخرة مرضية ، وصفاوته وغلبة الانواء فيه وما يشبه ذلك مما يؤثر في الانسان عقلا وجسدا » . [٥]

ويحتوي قسم الجغرافية الوصفية على تسعة وثلاثين فصلا : قارة آسيا ،

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) عرف الراس بما يلي: « حرف من جبل او من ارض مرتفعة داخل البحر . المصدر ذاته ص ١١ .

(٤) عرف اللسان بما يلي : « حرف من ارض سهلة داخل في البحر ». المصدر ذاته،ص١١ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٣٤ .

واملاك روسيا في آسيا ، والمملكة العثمانية في آسيا ، وبلاد العرب ، ومملكة ايران ، وبلاد التتر ، وهندستان ، والهند الصينية ، ومملكة الصين ، وجزائر آسيا، وقارة اوروبا، والولاية البريطانية، وبلاد اسوج ونروج، وبلاد المسكوب، وولاية فرنسا، ومملكة بلجيوم وهولاندا، وجرمانيا، ودنيمارك، ومملكة بروسيا، ومملكة اوستريا، وبلاد السويس ، والمملكة العثمانية في اوروبا ، ومملكة اليونان، ومملكة ايطاليا ، واسبانيا وبرتوكال وجزائر اوروبا ، وقارة افريقية ، وقارة اميركا ، واميركا الجنوبية ، واوستراليا وجزائر البحر المحيط. ويظهر انه اعتمد في معلوماته عن القارتين الاسيوية والافريقية على جغرافيي العرب كالاصطخري وياقوت الحموي الذين كثيرا ما استشهد بهما واستعمل الاسماء التي كانا يستعملانها، كبلاد النوبة وتيه بني اسرائيل والابلة . وعندما كان يخشى الالتباس في فهم الكلمة العربية المستعملة قديما كان يضع مرادفها الشائع مثل قوله البحر المحيط او الاقيانوس ، وبحر الروم او البحر المتوسط . واما بالنسبة للاسماء الاجنبية فقد عربها كنهر المسيسبي ، وجبال الالب ، واحيانا كان يقول « جرمانيا ويقال لها المانيا » .

وعند اعادة طبع الكتاب عام ١٨٧٠ صحح الدكتور فان ديك بعض المعلومات الواردة في الطبعة الاولى « لكي توافق الاكتشافات الجديدة في هذا العلم » [١] مثل ذكره ان اختلاف لون البحر « متوقف على اسباب محلية وعلى كثرة الحيويين المكروسكوبي الذي هو علة فصفورية البحر ايضا» [٢] الذي ورد فيالطبعة الاولى على ان سببه «متوقف على اسباب محلية»[٣]. واضاف اليه «بعض الشروح لاجل اتمام الفائدة » [٤] كقصف السفن الانكليزية عام ١٨٤١ لبيروت

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، المرآة الوضية في الكرة الارضية ، بيروت ، مطبعه الاميركان ، طبعة ثانية ، ١٨٧٠ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢١ .

(٣) المرآة الوضية ، الطبعة الاولى ، ص ٢ .

(٤) المرآة الوضية ، الطبعة الثانية ، ص ٢ .

وصيدا وعكا ، والتقدم الذي جرى في مدينة بيروت .

واهدى الدكتور فان ديك كتابه هذا في طبعته الثالثة « الى الشيخ الجليل ، ذي الفضل العالم العلامة الرياضي والطبيب النطاسي جناب الدكتور ميخائيل مشاقة ، اقرارا بفضله العميم ، واشتراكه قلبا وعملا مع كل من خدم المعارف في البلاد الشرقية ». [١]

٢ — كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٣ ، ٢٥١ ص .

يذكر الدكتور فان ديك في مقدمة كتابه **الروضة الزهرية في الاصول الجبرية** ان كتابه هذا هو في علم « الجبر الحسابي » وانه قد علق عليه ما املاه على طلاب مدرسة عبيه « سالكا فيه مسلك بعض العلماء الفرنساويين والانكليزيين » [٢] ، وذكر ان علم الجبر هو من « التعاليم المحضة المختصة بالكميات المجردة عن المواد » [٣] التي لها « مزية على ساير العلوم من حيث وضوح قواعدها وقوة براهينها ، حتى ضرب بها المثل في الايضاح والتبيين ومن حيث كثرة استعمالها ولزومها في المصالح والعلوم كافة . وايضا لسبب تأثيرها في القوى العقلية بتقويتها وتوسيعها . فإن درسها يدرب العقل على الاتجاه بكل قواه نحو

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، المرآة الوضية في الكرة الارضيه ، المطبعة الادبية ، طبعة ثالثة ، ١٨٨٦ ، ص ٢. وصف المرسل الاميركي جورج هوايتن الدكتور ميخائيل مشاقة بانه ذو اخلاق عالية ومن اذكى الوطنيين وبانه كاتب قدير وافضل طبيب وطني . الميشنري هيرلد ، ج ٤٨ (١٨٥٢) ص ٢٧١ . واعتبرته النشرة الاسبوعية «لوثر الشرق» . النشرة الاسبوعية ، العدد ٣٠ (٢٨ تموز ١٨٨٨) ص ٢٣٦ — ٢٣٩ .

(٢) فان ديك ، الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٣ ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣ .

امر ما وعلى انحصاره في موضوع ما بدون ان يتشتت . ويمنح حذاقة عظيمة في الكشف عن فساد او سفسطة في برهان او قضية. ولذلك تكون معرفتها مفيدة جدا لكل واحد ولو كان غير مفتقر الى ممارستها ». [1] ويعود فيعرف علم الجبر بانه « علم يبحث فيه عن نسب الكميات باستعمال احرف واشارات اخر » [2] ، ويذكر انه يمتاز عن علم الحساب لكون « مسائله اعم ولانه تستعمل فيه الاحرف الهجائية عوض الاعداد ، كبيرة كانت ام صغيرة. وايضا لانه تستعمل فيه كميات مجهولة كأنها معلومة . فالاحرف التي تنوب عن كميات عددية في الجبر ليس لهـا قيمة في ذاتها ولكن تفرض لها قيمة معلومة في كل مسئلة على مقتضى شروطها . وقد تكون تلك القيمة معلومة وقد تكون مجهولة كما سترى . فان كانت معلومة يوضع عوضها حرف من حروف الهجـاء الاول كالالف والباء والتاء وما يليها ، وان كانت مجهولة يستعمل عوضها الحروف الاخيرة كالكاف واللام والميم ومـــا يليها ». [3]

يحتوي هذا الكتاب على خمسة وعشرين فصلاً : الاشارات الجبرية والكميات السلبية والاوليات ، والجمع ، والطرح ، والضرب ، والقسمة ، والكسور ، والمعـادلات من الدرجة الاولى وهي البسيطة ، والترقية والقوات ، والجذور والتجذير ، وحل المعادلات بالترقية والتجذير ، ومعادلات ممتزجـة من الدرجة الثانية ، والمسائل المشتملة على مجهولين فاكثر ، والتناسب والنسبة ، والتغيير او النسبة العمومية ، والسلسلة الحسابية والهندسية ، والغير المتناهيات ونظير الغير المتناهي ، والقسمة على المركب وفي العـادّ الاكبر ، في ترقية الكميات الثنائية وبسطها ، في تجذير الكميات المركبة ، والسرد الغير المتناهي ، والمعادلات التامة من الدرجة الثالثة ، وحل المعـادلات من كل درجة بالاستقراء ، والمسائل الغير المحدودة وهي السيالة ، واستعمال الجبر في مسائل الهندسة ، وتعديل المنحنيات

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٣ .

بواسطة الجبر . وطريقته في عرض هذه المعلومـــات كانت بأن يذكر القاعدة ويقدم عليها الامثلة لتوضيحها . ثم يعطي عليها اعمالا كفروض لحلها قد تصل في بعض الاحيان الى ٦١ عملا .

لا شك ان الدكتور فان ديك بحث عن المرادفات العلمية في الكتب العلمية العربية واوردهـا في كتابه هذا ، فاستعماله لهذه التعابير اكبر دليل على المجهود البالغ الذي بذله في هذا المضمار ، بالاضافة الى اننا نرى انه حـــاول ان يجد الكلمات العربية لبعض التعابير لتمييزها عن معنى آخر ، فمثلا نرى انه استعمل لفظة « الجذر المالي » (Square root) لتمييزهـا عن المربـع (Square) ولكن خشية الالتباس قال « الجذر المالي او المربـع او الثاني » [١] عند ايرادهـا للمرة الاولى ثم اخذ يكررها « الجذر المالي » فقط . واستعمل ايضـا التعابير التالية « الاعداد الشفعية » ليعبر عن الاعداد المزدوجة و « الاعداد الوترية » للاعداد المفردة ، كما انـه استعمل « الاولية » و « الاوليات » للبديهية والبديهيات ، و « الخط العرضي » للخط الافقي .

٣ ـ الاصول الهندسية

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٧ ، ٣١٢ ص .

يذكر الدكتور فان ديك ان اشهر مؤلفات « الفيلسوف اقليدس » هو كتاب **الاصول الهندسية** « ولم يزل الى ايامنا هذه افضل ما صنف في هذا الفن. غير انه قد دخل عليها بعض التغييرات والنقائص على تمادي الاجيال . وقد أرجعها الى اصلها المعلم سمسون الاسكوتسي ثم اضاف اليها بعض المعلمين عدة قضايا لكي تصير بذلك اكثر مناسبة لحال التعاليم في هذا العصر . واحسن نسخها واكثرها فائدة النسخة التي اعتنى بهـا المعلم بلايفار الاسكوتسي وهى المعول عليهـا في هذه

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٥٩ .

الترجمة »[١] ويحدثنا عن الغاية من ترجمة هذا الكتاب بقوله : « انني لما رأيت افتقار المدارس في هذه البلاد الى الكتب الهندسية ، التي بها تتم الفائدة المقصودة منها ، اعتنيت بترجمة هذا الكتاب المفيد المشتمل على كتب اقليدس الستة ومضافات اخرى في تربيع الدائرة وهندسة الاجسام واصول قياس المستويات المستوية والكروية . والله المسؤول ان ينفع به الطالبين ويفيد الراغبين ويجعله مخلصا لوجهه الكريم » .[٢]

ويحتوي هذا الكتاب على احد عشر فصلا : ستة منها لكتب اقليدس الستة، وتربيع الدائرة ، وتقاطع السطوح ، ومقايسة الاجسام ، واصول قياس المثلثات البسيطة ، واصول قياس المثلثات الكروية . ويتبع هنا الاسلوب نفسه الذي اتبعه في **الاصول الجبرية** اي انه يذكر القاعدة ويقدم عليها الامثلة لتوضيحها ثم يعطي عليها اعمالاً كفروض لحلها . واورد هنا جميع التعابير العربية القديمة كالزاوية القائمة والزاوية المنفرجة والزاوية الحادة والمثلث المتساوي الاضلاع والمربع والمستطيل والوتر والمحيط ومركز الدائرة وقطر الدائرة والمعين. ولكنه اضطر ان يعرف بعض الكلمات العربية التي وضعها كالعملية التي عرفها بما يلي « هي قضية حاوية عملا مطلوب اتمامه كقولهم علينا ان نرسم خطا عمودا على آخر »[٣] ، و « السابقة » وهي « قضية استعدادية ذكرت قبل اخرى لكي يختصر بها برهان الاخرى »[٤] ، و « الفرع » وهو « نتيجة تستنتج بالاستقامة من قضية اخرى »[٥] و « التعليقة » وهي « قول مبني على قضية سبقته » .[٦] ويظهر انه خشي الالتباس في بعض الكلمات التي استعملها فاضطر ان يردفها بمعنى لها كقوله « ان ننصف خطا اي ان نقسمه الى قسمين متساويين » .[٧]

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، الاصول الهندسية، بيروت، مطبعة الاميركان، ١٨٥٧، ص ٣ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٤) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٥) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٦) المصدر ذاته ، ص ٤ .
(٧) المصدر ذاته ، ص ١٧ .

٤ - محيط الدائرة في علمي العروض والقافية

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٧ ، ١٢٣ ص.

الف الدكتور فان ديك كتاب **محيط الدائرة في علمي العروض والقافية** اثناء تدريسه في مدرسة عبيه « وكان الفراغ من تبييضه في شهر شباط من اشهر سنة ١٨٤٩ »[١] ولكنه طبع بعد ثماني سنوات بمطبعة الاميركان في بيروت عام ١٨٥٧ .

يعرف العروض بانه « علم يبحث فيه عن اوزان الشعر وما يتصرف به فيها. وقد ذكروا في وجه تسمية هذا العلم بالعروض وجوها اقربها ان العروض اسم لما يعرض عليه الشيء فنقل الى هذا الفن لانه يعرض عليه الشعر فما وافقه فصحيح وما خالفه ففاسد. وقال بعضهم انه انما سمي بالعروض لانه الخليل الفه في العروض وهي مكة فسماه بها تبركا ».[٢] كما عرف القافية بانها « من اخر ساكن في البيت الى اقرب متحرك يليه ساكن ».[٣] وبعد ان يعدد الابحر الشعرية يذكر أنها قد جمعت ، ما عدا بحر المتدارك ، في البيتين التاليين :

طويل مديد والبسيط ووافر   وكامل اهزاج الاراجيز ارملا
سريع انسراح والخفيف مضارع   ومقتضب المجتث قرب لتفضلا

ثم يذكر انها تقسم الى خمس دوائر : ١ - دائرة المختلف وتشمل الابحر التالية : الطويل والمديد والمستطيل والبسيط والممتد ، ٢ - دائرة المؤتلف وتشمل : الوافر والكامل والمتوفر ، ٣ - دائرة المجتلب وتشمل : الهزج والرجز والرمل ، ٤ - دائرة المشتبه وتشمل : السريع والمنسرح والخفيف والمضارع

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، محيط الدائرة في علمي العروض والقافية ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٥٧ ، ص ١٢٣ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٠٤ .

والمقتضب والمجتث ، وهناك ثلاثة ابحر غير مستعملة تقع ايضا ضمن هذا الدائرة وهي المتئد والمنسرد والمطرد ، ٥ - دائرة المتفق وتشمل المتقـــارب ، وبحر المتدارك الذي استدركه المحدثون [١] .

والكتاب سهل العبـارة واضـح المعاني . ولا غرو ان يضـــع هذا الطبيب المستشرق لابناء اللغة العربية كتابا مبسطا في العروض والقوافي وهو الذي اخذ اللغة العربية عن احد اربابها - الشيخ ناصيف اليازجي. ويذكر الدكتور يعقوب صروف في رسالة بعثها لتقرأ بمناسبة ازاحة الستار عن تمثالي الدكتورين فان ديك وورتبات جاء فيها ، انه قد وقع له منــذ مدة كتابان من كتب الدكتور فان ديك : الاول قانون ابن سينـــا . والثاني كتاب « صغير الحجم جدا كأنه صنع ليوضع في الجيب - تذكرة -وهو دفتر بعضه بخطه وبعضه بخط استاذه اليازجي وكله قصائد مشهورة ومقاطع شعرية كتبها ليستظهرها ».[٢] فلا يستغربن احد على من احب اللغة العربية وحفظ اشعارها وشواهدها ان يؤلف كتابا في العروض والقوافي .

٥ - اصول الكيميا

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٦٩ . ٤١٢ ص.

الف الدكتور فان ديك كتاب **اصول الكيميا** في اثناء تدريسه هذه المادة في الكلية السورية الانجيلية عندما كانت اللغة العربية هي لغة التدريس فيها . يقسم الكتاب الى اربعة اجزاء : الجزء الاول في القوى الكيماوية اي المواد غير القابـلة الوزن ، والثاني في التسمية الكيماوية ، والثالث في كيمياء المواد غير الآليـــة ، والرابع في كيميا المواد الآلية.

يبدأ في تعريف المصطلحات الكيماوية والادوات التي تستعمل عند القيـــام

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٨ - ١٥ .

(٢) « تمثالا المرحومين الدكتور فانديك والدكتور ورتبات » ، الكلية ، ج ٤ (١٩١٣) ، ص ١٤١ . والمقتطف ج ٤٢ (١٩١٣) ص ٤٨٣ .

بتنفيذ التجارب المطلوبة من الطالب ثم ينتقـل الى وصف الخمسة وستين عنصرا المعروفة الى ذلك الحين مع ذكر خصائصها وكيفية تركيبها. لقد عرب الدكتور فان ديك جميع هذه العناصر باستثناء العناصر التالية التي وضعها بصيغتها العربية: الكبريت ، والفصفور ، والزرنيخ ، والذهب ، والزيبق ، والفضة ، والنحاس ، والقصدير ، والرصاص ، والحديد ، والتوتيا .[١]

وينبه الطـــالب على انه قد اضطر الى ذكر بعض القواعد المتعلقة بالحرارة والنور والكهربائية وهي اصلا من صلب علم الطبيعيات وذلك لايضـــاح بعض الامور المتعلقه بالكيمياء. [٢]

ولا شك ان هذا الكتاب كان مرجعا في الكيمياء، الامر الذي جعل **المقتطف** يحيـــل احد الاسئلة الواردة اليه عن حـل الاسماء الاصطلاحية مثل كلوريد وكربونات الى هذا الكتاب حيث يقول: «تجدون تفسير ذلك في كتب الكيمياء، انظروا مثلا مبادىء الكيمياء للدكتور فان ديك ». [٣]

٦ ــ الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، كتاب في الجدرى والحصبة

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٢ ، ١١٢ ص.

حقق الدكتور فان ديك هذه الرسالة عن « نسخة خط في المكتبة الدوكية في المدنة البندقية » [٤] وقارنها على بعض النسخ المطبوعة في اوروبا ، وبعـــد

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، اصول الكيميا، بيروت، مطبعة الأميركان، ١٨٦٩، ص٥٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٩ . ولقد نشرت مجلة الجنان بعض مواضيع من هذا الكتاب مثل : « الكربون » في الجزء الاول (١٨٧٠) ص ٧٧–٧٩ و ١١٢–١١٤ و ١٤٠–١٤١ و ١٧٤–١٧٥ و ٢٠٨–٢١١ . والزيت الامركاني ج ١ (١٨٧٠) ص ٢٣٧ . و « البترو ليوم اي الكاز » ، ج ١ (١٨٧٠) ص ٤٦٨–٤٧٠ .

(٣) المقتطف ، ج ١٣ (تشرين الثاني ١٨٨٨) ص ١٤٣ .

(٤) الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، كتاب في الجدري والحصبة (تحقيق الدكتور فـان ديك) ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٢ ، ص ٢ .

الانتهاء من تحقيق الرسالة اضاف اليها شرحـا مفصلا لمرض الجدري . ويقول في المقدمة التي وضعها للكتـاب : « ان الشيخ الرازي هو اول من الف كتـابا في الجدري والحصبة وكانت طريقة علاجه فيهما استعمال المبردات ووضع العليل في محل مهوى ووقايته باغطية خفيفة لاجل تخفيف الحمى. ثم ترك الاطباء بعده هذه الطريقة واعتمدوا على الادوية الحامية وتثقيل الاغطية بقصد زيادة النفاط زاعمين ان النفاط انما هو فعل الطبيعة لاجل طرح المرض وبهذه الطريقة مات الاكثرون. ثم في هذا القرن عاد الاطباء الماهرون الى طريقة الرازي في علاج هذين المرضين. ولما كانت هذه الرسالة قليلة الوجود استحسنت عمـدة الادارة للمدرسة السورية الكلية طبعها حفظا لها من الدثور وامرت باضافة بعض الشروح اليها اصلاحـا للخطأ وايضاحا لما قد يشكل على القراء » .[١] ثم نقل سيرة الشيخ ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي عن كتاب **تاريخ مختصر الدول** لابي الفرج.[٢]

وكان في تحقيقه يشرح الالفاظ غير المستعملة ويذكر نبذة عن الاشخاص الذين ترد اسماؤهم والكتب اليونانية مع ذكر الذين ترجموها الى العربية بالاضـافة الى تعليقات من عنده حول الاراء الطبية الواردة في متن الرسالة . مثالا على ذلـك ذكر في الهامش عندما ورد «ان جالينوس وصف في المقالة الثانية في قاطاجانس»[٣] قوله : « اي كتابه في طبيعة العلاجات ترجمه الى العربية حبيش ابن الحسن الملقب الاعسم تلميذ حنين بن اسحق في عصر المتوكل نحو اواخر القرن الثـالث » .[٤] وعلق على قول الرازي ان الصبيان والغلمان والفتيان يجب ان يفصدوا قـائلا : « قد اجمعت آراء الاطباء في هذه الايام على منع الفصد في الجدرى الا نادرا».[٥]

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٢) طبع كتاب تاريخ مختصر الدول في اكسفورد عـام ١٦٦٣ . انظر سركيس ، معجم المطبوعات ، عامود ٣٤٠.

(٣) الرازي ، كتاب في الجدري والحصبة ، ص ٩ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٩ .

(٥) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

وعند ورود لفظة الطباشير ذكر في الحاشية : « قال ابن سينا هو اصول القنـــا المحرقة . وقال ابن البيطار هو شيء يوجد في جوف القنا العتيق واجوده ما كان عند العقد . وقيل بل حراقة القنا ومادتة . اقول [فان ديك] هو حـــامض سليسيك مع كلس قليل وبعض المواد النباتية يفرز عقد القنا الهندي ». [(١)]

وفي المقالة التي اضافها الى هذه الرسالة كتب نبذة تاريخية عن مرض الجدري بانه لم يعرف عند القدماء وقال ان المؤرخ اليوناني بروكوبيوس ذكر « في **تاريخه حروب قبائل الغوثين** ان هذه العلة [الجدرى] ظهرت اولا في سنة ٥٤٤ ب.م. في مدينة بيلوسيوم في بلاد مصر ، وهـي مدينة قديمة شهيرة خرائبهـا باقية بجوار دمياط ، ومن هناك حملت الى القسطنطينية في سنة ٥٦٩ ب. م. وفي هذه السنة نفسها جاء ابرهة الاشرم الحبشي صاحب الفيل لمحاصرة مكة فثار بين اجنـاده مرض معد الزمه ان يترك الحصار . ومن بعض الكتب التي وجدها السائح بروس في بلاد الحبش بيـــان من صفات هذا المرض انه كان جدريا ، ومن ثم كثر في الشرق ». [(٢)] ثم انتقل الى وصف درجات الجدري الاربع : الاولى — درجـة المحاضنة ، والثانية — درحة الهجوم وهي درجة الحمى الاولى ، والثالثة—درجة النفاط ، والرابعة — الدرجة الصديدية وهي درجة الحمى الثانية، وتدرج بعدئذ الى ذكر انواع الجدري الثلاثة: الجدري الطبيعي والجدري بعد التلقيح والجدري بعد التطعيم المعروف بالجدري البقري ويسمى الحماق بفتح الحاء او ضمها، شارحا اعراض كل منها والعلاج الواجب وصفه بعد تشخيص نوع الجدري.

٧ — كتاب في اللوغارذمات اي الانساب

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٣ ، ٣٥٢ ص يضاف اليها ١٥٦ ص جداول

هو كتاب في اللوغارذمات اي الانساب وفي مساحة المثلثات المستوية ومساحة

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٩ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٦ .

السطوح والاجسام ومساحة الاراضي وسلك الابحر وعبارات لمساحة المثلثات الكروية بواسطة الانساب .

يبدأ بتعريف المصطلحات اولا ويتدرج الى كيفية استخدام جداول الانساب ثم ينتقل الى حساب المثلثات اي « التريغونومتريا » فيقول ان مداره « هو النسبة الكائنة بين اضلاع مثلثات وزواياها. وليس قسم من العلوم التعليمية اكثر اعتبارا منها لانه على قواعدها يسلك النوتي في الابحر العظام ، وعلماء الجغرافيا يعينون مواقع الاماكن المختلفة على سطح الارض ، وعلماء الهيئة يقيسون ابعاد الاجرام السموية ومقاديرها وحركاتها فيخبرون سلفا بحدوث كسوف الشمس وخسوف القمر وما بشبه ذلك » .[١]

وهنا يستعمل الدكتور فان ديك الالفاظ التي كان قد استعملها في كتابيه **الروضة الزهرية في الاصول الجبرية و الاصول الهندسية** بأعتبار ان علم المثلثات يعتمد كثيرا على الجبر والهندسة واستعمل ايضا الالفاظ العربية التي استعملت قديما في هذا العلم كالجيب ونظير الجيب ، والمماس ونظير المماس ، والقاطع ونظير القاطع .

ويتبع ايضا الطريقة نفسها التي اتبعها في كتابي الجبر والهندسة اذ يشرح النظرية ويضرب عليها الشواهد والامثلة ثم يعطي اعمالا عليها كفروض لتبرهن مدى فهم الطالب للنظرية ، وجميع هذه النظريات وبعض الاعمال موضحة بالاشكال والرسوم . وكل ذلك بعبارات بسيطة واضحة ولعل هذه البساطة والوضوح في التعبير عن الامور العلمية جعلت احد مشايخ الازهر يذكر لابنة الدكتور فان ديك بان والدها علمه ، من خلال مؤلفاتة ، انه بالامكان كتابة (المواضيع العلمية) بلغة عربية صحيحة القواعد والاصطلاحات وباسلوب بسيط وواضح بحيث يتمكن الجميع من فهمها.[٢]

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب اللوغارذمات اي الانساب ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٣ ، ص ٤٥ .

(٢) Sa'di, Lutfi, "Al-Hakim Cornelius Van Dyck," *Isis*, vol. 27(1937), p. 36.

٨ - اصول علم الهيئة

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ٢٨٨ ص .

يقول الدكتور فان ديك في مقدمة كتابه **اصول علم الهيئة** ان «الاسترونومية لفظة يونانية معناها قوانين النجوم ، والعرب يعبرون عنها بعلم الهيئة ، وهو علم موضوعه الاجرام السموية والارض ، باعتبار كونها من جملة تلك الاجرام بالنسبة الى سائرها . وقد انقسم الى وصفي وطبيعي وعملي . اما الوصفي فهو ذكر ما يحدث في الاجرام المشار اليها من حركات ورؤى وغيرها مفردة ومجملة . واما الطبيعي فهو ما يبحث به عن علل تلك الحوادث وقواعدها . واما العملي فهو ما يبحث به عن كيفية التوصل الى معرفة القسمين الاولين بالآلات والحسابات »[١] وذكر انه في كتابه هذا قد تكلم « اولا في الارض ونسبتها الى ما سواها من الاجرام السموية ، وثانيا في النظام الشمسي ، وثالثا في النجوم والثوابت »[٢]. ونبه الطالب الى انه « في شرح قواعد هذا العلم لا يمكن برهان كل قضية حالا عند ذكرها كما في الهندسة ، فليتزم المبتدىء ان يأخذ بعض الاشياء بالتسليم ثم بعد تقدمه قليلا يقف على براهينها » .[٣]

يتبع الدكتور فان ديك في هذا الكتاب الطريقة التي كان قد اتبعها في كتبه العلمية الا وهي تعريف ، او تحديد على حد قوله ، المصطلحات التي سترد في متن الكتاب كي يسهل على الطالب مشكلة التباس المعاني ، كما انه يكثر من ايراد الرسوم والاشكال الموضحة للاجرام التي يتحدث عنها مع ذكر نبذة عن تاريخ اكتشاف كل منها .

وهنا ايضا يستعمل الالفاظ العربية للاجرام التي عرفها العرب كعطارد وسهيل والمشتري وزحل والدب الاكبر والدب الاصغر والزهرة والمريخ ، بينما

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، اصول علم الهيئة ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ص١.

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .

يعرب اسماء الاجرام التي اكتشفت اخيرا ولم يعرفها العرب قبلا مثل اورانوس المكتشف عام ١٧٨١[١] ونبتون المكتشف عام ١٨٤٣[٢] وفلكان المكتشف عام ١٨٥٩[٣] وجميع النجيمات الشبيهات بالسيارات[٤]، بالاضافة الى تعريب الآلات المستعملة وقتئذ في الرصد كالسبكتروسكوب. ووضع بعض الكلمات كقوله « الدوائر المتسامتة » ولعله خشي ان يساء فهمه فاضاف اليها « وهي المارة بسمت الراس »[٥]، وكقوله « والقمر يستهل ويبتدر وينمحق ».[٦]

واثناء حديثه عن معادلة سرعة القمر الضرورية لتقويم مواقع القمر يذكر ان هذه المعادلة تنسب الى العالم الدانياركي تيخوبراهي الذي عاش في القرن السادس عشر كما تنسب ايضا الى ابي الوفاء محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور الذي عاش في العراق في القرن التاسع[٧]، وهي المعادلة الاولى التي علل عنها نيوتن مبدأ الجاذبية.[٨]

٩ – كتاب اصول التشخيص الطبيعي

بيروت، مطبعة الاميركان، ١٨٧٤، ١٢٨ ص.

كتاب في الطب، طبع على نفقة الكلية السورية الانجيلية اثناء تدريس الدكتور فان ديك فيها، مخصص لتدريس الطلاب.

---

(١) المصدر ذاته، ص ١٩٨.
(٢) المصدر ذاته، ص ٢٠٠–٢٠٢.
(٣) المصدر ذاته، ص ١٦٧–١٦٨.
(٤) المصدر ذاته، ص ١٨١–١٨٤.
(٥) المصدر ذاته، ص ٦.
(٦) المصدر ذاته، ص ١١٧.
(٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٤٨، ج ٤، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.
(٨) اصول علم الهيئة، ص ١٣٧.

يعرف التشخيص الطبيعي بانه « استخدام قواعد الصوت الطبيعية للاكتشاف عن علة غير منظورة مستترة في جوف من اجواف الجسد والاستعانـة على ذلك بالنظر والجس ايضاً » . [1] وكان يتبع اسلوب مقارنة الامور المألوفة لتوضيح المباديء التي يريد ان يشرحها فيقول مثلا : « الاصوات الحـاصلة في الطرق على مواد مختلفة تتغير حسب مرونة تلك المواد . فاذا طرقت على طبل يرن رنة قوية لوجود الهواء المرن في جوفه ولمرونة كل اقسام الطبل نفسه ، واذا طرقت على برميل فارغ يرن واذا كان ملآنا لا يرن ... فعلى هذه الكيفية نفسها الاصوات الحـاصلة من الطرق على سطوح اجواف الجسد تختلف حسب اختلاف مرونة جدران الجوف ومرونة مـا فيها . فاذا كان جوف في حالة الصحة رنانا ثم صار اصم عند الطرق عليه يستدل على ان ما فيه قد خسر مرونته الطبيعية او توسط بينه وبين سطحه مادة غير مرنة مانعة الرنة . واذا كان قسم اصم في حـال الصحة وصار رنانا يستدل على ان مرونته قد زادت او تكون فيه شيء مرن». [2] ويذكر ايضـا ان هناك طريقة اخرى للاستدلال على الامراض الداخلية وهي طريقة استماع « السماعة او المسمعة » التي تستعمل لاستقصـاء اصوات الرئتين واصوات القلب « لضرورة حصرهـا في مساحة ضيقة لاجل تمييز صوت عن صوت » . [3] ثم ينتقل الى شرح الطرق الواجب على الطبيب اتباعها للكشف عن الامراض المختلفة .

والجدير بالذكر انه اورد جميع الالفـاظ العربية المستعملة لاعضاء الجسم مما يدل على اطلاعه على كتب الطب العربية ، بالاضافة الى انه اورد بعض الالفاظ العربية المستعملة لبعض الامراض ، ويظهر انه كان يفضل في بعض الاحيان تعريب اللفظ الاجنبي على اللفظ العربي ومع ذلك كان يرفق اللفظ العربي باللفظ

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب اصول التشخيص الطبيعي ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٤ ، ص ١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٢٦ .

المعرب عندما يرد ذلك اللفظ المعرب للمرة الاولى ثم يستغني عنه بعدئذ ، مثال على ذلك قوله « التهاب البليورا اي داء الجنب » [١] .

١٠ – الباثولوجية الداخلية – اي مبادىء الطب البشري النظري والعملي [٢]

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٧٧ ، ١٠٥٥ ص .

ترجم الدكتور فان ديك هذا الكتاب الى العربية اثناء تدريسه مادة الباثولوجية لطلاب الطب في الكلية السورية الانجيلية . وقد وصفته مجلة **الطبيب** التي كان يرأس تحريرها الدكتور جورج بوست بانه كتاب حاوٍ على جميع مباديء الباثولوجية [٣] . وقرظه **المقتطف** بما يلي « كتاب لجناب الدكتور كرنيليوس فان ديك ، اتم تأليفه وطبعه في هذا الاثناء وهو كصاحبه خلاصة من بحر الفوائد يتضمن مباديء الطب البشري ، النظري والعملي ، مع ذكر ما جد من العلاجات والآراء الطبية الى حين طبعه وقد نشرنا مقالات متعددة منه وهو تحت الطبع » . [٤]

لقد عرب الدكتور فان ديك في هذا الكتاب جميع الالفاظ الاجنبية التي لم يعرفها العرب . واما فيما يتعلق باحيائه للكلمات العربية فاورد هنا ما قاله الدكتور يعقوب صروف حول اطلاعه على قانون ابن سينا : « وقع لي [يعقوب صروف] منذ مدة كتابان من كتبه [فان ديك] احدهما كبير ضخم دقيق

---

(١) المصدر ذاته، ص ٢٦ .

(٢) Roberts, F.T., *Theory and Practice of Medicine*

(٣) « اصول الباثولوجية » ، الطبيب (١٨٨١) ص ٥١ . ونشرت مجلة الطبيب نبذة عن « الهيريبا الملتحمة » مأخوذة من كتاب الدكتور فان ديك هذا . المصدر ذاته ، ص٢–٤ .

(٤) « اصول الباثولوجية الداخلية » ، المقتطف ، ج ٣ (١٨٧٨) ص ١٣٦ . والمقالات المذكورة التي نشرت في المقتطف هي « الديدان وعلاجها » المقتطف ، ج ٢ (١٨٧٧) ص ٢٦٨ – ٢٧٠ ، و ج ٣ (١٨٧٨) ص ١٠ – ١٣ ثم نشر المقتطف مقالة «الكلب» مأخوذة من كتاب الباثولوجية . المقتطف ، ج ٤ (١٨٧٩) ص ١٢٣ – ١٢٤ .

الحرف – قانون ابن سينا المطبوع في رومية العظمى منذ ٣٢٠ سنة[١] – فحسبت انني وقعت على كنز ثمين وجعلت اقلبه واذا الدكتور فان ديك قد قلبه بل درسه قبلي ، وابقى فيه اثار علمه وتدقيقه بما ترجمه فيه من الكلمات الطبية بما يرادفها في اللاتينية او اليونانية ». [٢]

١١ – النقش في الحجر – الجزء الاول – **في الطبيعة والعلم**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٢٨ ص.

وصف الدكتور فان ديك كتابه هذا بانه جزء استفتاحي « حاو قضايا عامة ، معرفتها ضرورية في كل علم ، فيقتضي للطالب ان يدركها ويحفظها قبل الشروع بدرس العلوم الخاصة على حدتها . وهو كاساس للاجزاء التابعة . واذا ادرك المطالع ما في هذا الجزء وحفظه تسهلت عليه امور كثيرة ستأتي في الاجزاء اللاحقة » . [٣]

قسم هذا الجزء الى ثلاثة اقسام : ١ – كلام عام في الطبيعة والعلم. ويتناول: الحواس، والسبب والمسبب ، والتعليل ، ونواميس الطبيعة ، والشرائع البشرية . ٢ – الاشياء الهيولية او المادية والاجسام الحية . يتناول : الاجسام غير الآلية او عديمة الحياة اي المعدنية، والثقل والوزن، والقوة الجاذبة، والجرم والكثافة، والحرارة ، والحيوان والنبات . ٣ – الاشياء غير المادية ، كالظواهر العقلية او الذهنية والبسيخولوجيا .

يحدد الاسلوب العلمي بما يلي : التعقل العلمي له طريقتان الاول ما سمي

---

(١) طبع كتاب القانون عام ١٥٩٣ .

(٢) «تمثالا المرحومين الدكتور فانديك والدكتور ورتبات» المقتطف ج ٤٢(١٩١٣) ص ٤٨٣ والكلية ج ٤ (١٩١٣)، ص ١٤١ . وذكر الكتاب الثاني اعلاه ص ٣٩٧ .

(٣) فان ديك ، كرنيليوس ، في الطبيعة والعلم ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ص ٥ – ٦ .

الاستقراء وهو ان توضع قواعد عامة مبنية على ملاحظة افراد شتى ، مثاله اذا لاحظنا ان حجر المغنطيس يجذب قطعة من الحديد اذا قرب اليها وامتحنا ذلك في عدة قطع حديد فوجدنا ان كل قطعة حديد ادنيت الى المغنطيس جذبها، نضع هذه القاعدة العامة ان المغنطيس يجذب الحديد حيثما وجده . ونحسب هذه القاعدة عامة وصحيحة مع اننا لم نمتحن الا القليل من كل الحديد الموجود في الدنيا . اما الطريقة الثانية للتعقل العلمي فهي قلب الاولى وسميت استنتاجا . مثاله اذا قربت قطعة حديد الى حجر فجذبها نستنتج ان ذلك الحجر حجر مغنطيس » .(١) واذا ما اتبعت هذه الاساليب على حقيقتها تتوسع بذلك دائرة معرفة الانسان التي بها يوسع دائرة سلطانه على الامور الطبيعية « ولكنه ما دام على جهله الطبيعي تقوى عليه الطبيعة ».(٢)

ووصف المقتطف هذا الكتاب بانه « تأليف رجل قد حوى في صدره اكثر العلوم وجارى تقدم المعارف طول زمانه ، وقضى العمر في اختبار طرق الدرس والتدريس والف من الكتب عديدا وعرف ما يلزم لاعانة المعلم والتسهيل على الطالب » . (٣) ونصح **المقتطف** ابناء الشرق عموما ان لا تخلو مكتبة لاحدهم من هذا الكتاب النادر المثال ، كما نصح ارباب المدارس « ان يعولوا عليه في مدارسهم اذا راموا تحقيق فوائدها وغرس مبادىء العلوم المقررة في عقول التلامذة وتربيتهم على البحث عن الامور من وجهها العلمي » . (٤) ونصح ايضا ناظر المعارف المصرية اعتماد المدارس المصرية على هذا الكتاب : « ولما كان هذا الكتاب قد روعي فيه حال الطلبة ودرجة عقلهم ومدة تعليمهم طبقا للائحة الجديدة التي نظمها حضرة العالمين الفاضلين سعادة عبد الرحمن باشا رشدي ناظر

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٢٧ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٤ — ١٥ .

(٣) « النقش في الحجر – الجزء الاول » ، المقتطف ، ج ١٠ (١٨٨٦) ص ٦٣٧ .

(٤) المصدر ذاته ، ص ٦٣٧ .

المعـارف المصرية وسعادة يعقوب باشا ارتين وكيله ، فيا حبذا لو ان سعادتهما يجعلان اعتماد المدارس المصرية عليه فانه خير ما يفي بطلبهما » .[١]

١٢ — النقش في الحجر — الجزء الثاني — **في علم الكيميا**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٤٢ ص .

قدم الدكتور فـان ديك هذا الجزء من سلسلة النقش في الحجر « الى الشاب الذكي البارع عزتلو السيد حسن ابن السيد عبد القادر ابن الحـاج عبدالله بيهم . وذلك ليس لان عملي هذا شيء يذكر فيشكر بل اعتبارا لما بذله جنابه من الجهد والعناء في خدمة المعارف واذاعتها بين الشباب الشرقيين ».[٢]

شرح في الفصل الاول الفرق بين المواد البسيطة ، المؤلفة من عنصر واحد ، والمواد المركبة، المؤلفة من اكثر من عنصر، وضرب عليها امثلة مألوفة يسهل على الطالب تنفيذ جميع التجارب التي اوردها. كما شرح كيمياء الهواء والماء والتراب واللهيب وتدرج من ذلك الى البحث عن اشهر العناصر التي قسمها : الى معدنية : كالحديد والالومنيوم والكلسيوم والتوتيا والزنك والقصدير والتنك والرصاص والزيبق والفضة والذهب، وغير المعدنية : كالاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون والكبريت والفصفور والسليكون، مضيفا الى ذلك طرق استحضارها، وقواعد التركيب الكيماوية العامة . وقد كتب بلغة بسيطة خالية من التعقيد .

وناشد **المقتطف** معلمي المدارس اعتماد هذا الجزء « اذاعـة لمنافعه في البلاد وترغيبا لتلامذتهم في العلوم الطبيعية وتعليمهم مـا لم يبق لهم غنى عنه في هذا الزمان ».[٢]

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٦٣٧ . راجع ايضا تقريظ سليم عنحوري لهذا الكتاب . المقتطف ، ج ١٠ (١٨٨٦) ص ٣٥٧-- ٣٥٨ .

(٢) فان ديك، كرنيليوس ، في علم الكيميا ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ص ٤ .

(٣) « الجزء الثاني من النقش في الحجر » ، المقتطف ، ج ١١ (١٨٨٦) ص ٦٢ .

١٣ – النقش في الحجر – الجزء الثالث – **في الطبيعيات**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ١٣٦ ص

كتاب حسن التأليف سواء كان في بساطة تعبيره او وضوح معانيه ، يتضمن شرح عمليات مألوفة وايراد رسوم كثيرة رغبة في زيادة الايضاح وتتميم الفائدة . يحدد عمل عالم الطبيعيات بانه يبحث عن حال الاجسام فيما يتعلق بحركتها وسكونها « فلا يهمه كون الماء وسائر المواد والاجسام مركبة او بسيطة بل انما يبحث عن احوالها وافعالها وخصائصها من حيثية كونها ساكنة او متحركة ».[١] ويضرب مثلا على ذلك كون القنبلة الساكنة لا تؤذي بينما اذا اطلقتها من مدفع « تكتسب سرعة عظيمة تهدم وتخرب ما تصيبه ... مع ان مادتها في الحالتين هي هي لم تتغير بل تغيرت حالتها فقط »[٢] ، وتغير حالات المواد هو عمل الطبيعي .

يعالج هذا الجزء : فعل الجاذبية ، واحوال الهيولى الثلاث بين جامد وسائل وغازي مع ذكر خصائصها ، والاجسام المتحركة ، والاجسام المرتجة ، والحرارة ، والنور ، والمواد الكهربائية ، ويتخلل ذلك شرح كيفية استعمال الادوات الضرورية لاجراء التجارب اللازمة كالبارومتر والثرمومتر وغيرهما .

١٤ – النقش في الحجر – الجزء الرابع – **في الجغرافية الطبيعية**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٧ ، ١٠٢ ص

دعا الدكتور فان ديك ، في مقدمة هذا الجزء ، الطلاب الى الاستقصاء عن الطريقة التي يسلكها سبحانه وتعالى في اعماله الكلية والجزئية ، واضاف انه « من عادة الناس في التعليل عن امور الطبيعة ان يتصوروا تصورات عقلية

---

(١) فان ديك ، في الطبيعيات ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٦ ، ص ٣ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٣ .

وتخيلية ثم يستخدمون تلك التصورات للتعليل عن الامور الطبيعية مثل تصور بعضهم وقوف الارض على قرن الثور ثم عللوا عن الزلازل بنقل الثور الارض من قرن الى قرن . »[1] وقال ايضا من الناس « من يلاحظ ملاحظة غير كاملة ويبني عليها رأيا كمن رأى الذباب يخرج من مزبلة فحكم ان الذباب يتكون من الزبل وكلتا الطريقتين فاسدة تؤدي الى الخطأ ولا تؤدي الى الصواب » .[2] ثم يدل الطالب على الطريقة الواجب اتباعها الا وهي ان يلاحظ « ما يحدث ملاحظة تامة مدققة، ومن الملاحظات الصحيحة، والامتحانات المدققة ، والتعقل الصحيح يستدل على الحقيقة ».[3]

والكتاب يحتوي على خلاصة ما يجب ان يعرف من الجغرافيا الطبيعية : عن هيئة الارض وايامها وفصولها ، والهواء المحيط بالكرة الارضية وحرارته ورياحه ، وبخار الجو وما يتكون منه من الندى والضباب والسحاب ، والمياه الجارية والراكدة على سطح الارض وتحت سطحها كالينابيع والجداول والانهار والبحيرات والبحار . « والذي يتصفح هذا الجزء يجد فيه من الحقائق والاحكام الكلية والقواعد المقررة ما لا يصدق ان مؤلفا صغيرا مثله يحتويه » .[4]

١٥ — النقش في الحجر — الجزء الخامس — **الجيولوجية اي طبقات الصخور**
المطبعة الادبية ، ١٨٨٧ ، ١٢٣ ص

قدم الدكتور فان ديك هذا الجزء « الى حضرة الشيخ الجليل العالم النحرير صاحب السماحة محمود افندي حمزه مفتي الانام في دمشق الشام تقدمة الاحترام

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في الجغرافية الطبيعية ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٧ ، ص ٥ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٦ .
(٤) « الجزء الرابع من النقش في الحجر » ، المقتطف ، ج ١١ (١٨٨٦) ص ٦٤٠ .

لشخصه والمقام » . [1] وقد افرد هذا الجزء لعلم الجيولوجيـة . « والجيولوجية لفظة مؤلفة من كلمتين يونانيتين معناهما الكلام عن الارض وهي حسب معناها اللغوي دالة على كل مـا يستطاع معرفته من جهة الادوار الغابرة ولم تزل تتوالى عليها في عصرنا . وامـا في الاصطلاح فقد انحصر معناها في ما يتعلق بالطبقات الحجرية او الصخرية التي تألفت الارض منها » [2] ولم يطبع قبله في اللغة العربية كتاب في هذا العلم . وهو على غاية الوضوح في التمثيل والبساطة في التعبير وقد ضمنه موجز زبدة هذا العلم فـاوضح سبب تقسيم الصخور الى مائية ونارية وابان كيفية تحول المائية الى رسوبية وآلية وكيفية تكون النارية من متبلورة وحطامية. ثم انتقل الى الكلام عن قشرة الارض وما في جوفها والى كل ما يطرأ عليها من ارتفاع وانخفاض ومـا يتبعه من تكوين الجبال والاودية موضحا ذلك بامثال وشواهد قـارنا اياها بالاشكال والشواهد لجلاء المعنى . وختم الكتاب في بيان اوجه الشبه بين طبقات الصخور في قشرة الارض والتاريخ البشري في الاخبار والآثار والنقوش . فيقول : «اذا قصد مؤرخ ان يكتب تاريخ قوم يشرع في اول الامر بجمع كل مـا يستطيع ان يكشفه من اخبارهم فيراجع المكاتب ويتصفح الاخبار ويقلب دفاتر الدول واوراقها ويجول في البلاد من موضع الى آخر يفتش على الآثار وبقايا ونقوش وابنية وكتابات لعله يهتدي الى امر من امور القوم الذي شرع بتاريخهم .... ان للارض نفسها تاريخا كما ان للشعوب الذين عـاشوا عليها تاريخا . وشأن الجيولوجي كشأن المؤرخ بل هو مؤرخ الارض: اصلها والتقلبات والتغيرات التي اعترتها واسبابها وتعلق بعضها ببعض ونتائجها وعواقبها ». [3]

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، الجيولوجية اي طبقات الصخور ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٧ ، ص ٢ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٤ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١١٦ – ١١٧ .

١٦ – النقش في الحجر – الجزء السادس – **في علم الهيئة**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ ، ١٢٢ ص

وصف الدكتور فان ديك كتابه هذا بانه « يقرب الاقصى بلفظ موجز »[١] وقدمه « الى حضرات الاجلاء عمدة مدرسة كفتين من اهالي طرابلس الفيحاء : شكرا على ما بذلوه من الجهد في تسهيل وسائل المعارف لابناء الوطن »[٢] . ويحتوي على زبدة علم الفلك مفصلة في عشرين فصلا ومرتبة في مئة واثنين وعشرين بندا . ويتناول الكلام عن حركتي الارض اليومية والسنوية وما ينتج عنهما من ليل ونهار ، وفصول السنة الاربعة ، وعن القمر وحركاته والخسوف والكسوف ، وعن السيارات التي تدور حول الشمس وذوات الاذناب والشمس والنجوم الثوابت . وينصح الطالب « ان يدقق النظر في كل قضية على حدتها ولا ينتقل من موضوع الى اخر حتى يدرك الاول جيدا غير انه يلتزم باخذ بعض الامور بالتسليم في اول الامر لانها لا تتوضح في ابتداء الحال حتى بعد ايضاح غيرها . »[٣]

١٧ – النقش في الحجر – الجزء السابع – **في علم النبات**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ ، ١٣٢ ص

كتاب غاية في بساطة التعبير موضح بالصور والرسوم جامع لاشهر الحقائق عن النبات واقوال عامة في الفرق بين الحيوان والنبات. يقسم النبات الى سنوي وحولي ومعمر ، والاقاليم التي ينبت ويعيش فيها ، وما يلزم لنموه من الهواء والحرارة والنور والتراب . كما يقسمه الى ذي زهر وعديم الزهر. وخصص فصلا للنبات العريان البزر مثل السرو والصنوبر والارز واشباهها من ذوات الكوز . وختم الكتاب بفصل ضمنه بعض الاشكال الموضحة لوظائف اعضاء النبات .

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم الهيئة ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٨ ، ص ١ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٣ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٦ .

ولقد ذكر الدكتور فان ديك ان معرفة اسماء النبات وانواعه امر حسن مرغوب فيه ، ولكن ليس كل شيء ، كما ان معرفة جميع اسماء الافراد في البلاد لا تعني انها تجعل صاحبها معلما في تشريح الجسد الانساني، وان معرفة عنوان كل كتاب في مكتبة عامة لا تعني ان صاحبها أصبح خبيرا بما حوته تلك الاسفار[١]، وقال : « ان معرفة اسماء النجوم ليست هي علم الهيئة ، ومعرفة اسماء الحيوان ليست هي علم الزولوجية ومعرفة اسماء النباتات ليست هي علم البوتانية ، فلا تزعمن ان مجرد معرفة الفاظ ، علم . اذا عرفت للجمل خمس مئة اسم فما هو الا جمل ، ما زاد ولا نقص ، ولا دخل عقلك بتلك الاسماء الكثيرة فكر جديد مطلقا . ازل اذا من عقلك في اول الامر هذا الوهم الشنيع » . [٢]

وقدم هذا الجزء من سلسلة النقش في الحجر « الى ادارة جريدة **المقتطف** الاغر وهو الجريدة الاولى العلمية التي انشئت في العصر الحديث وان كثرت بعده الجرائد العلمية ، فهو بسبق حائز تفضيلا ، لان الفضل للمتقدم » . [٣]

١٨ – النقش في الحجر – الجزء الثامن – **في علم المنطق**

بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٩ ، ١١٢ ص

يستشهد الدكتور فان ديك في مقدمة هذا الجزء بتعريف الجرجاني للمنطق كما يذكر القول التالي للغزالي ، « لو قال قائل : اربعة اكثر من عشرة ، وانا ابرهن ذلك باحالة هذه العصاة حية ثم فعل وتحولت العصاة حية . لكنت اندهش من حيلة العامل ولكنني كنت ابقى على يقيني بان اربعة اقل من عشرة » . [٤] ثم يذكر ان السبق في العصر الحديث والعصور المقبلة هو « للعقل

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم النبات، بيروت، المطبعة الادبية، ١٨٨٨ ،ص ٤ – ٥ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٢ .
(٣) فان ديك ، كرنيليوس ، في علم المنطق ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٨٨٩، ص٤ .

لا لضخامة الجسد ». [١]

يحدد غرض علم المنطق بانه لارشاد «قوى العقل في البحث عن الحق واظهاره للاخرين ، وموضوعـاته كيفية زيادة كل انواع المعرفـة من مجرد تصور اوضح الامور الخارجية الى اكتساب اعلى الحقائق واقصى النظريات بطريقة البرهان والقياس». [٢] ويرد على الذين يخشون « من التضلع في هذا العلم وهماً بناء على انه يحرر العقل من الاضاليل والخرافات حتى قـال المستمسكون بها من تمنطق فقد تزندق ، اما العاقل فيجيب قائلا اذا كانت الزندقة خلو العقل من الاوهام فحبذا تلك الزندقة ». [٣]

يتضمن هذا الكتاب المواضيع التالية : في التصور والفكر ، والفكر الاستدلالي او الاستنتاجي ، في الالفاظ واحكام الطرفين ، والتعريف والمعرّف والمعرَّف والقضية واحكامها وتناقضها ، والبيّنة البديهية ، والتمييز بين القياس البياني ، والاستقراء ، واجراء القياس واحكامه ، والسفسطات وهي المغالطات في القياس ، والنظام ، والحرص والتجريد والائتلاف . وقد ذكر ان ائتلاف الافكار يتألف من اربعة اصول : « الاول – المشابهة. مثالها ان هيئة شخص او صوته او حركاته تذكرنا بأخر ، ومنظر يذكرنا بمنظر آخر ، وحادثة او قول يذكرنا بآخر لسبب المشابهة او المناسبة التي نراها بينهما .

« الثاني – المضادة او المخالفة . فان الم الجوع يذكرنا بلذة الطعام والبرد يذكرنا بالحرارة والظلام بالنور والجور بالعدل والبخل بالكرم وهلم جرا .

« الثالث – المقارنة في الوقت او المكان . فان ذكر حادثة قد اصابتنا في وقت ما تذكرنا بظروفها وزمانها ورفاقنا فيها وحاسياتنا عند وقوعهـا مسرة كانت او محزنة ، وزيارة محل قد زرناه قبل ، تفكرنا بظروف الزيارة الاخرى .

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٥ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٥ – ٦ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ٥ .

« الرابع – العلاقة بين العلة والمعلول او بين المقدمة ونتيجتها . فان النظر الى الجرح يذكرنا بالجارحـــة والنظر الى مصاب يذكرنا بالمصيبة وكل فكر من هذه الافكار مؤالف افكارا اخر كثيرة فيكون الفكر الواحد سببا لافكار كثيرة مختلفة ، وبين الائتلاف والذكر تعلق لازم لانه لو ما كان الفكر الواحد يحدث افكارا لما كان ممكنا ترجيح فكر بعد ذهابه » . [1]

وذكر **المقتطف** ان البعض قد يظن ان اللغة العربية « في غنى عن المؤلفــات الحديثة في علم المنطق لان مؤلفات العرب في هذا العلم كثيرة بين مختصر ومطول. ولكن من درس كتب المنطق العربية ودرّسهـــا لغيره ثم اطلع على الكتب الافرنجية البسيطة الموضوعة لصغار الطلبة رأى بين هذه وتلك فرقا بينا في سهولة العبارة وقرب المأخذ ولذلك تحرى استاذنا الفاضل [فــان ديك] وضع كتاب صغير في فن المنطق » . [2]

١٩ – كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء

بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩٣ ، ٢٣٩ ص

قال الدكتور فان ديك فيما يتعلق بالكتب التي استعان بهـا في تأليف **كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء** ، « انني استعنت في هذا المؤلف بكتاب **دائرة اشباح سماوية** للادميرال سميث وكتاب **اشباح سماوية للنظارات العادية** للقس وب وبكتاب **تخطيط السماء** لأليهوُبرّت ،وهو حداد اميركاني ، وكتاب **اسماء النجوم** للاستاذ ايدلر في اللغة الجرمانية وكتاب **القمر** لادموند نيسن

---

(٣) المصدر ذاته ، ص ١١٢ . ولقد انهى الشيخ ابراهيم الحورانيمقالته الموسومة ب « خزانة الشاعر » بملخص لتعريف الائتلاف نقلا عن فــان ديك . الحوراني ، ابراهيم « خزانة الشاعر » ، النشرة الاسبوعية ، العدد ٢٤٧٤ (حزيران ١٩١٣) ص ٢٠٣ .

(٢) « النقش في الحجر – الجزء الثــامن – في المنطق » ، المقتطف ، ج ١٣ ، (١٨٨٩) ص ٨٤٤ .

وخارطات القمر للورمان وخارطات القمر الكبيرة للاستاذ شميدت ، مدير مرصد اثينا سابقا ، وكتاب **قائمة النجوم المزدوجة** لكلدهل **وقائمة السدام** لسر يوحنا هرشل وكتاب **جدول مواقع الكواكب الثوابت** لالغ بيك وبعض الاجزاء من عبد الرحمن الصوفي وكتاب القزويني في الصور واسماء الكواكب وغير ذلك من المؤلفات القديمة والحديثة ».[1] ويذكر ايضا انه اعتمد فيما يتعلق بقائمة الاجرام السماوية الثابتة على قائمة الجمعية البريطانية المتضمنة ٨٣٧٧ نجما والمحولة الى سنة ١٨٥٠ ، وعلى قائمة مرصد واشنطن المتضمنة ١٠٦٥٨ نجما محولة الى سنة ١٨٦٠ وقوائم بعض المراصد الاخرى[2] . وكان يورد بعد وصفه لكل كوكب ما ورد عنه في الاساطير الامر الذي دعا الدكتور يعقوب صروف ان يقول عن الكتاب « فجاء جامعا بين الحقائق العلمية والاخبار الفكاهية ».[3]

ووضع ديباجة في اول الكتاب ذكر فيها نبذة تاريخية عن احياء العلوم الرياضية عند العرب حين شرع الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور (٧٥٣ — ٧٧٤ م) « باستخدام علماء مترجمين ترجموا كتبا يونانية وسريانية وهندية الى العربية واقتدى به خلفاؤه ولا سيما هرون الرشيد وابنه المأمون ومن ثم اخذ علم الهيئة يتقدم بين المسلمين وسائر الطوائف الشرقية » .[4] ويعدد العلماء الذين اشتهروا بين العرب بعلم الفلك مبتدئا ببني موسى بن شاكر الثلاثة محمد واحمد والحسين[5] ، وابو عبدالله محمد بن جابر بن سنان الحراني الحاسب المنجم الذي اثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة ٢٩٩ هـ[6] ، وابو الحسن ثابت

---

(١) فان ديك ، كرنيليوس ، كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، بيروت ، مطبعة الاميركان ، ١٨٩٣ ، ص ١٤ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٢ .

(٣) « الدكتور كرنيليوس فان ديك » ، المقتطف ، ج ٢٠ (١٨٩٦) ص ١ .

(٦) المصدر ذاته ، ص ٣ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٤٨ ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .

(٦) المصدر ذاته ، ج ٤ ،ص ٢٥٠ — ٢٥٢ .

بن قرة الذي انكر عليه بعض اهل مذهبه اشياء في المذهب فرافعوه الى رئيسهم فانكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل [١] وهنا علق الدكتور فان ديك بما يلي : « قلت لما ادى رصده وعلمه وتحقيقاته الى مخالفة بعض اقوال رؤساء مذهبه اضطهدوه كما اضطهد بعد حين الباباويون جليليو الفيلسوف الايطالياني لاتباعه ما علمه به اعمال الباري تعالى خلافا لبعض احكام الكهان والاحبار » [٢] ، وابو الوفاء محمد بن يحيى بن اسمعيل بن العباس البوزجاني الحاسب المشهور [٣] « وهو اول من استخدم المماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا وقيل انه كشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر سميت معادلة السرعة وصنع زيجا سماه الشامل » [٤] ، وابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس بن عبد الاعلى الصدفي المصري المنجم المشهور توفي عام ١٠٠٩ م [٥] ، ونصير الدين محمد بن حسن الطوسي [٦] (١٢٠١ — ١٢٧٤ م) ومؤيد الارضي صانع الكرة العربية المحفوظة في متحف درسدن في المانيا [٧] ، وعبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل ابو الحسين الصوفي الرازي [٨] توفي عام ٩٨٦ م ، وعماد الدين ابو يحيى زكريا محمود الانصاري القزويني صاحب **كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** [٩] (١٢٠٤ — ١٢٨٣ م) ومحمد بن

---

(١) المصدر ذاته ، ج ١ ، ص ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(٢) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٧ .

(٣) ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ - ٢٥٦ .

(٤) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٧ — ٨ .

(٥) ابن خلكان ، ج ٣ ، ص ١٠٥ — ١٠٧ .

(٦) ابن شاكر الكتبي ، ج ٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

(٧) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ٩ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرة ١٣٥٣ هـ ، ج ٧ ، ص ١٣١ ، ، حوادث سنة ٣٧٦ .

(٩) سركيس ، معجم المطبوعات ، عامود ١٥٠٨ .

محمد بن ابي بكر التيزيني نسبة الى تيزين موقت الجامع الاموي حوالي سنة ١٥٣٣ م . (١)

وبعد الانتهاء من سرد هذه المعلومات عن علماء الفلك عند العرب قال الدكتور فان ديك « هذا قليل من كثير ممكن ذكره مما يدل على فضل الشرقيين في تلك القرون الغابرة واجتهادهم في ترقية المعارف بينما كان اهل اوروبا في مشاجرات ومنازعات فارغة وجهل معمي وهو برقع على العقل البشري الموهوب للانسان من قبل الحق سبحانه وتعالى لكي يرفعه بين المخلوقات لا لكي يضعه الى درجة الحيوان الاعجم » . (٢) وينصح الشبان الشرقيين ان يبنوا « لانفسهم مراصد لرصد الحوادث والظواهر الطبيعية ودرس مواقع الافلاك لذة لانفسهم وافادة لاصحابهم ونفعا لجيلهم فضلا عن اللذه الدائمة الشريفة التي كانوا يلتذون بها من قبل التأمل بغرائب الكون ومحاسنها . واين ذلك من الانكباب على الكوَل والنرد والشطرنج واكل الطعام وشرب المدام ونطيط الرقص — الامور المعمية للعقول المضعفة للاجسام المفسدة للاخلاق » . (٣)

وهناك اشارة الى ان الدكتور فان ديك الف ثلاثة كتب لم تطبع : ١ — كتاب **طب العين** . ٢ — كتاب **الباثولوجية المرضية** . ٣ — كتاب **الباثولوجية العامة** (٤) . ويذكر الاستاذ جورج سارتون (G. Sarton) رئيس تحرير مجلة ازيس (Isis) ان السيد بيارد دودج ، رئيس الجامعة الاميركية في بيروت (١٩٢٢ - ١٩٤٨) ، قد اعلمه ان هناك مؤلفات علمية للدكتو فان ديك لاتزال مخطوطة . (٥)

يوسف قزما الخوري

---

(١) كتاب ارواء الظمأ من محاسن القبة الزرقاء ، ص ١١ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١١ .

(٣) المصدر ذاته ، ص ١٢ .

(٤) بارودي ، حياة كرنيليوس فان ديك ، ص ٢٧٦ .

(٥) Sa'di , P . 37 . هذه المخطوطات غير موجودة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ولا في مكتبة كلية اللاهوت في بيروت ، ولا في الارسالية الاميركية في بيروت .

دراسة سياسية معاصرة

Malcolm Kerr, *The Arab Cold War 1958-1964*
Oxford University Press, London 1965. pp. 139. 10/6.

مالكم كير . « الحرب الباردة العربية : ١٩٥٨ — ١٩٦٤»
لندن ١٩٦٥ . ص‌ص ١٣٩ ، الثمن عشرة شلنات ونصف الشلن

مؤلف هذه الدراسة ليس بالغريب عن الشرق العربي بل من مواليده ، بدأ حيـــاته في لبنان وتردد عليه مراراً وهو الان استاذ زائر في دائرة الدراسات السياسية في الجامعة الاميركية جاءها من جامعة كاليفورنيــا (لوس انجلس) حيث يحتل مركز استاذ مشارك فيها. وهو يحسن العربية يتكلمها بطلاقة ويتقن ادراك معانيها الدقيقة فيفهم سطورها ومــــا بين سطورها . وهو ايضاً واسع الاطلاع على تطورات السياسة العربية في معظم اقطارها .

ودراسته هذه دراسة تحليلية لا تحاول ان تؤرخ لهذه الفترة الخطيرة في تاريخ العرب بل تحاول ان تعرض خطوطهـــا الرئيسية وتجلو بعض اسبابها . ويكتفي بتلك لعلمه ان تاريخ هذه الفترة لن يكتب حتى تصل ايدي المؤرخين الى مــا لا يزال محفوظـــاً في خزائن المحفوظات الرسمية واضبارات دواوينهـــــا في دمشق والقاهرة وبغداد وعمان وبيروت وفي موسكو وباريس ولندن وواشنطون وغيرها من العواصم .

وفي هذه المحاولة التحليلية يعالج المؤلف موضوعه في خمسة فصول يتناول في اولها قيام الجمهورية العربية المتحدة وما سبقها من مقدمات وما تلاها من تكتلات حتى انفصامها في ايلول من سنة ١٩٦١ . ويتناول في الفصل الثاني مــــا يسميه « بالانفصالية » من يوم الانفصال الى انقلاب الثامن من آذار ١٩٦٣ . ويتناول في الفصل الثالث مفاوضات الوحدة الثلاثية التي ابتدأت في ١٤ آذار وانتهت في ١٤ نيسان من السنة نفسها . ويتناول الفصل الرابع انهيار الاتفاق والقطيعة بين عبد الناصر والبعث والتقارب العراقي السوري الى تسلم عبد السلام عارف جميع

سلطات الحكم في العراق في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ . ويتناول الفصل الخامس تطور العلاقات العربية او بالاحرى تدهورها وتفاقم التحدي الاسرائيلي فيما يتعلق بمياه الاردن مما اضطر العرب الى الرد على هذا التحدي او التظاهر بالرد عليه فكان اجتماع القمة الاول والتقاء الملوك والرؤساء في الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٦٤ .

في هذا العرض السريع لتطور العلاقات العربية وتقدمها حيناً وتأزمها وتدهورها حيناً آخر واندلاع نيران الحرب الباردة العربية ومحاولة اطفاء لهيبها في مؤتمر القمة الاول يستند المؤلف الى « محاضر جلسات مباحث الوحدة » والى «الوثائق العربية» و«الوقائع العربية» اللتين تصدرهما دائرة الدراسات السياسية في الجامعة الاميركية والى امهات الجرائد العربية في دمشق وبيروت والقاهرة والى ملخص الاذاعات العالمية الذي تحتفظ به الاذاعة البريطانية واخيراً الى بعض الشخصيات السورية والعراقية التي كان لها ضلع في مجرى الامور . ويتميز العرض بالوضوح والتجرد الى حد بعيد. ولايخرج المؤلف عن موضوعيته الانادراً فينزلق من العرض الواقعي الى الحكم والتقويم . ومهما يكن من امر فان عرضه لمعالم هذه الفترة الخطيرة في تاريخ العرب الحديث بوضوح ودقة وانصاف يستحق الاعجاب والثناء على الرغم من ان هذه الفترة لا تمثل صفحة نيّرة في تاريخ العلاقات العربية.

وهناك بعض الهنات اشير الى اثنتين منها فقط لكثرة ورودهما على السنة المعنيين بالشؤون العربية ولضرورة اصلاح الخطأ قبل ان يصبح امراً مقبولاً لا مرد له . اولاهما وصف فكرة الوحدة العربية بعقدة نفسية تملكت شعور العرب وسيطرت على تفكيرهم . الا يمكن ان نحسب هذه الفكرة امنية تصبو اليها نفوسهم او حلماً يداعب آمالهم يسعون الى تحقيقه بشوق وايمان وتصميم؟ وثانيتهما القول بأن فكرة الوحدة العربية مرتبطة بفكرة رئيسية اخرى هي العداء للتأثيرات الاجنبية مع ان واقع الامر هو على خلاف ذلك . فالعرب لا يعادون هذه التأثيرات لا ولا النفوذ الاجنبي اذا ما بقي نفوذاً ثقافياً حضارياً . غير انهم يقاومون السيطرة الاجنبية وهي غير النفوذ والتأثير .

ولا بد لي ان اشكر للمؤلف تجرده وانصافه ووضوح عرضه وعمق بصيرته وادراكه ، متململاً بعض التململ لان هذا الكتاب ينشر غسيل العلاقات العربية مرة اخرى على حبل اللغة الانكليزية .

نبيه امين فارس

الاخلاق عند مسكويه

M. Abdul Haq Ansari, *The Ethical Philosophy of Miskawayh*
Aligarh 1964. pp. 200

فلسفة مسكويه الاخلاقية ، لمحمد عبد الحق انصارى
عليكره ، ١٩٦٤ . ص ٢٠٠

نشأ الفكر الاخلاقي في الاسلام لدى علماء الدين الاوائل ، واقتصر في معظم الاحوال على قضيتين اساسيتين هما معرفة الخير والحق واساس الواجبات الاخلاقية. وانتقلت تبعة تعيين المثل الاخلاقية الى المتصوفة والفلاسفة. فانصرفت المتصوفة الى الناحية العملية منها وسلكتها ، ولم يحاول احد منها ان يضع اسسا نظرية لها الا الغزالي . اما الفلاسفة فاعتنوا بالاسس النظرية وتفاصيلها ، على ان هؤلاء لم يميزوا بين الاخلاق والسياسة فجاءت تآليفهم الاخلاقية في اكثر الاحيان توطئة للفلسفة السياسية . واستمرت الحال على ذلك حتى جاء مسكويه فجعل من الاخلاق علما قائما بنفسه مستقلا عن التصوف والسياسة . وخلف مذهبا فلسفيا في الاخلاق لا يزال له شأن حتى يومنا هذا . وهو مزيج من اراء افلاطون وارسطوطاليس وجالينوس ومن احكام الشريعة الاسلامية .

وفي هذه الدراسة المفصلة يقدم المؤلف في فصول ثمانية عصر مسكويه ، فالاسس الميتافيزيقية لمذهبه الاخلاقي فنظريته في السعادة والفضيلة ثم الفضائل الاساسيه فالحياة الاخلاقية العملية واخيرا المجتمع والدولة . وكان استناد المؤلف الرئيسي في دراسته هذه الى « كتاب السعادة » و « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق» . وخلاصة القول ان هذه الدراسة توضح توضيحاً مبيناً محاولة مسكويه في وضع مذهب في الاخلاق لم يتقيد بتفريعات اهل المذاهب الفقهية

ولا بنزعة المتصوفة الى الزهد . فكان بالفعل واضع اول فلسفة اخلاقية مستقلة في الاسلام .

نبيه امين فارس

الزاوية الدلائية

محمد حجي – الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالرباط

المطبعة الوطنية بالرباط – ١٩٦٤ – ٣٠٠ صفحة

ما اكثر ما عرف الاسلام، في تاريخه الطويل ، زوايا وربطاً كانت للعلم مناراً وللعلماء موئلاً . وبلاد المغرب مشهورة بذلك خاصة . على انه ثمة زوايا تتميز عن غيرها بما كان فيها من نشاط علمي ، ومنها الزاوية الدلائية التي شغلت العلماء والطلاب ورجال السياسة اكثر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر .

والذي يعرفه الناس عن الزاوية الدلائية كان كثيراً ، لكنه كان نتفاً موزعة في بطون الكتب هنا وهناك ، او منثورة في مخطوطات منتشرة هنا وهناك . وكنا ننتظر المؤرخ الذي يصرف همته ويبذل جهده في سبيل جمع هذه المتفرقات بعضها الى بعض الآخر والتأليف بينها بحيث يخرج لنا صورة واضحة للزاوية الدلائية . وما احلى الامل يتحقق . فقد جاء الرجل ، وجمع الشتات ، وضم العناصر واخرج لنا الصورة وافية واضحة . هذا هو الكتاب الذي بين ايدينا « الزاوية الدلائية » من وضع محمد حجي الاستاذ المساعد بكلية الادب بالرباط .

يقول المؤلف في تقديمه لكتابه

« انه لا يكاد يخلو كتاب من الكتب التاريخية المغربية ألفت بعد القرن العاشر الهجرى من ذكر الدلائيين وزاويتهم ، لكنه ذكر عابر لا يجاوز السطر او السطرين ، وقد يطول صفحة او اكثر ، ويتكرر احياناً ليتحدث عن جزئيات خاصة ، واحداث معينة مجردة من الاسباب والتفاصيل في الغالب . وحتى الكتب التي ألفت في الدلائيين لم تعن الا بجمع الاخبار والروايات على علاتها ، وكيل

المديح للدلائيين جزافاً . فجاءت هذه الرسالة لتأخذ (الزاوية الدلائية) موضوعاً تعنى بالبحث فيه بدقة ، وتدرسه دراسة نقدية شاملة للنواحي الدينية والعلمية والسياسية ، وتعرف اخواننا المؤرخين المحدثين في المشرق بالاسرة الدلائية المغربية » .

والعصر الذي قامت فيه الزاوية الدلائية يرجع الى اواسط القرن السادس عشر الميلادي ويمتد تاريخها قرناً وبعض القرن. وكان موقعها في الاطلس المتوسط، على مقربة من وادي ام الربيع .

كانت الزاوية مركزاً دينياً ومركزاً علمياً، درّس بها امثال محمد بن ابي بكر واحمد بن القاضي ، وتخرج منها امثال الحسن اليوسي واحمد المقري والعربي الفاسي ، وهم من نعرف سعة اطلاع ومقدرة في فنون العلم والادب .

وكمركز ديني كانت الزاوية مكاناً لاجتماع اهل الذكر والاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، يقوم بذلك المتصوفة والمريدون ومن اليهم . اما قيمة الزاوية العلمية فقد وصفها الاستاذ حجي بقوله

« عني الشيخ ابو بكر الدلائي بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين، واهتم بالغ الاهتمام بتعليم ابنائه الستة ، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية ومنهم من ينتقل الى مدينة فاس ليدرس فيها. ولما اضطربت احوال المغرب بعد وفاة احمد المنصور الذهبي وانتشرت الفتن بسبب اختلاف ابنائه وتنازعهم على الملك ، اخذ الناس يفرون من المدن الى البادية ، وكانت الزاوية الدلائية من احسن البقاع التي يلتجىء اليها العلماء حيث يجدون الطمأنينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة اهلها ، فيفرغون للعلم وتدارسه. وقد حصل ابناء ابي بكر على بضاعة علمية غير مزجاة فتصدوا للتدريس في زاويتهم واقبل عليهم الطلاب من كل حدب وصوب .

« وتطور امر الزاوية الدلائية في الثلث الثاني من القرن الحادي عشر الهجرى

وكثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب ، حتى كان يسكن في البيت الواحد طالبان فأكثر ينفق محمد بن ابي بكر عليهم جميعاً ، وكان لطلبة العلم بالمدرسة التي بازاء جامع الخطبة ألف واربعمائـة مسكن . وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس في مساجد الزاوية الدلائية سواء من ابناء الزاوية نفسهـا او من العلماء الطارئين عليها ، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبهها بعضهم بخزانة الحـكم المستنصر بالاندلس ، وجميعها عشرة آلاف سفر » .

وقد اجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على انها بلغت في هذا المضمار شأوا بعيدا ، وبذت فاسا في تلك الفترة وفاقتها ، وقد قال الاستاذ عبد الله كنون في هذا الصدد : « ان الثقافة الادبية واللغوية كانت في الناحية التي درس فيها اليوسي اقوى منها في فاس ، بل اننا نقول ، ان الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلاء ، حيث درس اليوسي هي التي احيت ذمـاء الادب في المغرب بعد عدم » .

ومن الطبيعي ان يقتصر التعليم والتعلم في ذلك المـكان القصي على القراءات والتفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول والتصوف. على ان الدلائيين تفوقوا في اللغة العربية وقواعدها ، كما انهم اجادوا فنون النظم والنثر وحذقوا البلاغة ، بحيث كان اكثر علمائهم ادباء وشعراء .

ومؤلفات الدلائيين ــ اساتذة وطلابا ــ كثيرة وقد استطاع المؤلف ان يضع بين ايدينا ثبتا فيه ما لا يقل عن مئتين وخمسين كتابا بين كراس وكناش . وهي ليست كل ما وضعه الدلائيون .

على ان الدلائيين تطلعوا الى خارج شؤون العلم والادب، الى مجالات السياسة، لما تولى امرهم محمد الشيخ، فنشر نفوذ الزواوية في الجهات الغربية من بلاد المغرب. الا ان هذا الامر الذي قبله بعض السعديين على مضض لم يرضَ به الرشيد العلوي، فوضع لنفوذهم السياسي ولزاويتهم بالذات حدا، وحمل علماءهم الى فاس وتلمسان ليقوموا بخدمة العلم والاشراف على شؤونه ، بدل ان يخلطوا بينه وبين السياسة

فيسيئوا إلى الاثنين على ما كان يرى .

ذكرنا احمد بن القاضي بين اساتذة الزاوية الدلائية ، وها نحن اولاء ننقل هنا ما جاء في مؤلف الاستاذ حجي عن هذا الاستاذ الكبير ، قال :

« وكان حافظا ، ضابطا ، محققا ، مؤرخا ، اخباريا ثقة ، سيال القريحة بالشعر ، حسن العبارة ، لطيف الاشارة ، مستجمعا العلوم والادب ، ماهرا في معرفة علوم الاوائل ، مشاركا في غير ذلك للائمة الاماثل وانفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا . واتصل احمد بن القاضي بالسلطان احمد المنصور الذهبي ، وخدمه ونال عنده الحظوة الكاملة . ثم ثاب له رأى في معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة اخرى واستزادة العلم والتحصيل . وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الامام امير المؤمنين ايده الله في الآفاق ، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وامداحها ما امل بثه في الاقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الاقدار واستأذن امير المؤمنين ايده الله فاذن له ووصله ، وتوخى الطريق على البحر ، فركب السفن من ثغر تيطاون فاعترضتهم اساطيل العدو في بحر الزقاق فاسرتهم ، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من الطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا امير المؤمنين . »

اما اليوسي ، وهو من افذاذ المتخرجين من الزاوية الدلائية ، فقد كان في نظر معاصريه عالما كبيرا وصاحب رأي واسلوب وفن . كان يمثل التفاعل بين المفكر وعالمه . لم يكن رجلا يعب العلم ثم يفرغه دون ان يؤثر ان يتأثر . فقد تعلم وتحدث وناقش وحادث وانتهى الى اقامة صلة خاصة بينه وبين معاصريه ، اساتذة وطلابا ، خاصة وعامة ، رجال حكم ومحكومين . لا فرق في ذلك بين السلطان نفسه واي من رجال الحاشية .

ولليوسي شعر كثير . ويبدو في بعض شعره ما كان بينه وبين الزاوية الدلائية من رابطة روحية . لذلك لما هدمت الزاوية رثاها بقصيدة جاء فيها قوله :

فبينا ليالي الوصل بيض وروضه   بفيض الندى كانت مرابعه خضرا

عدت غدوة ايدي الحوادث فاختلت حلاها فعادت بعد نضرتهـا غبرا
وابدلـن مـأنوس الديار واهلهـا بوحش وحولن الاهيـل بهـا قفرا
وبينـا جموع الحي كالراح شبتهـا بمـاء فـما تخشى جفـاء ولا نعرا
وكالفرقدين الطـالعين تآلفـا وصاحبي الملك الذي نادم الشعرى
اصابتهم عـين الكمال فغـادرت اكفهم من كل ما جمعت صفرا

كانت الزاوية الدلائية مركزا هاما للعلم ونشره وكانت صفحة مشرقة في تاريخ المغرب الفكري خلال المدة التي عاشتها. وقد اندثرت بناء قبل نحو ثلاثة قرون، لكنها علقت في الاذهان والنفوس والقلوب . فجاء الاستاذ محمد حجي في كتابه عنها يقيم لها نصبا شامخ البنيان واضح المعالم والاركان .

نقولا زياده

ابن عربي

Osman Yahia, Histoire et classification
de l'oeuvre d'Ibn Arabi, Damas, 1964

عثمان يحيى ، تاريخ وتصنيف نتاج ابن عربي
نشر المركز الوطني للابحاث العلمية ، دمشق ١٩٦٤

يفيدنا المؤلف في مقدمة الكتاب أن المجلدين الضخمين اللـذين نحن بصددهما جزء من اطروحتي الدكتوراه اللتين تقدم بهما الى جامعة السوربون سنة ١٩٥٨ .

ويرد اقدامه على هذا العمل الادبي الشائك الى المكانة التي يحتلها ابن عربي بين ائمة التصوف من جهة ، وضآلة البحوث العلمية التي تناولت نتاجه الفكرى من جهة ثانية . ومرد ضآلة هذه البحوث صعوبة الاضطلاع بهذه المهمة . فقـد نسب الى ابن عربي ما يناهز الـ ٩٠٠ مصنف ، لا يقل المنحول أو المدخول منها عن ٢٠٠ بحسب تقدير المؤلف . ثم ان ابن عربي لم يتقيد ، في هذا العدد الضخم مـن التصانيف ، بقاعدة معينة في بسطه لمذهبه في التوحيد ووحـدة الوجود والتجلي والحقيقة المحمدية ، مما زاد في صعوبة تدارسها .

وقد حاول الدكتور يحيى في هذين المجلدين اللذين تبلغ عدة صفحاتهما الـ ٧٠٠ تصنيف مؤلفات ابن عربي بحسب الموضوعات أولا ، وبحسب الترتيب الزمني ثانيا .

وتحقيقاً للغرض الثاني يقسم الكاتب هذه المؤلفات الى ثلاثة اقسام ، تقابل المراحل الكبرى في حياته :

١ – القسم الاول من سنة ٥٨٠ هـ. الى ٥٩٨ ويقابل المرحلة التي يدعوها الدكتور يحيى بالمغربية .

٢ – القسم الثاني من سنة ٤٩٨ هـ الى ٦٢٠ هـ . وهي حقبة الاسفار .

٣ – القسم الثالث من سنة ٦٢٠ هـ الى ٦٣٨ هـ – وهي حقبة القرار في دمشق .

ومن احصائه لمؤلفات ابن عربي ، استنادا الى مختلف المصادر المباشرة وغير المباشرة ، ينتهي الى النتائج التالية :

أ – يناهز مجموع الرسائل المنسوبة الى ابن عربي – كما مرّ – الـ ٨٤٦ رسالة.

ب – حاصل ما وصلنا من هذه الرسائل ٥٥٠ (لها ٢٩١٧ نسخة) ذكر منهابروكلمان ٢٣٧ فقط (لها ٧١٠ نسخ)

ج – من هذا المجموع ، يمكن اعتبار ١٤١ مؤلفا على وجه التقريب منحولة أو مدخولة – وذلك بالاستناد الى بيّنات خارجية وداخلية مختلفة ، وتسوّغ الشك في صحة نسبتها الى ابن عربي .

وختاما ، يستحق المؤلف كل ثناء على هذا العمل الجبار الذي يصدق عليه قول المحدّث الشهير ابو حاتم الرازي من اعيان القرن الثالث : « إذا كتبت فقمّش واذا حدّثت ففتش » . ففي مجلديهِ يجد الباحث جميع البيّنات الضرورية لدراسة آثار ابن عربي وتواريخها ومظانّها .

ماجد فخري

صيانة الابنية الاثرية في العراق

فؤاد سفر وصادق الحسيني

عدد الصفحات ٣٦ ، طبع دار الجمهورية ، بغداد ، سنة ١٩٦٥

بين المهمات الشاقة التي تقع على كاهل المشرفين على المحافظة على الآثار في البلاد العربية ، نضع اتخاذ الخطوات اللازمة لصيانة المباني الاثرية في الطليعة ، فمعظم هذه المباني عرضة للخراب والدمار ، اما بسبب تلف المواد المستعملة في بنائها وإما نظرا للزلازل التي تعرضت لها او للعوامل الطبيعية التي قوضت اركانها او لغزوها من آن الى آخر من قبل الانسان في سبيل الحصول على مواد بنائية لاستعمالها ثانية في المباني الحديثة .

ومنذ ان قامت دوائر عامة للآثار في البلاد العربية حدّت ما يقترفه الانسان من تدمير الا ان العوامل الاخرى ما زالت قائمة ، فأصبح من الضروري ترميم بعض المباني الاثرية المتداعية لتبقى ذخراً خالداً للاجيال القادمة .

وفي ترميم الآثار يمكن الانزلاق في هذا المضمار حتى تتلاشى ملامح البناء القديم ويظهر وكأنه بناء حديث . حبذا لو ان المشرفين على ترميم المباني الاثرية وضعوا نصب اعينهم مبادىء في هذا المضمار يقوم على ضوئها الترميم وتصان المباني دون ان يشوّه منظرها ويفقد شكلها القديم ورونقها التاريخي .

ففي الكتيب الذي اصدره السيدان فؤاد سفر وصادق الحسيني ، يصفان لنا اعمال الصيانة التي قامت بها دائرة الآثار العامة في العراق في الحضر وقره سراي ومرقد الامام عون الدين وسامراء وضريح الامام الدوري وعانه وخان ضاري وطاق كسرى والاخيضر واور . وتختلف المباني في هذه الاماكن بعضها عن البعض الاخر ، فمنها ما هو مبني بالطوب النيء (اللبن) ومنها ما هو مبني بالطوب المشوي (الطابون) وفئة أخرى مبنية بحجارة منحوتة . وفي صيانة هذه المباني وترميمها ، حاولت دائرة الآثار العامة في العراق الحفاظ على شكلها الاصلي وميزاتها التاريخية وفي الوقت نفسه دعمت كيانها وامنت لها عمرا اطول.

والتقرير مزود بصور لهــذه المباني تظهر حالها قبل البدء بأعمال الترميم والصيانة ، وبصور اخرى اخذت بعد ان تمت هذه الاعمال . وفي نظر المراجع توفقت دائرة الآثار العامة في صيانة المباني الاثرية النفيسة دون ان تتعرض لتغيير ميزاتها التاريخية الخاصة او تشويه معالمها ، ولا شك في ان هذه النجـاح سينال اعجاب الآثاريين على اختلاف نزعاتهم وامتنان العامة للحفاظ على هذا التراث المجيد.

ديمتري برامكي

تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب

ألفه ابن الفوطي

الجزء الرابع القسم الثالث في ٦٠٢ من الصفحات

حققه الدكتور مصطفى جواد

من مطبوعات مديرية احياء التراث القديم – وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٥

سبق لنـا ان راجعنا في الجزء الرابع من السنة السادسة عشرة من هذه المجلة اوّل قسمٍ صدر من كتاب تلخيص مجمع الآداب وذكرنا شيئاً عن صاحبه الفوطي واشرنا الى الجهد الذي بذله المحقق الدكتور مصطفى جواد والى الزمن الذي قضاه في إعداد الكتاب للنشر وقد صدر بعده القسم الثاني من الجزء نفسه ويسرنا الآن ان نشير الى القسم الثالث وهو كسابقيه من حيث الدقة في التحقيق وتحري النص .

يتناول هذا القسم اصحاب الالقاب التي تبدأ بالفاء والألف حتى نهاية الفاء ثم بالقاف والألف حتى القاف مع الضاد وقد كان اكثر اصحاب التراجم في هذا القسم ممن عرفوا بلقب فخر الدين – اكثر الالقاب شيوعاً – فقد ذكر منهم نحو ٦٠٠ من أصل ٩٢٤ ترجمة في القسم كله . وقد لاحظنا ان المؤلف ، ابن الفوطي ، اقحم بين اصحـاب لقب فخر الدين نحو عشرين « فخراً » أضيف الى غير لفظة « الدين » كفخر القضاة ، وفخر الدولة ، وفخر العلماء ، وفخر الكتاب ، وفخر

الاسلام، وفخر الملك وغيره ولم يراع الترتيب الهجائي فيها، بل ان بعضها كفخر الدولة مثلاً ورد لنحو خمسة عشر عالماً ولكن تراجمهم لم ترد متتابعة كما كان ينتظر من عالم وضع تأليفه على حروف الهجاء ، ولعل هذا يؤيد مـا ذهب اليه حضرة المحقق من ان المؤلف لم يكمل تأليفه الكبير فجاء التلخيص ايضاً ناقصاً من هذه الناحية لا سيا وان هناك القاباً ذكرت ولم يذكر شيء عن اصحابها .

ولقد بذل حضرة المحقق من الجهود والعناية في هذا القسم من الكتاب مثل ما بذله في القسمين السابقين ويلاحظ ذلك في ضبط ابيات الشعر الواردة فيه وفي التعليقات المختلفة على كثير من النصوص ومقابلتها بما ورد في متون اخرى. وقد طبعت الابيات الشعرية في هذا القسم بحرف اكبر من الحرف الذي طبعت به في القسمين السابقين فبرزت بشكل اوضح وأتم . ورقمت الصفحات من واحدٍ على اعتبار ان هذا القسم سيكون مع القسم الرابع مجلدة واحدة كما كان القسمان الاول والثاني مجلدة واحدة . وقد خلت الاقسام الثلاثة من الفهارس ولكن المحقق وعد ان يوردهـا كاملة في آخر القسم الرابع فله ولوزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق جزيل الثناء والتقدير

جبرائيل جبور

مؤلفان لظافر القاسمي

١ — ظافر القاسمي : مكتب عنبر — صور وذكريات عن حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية

(المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، بيروت ، ١٩٦٤)

مكتب عنبر اسم لمدرسة ثانوية عاشت في دمشق من أواخر القرن الماضي الى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وتخرج منهـا الرعيل الاول من المثقفين السوريين البارزين . وبقيت هذه المدرسة الوحيدة من نوعها في عاصمة الامويين ردحا من الزمن . وبين دفتي الكتاب طائفة من ذكريات صاحبه الأديب ظافر القاسمي وخواطره عن هذه المؤسسة العلمية .

استهل المؤلف كتابه بالتعريف بمادة كتابه ومنهجه فقال :

« ليست هذه الصفحات تاريخا، وان كان فيها شيء من التاريخ. فأنا لم اسلك مذاهب المؤرخين ولا طرائقهم ، ولا سعيت لاحتذاء مناهجهم في تدوين الوقائع والبحث عن الوثائق الا بالقدر الذي يسمح به تدوين الذكريات البعيدة ذات الاثر العميق . وما هذه الصفحات الا ذكريات لحوادث خلت، انقضى على اقربها اكثر من ثلاثين عاما ، ما زالت غضة طرية في نفسي ، كأنني فارقتها بالامس لم اعتمد في تدوينها على غير الذاكرة التي وعتها وعلى غير القلب الذي خفق وما زال يخفق بها حتى اليوم . واكبر ظني انه سيخفق بها طوال الحياة . »

ولا تعدو ذكريات المؤلف وخواطره وصوره ما تقدم في وصفه لها . لكن بالرغم من انها ليست تاريخا ولا مذكرات يومية سجلت انفعالات المؤلف واحاسيسه ساعة وقوع الاحداث، إلا انها صور دقيقة نابضة بالحياة تنقل القاريء الى جوها ، وبخاصة اذا كان قد تلقى علومه الابتدائية او الثانوية في الثلث الاول من هذا القرن . هذا فضلا عن انها حافلة بما ينفع الاديب والمفكر والمؤرخ من اخبار وملاحظات عن فترة حاسمة من تاريخ الوطن العربي .

بدأ المؤلف بوصف طريقه الى مكتب عنبر وصفا صور فيه جوانب من حياة الطلاب وما كانوا يعانونه في سبيل تلقي العلم . ثم رسم ببراعة فائقة لوحات تحلل شخصيات الأساتذة ومنازعهم وطرائقهم في التدريس ومواقفهم من الطلاب . ولن يفوت القاريء خلال هذا كله ان يلمس وطنية الكاتب الصادقة وايمانه بأمته وبوطنه . فهو يشيد بوطنية الاساتذة وفضلهم في اذكاء روح طلبتهم القومية . وعليه فـان مؤرخ القومية سيجد في مطاوي هذا الجزء مادة لا يفوقها شأناً الا القسم الثاني من الكتاب حيث تناول المؤلف الاضطرابات والمظاهرات وردود الفعل الوطنية في اواخر الحرب العالمية الاولى .

لقد أحسن المؤلف صنعا بتدوينه هذه الخواطر وايرادهـا بأسلوب سلس متدفق جزل العبارة جعلها مادة ممتعة للقراءة والذكرى .

محمود زايد

٢ – ظافر القاسمي : وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥–١٩٢٧
دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٥

هذا كتاب جديد قيم يلقى اضواء جديدة على احداث الثورة السورية الكبرى التي يعتبرها المؤلف « امجد صفحة في تاريخ سورية المعاصر ، ومن امجد الصفحات التي سطرها العرب جميعا في مختلف اقطارهم بعد الحرب العالمية الاولى » . وقد مضى زمن على المؤلف وهو يفكر في كتابه تاريخ لهذه الثورة ولكنه لم يترجم الفكرة الى عمل حتى عثر بين ما عثر عليه من وثائق على سجل في مستودع القصر العدلي يضم الاحكام الصادرة عن المحكمة الاستثنائية وعن المجلس العدلي الفرنسي «لا يلقي اليه احد بالا ولا يعرف عنه احد شيئا» . ووجد المؤلف في هذا السجل مادة غنية تحتوي على شهادات دونت في المحـاكمات من قبل الفرنسيين وتشمل تاريخ الحادثة ومكانها واشخاصها ، كما تحتوي على صور لبعض الشخصيات الكبرى التي قامت بأدوار عسكرية او سياسية خلال الثورة .

اعتمد المؤلف على هذا السجل ليؤرخ لبعض احداث الثورة الكبرى مستعينا في سبيل هذا الغرض بمراجع مختلفة وبخـاصة ببحث مخطوط باللغة الفرنسية للاستاذ ادمون رباط يعالج فيه الحياة السياسية في سورية ولبنان خلال الانتداب ، ويورد فيه اقوال الكثيرين من المسؤولين الفرنسيين في مجلس الشيوخ والنواب الفرنسيين ، وفي لجنة الشؤون الخارجية لديها ، وفي لجنة الانتدابات لدى جمعية الامم ومقتطفات من اقوال الصحف السورية واللبنانية والفرنسية .

وقد استطاع المؤلف ان يستفيد كثيرا من نصوص الاحكام ، وساعده على هذا انه محام كبير وثيق الصلة بالمحاكم ومصطلحاتهـا واعرافها ونظمها . وإذا المحامي فيهِ خير معين للمؤرخ في وضع هذا الكتاب النفيس .

محمود زايد

الاكراد وكردستان

The Kurds and Kurdistan by Derk Kinnane
(Oxford University Press, 1964)
86 pages. Map. Bibliography. 8/6

يشتمل هذا الكتاب الصغير على تسعة فصول ولحق وتمتدُّ فحواه من وصف الأكراد وبلادهم وتاريخهم وتقاليدهم وتنظيمهم الاجتماعي ، إلى بيان مختصر عن الثورات الكردية الحديثة في العراق . أما « كردستان » اي « البلاد التي يشكل الأكراد الأكثرية الساحقة من سكانها » فقد وصفها المؤلف بقولهِ « كتلة من الجبال تضمُّ فيما بينها اودية تنحدر إلى سفوح التلال والسهول » وتعدُّ مياه هذه الأرض « موردها الأعظم الذي لا يزال غير مستغَلٍّ » . ولكن المؤلف يضيف الى ما تقدم أن « كردستان العراقية تشمل حقلاً من أغنى حقول النفط في العالم » . أما عدد السكان فقد اعتمد المؤلف في حسابهِ على تقديرات المطلعين فاذا هي تشير إلى ان العدد يتفاوت بين خمسة ملايين وستة ملايين .

وهذا الكتاب في عرف المؤلف هو « تقديم لشعب لم يحقق حتى الآن، برغم تميز حضارتهِ وملايينه ، حكومة دائمة يعدُّها حكومتهُ . وبعض هذا الشعب الذي يصفهُ الكتاب ، لم يزل في حرب منذ ١٩٦١ مناضلاً في سبيل إقامة حكومة لهُ ضمن الجمهورية العراقية .... والشعب الكردي يعاني بوجهٍ خاص كشعب خاضع لغيرهِ أن ارض مواطنهِ موزَّعة بين اربع دول (اذا استثنينا جزءًا صغير في الاتحاد السوفيتي) وثلاثة شعوب اجنبية »

و « المسألة الكردية » لا تزال احدى مشكلات الشرق الأوسط التي لم يوجد لها حلٌّ خلال المئة السنة الأخيرة ، وعلى أن الاهتمام بمشكلات اخرى في هذه المنطقة الحافلة بالمشكلات ، يحجب في الحين بعد الحين العناية بالمسألة الكردية ، فانها قد أثارت في بضع السنوات الاخيرة قلقاً دولياً .

وكتاب « الأكراد وكردستان » حسن الأسلوب ، وافر المعلومات ، يفيد القارىء دون تعاظم ، بما يعرضهُ من بيانٍ واضحٍ لتاريخ معقّد هو تاريخ الأكراد

زين نور الدين زين

كتاب هذا الجزء

الدكتور محمد يوسف نجم - احد اساتذة دائرة اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت . ألّف وحقق ونشر عدداً من الكتب المراجع ، منها « المسرحية في الأدب العربي الحديث » و « القصة في الأدب العربي الحديث » و « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » وعدة مجلّدات ضمنها « دراسات ونصوص » المسرح العربي الحديث ، و« فهارس الأدب العربي الحديث : القصةوالاقصوصة» وغيرها.

الدكتور هيوبرت مورسنك - استاذ مشارك لعلم الاجتماع الريفي في كلية الزراعة بالجامعة الاميركية في بيروت ، وكان من قبل مستشاراً لأمانة الأمم المتحدة في « التنمية الريفية» وقد وضع تقارير متعددة للامم المتحدة عن التنمية الريفية والتنمية الحضرية ومنها ما كان خاصاً بالدول العربية .

الاستاذ انيس المقدسي : الاستاذ الفخري للغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية في بيروت ؛ مدرس اللغة العربية . وآدابها ، واستاذها في الجامعة (١٩٠٧ - ١٩٥١). مؤلف : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث - امراء الشعر العربي في العصر العباسي - الفنون الادبية واعلامها في النهضة العربية الحديثة، وغيرها. محقق وناشر « رسائل ابن الاثير (ضياء الدين)» و« ديوان ابن الساعاتي . عضو مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، والمجمع العلمي العربي ، دمشق ، استاذ محاضر سابقاً في معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة . وقد قدم الرسالة التي ننشرها - بأذن منه - في هذا العدد من « الابحاث » الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة و نشرت في مجلته .

الدكتور فؤاد اسحق الخوري - استاذ مساعد في دائرة علم الاجتماع (سوسيولوجيا) وعلم الانسان (انتروبولوجيا) في الجامعة الاميركية في بيروت . تخرج من كلية الآداب والعلوم في هذه الجامعة بدرجة بكالوريوس سنة ١٩٥٨ ثم تخصص في علم

الانسان في جامعة واشنطن بولاية اوريغون الاميركية .ونال درجة الدكتوراه سنة ١٩٦٤ وهذه الدراسة في « الاسلام عند قبيلة التمني » قائمه على استطلاع دام سنة كاملة في المنطقة التي يتحدث عن الاسلام في احدى قبائلها وهو بحث اصيـــل في علم الانسان ويضم لاول موة نصوص الاساطير والمعتقدات الدينية الشائعة عند قبيلة التمني .

الدكتور جبرائيل جبور – أحد اساتذة دائرة اللغةالعربية وآدابها فيالجامعة الاميركية فيبيروت، مؤلف « عمر بن ابي ربيعة » في مجلدين – « العقد الفريد وابن عبد ربه » – محقق وضابط « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة » وغيرها من الكتب المراجع .

كتاب صفحات مكتبة الابحاث

الأساتذة: يوسف قزما الخوري (كرنيليوس فان ديك ومؤلفاته العلمية العربية) ؛ نبيه امين فارس (دائرد التاريخ) ، نقولا زيادة (دائرة التاريخ) ، ماجد فخري (دائرد الفلسفة) ، ديمتري برامكي (امين متحف الجامعة ودائرة التاريخ)، جبرائيل جبور (دائرة اللغة العربية وآدابها)، محمود زايد (دائرة التاريخ) ، زين نور الدين زين (دائرة التاريخ) .

كتب عربية

اضيفت حديثا الى مكتبة نعمة يافث التذكارية في الجامعة الاميركية
ببيروت وهي مدرجة حسب تقسيمات ديوي الرئيسية
ايار ـ تشرين الاول ، ١٩٦٥ ·
جمعتها

ليندا صدقه

ببليوغرافيا ومباحث عامة

الامسي ، محمد هادى ، حا ·
مصادر الدراسه عن النجف وانسح الطوسي · حمع وتحقيق محمد هادي الامني وعبد الرحيم محمد على · النجف ، مطبعه النحف ، ١٩٦٣ · ١٢٢ ص·

الانصارى ، ابو يحيى زكريا بن محمد ·
اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم · ويليه مقدمه ··· في تعريف الالفاظ التي تدور على لسان الاصوليين والمتكلمين وعلماء البلاغة · القاهرة ، مطبعه الموسوعات ، ١٣١٩ هـ· ٣٢ ص ·

برايسن ، ليمان ، محح ·
موسوعه معارف الانسان عن العالم الحديث · تأ· جماعه من العلماء باشراف ليمان برايسن، تر· جماعه من الاساتذة · بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٤ · ١ج ·

بغداد · جامعة · المكتبة المركزية ·
فهرس موضوعي ، مجاميع الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية ١٩٥٩ / ١٩٦٤ · بغداد ، المكتبة المركزية ، ١٩٦٤ · ٢ج ·

بيروت · الجامعه الاميركية · هيئة الدراسات العربية ·
نشاط العرب في العلوم الاجتماعية في مائة سنة · بيروت الجامعة الاميركية ١٩٦٥ · ٧٩٥ ص ·

بيري . توماس اليوت .

الصحافة اليوم ، تطورها ، وتطبيقاتها العلميه . تر. مروان الجابري . بيروت ، بدران ، ١٩٦٤ . ٦١٢ ص .

تيمور ، محمود .

ظلال مضيئة ، فلسفة الادب والفن ومشكلات المجتمع والحياة . القاهرة ، مكتبة النهضه المصرية ١٩٦٣ . ٢٥٣ ص .

دمشق . دار الكتب الظاهرية .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الشعر . وضعه عزة حسن . دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٤ . ج ٣ .

رالف ، رتشارد جورج .

المكتبه ودورها في التربية . تر. مصطفى الصاوي الجويني . القاهرة ، مؤسسه المطبوعات، لا. ت. ٥٢ .

عبده ، ابراهيم .

جريدة الاهرام تاريخ مصر في خمس وسبعين سنه . القاهره ، دار المعارف ، ١٩٥١ . ٥٥١ ص.

القاهرة . دار الكتب المصرية .

قائمة بالكتب والمراجع عن فلسطين والاردن . الطبعه الثانيه . القاهرة ، مطبعه دار الكتب ، ١٩٦٤ . ٤٨٢ ص .

النشرة المصريه للمطبوعات ١٩٦٣ . القاهره . مطبعه دار الكتب ، ١٩٦٤ . ج ٢ .

الكتاني ، محمد بن جعفر .

الرساله المستطرفه لبيان مشهور كتب السنه المشرفه . الطبعه الثالثه . دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٤ . ٣٥١

محمود ، مصطفى .

يوميات نصف الليل . القاهرة ، الدار القوميه للطباعه والنشر . ١٩٦٤ . ١٢٧ ص .

الفلسفة وعلم النفس

الحنفي ، جلال .

الايمان البغدادية ، مع ملاحق بالايمان الحلية والموصلية ... قدم له وعلق عليه الحميد العلوجي . بغداد ، مكتبه النهضة ، ١٩٦٤ . ١٧٤ ص .

دريسكول ، جرترود بورتر .

كيف نفهم سلوك الاطفال . تر. رشدي فام منصور . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ . ١٥٠ ص .

عاقل ، فاخر .

اعرف نفسك ، دراسات سيكولوجية . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ . ٣٣٥ ص.

الفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد .

السياسه المدنية ، الملقب بمبادىء الموجودات . حققه وقدم له وعلق عليه فوزي متري النجار . بيروت . المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ . ١٣١ ص .

الشاروني ، حبيب .

بين برجسون وسارتر . ازمه الحرية . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ١٩٩ ص .

الطاووسي ، ابو القاسم علي بن موسى .

كشف المحجه لثمرة المهجه . النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٠ . ١٩٦ ص .

كامل ، فؤاد .

الفرد في فلسفة شوبنهور . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ . ١٣٣ ص .

لفجوي ، ارثر اونكن .

سلسله الوجود الكبرى . محاصرات في تاريخ الفكر الفلسفي . تر. ماجد فخري . بيروت، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٤ . ٥٧٣ ص .

الوائلي ، عبد الجبار .

وحده الوجود العقليه . بغداد ، مكتبه النهضة ، ١٩٦٤ . ٢٠٨ ص .

الدين

الباشا ، قسطنطين .

تاريخ دير القديس جاورجيوس المريرعة . صيدا ، المطبعه المخلصية ، ١٩٣٨ . ٤٠ ص.

البهي ، محمد .

الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة . القاهرة ، مكتبة وهبه ، ١٩٦١ . ٦١٤ ص .

تامر ، عارف .

القرامطه ، اصلهم – نشأتهم – تاريخهم – حروبهم . بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا. ت. ١٩٢ .

الخالصي ، محمد .

التوحيد الخالص من اجوبة الرسائل الدمشقيه . بغداد ، مطبعة الازهر، ١٩٦٤ . ٨٤ص.

ديوان ، موسى .

صراخ البري من ظلم المفتري او الحق المنشود في الدفاع عن اليهود . نيويورك ، ١٩٢٩ . ١٤٢ ص .

رسائل اسماعيلية . القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٤٩ – ٢ ج .

الرصوي ، محمد الرضى ·
لماذا اخترنا الدين الاسلامي · بغداد ، مطبعة المتعارف · ١٩٦٤ · ج ١ ·

الصالح ، صبحي ·
علوم الحديث ومصطلحة ، عرض ودراسة · الطبعة الثالثة · بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ · ٤٤٧ ص ·

الطوسي ، ابو جعفر بن الحسن ·
آمال الشسح الطوسي · قدم له محمد صادق بحر العلوم · النجف ، مطبعة النعمان، ١٩٦٤ · ج ١ ·

عنان ، محمد عبد الله ·
ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ··· القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠ · ج ١ ·

فاسيلييف ، الكسي ·
المسحبه والمسبحون في الاتحاد السوفياتي ··· باريس ، دار الايمان ، ١٩٦٤ · ٢٧١ ص ·

قطب ، محمد ·
التطور والثبات في حياة البشريه · القاهرة ، مكتبه وهبه ، ١٩٦٣ · ٣١٣ ص ·

الكازروني ، ابو محمد روزبهان ابن ابو منصور ·
··· عبهر العاشقين · تهران ، انستينو ايران مروواشه ، ١٣٣٧ · ٤٨٥ ص ·

ماجد ، عبد المنعم ·
تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى · القاهرة ، مكتبه الانجلو المصريه ، ١٩٦٣ · ٢٣٨ ص ·

مسلم بن الحجاج ، ابو الحسين ·
صحيح مسلم ، مشكول · القاهرة ، مكتبه ومطبعه محمد علي صبيح ، ١٩٦٣ · ٨ ج ·

العلوم الاجتماعية

ابراهيم ، محمد عبد الفتاح ·
امرأة في حياة رجل · القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ · ١٩٦ ص ·

ابو اسماعيل ، احمد ·
اصول الاقتصاد · القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ · ٦٧٠ ص ·

الاردن · دائرة الموازنة العامه ·
جدول الوظائف الملحق بقانون الموازنة العامه للسنة المالية ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ · الاردن ، ١٩٦٥ · ١٣٧ ورقة ·

الاردن • المعهد التعاوني •

مقتطفات تعاونية • ملخص لمجموعة من كتب في التعاون • عمان ، لا• ت• غير منتظم الترقيم•

اريندت ، حنه •

رأي في الثورات • تعريب وتعليق خيري حماد • القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ • ٣٣٣ ص •

اولبورت ، جوردون •

سيكولوجية الاشاعه • تر• صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق • مصر، دار المعارف ، ١٩٦٤ • ٢٨٠ ص •

اولسن ، ميرل م •

التوجيه ، فلسفته واسسه ووسائله • تر• عثمان لبيب فراج وغيره • القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ • ٥٤٤ ص •

باراك ارنولد ب •

١٩٧٥ والمعجزات العلميه المنتظرة • تر• سعد الدين صبور • القاهرة ، دار النهضه العربية، ١٩٦٤ • ٣٤٩ ص •

باريش ، لويز •

التخطيط المشترك بين المعلم والتلميذ • القاهـرة ، مكتبه الانجلو المصريـه . ١٩٦٤ • ٢٨٠ ص •

البراوي ، راشد •

الفلسفه الاقتصاديه للثورة من الناحيتين النظرية والعملية • القاهرة ، مكتبـــة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ • ٢٥٥ ص •

النظام الاشتراكي من الناحيتين النظريه والعملية • الطبعه الثانيه • القاهرة ، مكتبه النهضة المصريه ، ١٩٥٦ • ٢٥٥ ص •

بنك القاهرة • عمان ،

تقرير مجلس الاداره والميزانيه العموميه ، ٣١ كانون الاول سنه ١٩٦٣ – • عمان ، مطبعة الاتحاد ، ١٩٦٤ – ١ ج •

البنك المركزي المصري • القاهرة •

تقرير عن مجلس الادارة عن عام ١٩٦٢/ ١٩٦٣ – القاهره ، ١٩٦٣ – ١ ج •

البنك الوطني الليبي

التقرير السنوي الثاني ، الرابع والسابع لمجلس الادارة عن السنه المنتهية في ٣١ مارس ١٩٥٨ و ٣١ مارس ١٩٦٣ • طرابلس ، لا• ت• ٣ ج •

تونس • كتابة الدولة للعدل •

محاضرات قانونية ، ١٩٦٣ – ١٩٦٤ • تونس ، كتابة الدولة للعدل ، ١٩٦٣ – ٦٤ • ٢ج•

الجمهورية العربيه المتحدة • مصلحة الاحصاء والتعداد •
احصاء التوظف والاجور وساعات العمل يولبو سنة ١٩٦٠ • الفاهرة ، مطابـــع شركة الاعلانات الشرقية ، لا• ت• ٣ ج •

جتننغ اندريه •
الصمان الاحىماعي مع قانون الضمان الاجتماعي اللبناني• تر• نبيه صقر • بيروت، منشورات عويدات ، ١٩٦٤ • ٢٣٠ ص •

حىلهام ، هبلين ل•
مساعدة الطفل على نفبل ذاته وتقبل الاخرين • تر• محمد عبد السلام احمد • الفاهرة ، دار النهصه العربية ، ١٩٦٤ • ١٢٥ ص •

حافظه محمد علي •
مسىفمل الشباب العربي • الفاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ • ٣٦٨ ص •

حرب البعث العربي الاشتراكي •
نضال البعث في سبيل الوحدة الحريه الاشنراكيه • بيروت ، دار الطليعه ، ١٩٦٤ • ج ٤ •

حسن ، فاضل •
ناريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨ • بغداد ، مطبعة الشعب ، ١٩٦٣ • ٤٠٤ ص •

الحصري ، ساطع •
تقارير عن احوال المعارف في سوريا خلال سنة ١٩٤٥ • دمشق، مطبعه الجمهورية السورية، ١٩٤٦ • ١ ج •

الحلي ، ابو القاسم ، جعفر بن الحسن •
المختصر النافع في فقه الامامية • القاهرة ، دار الكتاب العربي ، لا• ت• ج ١ •

حمدي ، محمد مطلوم •
طريق الاحصاء • الطبعة الرابعة • القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ • ٥٥٤ ص •
دراسات في الفكر الاشتراكي المعاصر • بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥ • ٢٢٣ ص •

الدرديري ، يحيى احمد •
••• التعاون • الطبعه الثالثة • الفاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٢٧ • ٢٨٩ ص •

دروزه ، الحكم •
الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية • الطبعة الثالثة • بيروت ، مكتبة منيمنه، ١٩٦٣ • ٥٧٣ ص •

راينسمتون ، جيكوب وين ٠
تنظيم الفصول الدراسية للتعليم ٠ تر ٠ محمد العزاوي ٠ القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ ٠
٧٤ ص ٠

رني ، اوستن ٠
سياسة الحكم ٠ تر٠ حسن علي الذنون ٠ بغداد ، المكتبة الاهلية ، ١٩٦٤ ٠ ٤٨٩ ص ٠

رياض ، محمد ٠
الاقتصاد الافريقي ٠ القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣ ٠ ٥٣٨ ص ٠

سركيس ـ نفولا ٠
البترول عامل وحدة وانماء في العالم العربي ٠ دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ،
١٩٦٤ ٠ ٢٨٠ ص ٠

السمرقندي ، علاء الدين المنصور بن احمد ٠
تحفه الفقهاء ٠ حقق احاديثها وخرجها محمد المنتصر الكناني ووهبه الزحيلي ٠ دمشق ،
دار الفكر ، ١٩٦٤ ٠ ٣ ج في ٤ ٠

سوريا ٠ معاهدات ، الخ ٠
المعاهدات السورية الثنائية من عام ١٩٥٦ لغايه عام ١٩٦٣ ٠ دمشق ، سرياني وشركاه ،
١٩٦٤ ٠ ٥١٠٨ ٠

سيجموند ، بول ٠
ايديولوجيات الامم الآخذة في النمو ٠٠ تر٠ تيسير محمود فهمي ٠ القاهرة ، الدار القومية
للطباعه والنشر ، ١٩٦١ ٠ ٣٣٤ ص ٠

شافعي ، محمد زكي ٠
مقدمه في النقود والبنوك ٠ الطبعة الخامسة ٠ القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ ٠
٤١٤ ص ٠

شاليان ، جيرار ٠
مصاعب الاشتراكيه في الجزائر ٠ تر٠ جورج طرابيشي ٠ بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ ٠
٢٦٤ ص ٠

شفيق ، درية ٠
المرأة العصرية من الفراعنةالى اليوم ٠ القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٥ ٠ ٢٩٠ ص ٠

شيبو ب، ادفيك ٠
الحرف الشعبية في لبنان ٠ بيروت ، مطابع الخال ، ١٩٦٤ ٠ ٢١٥ ص ٠

صايغ ، يوسف عبدالله ٠
الاقتصاد الاسرائيلي ٠ محاضرات ٠ القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٤ ٠
٢٨٣ ص ٠

ضبيط ، نوري ٠
دراسات في الضريبة على الدخل ٠ دمشق ، مطبعة الشرق ، لا٠ ت٠ ٥٦٠ ص ٠

عاقل ، فاخر ٠
معالم التربية ٠ دراسات في التربية العامة والتربية العربية ٠ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ٠ ٣٧٥ ص ٠

العاني ، خطاب صكار ٠
الجغرافية الاقتصادية ٠ بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ٠ ٥٤٨ ص٠

عبد الحميد ، احمد نظمي ٠
النظام الاقتصادي الحاضر ٠ تحليل ونقد وتوجيه ٠ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤ ٠ ج ١ ٠

عبده ، غانم ٠
نقص الاشتراكيه الماركسية ٠ بيروت ، لا٠ ت٠ ٢٠٢ ص ٠

العراق ٠ ٠ دائرة الاحصاء المركزية ٠
نتائج الاحصاء الانشائي لسنة ١٩٦٢ ٠ بغداد ، مطبعة الحكومة ، ١٩٦٤ ٠ ج ٢ ٠
نشرة احصاءات التجارة الخارجية لسنة ١٩٦٣ ٠ بغداد ، مطبعة الحكومه ، ١٩٦٥ ٠ ج ٢٦ ٠

العربية السعودية ٠
لمحات عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ٠ السعودية ، الوزارة ، ١٣٨٤ هـ٠ ٣٧٤ ص٠

العربية السعودية ٠ معهد الادارة العامة ٠
نظام الموظفين العام وعقد استخدام الموظفين معلقا عليه بالمراسيم الملكيه ٠ اعداد وتصنيف عبد العزيز المهنا ٠ الرياض ، المعهد ، ١٣٨٣ هـ٠ ١٧٢ ص ٠

العربية السعودية ٠ وزارة المعارف ٠
تقرير موجز عن تطور التعليم العام في عام ١٩٥٨ ـ ٥٩ ـ ١٩٦٣ / ١٩٦٤ ٠ جده ، وزارة المعارف ، ١٩٥٩ ـ ٦٤ ٠ ٦ ج ٠

العربية السعودية ٠ وزارة المعارف ٠
مناهج المرحله الثانوية المجموعة الثالثة ١٣٧٩ ٠ جده وزارة المعارف ، لا٠ت٠ ١ ج٠
مناهج معاهد المعلمين الابتدائية لعام ١٣٧٩ ٠ جده ، وزارة المعارف ، لا٠ ت٠ ١ ج ٠

عماش ، عبد القادر ٠
تقاليد وعادات من وادي الفرات ٠ دير الزور ، مطبعة الفرات ، لا٠ ت٠ ٦٣ ص ٠
مأثورات شعبيه من وادي الفرات ٠ دير الزور ، لا٠ ت٠ ٦٤ ص ٠

فولر ، اليزابيث ميشام ٠
رياض الاطفال ٠ تر٠ عفاف محمد فؤاد ٠ القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ ٠ ٦٣ ص ٠

القاضي ، محمود ٠
النظام القضائي والحركة التشريعية في ليبيا ٠ محاضرات ٠ القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦١ ٠ ٣٢٢ ص ٠

القطب ، اسحق ·
النعاون والمجتمع · عمان المعهد التعاوني ، لا· ت·   ١١٠ ورقة ·

كارسون ، روث ·
قد يكون طفلك موهوبا · تر· محمد خليفه بركات · القاهرة ، مؤسسة الخانجي ، ١٩٦٤ ·
٥٨ ص ·

الكويت · مديرية الجمارك ·
احصاءات التجارة الخارجية · الكويت ، ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ·   ج ٦ ·

الكويت · المراقبة العامة للاحصاء ·
حركه التبادل التجاري بين دولة الكويت ودول العالم ، ١٩٦٢ - ٦٣ · الكويت ، مطبعة
حكومة الكويت ، ١٩٦٤ ·   ٢ ج ·

لهطه ، محمد فهمي ·
تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة · القاهرة ، مكتبه النهضة العربية ، ١٩٤٤ ·
٦١٤ ص ·

ماير ، جيرالد م·
التنمية الاقتصادية ، نظريتها ، تاريخها ، سياستها · تر· يوسف عبدالله صائغ · بيروت،
مكتبه لبنان ، ١٩٦٤ ·   ج ١ ·

متولي ، عبد الحميد ·
القانون الدستوري والانظمه السياسية · الطبعة الثالثة (منقحة) · القاهرة ، دار المعارف،
١٩٦٤ ·   ج ١ ·

المحجوب ، رفعت ·
اعادة توزيع الدخل القومي خلال السياسة المالية · القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ·
١١٦ ص ·
الاقتصاد السياسي · القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ · ج ١ ·

محمد ، محمد السعيد ·
مقدمه في النظريه الاقتصادية · القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، لا· ت·   ١٠٤ ص·

مرقص ، الياس ·
تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي · بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ ·   ٣١٢ ص ·

ممفورد ، لويس ·
المدينة على مر العصور · اصلها وتطورها ومستقبلها · اشرف على ترجمته وقدم له وعلق
عليه ابراهيم نصحي · القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ ·   ٢ ج ·

المودودي ، ابو الاعلى ·
نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور · دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٤ ·
٣٨٤ ص ·

موسى ، سلامه ·
جذور الاشتراكية · طبعة جديدة · بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ · ٢٠٨ ص ·

نامق ، صلاح الدين ·
الاشتراكية ، دراسة اقتصادية تحليلية · القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٨ ·
ج ١ ·
التوزيع في النظامين الرأسمالي والاشتراكي · الطبعة الثانية · القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٥٩ · ٣٣٣ ص ·

نسيم ، سليمان ·
تاريخ التربية القبطية · القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦٣ · ٢٥٣ ص ·

هاشم ، فؤاد ·
التجارة الخارجية والدخل الاهلي · القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦٠ · ١٧٣ ص·

هانس ، البرت هنري ·
التأميم · تعريب وتعليق محمود فتحي عمر · القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا· ت· ٢٩٣ ص ·

ولي ، عبد المجيد حسن ·
التربية الحديثة · الدار البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، لا· ت· ١٥٩ ص ·

يونس ، علي حسن ·
القانون البحري ، السفينة · القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ · ٥٧٦ ص ·

فقه اللغة

الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق ·
الابدال والمعاقبة والنظائر · حققه وقدم له وشرحه عز الدين التنوخي · دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٢ · ١٤٠ ص ·

القاسمي ، ظافر ·
فصول في اللغة والادب · بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٤ · ٢٤٥ ص ·

المبارك ، محمد ·
فقه اللغة وخصائص العربية · دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد · الطبعة الثانية · بيروت ، دار الفكر الحديث ، ١٩٦٤ · ٣٤٨ ص ·

العلوم الطبيعية

لنتون ، رالف ·
دراسة الانسان · تر·عبدالملك الناشف · صيداء المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ · ٦٤٧ ص·

وللي ، فان درريت ٠
الطريق الى النجوم ٠ نقله الى العربية عمر فروخ ٠ بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ٠ ٢٣٨ ص ٠

العلوم التطبيقية

جمعية تعليم الكبار الامريكية ، مح ٠
الاشراف والاستشارة ٠ تر٠ جابر عبد الحميد جابر ٠ القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٤ ٠ ٨٥ ص ٠

جونز ، ايفيلين ، ج ٠
الشؤون المنزلية للناشئات ٠ تر٠ اسعاد جودة عفيفي ٠ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ٠ ٤٩٨ ص ٠

حمادي ، سعدون ٠
نحو اصلاح زراعي اشتراكي ٠ بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٤ ٠ ٩٠ ص ٠

روسي ، ١٠ دونيفاس ٠
هندسة اللحام ٠ تر٠ انور محمود عبد الواحد ٠ القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ٠ ج ١ ٠

سامي ، احمد ٠
علم الارشاد الزراعي ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ٠ ٢٩٠ ص ٠

الشكرجي ، محمود داود ٠
الهندسة والمهندس في تقييم الهندسة والمهندس ٠ بيروت ، عويدات ، ١٩٦٤ ٠ ٣٢٢ ص٠

عبد الكريم ، محمد عبد العزيز ٠
الضريبة على الارباح التجارية والصناعية من الوجهة التطبيقية ٠ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ٠ ج ١ ٠

عيسى ، احمد ٠
الات الطب والجراحة والكحالة عند العرب ٠ القاهرة ، مطبعة مصر ، لا٠ ت٠ ٢٤ ص ٠

فارب ، بيتر ٠
قصة السدود ، تر٠ محمد توفيق محمود ٠ القاهرة ، دار النهضة العربيــة ، ١٩٦٤ ٠ ١٣٨ ص ٠

مرعي ، سيد ٠
الاصلاح الزراعي ومشكلة السكان في القطر المصري ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعـة والنشر ، ١٩٦٣ ٠ ٣٧٩ ص ٠

هانران ،جيمس س ٠
بيولوجيا الفضاء ، العوامل البشرية في طيران الفضاء ٠ تر٠ زكريا فهمي ٠ القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ٠ ٤٢٧ ص ٠

الفنون الجميلة

الله ديردي ، ميخائيل خليل ٠
جولة في علوم الموسيقى العربية ٠ بغداد ، مطبعة دار الجمهورية ، ١٩٦٤ ٠ ٣٣ ص ٠

معروف ، ناجي ٠
عروبة المدن الاسلامية ٠ بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٦٤ ٠ ٨٠ ص ٠

الادب

ابو الاسود الدؤلي ، ظالم بن عمرو ٠
ديوان ٠ تحقيق محمد حسن آل ياسين ٠ الطبعة الثانيه مزيدة ومنقحة ٠ بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٤ ٠ ١٤٥ ص ٠

ابو ريد ، ناصيف بن جرجي ٠
رواية مرآة الوفاء وراموز الادباء ٠ بعبدا ، المطبعة العثمانية ، ١٩٠١ ٠ ١١٣ ص ٠

الاشتر ، عبد الكريم ٠
دعبل بن علي الخزاعي ، شاعر آل البيت ، دراسة تحليلية لحياته وشعره ٠ دمشق ، دار الفكر ، ١٩٦٤ ٠ ٣٥٧ ص ٠

شعر دعبل بن علي الخزاعي ٠ دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٤ ٠ ٥٥٨ ص ٠

الاشقر ، يوسف حبشي ٠
اربعة افراس حمر ٠ رواية ٠ صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ ٠ ٤٦١ ص ٠

الامير ، ديزي ٠
البلد البعيد الذي نحب ٠ قصص ٠ بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٤ ٠ ١٤١ ص ٠

بدره عبد المحسن طه ٠
تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ ــ ١٩٣٨) ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ٠ ٤٣٢ ص ٠

البدري ، مصطفى نعمان ٠
يوم العروبة ، محاكاة شعرية (تمثيلية) ٠ القاهرة ، مكتبة دار العروبه ، ١٩٦٤ ٠ ١١١ ص ٠

بدوي ، امين عبد المجيد ٠
القصة في الادب الفارسي ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ٠ ٤١٧ ص ٠

بسفيلد ، روجر م٠ (الابن)
فن الكاتب المسرحي ، للمسرح والاذاعة والتليفزيون والسينما ٠ تر٠ وتقديم دريني خشبه٠
الفاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤ ٠ ٤٦٢ ص ٠

البوادري ، سعد ٠
ذرات في الافق ٠ شعر ٠ بيروت ، دار الاشعاع ، ١٩٦٢ ٠ ١٩٢ ص ٠

بوحيمد ، ناصر ٠
فلق ٠ شعر ٠ بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا٠ ت٠ ١٣٥ ص ٠

تيمور ، محمود
انتصار الحياة وقصص اخرى ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ٠ ١٧٩ ص ٠

المصابيح الزرق ٠ خصه مطولة ٠ القاهرة ، الناشر الحديث ، ١٩٦٠ ٠ ١٨٢ ص ٠

الجارم ، علي ٠
سبحات الخيال ٠ شعر ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ ٠ ٢٣٥ ص ٠

جاماتي ، حبيب ٠
تحت سماء المغرب ٠ تاريخ ما اهمله التاريخ ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ،
١٩٦٤ ٠ ١٩٢ ص ٠

جبرا ، جبرا ابراهيم ٠
المدار المعلق ٠ بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ١٣٩ ص ٠

الجبوري ، يحيى ٠
الاسلام والشعر ٠ بغداد ، مكتبه النهضة ، ١٩٦٤ ٠ ١٧٥ ص ٠

شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه ٠ بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٤ ٠ ٤٥٢ ص ٠

حسين ، علي صافي ٠
الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ٠
٤٦٨ ص ٠

الحكيم ، توفيق ٠
الطعام لكل فم ٠ القاهرة ، مكتبة الاداب ، لا٠ ت٠ ٢٠٦ ص ٠

حيدر ، رامز ٠
رباعيات ابي نواس ٠ بيروت ، مطابع لبنان ، ١٩٦٥ ٠ ٦٤ ص ٠

الحيدري ، بلند ٠
خطوات في الغربة ٠ شعر ٠ صيدا المكتبة العصرية ، ١٩٦٥ ٠ ٢٠٠ ص ٠

خشبه ، دريني ٠
اساطير الحب والجمال عند الاغريق ٠ القاهرة ، مطبعة الرسالة ، لا٠ ت٠ ٢٧٧ ص ٠

الخطيب ، يوسف ٠
عناصر هدامة ، اطراف من النكبة في خمس لوحات قصصية ٠ صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٣ ٠ ١٤١ ص ٠

خوري ، رئيف ٠
مع العرب في التاريخ والاسطورة ٠ طبعة مزيدة منقحة ٠ بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٣ ٠ ٢٢٤ ص ٠

داود ، جورج ٠
مطل الضباء ٠ شعر ٠ زحله ، مطبعة جريدة زحله ، ١٩٦٤ ٠ ١٧٤ ص ٠

الدقاق ، عمر ٠
الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث ٠ الطبعة الثانية ٠ حلب ، مكتبة الشرق ، ١٩٦٣ ٠ ٤٥٢ ص ٠

الريحاني ، امين ٠
المكاري والكاهن ٠ رجل دين ٠٠٠ ورجل دنيا ٠ الطبعة الثانية ٠ بيروت ، مطبعة الفن الحديث ، ١٩٣٤ ٠ ٦٨ ص ٠

ستوكتون ، فرانك ر٠
مختارات من القصص القصيرة ٠ تر٠ صبحي الجبار ٠ القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ٠ ٢٦٦ ص ٠

سعيد ، عباس احمد ٠
انها قناتنا ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ١٩١ ص ٠

سعيد ، علي احمد ٠
ديوان الشعر العربي ٠ صيدا ، المكتبة العصريه ، ١٩٦٤ ٢ ج ٠

سكاكيني ، وداد ٠
نقاط على الحروف ، نقد وتعقيب ٠ القاهرة ، دار الفكر العربي ، لا٠ت٠ ٢٦٠ ص ٠

السياب ، بدر شاكر ٠
شناشيل ابنة الجلبي ٠ شعر ٠ بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥ ٠ ١١١ ص ٠

الشرقاوي ، محمد ٠
برنارد شو والمسرح الاشتراكي ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ٩٥ ص ٠

الشهال ، رضوان ٠
جرار الصيف ٠ شعر ٠ بيروت ، مطابع الغريب ، ١٩٦٤ ٠ ٩٤ ص ٠

عامر ، عطيه ٠
النقد المسرحي عند اليونان ٠ بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٤ ٠ ١٦١ ص ٠

العمري ، عبد الباقي
التریاق الفاروقي او ديوان عبد الباقي العمري · الطبعة الثانية · النجف ، دار النعمان ، ١٩٦٤ · ٤٤٠ ص ·

فاخوري ، خليل ·
اصابع الفجر · شعر · بيروت ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٤ · ١٤١ ص ·

فرجسون ، فرنسس ·
فكرة المسرح · تر· وتعليق جلال العشري · القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ · ٣٩٨ ص ·

فروخ ، عمر ·
تاريخ الادب العربي · بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٥ · ج ١ ·

فازان ، نعمه ·
المحراث · شعر · بيروت ، مطبعة قلفاط ، ١٩٦٤ · ٣٥٥ ص ·

القباني ، حسين ·
الشعاع الغارب · القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ · ١٦٠ ص ·

القباني ، عبد العليم ·
شعراء الاسكندرية في العصور الاسلامية · القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، لا· ت· ١٠٤ ص ·

قربان ، نقولا ·
نشيد الرخام · بيروت ، دار الروائع ، ١٩٦٤ · ١٣٢ ص ·

القرشي ، حسن عبدالله ·
الحان منتحرة · شعر · بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ · ١٢٧ ص ·

سوزان · شعر · بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٣ · ٩٦ ص ·

نداء الدماء · شعر · بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ · ١٢٨ ص ·

القيسي ، نوري حمودي ·
الفروسية في الشعر الجاهلي · بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٤ · ٣٥٩ ص ·

الكاظمي ، جابر ·
ديوان الشيخ جابر الكاظمي ١٢٢٢ ـ ١٣١٢ · تحقيق محمد حسن آل ياسين · بغداد ، المكتبة العلمية ، ١٩٦٤ · ٣٩٤ ص ·

كوفمان ، وليم ارفنج ، مع ·
فن التلفزيون ، كيف تكتب وكيف تخرج · تر· سميره عزام · بيروت ، الدار الشرقية للطباعة ، ١٩٦٤ · ٢٣٧ ص ·

كوكس ، لويس اوزبرن ٠
البحار بىلي بد ٠ مسرحية من ثلاثة فصول ٠ تر٠ مصطفى طه حبيب ٠ القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٤ ٠ ١١٨ ص ٠

ماكيني ، روث ٠
شفيتي آيلين ٠ تر٠ ديزي الامير ٠ بيروت ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ٠ ٢٣٠ ص ٠

مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ ٠ بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ ٠ ٣٢٦ ص ٠

محفوظ ، نجيب ٠
بيت سيء السمعه ٠ القاهرة ، مكتبة مصر ، لا٠ ت٠ ٢٦٧ ص ٠

مشعل ، مصطفى ٠
القنبلة الثالثه ٠ القاهرة ، الدار القوميه للطباعه والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ٨٢ ص ٠

مطلوب ، احمد ٠
البلاغه عند السكاكي ٠ بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٤ ٠ ٤٨٤ ص ٠

النجمي ، حسن ٠
كلمات فلسطينيه ٠ شعر ٠ بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٥ ٠ ١١٠ ص ٠

هوثورن ، نثانيال ٠
كتاب العجائب ٠ تر٠ سهير القلماوي ٠ القاهرة ، مكتبه الانجلو المصرية ٠ ١٩٦٤ ٠ ٢٢٥ ص ٠

التاريخ والجغرافيا والتراجم

آل صفا ، محمد جابر ٠
تاريخ جبل عامل ٠ بيروت ، دار معجم متن اللغة ، لا٠ ت٠ ٣١٠ ص ٠

آل كليدار ، محمد حسن مصطفى ٠
مدينه الحسين او مختصر تاريخ كربلاء ٠ ايران ، مطبعة شركت سهير ، ١٩٤٩ ٠ ج ٢٠

ابن طاووس ، غياث الدين عبد الكريم بن موسى ٠
فرحة الغرى في تعيين قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب ٠ الطبعة الثانية ٠ النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٦٨ هـ ٠ ١٣٨ ص ٠

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط ٠
خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك ٠ وقف على طبعه وتصحيحه مكي السيد جاسم ٠ الطبعه الثانيه ٠ بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٤ ٠ ٣٢٣ ص ٠

الارمنازي ، نجيب ٠

عشر سنوات في الدبلوماسية من صميم الاحداث العربية والدولية ٠ بيروت ، دار الكاتب الجديد ، ١٩٤٦ ٠ ج ٢ ٠

اسماعيل ، عادل ٠

السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٩٥٨ ٠ بيروت ، دار النشر للسياسه والتاريخ ، ١٩٦٤ ٠ ج ٤ ٠

الاهواني ، احمد فؤاد ٠

الكندي ، فيلسوف العرب ٠ القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، لا٠ ت٠ ٣١٩ ص ٠

البراوي ، راشد ٠

دراسات في السودان واقتصاديات الشرق الاوسط ٠ القاهرة ، مكتبه النهضة المصريه ، ١٩٥١ ٠ ٢٢٧ ص ٠

برايس ، جيمس برايس ٠

المؤسسات والنظم الامريكية ، نظرات تأملية في طبيعتها ٠ تر٠ انيس صايغ ٠ بيروت ، الدار الشرقية للطباعه والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ٣٧٥ ص ٠

بورقيبه ، الحبيب ٠

حديث الجمعة ٠ عرض لكل الخطب والكلمات الخالدة التي القاها الرئيس ٠٠٠ بين ١٨ افريل ١٩٥٦ و٢٠ مارس ١٩٥٧ ٠ جمع ونشر احمد الرتيمي ٠ تونس ، مطبعة العمل ، ١٩٥٧ ٠ ج ١ ٠

خطب ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ ٠ تونس ، ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ ٠ ٣ ج ٠

البيطار ، عبد الرزاق بن الحسن بن ابراهيم ٠

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث ٠ دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ج ٢ و ٣

البيطار ، نديم ٠

الفعالية الثورية في النكبة ٠ بيروت ، دار الاتحاد ، ١٩٦٥ ٠ ١٦٣ ص ٠

توفيق ، محمد عمر ٠

طه حسين والشيخان ٠ بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٦٣ ٠ ٢٣٢ ص ٠

جبر ، جميل ٠

امين الريحاني ، سيرته وادبه ٠ صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ ٠ ٢٠٨ ص ٠

الجزائري ، مسعود مجاهد ٠

تاريخ الجزائر ٠ القدس ، مطابع دار الايتام الاسلامية ١٩٦٢ ٠ ٤٨٣ ص ٠

الجزائرة الحرة ٠ القدس مطابع دار الايتام الاسلامية ، لا٠ت٠ ٣٢٨ ص ٠

الجزائر عبر الاجيال . الطبعة الثانية . القدس ، دار الايتام الاسلامية ، لا. ت. ٦٤٠ص.

الجندي ، محمد سليم .
الجامع في اخبار ابي العلاء المعري واثاره . علق عليه واشرف على طبعه عبد الهادي هاشم، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٦٣ . ج ٢ .

حافظ ، ابو الحجاج .
البطل صلاح الدين مصطفى ، ١٩٢١ ـ ١٩٥٦ . القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية الشباب ، لا. ت. ١٦٥ ص .

الحسني ، عبد الرزاق
الثورة العراقية الكبرى ... الطبعة الثانية المنقحة . صيدا ، مطبعه العرفان ، ١٩٦٥ . ٢٩٤ ص .

الحصري ، ساطع .
يوم ميسلون ، صفحه من تاريخ العرب الحديث . طبعه جديدة مع ملحق جديد ، يستعرض ما حدث في سوريا من يوم ميسلون الى يوم الجلاء . بيروت ، دار الاتحاد . لا. ت. ٤٤٢ ص .

الحويك ، يوسف .
ذكريات مع جبران ، باريس ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ . حررتها ادفيك جريديني شيبوب . بيروت، دار الاحد ، ١٩٥٧ . ٢٢٢ ص .

خالد ، خالد محمد .
ازمه الحريه في عالمنا . القاهرة ، مكتبه وهبه ، ١٩٦٤ . ٢٨١ ص .

الخشاب ، رفيق حسين .
آسيا . بغداد ، المطبعه العربيه ، ١٩٦٤ . ٥٣٨ ص .

الخشاب ، شوقي .
اتحاد روديسيا ونياسالاند ، قيامه وانهياره . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ . ٢٥٦ ص .

الخوانساري ، محمد باقر بن جعفر .
روضات الجنات في احوال العلماء والسادات . طهران ، دار الكتب الاسلامية ، ١٣٨٢ ق ـ ١٣٤١ ش. ج .

الخوري ، اغناطيوس طنوس .
البيت الكرمي في اهدن ... مع اثر خطي جلبل عن رحلة الامير دي جوانفيل ابن لويس فيلبب ملك فرنسا الى لبنان وزيارته بيت كرم والارز سنة ١٨٣٦ . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٥ . ٤٨ ص .

الدرة ، محمود ·
تاريخ العرب العسكري · حروب محمد ـ حروب الردة ـ تحرير العروق · بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٤ · ٤٣٢ ص ·

الرشمد ، يعقوب عبد العزيز ·
الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ · لا· م· ، لا· ن· ، ١٩٦٣ · ١٤٢ ص ·

الركابي ، فؤاد ·
الحل الاوحد · القاهرة ، الشركة العربيه للطباعه والنشر ، ١٩٦٣ · ١٢٠ ص ·

الرمادي ، جمال الدين ·
عبد العزيز البشري · القاهرة ، المؤسسه المصريه العامة للتأليف والترجمة ، لا· ت· ٣٦٧ ص ·

راكس ، كورت ·
تراث الموسيقه العالمة · تر· سمحه الخولي · القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ · ٥٥٤ ص ·

رباده ، نقولا عبده ·
مدن عربيه · بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٥ · ٢٣٠ ص ·

الشبيبي ، محمد رضا ·
مؤرخ العراق ابن الفوطي · بحث في ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى الى اواخر العصر المغولي · بغداد ، مطبعة التفيض ، ١٩٥٠ ـ ١٩٥٨ · ٢ ج ·

شراره ، عبد اللطيف ·
الصهيونية جريمة العصر الكبرى · بيروت ، دار المكشوف ، ١٩٦٤ · ٢٧٧ ص ·

الشرباصي ، احمد ·
ادب امير البيان · القاهرة ، الدار القوميه للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ · ١١١ ص ·

الشريف المرتضى ، ابو القاسم علي بن الحسين ·
تنزيه الانبياء · الطبعة الثانية · النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٦١ · ٢٤٠ ص ·

شمس ، عبد المنعم ·
سياسة عدم الانحياز حاضرا ومستقبلا · القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ · ١٨٤ ص ·

صبري ، موسى ·
قصه ملك و٤ وزارات · القاهرة ، دار القلم ، لا· ت· ٢٣١ ص ·

عامر ، علي محمد ·
المحمرة والوحدة العثمانية او خدمة للدستور · نقلها من التركية الى العربية ··· محمد صالح · لا· م· ، لا· ن· ، لا· ت· ٨٠ ص ·

عبد الحميد ، محمد كمال ٠
معركة سيناء وقناة السويس ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ٠
١٩٦ ص ٠

عبد الرحمن ، محمد محمد ٠
ارض البطولات والامجاد ٠ لا٠ م٠ مطبعة التنمرين ، لا٠ ت٠ ٤٠٩ ص ٠

العجيلي ، عبد السلام ٠
دعوة الى السفر ٠ بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٣ ٠ ١٥٠ ص ٠

العقيقي ، نجيب ٠
المستشرقون ٠ طبعه ثالثة مزيدة ومنقحة ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ٠ ج ١ ٠

علوش ناجي ٠
المسيرة الى فلسطين ٠ بيروت ، دار الطليعه ، ١٩٦٤ ٠ ٢٣١ ص ٠

قتال ، عبد الوهاب ٠
جزيرة ٠٠ وملك ، دراسة وتحليل ٠ بيروت ، دار الريحاني ، ١٩٦٤ ٠ ١٦٨ ص ٠

فهمي ، وفس عبد العزيز ٠
العدوان الثلاثي والضمير العالمي ٠ القاهرة ، الدار القومية للطباعه والنشر ، ١٩٦٤ ٠
٢٠١ ص ٠

فوزي ، حسين ٠
سندباد مصري ، جولات في رحاب التاريخ ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ ٠ ٣٩٧ ص٠

فلبي ، هاري سانت جون بريدجر ٠
تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفيه) تعر ٠ عمر الديراوي ٠
المكتبه الاهليه ، لا٠ ت٠ ٤٢٣ ص ٠

كرون ، جيرالد رو ٠
اعلام الجغرافيا الحديثة ٠ ملخص للتطور في علم الجغرافيه منذ عام ١٨٠٠ م٠ تعر ٠
شاكر خصباك ٠ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ٠ ٩٥ ص ٠

الكويت باقلام نخبة من كتاب العرب ٠ بيروت ، دار الكاتب العربي ، لا٠ ت٠ ٢٤٧ ص ٠

المارك ، فهد ٠
من شيم العرب ٠ بيروت ، المكتبة الاهلية ، لا٠ ت٠ ٣ ج ٠

محمد ، محيي الدين ٠
ثورة على الفكر العربـي المعاصر ودراسات اخرى ٠ صيدا ، المكتبة العصريـة ١٩٦٤ ٠
٣٦٥ ص ٠

ملحس ، ثريا ٠
ميخائيل نعيمه ، الاديب الصوفي ٠ بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ ٠ ٢٠٣ ص ٠

موعي ، جون كمالين ٠
المدخل في دراسة الجغرافيا ٠ تعر٠ شاكر خصباك ٠ بغداد ، الدار القومية للطباعه والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ١٦٧ ص ٠

النفاش ، رجاء ٠
ثورة الفقراء ٠ بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٤ ٠ ١٣٩ ص ٠

نقرة ، التهامي ٠
القيروان عبر العصور ٠ القيروان ، اللجنة الثقافية ، ١٩٦٤ ٠ ١٥٣ ص ٠

الهزاعي ، عبد العزيز سليمان ٠
٠٠٠ في سبيل الوطن ، نار ونور ٠ بيروت ، المكتب العالمي للتاليف والترجمة ، ١٩٦٤ ٠ ٢٣١ ص ٠

هونكه ، زيغريد ٠
شمس العرب تسطع على الغرب ٠ « اثر الحضارة العربية في اوروبا » ٠ نقله الى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي ٠ بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ٠ ٥٦٣ ص ٠

الواعظ ، رؤوف ٠
معروف الرصافي ، حياته وادبه السياسي ٠ القاهرة ، دار الكتاب العربي ، لا٠ ت٠ ٢٧٥ ص ٠

الوكالة الاردنيه للصحافة والنشر ٠ عمان ٠
من هو ؟ المملكة الاردنية الهاشمية ٠ عمان ، مطبعة دار الشرق ، ١٩٥٩ ٠ ٢٢٤ ص ٠